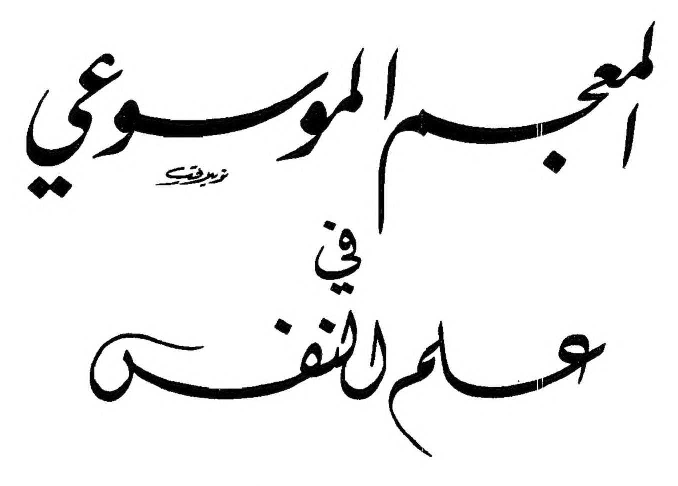
نوربير سيلامي

بمشاركة مئة وثلاثة وثلاثين إختصاصياً



الجُزءُ الثَّالِثُ

الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد

ترجمة

وجيه أسعد


منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق 2001

العنوان الأصلي للكتاب :

Dictionnaire usuel de Psychologie

NORBERT SILLAMY

Bordas

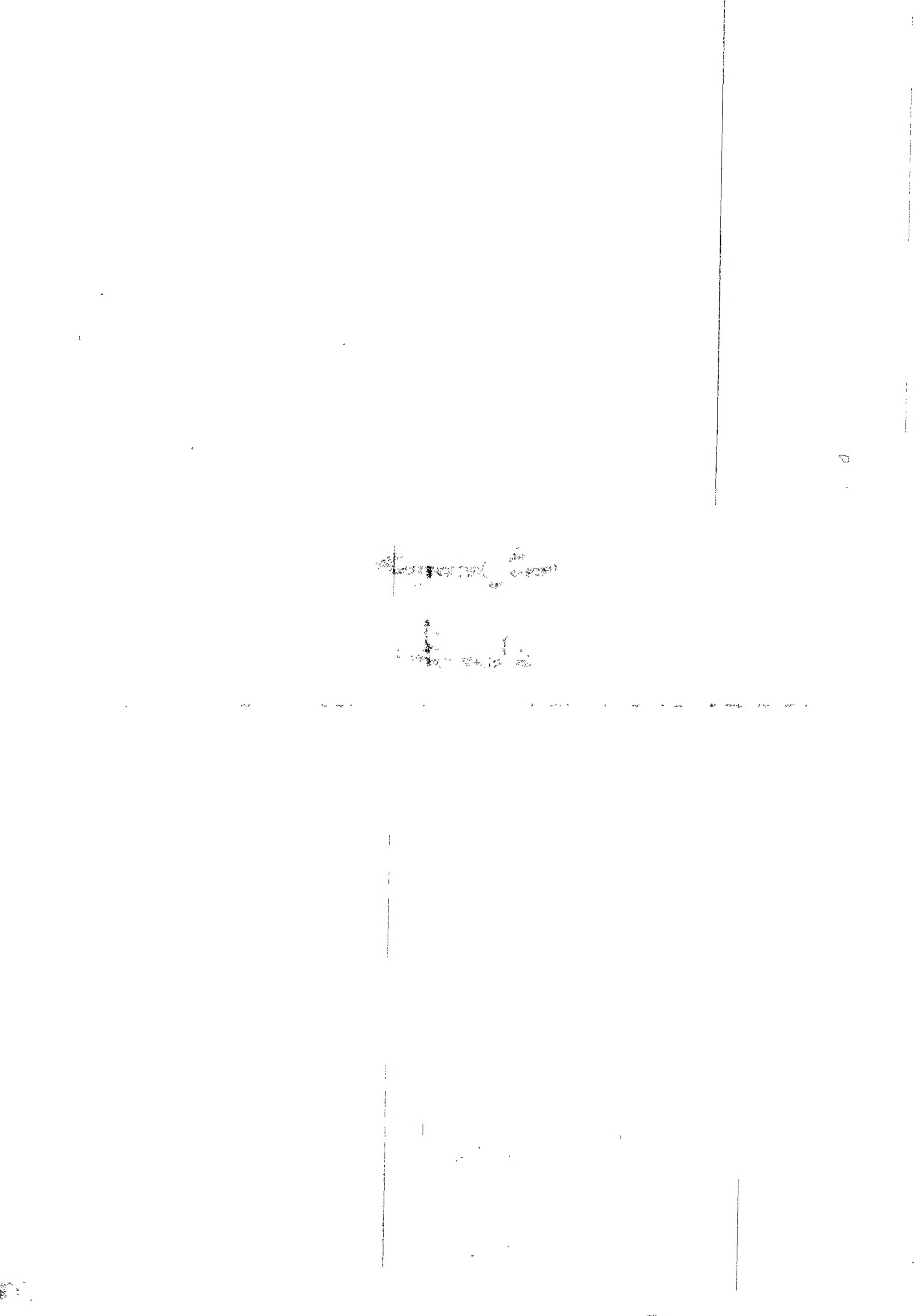
المعـجم الموسـوعي في علـم الـنفس= Dictionnaire Usuel de Psychologie/ نوربير سيلامي؛ ترجمة وجيه أسعد. - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠. - ٦ ج؛ ٢٤سم.

١- ٣ر١٥٠ س ي ل م ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- سيلامي ٥- أسعد

مكتبـة الأسـد

الايداع القانوني: ع-١٥٠٨ / ٩/ ٢٠٠٠

حـــرف
الخـــاء



خارجي الاستقبال

F: Extéroceptif

En: Exteroceptive

D: Exterzeptiv

مصطلح يطلق على الأعضاء والمستقبلات الحسّية التي تخبرنا عن خصائص العالم الخارجي وتغيّراته: العين مستقبل حسّي خارجي.

وظائف المستقبلات الحسّية الخارجية تقابل الحواس الخمس التقليدية، على وجه الإجمال: الرؤية، السمع، الشّم (التي تتيح التقاط المعلومات عن بُعد)؛ والذوق واللمس (معلومات عن منبّهات تتصل بالسطح المستقبل). والوظائف الحسية للمستقبلات الخارجية لها أنماط فرعية عديدة: وهكذا ينقسم الذوق إلى أربعة مذاقات أساسية (الحلو، المالح، الحامض، المرّ) تقابل تنبيه أربعة نماذج متمايزة من المستقبلات اللسانية. (انظر في هذا المعجم: **المستقبل الحسّي الداخلي، الاستقبالي الذاتي**).

J.MA.

الخامل

F: Apathique

En: Apathic

D: Apathisch

الفرد الخامل، في علم الطباع لدى المدرسة الفرنسية الهولاندية، يُحدّد بانعدام حساسيته، وعدم فاعليته، وبطء ارتكاسه على الانطباعات. ويتميّز، بوصفه رجل مبادئ وعادات، بامتثاليته، وتشدّده، واحترامه القواعد، وصلابة شخصيته، واستقامة سلوكه. إنه، بوصفه منطوياً، كتوماً، لايكشف عن أفكاره إلا قليلاً، ويحذر كل جدّة، تقنية كانت أو فكرية. إنه فكر عقلاني، بارد، مغلق على الاعتبارات العاطفية. (انظر المصطلحين التاليين في هذا المعجم: **الطبع**، **علم الطباع**).

الخبرة

F: Expertise

En: Expert evidence

D: Untersuchung durch sachverstandige

فحص يجريه طبيب نفسي أو عالم نفس بطلب من سلطة إدارية أو قضائية

يظلّ دور الخبير آيلاً في الأغلب إلى طبيب نفسي، ولكن تدخّل عالم النفس العيادي يصبح متصاعد التواتر، ولاسيّما في المجال الجزائي. ويقضي التشريع الفرنسي بإمكان فرض خبرة في الأوضاع الأكثر اختلافاً. ويكمن المشكل، إذا كان النزاع حول تعويض عن ضرر جسمي سبّبه حادث أو ضربات، في تقدير أهمية العجز الذي يظلّ بعد «التئام» الجروح. وعندما لاتكون الصدمة ذات علاقة بالعمل (حادث سير على سبيل المثال)، تكون من اختصاص «الحقوق العامة»، ويُعهد بالإجراء إلى محكمة الدرجة الأولى في الشأن المدني، التي تحدّد، إلا في الحالات الاستثنائية، خبيراً وحيداً يُختار من قائمة تضعها محكمة النقض (القائمة الوطنية). وهذا الخبير يفحص الجريح وحده أو بحضور الطبيب المعالج وطبيب يمثّل شركة التأمين. وتكمن مهمته الأساسية في تحديد نسبة العجز الدائم الجزئي وتقييم أهمية الضرر الطارىء على مستويات الترفيه (الرياضة وأوقات الفراغ) والجمال أو الألم. وهذه العناصر ستفيد منها المحكمة لحساب مبلغ التعويضات التي ينبغي أن تُمنح الجريح. وتُعهد حالياً إجراءات التعويض في حالة حادث عمل أو في حالة مرض،

التي كانت فيما مضى من صلاحية الحقوق العامة، إلى هيئات الأمن الاجتماعي. إنها هي التي تعيّن الخبير وتحسب التعويض المقطوع الذي سيقدّم بوصفه مرتّباً. وتظل حوادث العمل الزراعي وحدها خاضعة لقانون 9 نيسان 1898 (أبريل) وتستمرّ من اختصاص المحكمة المدنية. وفي حالة ضرر ناجم عن فاعلية عسكرية أو ذات علاقة بالحرب، تُناط الإجراءات بمحكمة المنطقة للمعاشات.

وتفرض صناديق التأمين الاجتماعي غالباً خبرة في حالة النزاع مع المؤمَّن فيما يخصّ العناية أو التوقّف عن العمل. وتُباشر الإجراءات وفق المرسوم رقم 29 – 160 تأريخ 7 كانون الثاني (يناير) بطلب من أحد الخصمين، ويُعيَّن الخبير بعد اتّفاق بين الطبيب المعالج والطبيب مستشار صندوق التأمين. وكلاهما يمكنهما أن يشهدا الفحص. وعندما تودع النتائج، فإنها تفرض نفسها على المعنيّين دون استئناف.

والتشوّهات العقلية الجبليّة أو المكتسبة يمكنها أن تمنح الحق بمعاش يقتضي حسابَه رأيُ خبير. والمسألة هي في الأغلب مسألة إعانات تسمّى إعانات **تربية خاصة** أو إعانات خاصة لـ **راشدين معوّقين**. وتلجأ الإدارة العامة لطبيب نفسي، إما لتقييم الحالة العقلية لمستخدم ينبغي تثبيته في وظيفته (المادة 23 من النظام العام للوظيفة العامة)، وإما ليبدي رأيه في منح عطلة ذات مدة طويلة. بل إن تسليم إجازة سوق لبعض المركبات (ولاسيّما المركبات المخصّصة للنقل العام) خاضعة لرأي الخبير، الذي ينبغي له أن يؤكّد أن طالب الإجازة سليم من بعض الأمراض، ولاسيّما أمراض الطب النفسي، التي تحدّد قائمتها وزارة التجهيزات. وبعض الأشخاص الذين سُحبت إجازتهم، إجازات السوق، لايمكنهم أن يروها تُعاد إليهم إلا بعد فحص عقلي. وذلك ينطبق بصورة خاصة على المرضى العقليين الذين أُدخلوا مشفى الأمراض العقلية بمقتضى قانون 1838، مرضى يكونون بانتظام موضوع سحب الإجازة منهم عند إدخالهم المشفى. وتُعاد هذه الوثيقة إليهم بعد ستة أشهر على الأقلّ من خروجهم من مؤسّسة العلاج إذا كانت نتائج الخبير مناسبة.

وخبرات الطب وعلم النفس هي على وجه الخصوص متواترة وذات أهمية في قضايا الجنايات. فالمادة 64، من القانون الجزائي، حجر الزاوية لخبرة الطب النفسي، تحدّد في الواقع أنْ «ليس ثمة جريمة ولا جنحة عندما يكون الظنين في حالة خَبَل خلال ارتكاب الجريمة أو الجنحة أو عندما يكون مرغماً بقوة لا يمكنه أن يقاومها». وخلال زمن طويل، كانت مهمة الخبراء إذن أن يبحثوا عن حالة محتملة من الخبل وأن يبدوا رأيهم في درجة مسؤولية المتّهم. ويُطلب إليهم في أيامنا هذه أن يجيبوا بصورة عامة عن خمسة أسئلة تنصبّ على: (1) - وجود شذوذات عقلية؛ (2) - علاقتها بالجرم المرتكب؛ (3) - خطورة الفرد؛ (4) - إمكان أن يكون محلاً لعقوبة؛ (5) - إمكانات التحسّن والاندماج الاجتماعي الجديد. وقاضي التحقيق، أو محكمة الجنح أو محكمة الدرجة الأولى، على نحو أندر، هم الذين يأمرون على وجه العموم بالخبرة العقلية. ويُختار الخبراء، اثنان منهم فقط، من قائمة تضعها محكمة الاستئناف أو محكمة النقض (يمكن اللجوء، على سبيل الاستثناء وبقرار معلّل إلى ممارسين لا ترد اسماؤهم في هذه القوائم). والقاضي يمكنه أيضاً، بمبادرته الخاصة أو بطلب من الأطباء الخبراء، أن يعيّن عالم نفس أو عدة علماء نفس يُختارون من القوائم نفسها. ويطّلع كل خبير على إضبارة التحقيق، إما في مكتب القاضي وإما بنسخ منها تُنقل إليه، ويطّلع على الوثائق الطبية المحتملة. ويمارس الخبراء فحص المتهم في السجن على الأغلب، وفي مكتب الخبير أحياناً، أو في منزله نادراً. وهو فحص لا يختلف في شيء عن الفحوص المألوفة، إلا أن الخبير يبدأ في توضيح صفته وموضوع تدخّله. وبوسع كل ممارس أن يحرّر تقريره بصورة منفصلة، ولكن الأغلب أنهم يقترحون نصّاً مشتركاً. ونتائجهم يمكنها أن تكون موضع معارضة قاضي التحقيق، أو محامي المتهم، أو الوزارة العامة؛ وعندئذ تتقرّر خبرة مضادّة، وخبرة عليا في حال خلاف جديد. فإذا ثبت أن الجنحة مرتبطة باضطراب عقلي، فإنه يتقرّر أن المتهم «غير مسؤول» بمقتضى المادة 64 من القانون الجزائي، ويعلن القاضي حكمه بـ «منع المحاكمة». وإذا اعتُرف، من جهة

أخرى، أن الفرد خطر، فإنه يُدخل في مؤسسة للطب النفسي. وتستمرّ الإجراءات، في الحالة العكسية، ويمكن دعوة الخبراء لشرح مهمتهم أمام المحكمة. وهذا الاستماع متّبع أمام محكمة الجنايات، ولكنه لايحدث أمام محكمة الجنح إلا بصورة استثنائية جداً. والقاضي يمكنه أيضاً، في إطار **الاستقصاء عن الشخصية** الذي توصي به المادة 81 من قانون الإجراءات الجزائية، أن يطلب فحصاً طبياً سيكولوجياً، ولكن هذا الإمكان يُستخدم نادراً. وفيما يخصّ القاصرين الأقل من ثمانية عشر عاماً من العمر، أخيراً، يمكن أن يطلب قاضي الأطفال فحصاً عقلياً، وقد يطلبه في بعض الأحيان قاض من قضاة التحقيق. ومرجع مهمة الخبرة هو المادة 64 من القانون الجزائي دائماً، ولكن هذه المهمة تلحّ بصورة خاصة على البحث عن أسباب عدم التكيّف، وإنذار التطوّر، والإجراءات التربوية التي ينبغي اتّخاذها.

ومفهوم الخبرة يكوّن دائماً موضوع انتقادات. ومثال ذلك أن شروط الفحص في مكان التوقيف شروط سيئة على الأغلب، ويصعب الحصول جداً على فحوص تكميلية كالمخطّط الدماغي الكهربائي، وصور الأشعة، والتحليلات البيولوجية، التي يُتخلّى عنها غالباً. ومهمة الخبرة، من جهة أخرى، هي من الحساسية بحيث تقتضي، في أغلب الحالات، عدة لقاءات مع المتهم، ولكن ذلك يتعذّر تحقيقه من حيث أن اللجوء يكون إلى أطباء ممارسين مشغولين جداً في العادة، وبالنظر إلى الأجر المقترح لهم. وإذا لم يكن يبدو مستحباً أن يُعهد بهذه الفحوص كلها إلى خبراء ليست لديهم فاعلية أخرى، فيبدو على العكس ضرورياً أن نفرض على أولئك الذين يلتمسون تسجيلهم في قوائم الأهلية تكويناً في علم الجريمة والقانون الجزائي.

ولكن الانتقادات تلفت النظر على وجه الخصوص إلى غموض وضع الخبرة وتناقضاته. فعلى الخبير أن يبدي رأيه، بالفعل، في حالة المتّهم **لحظة وقوع المخالفة**، في حين أن فحصه يجري بعد أيام، بل أسابيع، وأن تغيّرات ذات أهمية في حالته

العقلية أمكنها أن تحدث: اختفاء المظاهر الحادّة خلال الوقائع أو على العكس، ظهور اضطرابات ارتكاسية ثانوية على الجرم، أو اضطرابات ناجمة عن الاعتقال (اكتئاب، خلط عقلي، إلخ). أضف إلى ذلك أن سلوك المتهم إزاء فحص لم يطلبه على وجه العموم، يُحتمل أن يزيّف النتيجة: فالمتهم يستشعر الخبير تارة أنه حليف يمكنه أن يشرح وينفي التهمة، ويدركه تارة أخرى كما لو أنه من يسبّب إدخالاً مرهوباً في مشفى الطب النفسي؛ ومسؤولية الفعل يضطلع بها المتّهم في بعض الأحيان، والخبرة يستشعرها وكأنها محاولة انتقاص القيمة الشخصية. فيصبح ضرب موضوعي من تقييم السلوك الجرمي صعباً في هذه الشروط، وعاطفة الخبير الشخصية إزاء نوع معيّن من المخالفة أو الجانح يمكنها أن تؤدي دوراً محدِّداً. وأخيراً، يظلّ مفهوم المسؤولية ذاته موضوع جدال دائم. فالجانحون كلهم «غير مسؤولين» في رأي بعض الناس، إما لأن سلوكهم تحدّده الشروط الاجتماعية الاقتصادية تحديداً كلياً، وإما لأنهم جميعهم حاملو «عيب» نفسي جسمي. أما بالنسبة لبعضهم الآخر، فإن كل فرد مسؤول عن أفعاله، والاتجاه الجرمي ليس سوى أسلوب في توطيد الذات أو في التمرّد على نظام اجتماعي رُئي أنه مشؤوم. وينجم عن ذلك أن علم الجريمة والطب النفسي (لاسيّما في تطبيقاته الجزائية) يُعتبران «علمين زائفين» في ظل سلطة قمعية. (انظر في هذا المعجم: **ذهان الاعتقال، الإدخال في مشفى الطب النفسي**).

J.MA.

الخَبَل

F: Démence

En: Dementia

D: Demenz, Dementia

وَهَن نفسي تدريجي يتميّز بتشوّه الوظائف العقلية، الأخلاقية والوجدانية، وباضطراب التصرّفات الاجتماعية.

ضروب الخبل التي ستكون موضع البحث هنا ناجمة عن مرض عضوي في الدماغ وتتعارض لهذا السبب مع ضروب **خبل الفصام المبكّرة** ومع ضروب **خبل الجنون** التي تلاحظ في نهاية تطوّر لبعض الذهانات الهاذية المزمنة. والمصاب بالخبل، كان جون إيتيان إسكيرول (1772 - 1840) يقول، غنيّ أصبح فقيراً، في حين أن المعتوه كان فقيراً دائماً. وتتميّز بداية الخبل باضطربات الوجدانية (التمركز على الذات، نقص النقد الذاتي، أفكار الضرر) وبوهن عقلي يظهر بقابلية التعب، وانخفاض الانتباه العفوي والإرادي، واضطرابات الذاكرة (نسيان أسماء الأعلام على سبيل المثال، أو «فجوات» ذات علاقة بأحداث اجتماعية، في حين أن الذكريات الشخصية مصانة جيداً). ويلاحظ أيضاً استمرار تكوّن الأفكار، الذي يتميّز بالعودة دائماً، عودة على نحو رتيب، إلى بعض الموضوعات الخاصة. وروائز القياس النفسي، في هذه المرحلة، يمكنه أن ينير التشخيص، إذ يدلّ على أن ثمة مؤشراً ذا دلالة على تدهور ذهني مرضي. ولكن هذا الوهن العقلي يمكنه أن يظلّ زمناً طويلاً غير مدرك بسبب تطوّر بطيء للسيرورة الخبلية وتسامح الوسط. ولهذا السبب إنما يرى الطبيب النفسي مريض الخبل في مرحلة متقدّمة جداً من المرض على

الغالب، جرّاء اضطرابات في السلوك يمكنها أن تؤثّر في المجالات التالية: المجال الاجتماعي المهني، الجنسي (جنحة، جريمة، انحراف جنسي...)، الغذائي (سُعار الجوع).

والمخبول مشاغب، اندفاعي، يُظهر نمطيات (إصراراً غير محدود على عادة عفوية، تكرار حركة دون هدف، تكرار كلمة أو جملة). ويتعذّر عليه أن يركّز انتباهه على عمل وأن يثبّت انتباهه. وهو عاجز عن المبادرة، فاقد التوجّه المكاني والزماني، ينسى الوقائع الحديثة (الذكريات الحديثة هي التي تبيد أولاً بالنظر إلى أنها سريعة العطب، يقول تيودور ريبو) ويرتكب الأخطاء أحياناً في التسلسل الزمني للأحداث القديمة. ويبتكر المريض، ليسدّ «الفجوات في ذاكرته»، تفاصيل الأحداث التي تنقصه (تخريف مرافق). والفهم، والاستدلال، والحكم، مصابة هي أيضاً، وتفقر اللغة كثيراً. والمزاج متغيّر، منفتح أو اكتئابي؛ وتتميّز الوجدانية بالصبيانية، وعدم استقرار العواطف، واللامبالاة. وينسج المريض أحياناً روايات من خياله أو يبسط هذياناً عبثياً تبدو على الغالب موضوعات جنون العظمة، وتأكيدات الخلود، واهتمامات بتوهّم المرض، وأفكار اضطهاد... والحركات، وتنسيق الحركات، يصيبهما الخلل تدريجياً. ونعاين أول الأمر **عجزاً حركياً بنائياً** (عجزاً عن الرسم بقلم الرصاص، عن البناء...) ثم **عجزاً حركياً مرتبطاً بفكرة** (عجزاً عن تنفيذ حركات تبعاً لهدف)، وأخيراً **عجزاً حركياً فكرياً** (الأفعال البسيطة، المنفّذة بالأمر، مشوّهة، مختصرة، أو مختلطة بحركات أخرى). وفاعليات التصرّف بالإدراكات الحسّية مشوّهة أيضاً. فالاضطرابات الأولى خاصة بالرؤية (**عمه الإدراك البصري**)، ثم بالسمع (**عمه الإدراك السمعي**)، وباللمس أخيراً (**عمه الإدراك اللمسي**). ونقول، في نهاية المطاف، إن المخبول لا يراقب صارّاته (خرف)، فهو قذر وغير محتشم، يسلك على نحو غير لائق، مضطرب وعبثي، كهذا المريض الذي يذكره إوجين بلولر (1857 - 1939)، مريض يلقي بنفسه من نافذة الطابق الأول ليستردّ لفافة تبغ سقطت. ويتعذّر الحوار مع المريض

لأن لغته فقدت كل تماسك، أو لأنه يروي أحاديث غير معقولة (هَذَر القول)، أو، أخيراً، لأنه لايجيب عن الأسئلة المطروحة.

والوسيلة الوحيدة لمساعدة هؤلاء المرضى تكمن في تأمين عون منزلي أو ممرّضة، أو التدخّل لقبولهم في مؤسّسة مناسبة (بيت للتقاعد متخصّص، مشفى طب نفسي). وينبغي أيضاً أن نحمي أموالهم إذ تقام وصاية شرعية أو قوامة.

وثمة أشكال من الخبل عديدة، بعضها قابل للشفاء.

1 - أشكال الخبل القابلة للشفاء:

آ) **الشلل العام** الناجم عن التهاب الدماغ والسحايا المنتشر ذو المنشأ السفلسي، الذي يطرأ بعد عشرة أعوام إلى عشرين من الإصابة الزهرية. ويمكنه أن يبدأ بحالة من الخلط العقلي، بلوحة هوسية أو سوداوية، بواقعة هاذية، بارتكاسات طبية قانونية عبثية (سرقة، جريمة، امتهان الأعراف، استعرائية...) أو باضطرابات عصبية. والشلل العام يتميّز في طور الحالة بـ: آ) تناذر عصبي يشتمل بصورة أساسية على الإصابة بشلل خفيف (تراخي الوجه، عسر النطق، اضطراب المشي) وارتجاف دائم يمسّ الشفتين واللسان أول الأمر، ثم الوجه والأطراف، ب) تناذر خبلي يتميّز بإصابة كبيرة في ذاكرة التثبيت ومزاج منفتح وهانىء؛ جـ) تناذر هاذ: يروي الفرد باستمرار روايات من نسج خياله عن موضوعات جنون العظمة وتوهّم المرض والاضطهاد؛ د) تناذر بيولوجي: يبين فحص السائل الرأسي الفقاري وجود عدد كبير من الخلايا (ازدياد الخلايا) وارتفاع معتدل في نسبة الألبومين (بين 0.5 و 1 غرام). وإذا لم يعالج الشلل العام، فإنه يتطوّر نحو الخبل الكلي والموت. وفي الحالة العكسية، يمكن أن تتحسّن المظاهر العيادية والمزاجية.

ب) **استسقاء الدماغ ذو الضغط الطبيعي** يظهر عيادياً بتناذر خبلي وتناذر عصبي يميّزه العجز عن البقاء واقفاً والعجز عن المشي. ويمكننا الحصول على تراجع مذهل لهذه الاضطرابات بفضل تحويل السائل البطيني نحو التجويف القلبي أو نحو التجويف البطني.

جـ) **الأورام الجبهية** مسؤولة عن تناذر خبلي ترافقه ضروب من الخلل في الحياة الغريزية - الوجدانية. فالمرضى في حالة إثارة وغبطة أو، على العكس، مكفوفون وفاقدو الإرادة. وحالتهم يمكنها أن تتحسّن بعد استئصال الورم.

2 - **الأشكال غير القابلة للشفاء من الخبل** تشتمل على ضروب الخبل التنكّسي (الشيخوخي وقبل الشيخوخي)، وخبل الاعتلال الشراييني الناجم عن اعتلال الشرايين القشري المنتشر، ومرض كروتز فيلد - جاكوب ذي الأصل الحُموي، وضروب أخرى من الخبل ذات أسباب شتّى.

آ) **الخبل الشيخوخي**، الناجم عن التنكّس الدماغي، يظهر على وجه العموم بعد الخامسة والستين أو السبعين. والبداية خادعة على الغالب، ولكن السيرورة يمكنها أن تتسارع بفعل مرض، تدخّل جراحي، اختبار أخلاقي كبير؛ ويظهر الخبل في بعض الأحيان بواقعة حادّة كالهذيان المنظّم، أو السوداوية، أو الخلط العقلي. ولايُلاحظ على وجه العموم سوى بروز علامات شائعة من الشيخوخة: نقص إمكانات التكيّف لدى الفرد مع الأوضاع الجديدة، قابلية كبيرة للتعب العقلي، بطء تكوّن الأفكار، ميل إلى التكرار، ولكن الفرد يفقد اهتمامها تدريجياً بما يحيط به، ويصبح مزاجه متقلّباً: إنه مزاج يبدو تارة قابلاً للتهيّج، واكتئابياً تارة أخرى؛ يتشاجر دون سبب مع الآخرين، ويصبح أنانياً، مشاغباً، عدوانياً؛ ويهرب ويحاول الانتحار في بعض الأحيان. وثمة أفكار هاذية وهلوسات يمكنها أن تظهر. وتتدهور حالته الجسمية، وينام قليلاً، ولم يعد يتغذّى، أو، على العكس، لايشبع أبداً (سُعار الجوع). فيصبح أخيراً طريح الفراش.

ب) **ضروب الخبل قبل الشيخوخي** تبدأ، بصورة عامة، بين سن الأربعين والستين عاماً لدى الأفراد، ولدى النساء في الأغلب. وتبدو أنها مرتبطة بالوراثة، ذلك أن وجود الخبل والأمراض الأخرى الذهنية كمرض باركنسون أو داء الرقص لها نتنغتونْ ليس نادراً لدى الأسلاف... ويقترن بضروب الخبل الشيخوخي تناذر عجز، ذو ظهور مبكّر، وضمور في قشرة الدماغ. ونميّز من هذه الضروب ضربين: الألزهايمر ومرض بيك الأكثر ندرة.

ويتميّز **مرض ألزهايمر** عيادياً باضطرابات الذاكرة واللغة، وضروب من العجز الحركي وعمه الإدراك. ويشعر الفرد باضطراباته خلال زمن طويل. ويمكنه أن يُبدي أزمات غيبوبة أو مظاهر خارج هرمية. ويبيّن الفحص التشريحي المرضي أن ضمور القشرة الدماغية يسود في المناطق الجدارية القفوية.

ويتميّز **مرض بيك** بانخفاض الفاعلية (الجسمية والعقلية) وفقدان التمييز الفمي (شعار الجوع، أكل البراز). وتظلّ اللغة والتوجّه المكاني والذاكرة مصانة إلى حدّ كاف. والفرد لايشعر بقصوره. ولا وجود لأزمات الغيبوبة، ولكنه يُبدي في بعض الأحيان مظاهر خارج هرمية طرفية. ويسود ضمور القشرة الدماغية في المناطق الجبهية والصدغية.

جـ) **خبل الاعتلال الشراييني** يصيب الأشخاص من عمر الخامسة والخمسين إلى الستين سنة على وجه الخصوص. إنه يبدأ في الأغلب على نحو خادع بحالة من الاكتئاب أو باضطرابات الطبع. ويظهر فجأة في بعض الأحيان، في أعقاب حادث عصبي حادّ (نوبة مرضية). وطور الحالة يتميّز باضطرابات ذاكرة التثبيت، وفقدان التوجّه المكاني الزماني، ولكنه يتميّز أيضاً بمظاهر ذهانية (وقائع خلط عقلي، هذيان الاضطهاد أو توهّم المرض). ويتطوّر هذا الخبل سريعاً، خلال سنة إلى سنتين، نحو تشوّه عميق في القدرات العقلية، والدنف والخرف.

د) **تناذر كروتز فيلد – جاكوب** شكل من الخبل التدريجي، البطيء، يظهر بآلام وتصلّب الساقين، وعسر النطق، واضطرابات نفسية (هذيان) وعلامات مخيخية، هرمية وخارج هرمية (حركات من نموذج داء الرقص والكَنَع). ويبيّن الفحص التشريحي المرضي ضمور العصبونات، وتكاثر الخلايا النجمية وتسفنج (مظهر اسفنجي) القشرة الدماغية. وتسود هذه الآفات في المناطق الجبهية الصدغية. ويتطوّر هذا المرض نحو الموت خلال بضعة شهور.

هـ) **الأنواع الأخرى من الخبل** يمكنها أن تحدث بعد صدمة الجمجمة، وتسمّم بأوكسيد الكربون، والتهاب الدماغ الوبائي، أو يظهر لدى المصابين بالصرع

وداء الرقص، وداء باركنسون أو الكحوليين. ووصف عام 1972، في دنفر (كولورادو)، أ.ك. ألفري خبل المصابين بالتحالّ الدموي، الذي يمكنه أن يبدأ بعد خمسة عشر يوماً من التحالّ الدموي، كما في نهاية سبع سنوات، ولكنه يبدأ في الأغلب بعد ثلاث سنوات أو أربع. إنه يصيب الرجال على الخصوص في الخمسين من العمر. ويندر أن تكون البداية حادّة. والعلامة التي تسترعي الانتباه هي، على وجه العموم، صعوبة النطق بعد جلسة من تنقية الدم. ويُلاحظ، في مرحلة الحالة، ثلاث علامات رئيسية: اضطرابات اللغة (تأتأة، ثم عسر النطق، والبكم في بعض الأحيان)، حالة خبل، ارتجاجات عضلية ثنائية الجانب، منتشرة، يمكنها أن تقترن بضروب من القصور الحركية والحسّية المتموضعة، وأزمات صرع وشلل وجهي، وكسور تلقائية، إلخ. ويتطوّر هذا الخبل إلى الموت خلال ثلاثة أشهر إلى خمسة عشر شهراً. وعلم المرض السببي لهذا الخبل لايزال مجهولاً، ولكن المقصود قد يكون، في رأي أ.ك ألفري ومؤلفين عديدين، اعتلالاً دماغياً سبّبه الألمينيوم.

ولنذكر أخيراً، بين الضروب الأخرى من الخبل، الخبل الطفلي، الذي وضعه عام 1959 الطبيب الألماني تيودو هيلر وطبيب الأطفال التشيكي جوليوس زابرت (1867 - 1942). ويبدأ هذا الخبل الطفلي، الذي تشجّعه على وجه الاحتمال كحولية الأبوين، بعد سن السنوات الثلاث، باضطرابات الكلام، والهياج الكبير، ونوبات من الغضب أو الخوف، وهلوسات مرعبة، وفقدان التوجّه المكاني الزماني. ولم يعد الطفل، فيمابعد، يفهم اللغة. والآفات الدماغية متموضعة على وجه الخصوص في الفصوص الجبهية وفي مركز اللغة الحركي.

(انظر في هذا المعجم: **مرض الألزهايمر**، **فصام المراهقة**، **مرض بيك**، **الفصام**).

M.S.

خَبَل الشيخوخة

F: Presbyophrénie

En: Presbyophrénia

D: Presbyophenie

شكل من خبل الشيخوخة يظهر لدى النساء على وجه الخصوص، يتميّز بفقدان كبير للتوجّه في المكان وفي الزمان، وبضرب من فقدان ذاكرة الوقائع الحديثة (فقدان ذاكرة التثبيت)، وميل إلى التخريف ليعوّض هذا الفقدان.

يبدأ هذا المرض، في الأغلب، على نحو خادع ويتطوّر ببطء. ويحتفظ المرضى، لهذا السبب، بمظهر لائق خلال زمن طويل وبالمكتسب من تربيتهم: الخفر، احترام الأعراف، الحسّ الأخلاقي، إلخ. إنهم على وجه العموم أشخاص دمثو الأخلاق، مرحون ومتفائلون، ثرثارون عن طيبة خاطر، يعرضون بيسر وثقة أحداثاً متخيّلة، مصنوعة آنياً، ليعوّضوا فقدان الذاكرة لديهم. وكشف الفحص السيكولوجي وفحص الطب النفسي عن اضطرابات كبيرة في الانتباه وتدهور عقلي، تدهور أضعف مما هو في ضروب أخرى من خبل الشيخوخة، إضافة إلى فقدان ذاكرة التثبيت وفقدان التوجّه الزماني - المكاني. (انظر في هذا المعجم: **فقدان الذاكرة، التدهور العقلي**).

M.S.

F: Testicule **الخصية**

En: Testicle,Testis(sing),Testieles,Testestes(pl.)

D: Testis,Testikel(sing),Testculi(m.pl.)Hoden,(f.pl.)

غدة تناسلية ذكرية.

الخصيتان تقعان تحت القضيب، في وعاء الخصيتين. وظيفتهما مزدوجة: إنهما، من جهة، تنتجان الحيوانات المنوية التي تصبّ في الدروب المنوية مع السائل الخصوي، وهما من جهة ثانية، تفرزان الهرمونات المذكّرة، ولاسيّما الهرمون الخصوي الذي ينتشر مباشرة في جريان الدم.

والخصيتان تقعان، ببداية تطورهما، في التجويف البطني، على مستوى الكليتين. ثم تهبطان تدريجياً، وتعبران القناة الأربية وتنفذان إلى وعائهما، حيث تكونان موجودتين عادة عند الولادة. وهذا الهبوط غير كامل في بعض الحالات أو لايحدث: وينصبّ الكلام عندئذ على **هجرة الخصية أو اختفائها**، الذي يمكنه أن يكون لخصية واحدة أو للخصيتين معاً. ويقتضي هذا الشذوذ تدخّلاً جراحياً لسببين: أولاً، لأن توليد المني لايمكنه أن يحدث إلا في درجة حرارة أدنى من 37 (خارج البطن إذن، في وعاء الخصيتين)؛ ثانياً، لأن الخصية المهاجرة أكثر تعرّضاً إلى مخاطر السرطان من خصية في موقعها الطبيعي.

وللخصية، إلى جانب وظيفتها، وظيفة التكاثر، دور غدّة صمّاء ذو أهمية كبيرة، تؤمّنه خلايا النسيج الخلالي الذي اكتشفه عالم التشريح الألماني فرانز فون

ليديغ (1821 - 1908) . وتفرز هذه الخلايا عدة هرمونات، بينها الهرمون الخصوي الذي يحرض نمو الأعضاء الجنسية ويشرط ظهور سمات جنسية مذكّرة ثانوية. وهذا الهرمون موجود لدى المرأة، ذلك أن قشرة الغدّتين الكظريتين والمبيضين تؤلّف هذا الهرمون. ويحوّل الكبد أيضاً إلى هرمون خصوي كميّات قليلة من المنشّطات الثانوية للذكورة من مصدر كظري. ويبلغ الإنتاج اليومي من الهرمون الخصوي، لدى الرجل، 7 مليغرام؛ ويصدر هذا الإنتاج من الخصية بصورة أساسية. أما لدى المرأة، فإن كمية 0.2 مليغرام الناتجة يومياً تنجم، في القسم الأكبر منها، عن تحوّل محيطي لدلتا 4 أندروستينيديون إلى هرمون خصوي، في حين أن الباقي يفرزها المبيضان والغدّتان الكظريتان. والنسبة البلازمية للهرمون الخصوي لدى الرجل هي 0.7 نانو غرام بـ 100 مليلتر، في حين أنها ليست لدى المرأة إلا 0.3 إلى 0.4 نانو غرام (وحدة القياس (هنا غرام) تُقسم على مليار) بـ ١٠٠ مليلتر. ويُستقلب الهرمون الخصوي في الكبد ثم يُستبعد في البول على شكل 17 – سيتوستيروئيد.

وإفراز الهرمون الخصوي يخضع لغدّة نخامية منبّهة، .L.H أو I.C.S.H (هرمون تنبيه النسيج الخلالي)، هي ذاتها خاضعة لـ **عامل إطلاق** تحت مهادي، .L.H.R.F . ففي مرحلة البلوغ، تزداد نسبة .I.C.S.H (هرمون تنبيه النسيج الخلالي) وتثير إفراز الهرمون الخصوي، بفعل خلايا ليديغ، الذي يؤثر بالرقابة الارتجاعية في إفراز .L.H. - R.F (أو .L.R.F). ومنذ الحياة الجنينية، يُشعر الهرمون الخصوي بمفعولاته، إذ يحرّض نمو أقنية ولف التي ستتهيّأ انطلاقاً منها الدروب التناسلية الذكرية. وتستمر الخصيتان فيما بعد، خلال الطفولة، في عملهما الوظائفي من الناحية الغدّية، وتفرزان الهرمون الخصوي. ويزداد هدا الإفراز خلال مرحلة البلوغ. ويؤثّر الهرمون الخصوي في أنسجة الصبي «المستهدفة» ويسبّب تغيّرات مورفولوجية شتّى: فعلى مستوى الهيكل العظمي، تشجّع مولّدات الذكورة نمو العظام، ثم التحام غضاريف الاتّصال، وذلك مايشرح دفعة النمو خلال البلوغ، يليها توقف النمو. ونلاحظ زيادة القطر الأُخرمي الثنائي، أي زيادة

عرض الكتفين، زيادة حجم القفص الصدري. وتنمو الأعضاء التناسلية والجهاز العضلي، وتظهر السمات الجنسية الثانوية المذكّرة: شعرانية من النموذج المذكّر؛ تغيّر الجلد الذي يصبح دهنياً؛ تغيّر في جرس الصوت (غلَظ). ويُطلق الهرمون الخصوي مولّد المنيّ، ولكنه مسؤول أيضاً عن زيادة الرغبة الجَنسية وتغيّرات الطبع. وقد تحدث، في مرحلة البلوغ، اضطرابات في السلوك تمضي من مجرّد عدم الاستقرار النفسي الحركي إلى أحداث ذهانية.

ويمنع الخصاء قبل البلوغ ظهور تغيّرات جسمية ونفسية خلال البلوغ، ويسبّب حالة من فقدان طاقة الرجولة مع قامة طويلة بسبب عدم التحام غضاريف الاتصال، وقصور المناسل الوظيفي. أما الخصاء بعد البلوغ، فإنه يسبّب نكوصاً غير كامل في السمات الجنسية الثانوية، ولا يلغي كلياً رجولة الفرد ولا يسبّب أبداً اضطرابات عقلية، إن لم يسبّب حالة اكتئابية ارتكاسية عارضة. (انظر في هذا المعجم: **الغدّة التناسلية، البلوغ**).

M.S.

خطأ التعرّف، وهم المرئي سابقاً

F: Fausse reconnaissance,Illusion de "déja-vu"

En: Error of recognition,mnésie illusion,illusion of "déja-vu"

D : "déja-vu" Erlebnis,Erinnerungstaüschung

تعرّف على الأشياء خاطىء، على الأماكن وعلى الأشخاص بصورة خاصة، يرتكز في بعض الأحيان على عناصر من التشابه ولكنه دون أي أساس واقعي في أحيان أخرى.

إننا، من الناحية العملية، نصادف هذا الاضطراب (وهو شكل من أشكال اعتلال الذاكرة) في السياقات العيادية الشديدة الاختلاف، ذلك أنه ذو علاقة بالآليات السيكولوجية المرضية المتنوّعة. وهو يقترن على الأغلب بقصور الذاكرة، إما منفصل نسبياً (في تناذر كورساكوف على سبيل المثال)، وإما مندمج في حالة من الخلط العقلي أو الخبل (ولاسيّما في خبل الشيخوخة النسائي، شكل من الخبل الشيخوخي الذي يصيب النساء على وجه الخصوص ويتميّز بحكايات مليئةبعدم احتمال الحدوث). ويكمل عندئذ هذا الاضطراب عادة ضربٌ من التخريف موصوف أنه «تعويضي»، ذلك أنه مخصّص لتقنيع ألوان القصور التذكّري. والتصرّفات الكاذبة، في الهوس الحادّ، عنصر من «لعبة هاذية» ينكبّ عليها المريض؛ فالمسألة لهذا السبب مسألة أن يُعزى دور من الأدوار عزواً لعبياً أكثر مما هي

خطأ. ويغذّي فاعلية التفسير المرضي، في بعض الحالات الهاذية المزمنة، «اكتشافُ» روابط التشابه أو التماهي التي تُسهم في تضفير شبكة، حول الفرد، من التواطؤات السيئة القصد قليلاً أو كثيراً، وذلك أمر يمكنه أن يكون مصدر ارتكاسات عدوانية عنيفة جداً وغير مبرّرة في الظاهر. ويمكننا أن نشبّه الشعور بـ «المعروف سابقاً»، شعور يكابده بعض الأفراد، ويقترن في بعض الأحيان بانطباعات «المرئي سابقاً»، أو «المعيش سابقاً»، أقول يمكننا أن نشبّهه بشكل ثانوي من أشكال خطأ التعرّف. وهذه السيرورة من **التذكّر الزائف** نصادفها على وجه الخصوص في حالات الإرهاق العصبي النفسي، ولكننا نصادفها أيضاً، بصورة عرضية، لدى الأفراد الأسوياء. (انظر في هذا المعجم: **تناذر كورساكوف**).

J.M.A

الحكومة الذاتية

F: Autogouvernement

En: Self-government

D: Selbstverwalting

حكم المرء نفسه بنفسه.

هذا النظام، التي تُترك فيه جماعات حرّة في تحديد الطريقة التي تريد أن تدير نفسها بها، كان مطبّقاً على تربية المراهقين والأطفال. إنه يكمل طريقة تربوية رائعة، ولكن استخدامه حسّاس. فالقاصرون يشاركون في تنظيم جماعتهم مشاركة فعّالة، ويتّخذون مبادرات، ويضطلعون بمسؤوليات ويتعلّمون الحرية على هذا النحو والاستقلال الذاتي. وهذا النظام يمكنه أن يعمل عمله الوظائفي في عدة درجات من التعقيد. فقد يكون المقصود به فقط، على مستوى الصف، أن يُعهد للأطفال بأن يضطلعوا بمسؤولية الانضباط الضروري أو أن يضعوا هم أنفسهم، في نهج أكثر ليبيرالية، معايير جماعتهم. إن تنظيم الفاعليات، والترتيبات المادية والإدارية للمجموعة، هما اللذان يُعدّان على هذا النحو أحياناً. مثال ذلك أن اللوائح الداخلية، في «سومّرهيل»، المدرسة التي أسّسها ألكسندر س. نيل (1883 - 1973)، يُصوّت عليها بالإجماع خلال الجمعية العامة الأسبوعية، حيث أصوات التلاميذ والأساتذة متساوية. واستطاعت هذه المنشأة، على هذا النحو، أن تزوّد نفسها بحكومة مستقلّة ذات شكل ديموقراطي، هي التي تسنّ القوانين وتناقش الفاعليات الاجتماعية في المؤسسة. والجمعية العامة هي التي تسوّي أيضاً تلك المشكلات الخاصة بالمخالفات كالسرقة أو الخسائر التي يسبّبها

بعضهم لملكية الغير وتحدّد طريقة التعويض عن الأضرار. وكان أنتون سيميونوفيتش ماكارنكو (1883 - 1973) قد استخدم **الحكومة الذاتية** أيضاً، المطبّقة على وجه الخصوص في البلدان الأنغلوساكسونية، في «بلدياته» ذات الإدارة المشتركة، التي كانت جمهوريات أطفال حقيقية لها جمعيتها التشريعية وسلطتها التنفيذية. وتطبّق مدارس روش في فرنسة، التي أسّسها عام 1899، في إور، قرب فيرنوي، عالم الاجتماع إدمون دومولان (مارسيلية، 1852 - لبروش، إور، 1907)، هذه الطريقة منذ ابتكارها. فرغبة الاستقلال الذاتي والحرية موجودة لدى الطفل ولدى المراهق؛ والطفل والمراهق يتمنّيان أن يكون بمقدورهما ممارستهما تحت إشراف المربين، ولكن حكم المرء نفسه بنفسه، الذي يتّصف مع ذلك أنه أحد الأهداف الرئيسة للتربية، يُقلق الراشدين، وهذا هو السبب الذي من أجله كان قليل الانتشار. وينبغي لنا تماماً أن نعترف أننا نغالي في الخوف، ذلك أن كل يوم يحمل لنا الدليل على أن أطفالنا قادرون على أن يسوّوا هم أنفسهم مشاكلهم الخاصة. ومثال ذلك أن أحد عشر تلميذاً، كانوا قد اختاروا عام 1975، في إوزه (غارد)، فرعي C و D غير الموجودين في مدرستهم التجهيزية، وكان قد اقتُرح عليهم أن يذهبوا ليعيشوا حياة داخلية في مدينة مجاورة، آثروا أن ينظّموا أنفسهم ويعملوا دون أساتذة، فسجّلوا أنفسهم في محاضرات بالمراسلة، وحدّدوا، هم أنفسهم، استخدام زمنهم وحضّروا فحصهم إذ تواجدوا كل يوم في صالة من صالات البلدية وُضعت تحت تصرّفهم. بل إن المرضى العقليين، الذين اشتُهروا بأنهم «عاجزون»، يمكنهم أن يديروا أنفسهم بأنفسهم. والواقع أن المرضى العقليين شوهدوا خلال الحرب العالمية الثانية، في الاتحاد السوفييتي، يحلّون محلّ الممرضين والأطر الذاهبين إلى الجبهة. وباشروا أعمال البناء التي كانت تفرض نفسها بل أقاموا نظاماً للمجارير التي كانت تنقص المنشأة. (انظر في هذا المعجم: **التربية**).

N.S.

الخلط العقلي

F: Confusion mental

En: Mental confusion

D: Geistesverwirrung,Verwirrheit

حالة مرضية تكون الأفكار فيها مشوّشة، مضطربة.

الخلط العقلي، الذي وصفه للمرة الأولى، عام 1851 ، دولازيوف، ثم فيليب شاسلان (1857 - 1923) وإيمانويل ريجي (أوتوديف، هوت غارون، 1855- بوردو، 1918) مرض من أمراض الطب النفسي متواتر، حادّ أو دون الحاد، يتميّز على نحو أساسي باضطراب الشعور ويتميّز عرضاً بهذيان الحلم. والبداية تدريجية على وجه العموم: يُظهر الفرد اضطرابات في المزاج أو السلوك، فهو مصاب بالحصر، ينام نوماً سيئاً، ويرى في نومه كوابيس. وفي طور حالة الخلط العقلي، يدهشك المريض بمظهره ذي الهندام المهمل، وهيئته البليدة. وتكون في بعض الأحيان حركاته بطيئة، متردّدة، متعثّرة؛ ويكون في أحيان أخرى، على العكس، فريسة هياج مستمرّ، مشوّش، غير متماسك. ويتكلم على نحو متقطّع وهو يهمس، وتبدو أفكاره دون رابط بينها. والشعور مكسوّ بغشاوة. وليس المريض صاحياً كل الصحو دون أن يكون غير واعٍ كما في أزمة الصرع. إنه كما لو أن الضباب يحيط به. وينعكس صدى اضطراب الشعور على الانتباه بسرعة، وعلى ترابط الأفكار، والحكم والاستدلال، والوجدانية والذاكرة. والفرد فاقد التوجّه المكاني والزماني؛ إنه يجهل أين يوجد، ويرتكب أخطاء في التأريخ ولا

يتعرّف على الناس ولا على الأشياء التي تحيط به. وليست اضطرابات الذكريات ذات علاقة بذاكرة التثبيت فحسب، ولكنها ذات علاقة أيضاً بذاكرة الخطور؛ ويرى الفرد نفسه «مرغماً» على أن يعوّض ثغراته بتخريف مرافق وضروب مزيّفة من التعرّف. وينضاف إلى هذه المظاهر من الخلط العقلي الصرف اضطراب متميّز يسمّى الحلمية أو هذيان الحلم. وتتميّز الحلمية بهلوسات، بصرية على وجه الخصوص، ولكنها قد تكون أيضاً سمعية، شمّية، ذوقية، لمسية أو ذات علاقة بالحساسية الداخلية [إدراك الجسم]، التي ترتبط فيما بينها على نحو غير منطقي وغير متماسك وتتيح المجال لضرب من الكابوس. وهذا الكابوس يمكنه أن يكون من النموذج المرعب أو المهني؛ والمقصود غالباً، في الحالة الأولى، هلوسات مرتبطة بالحيوانات، أي رؤية حيوانات، مفترسة أو منفّرة، في حين أن المريض يعتقد، في الحلم المهني، أنه ينكبّ على أعمال المهنة. ولنذكر مثال هذا المريض، صاحب نزل في الأصل، الذي كان يستقبل زيارة أطباء وهو يصرخ: «إيليز، نصف قنينة من الخمر لهؤلاء السادة!» (ب. فره). ومن المهم أن نلفت الانتباه إلى أن الفرد يتبنّى اعتقاداته الهاذية كلياً، وذلك أمر يُحتمل أن يكون له عواقب خطيرة عليه (هروب، إلقاء نفسه من النافذة) أو على الغير (دفاع، عدوان). والمريض المصاب بالخلط العقلي يُظهر تشوّهاً في حالته العامة مع إصابة بالتجفاف، وفقدان الشهية، واضطرابات في النوم والكلام، وارتعاشات، وفجوة في الذاكرة (غياب ذكرى ماحدث). وتدوم في بعض الأحيان أفكار حلمية بعدية، إذ يظلّ الفرد مقتنعاً بواقع تجاربه الهلوسية. ويصبح الخلط العقلي في بعض الحالات مزمناً (ريجي ولوره)؛ ويتفاقم في حالات أخرى حتى الذهول الكامل (ذهول الخلط العقلي)، الذي ينبغي تمييزه من تناذرات الكاتاتونيا مع الاحتفاظ بالاتجاهات وكذلك بالسوداويات الذهولية. ويمكننا أيضاً أن نصادف شكلاً من الخلط العقلي الذي يرافقه الهياج والهذيان الحلمي، خلط يطرح مشكل التشخيص الفرقي مع الهبّات الهاذية. وللخلط العقلي أسباب عديدة ممكنة، نذكر بينها الانتانات (الحمّى التيفية، التهاب

السحايا، البُرداء) وضروباً عديدة من التسمّمات الخارجية المنشأ والداخلية المنشأ. والأسباب السّمية الخارجية المنشأ الأكثر توافراً هي: الكحول والمخدّرات (الأفيون، الأثير...)، بعض العقاقير (A.C.T.H. ، الكورتيزون...)، بعض الفطور (**أمانيتا موسكاريا** [من فصيلة الغاريقونيات])، أوكسيد الكربون، الرصاص (التسمّم بالرصاص). والخلط العقلي يمكنه أن يتلو أيضاً تسمّماً داخليّ المنشأ، ناجم على سبيل المثال عن قصور كلوي (تبولن الدم) أو كبدي (تشمّع الكبد). ومن الأسباب الأخرى للخلط العقلي، يمكننا أن نجد الصرع، والرضّات الجمجمية، والأورام الدماغية، والذهانات النفاسية، والجروح الوعائية الدماغية أو حتى الصدمات الانفعالية القوية جداً. (انظر في هذا المعجم: **الهذيان الحادّ**، **الهذيان الارتعاشي**، **الانفعال**، **تناذر كورساكوف**).

M.S.

الخَلَفَة الذهنية

F: Anorexie mental

En: Anorexie nervosa

D: Anorexia mentalis

اضطراب في السلوكات الغذائية تكمن في ضرب من رفض الغذاء وتنمو في سياق سيكولوجي مصاب بالخلل.

هذا التعريف العام جداً يشمل عدة مشاهد سريرية مختلفة جداً. فالخَلْفة الذهنية الأساسية لدى الفتاة هو الشكل الأكثر شهرة منها. والخلفة الذهنية، التي وصفها، معاً على وجه التقريب، عام 1873، شارل إرنست لازيغ (باريس، 1816 - 1883) باسم «خلفة هستيرية»، والسير وليام وثنه غول (كولشستر، 1816 - لندن 1890) باسم «سوء الهضم الهستيري»، تلقّت تسميتها الحالية من هنري هوشار عام 1883. وأكّد فيما بعد جان مارتان شاركو ثم بيير جانه مصدرها العصبي المرضي. وفي أعقاب الوصف الذي صاغه الطبيب الألماني موريّس سيموندز (1855 - 1925) لعدة حالات من الدنَف بسبب قصور نخامي (1914)، ثمة أصل عضوي من الطبيعة نفسها كان مع ذلك قد ذُكر للخلفة الذهنية؛ وهذا التصورّ، الذي كان موضع النقد سريعاً، مهمل في أيامنا هذه. وساهمت، على العكس، دراسات تحليلية نفسية عديدة في توضيح المصادر السيكولوجية للسيرورة. وهذا الأنموذج من الخلفة يصيب بصورة انتقائية مراهقات بالغات وعذراوات على وجه العموم، تقع أعمارهن بين أربع عشرة سنة وعشرين. ويمكننا في بعض الأحيان أن نجد مجدّداً عنصراً مثيراً (بدانة معيبة، إخفاقاً مدرسياً أو عاطفياً)، ولكن حلول

الخلفة يكون تدريجياً على الغالب، والآفة قد تكون مجهولة خلال زمن معيّن. ففقدان الشهيّة هو العلامة الظاهرة الأولى عادةً: إنها، إذ تُعرض بوصفها صعوبة تدريجية في تناول الطعام، ذات علاقة قبل كل شيء برفضٍ يكتنفه الحصر، رفض تناول الطعام يمكنه أن يمضي، في حالة موقف قاسر يقفه المحيط، حتى التقيّؤ المثار أو إلى إخفاء الطعام. والخلفة يرافقها هزال تدريجي، إذ ينقص الوزن 10 إلى 15 كيلو غرام وسطياً (من 20 إلى 30 بالمئة من الوزن البدئي)، ولكنه قد يمضي إلى الحدّ الأقصى من النحول (الدنَف)، وإلى توقّف دائم على وجه التقريب للطمث (انقطاع الطمث). وتظهر، ثانوياً، اضطرابات استقلابية واضطرابات في إفراز الغدد الصمّ. وموقف المراهقة إزاء هذا الذبول الجسمي مدهش: إن عدم اكتراثها لهذا الموضوع، إذ ترفض قبول البداهة في بعض الأحيان، يثير السخط، وفاعليتها الجسمية الفكرية هي على الأقلّ مع ذلك مصانة إن لم تكن في ازدياد. فالمسعى السيكولوجي الذي يقود إلى الخلفة أو إلى حصر الأكل بالحري يفسّر عادةً أنه رفض إجمالي للأنوثة، ورفض صفاتها الجسمية أول الأمر. وهذا الرفض يشهد معاً في رأي المحلّلين النفسيين، بوصفه عاقبة اتّجاه ثنائي المشاعر إزاء أم ذات نزعة إلى الملك، على الخوف من أن تماثل أو تخلف هذه الأم المرهوبة وعلى الرغبة العدوانية في تدميرها رمزياً، إذ تلغي الأنوثة التي تشترك بها معها. وهذا القول اللاشعوري يعبّر عن نفسه من خلال البنيات النفسية المختلفة ومن خلال السمة النكوصية على وجه التقريب؛ وأكثر هذه البنيات تواتراً هي البنية الهستيرية، ولكن بوسعنا أن نجد أيضاً أشكالاً وسواسية أو رهابية. فالتطوّر التلقائي لهذه الخلفات ملائم في بعض الأحيان، ولكنه يفضي في الأغلب إلى الدنَف وحتى إلى الموت (من 1 إلى 10 بالمئة من الحالات حسب المؤلفين). ويشمل العلاج، بصورة كلاسيكية، ثلاثة أزمنة أساسية: 1 - عزلاً دقيقاً في وسط استشفائي؛ 2- استخدام تقنيات علاج بيولوجية (بهدف تعويض الأضرار الجسمية) واستخدام الصدمات الكهربائية والعقاقير المهدّئة للأعصاب بجرعات معتدلة في بعض الحالات أيضاً؛ 3 - إيلاء المريض عناية

علاج نفسي (علاج طويل بصورة عامة وشاق). فالنتائج المباشرة ملائمة على الغالب، ولكن الإنذار أكثر عرضة للشك وذو علاقة ببنية الشخصية.

والخلفة الذهنية المذكّرة نادرة (من 3 إلى 10 بالمئة من الحالات). إنها تتفرّد بالقسوة المألوفة للاضطرابات العصابية الخفيّة وخطورة تطوّرها، مع أنها شبيهة من الناحية السريرية بالشكل السابق (الخلفة الذهنية المؤنثة). أما خلفة الطفل الصغير، فهي، على العكس، متواترة، بل مبتذلة، وتطوّرها ملائم في الأغلب. إنها تحلّ عادة، مع أنها نادرة في الاسابيع الأولى من الحياة، بين الشهر السادس والسنتين من عمر الطفل، وفي بعض الأحيان بمناسبة إدخال غذاء متنوّع، مالح على وجه الخصوص. فالطفل، الذي يتبنّى تارة موقف العطالة، وطوراً يتبنّى سلوكاً من الرفض العدائي، يسجّل على هذا النحو معارضته أما قلقة تستحوذ عليها قواعد غذائية ومعايير نموّ تنتشر انتشاراً واسعاً جداً في أيامنا هذه. ومثل هؤلاء الأطفال، ذوي الذكاء الحادّ غالباً، لا يُظهرون أبداً علامات سوء تغذية على الرغم من خلفتهم. وعلى السلوك العلاجي أن يتجنّب إدخال المشفى ويحدّد لنفسه هدفاً مفاده أن يحثّ على تغييرٍ في سلوك الأم إزاء هذا الشكل الغذائي، بفعل موقف من الإصغاء الفهيم وبنصائح إقناعية.

J.MA.

خلل التعبير الشفهي الفصامي

F: Schizophasie

En: Schizophasia

D: Schizophasie

مصطلح أطلقه إميل كريلان (1856 - 1926) على اللغة المرضية التي تُلاحظ في بعض حالات الخَبَل المبكّر (الفصام) وهي لغة مرضية لايفهمها الغير على الإطلاق.

ثمة كلمات جديدة، في قول يجري وفق إيقاع سريع على الغالب، منضّدة مع كلمات مستخدمة تتجمّع بالمصادفة وتنصرف عن معناها؛ ولا وجود لتوافق بين الإيماء والفعل، ويمنح المجموع انطباعاً من عدم التماسك والهرمسية (تعذّر الفهم أو صعوبته). وتشبه هذه اللغة، لغة المنطوي على ذاته، التي تستجيب لشيفرة شخصية، لعبة يتسلّى فيها المريض بعدم الفهم لدى محدّثيه. وقد تكون هذه اللغة دائمة لدى بعض الفصاميين؛ ويمكنها، في بعض حالات البارافرينيا (هذيان مزمن خيالي على الغالب ولكنه لايمنع مع ذلك حياة اجتماعية متكيّفة)، ألاتبدو إلا خلال المحادثة ولا تؤثر إلا في موضوع الهذيان. إنها التعبير عن القطيعة في الصلات التي توحّد بين الفكر والكلام أكثر مماهي ضرب من اضطراب الفكر. ولايصيب الخلل على الغالب إلا التعبير الشفهي، إذ يترك لغة الكتابة سليمة.

N.S.

الخنثية

F: Gynandromorphisme

En: Gynandromorphism

D: Gynandromorphismus

وجود سمات جنسية ثانوية مذكّرة ومؤنّثة لدى فرد واحد معاً.

تكوّن الخنثية، في النمذجة الحيوية لـ و. هـ. شيلدون، متغيّراً مورفولوجياً ثانوياً يقابل الجنسية الثنائية. وبوسعنا أن نجد، في الواقع، لدى غالبية الموجودات الإنسانية، آثاراً بارزة قليلاً أو كثيراً من سمات جنسية ثانوية للجنس المقابل، كالوركين الواسعين لدى الرجل والشعرانية لدى امرأة، على سبيل المثال. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية، الجنسية الثنائية**).

N.S.

الخـوف

F: Peur

En: Fear

D: Furcht,Schreck

انفعال يثيره احتياز الشعور بخطر.

الخوف ارتكاس وجداني سويّ للعضوية المعرّضة لتهديد واقعي. ويتميّز الخوف من الحَصَرَ، خوف لاعقلاني، دون موضوع، ومن القلق الذي لايتضمّن مظهراً من النسق النباتي. (انظر في هذا المعـجم: **الأدرينالين**، **الحصر**، **القلق**، **العلاج بالسلوك**، **الانفعال**).

N.S.

الخيال

F: Imagination

En: Imagination

D: Einbildungskraft, Phantasie

قابلية تصور الأشياء الغائبة وتوليف الصور بينها.

نميّز كلاسيكياً الخيال **الاسترجاعي** من الخيال **المبدع**. فالأول مرتبط بالماضي ويستخدم استخداماً أساسياً تلك العناصر التي تقدّمها الذاكرة؛ إنه وسيلة استرجاع أوضاع منصرمة بأشكال أخرى شبه حسّية. والثاني استقبالي؛ إنه يتيح تصوّر وقائع لم نرها ولم نسمع بها قطّ. فهو **اختراع**. ولكن الخيال، سواء أكان استرجاعياً أم مبدعاً، «ليس ملكة خاصة، يقول ك.غ. يونغ، ذلك أن يمكنه أن يظهر في كل الأشكال الأساسية من الحياة النفسية: فكرة، عاطفة، إحساس، حدس». إنه التعبير المباشر عن طاقة نفسية. والخيال وقف على الإنسان أكثر من الذكاء أيضاً. فتخيّل الإنسان مستقبله ومستقبل الآخرين، ووضع مشروعات، أمران يفترضان استخداماً أصيلاً لامتثالات الواقع (صور) ليحاول أن يقرّب واقعياً بعيداً. والخيال، الذي يقع في منتصف الطريق بين التصرّف الفكري العقلاني والفكر، الفردي بدقّة، الخاضع إلى الوجدانية وحدها (حلم، وأحلام يقظة)، مرتبط ببنية الطبع. وينبغي، لنقلع عن حال معيّن من التفكير ونوجد توليفات عقلية جديدة، أن يكون لفكرنا ضرب من المرونة، ذات علاقة في الجزء الأكبر منها بالاتجاهات العميقة للشخصية. والإنتاجات الخيالية هي أكثر غنى بمقدار ماتكون الرقابة الفكرية

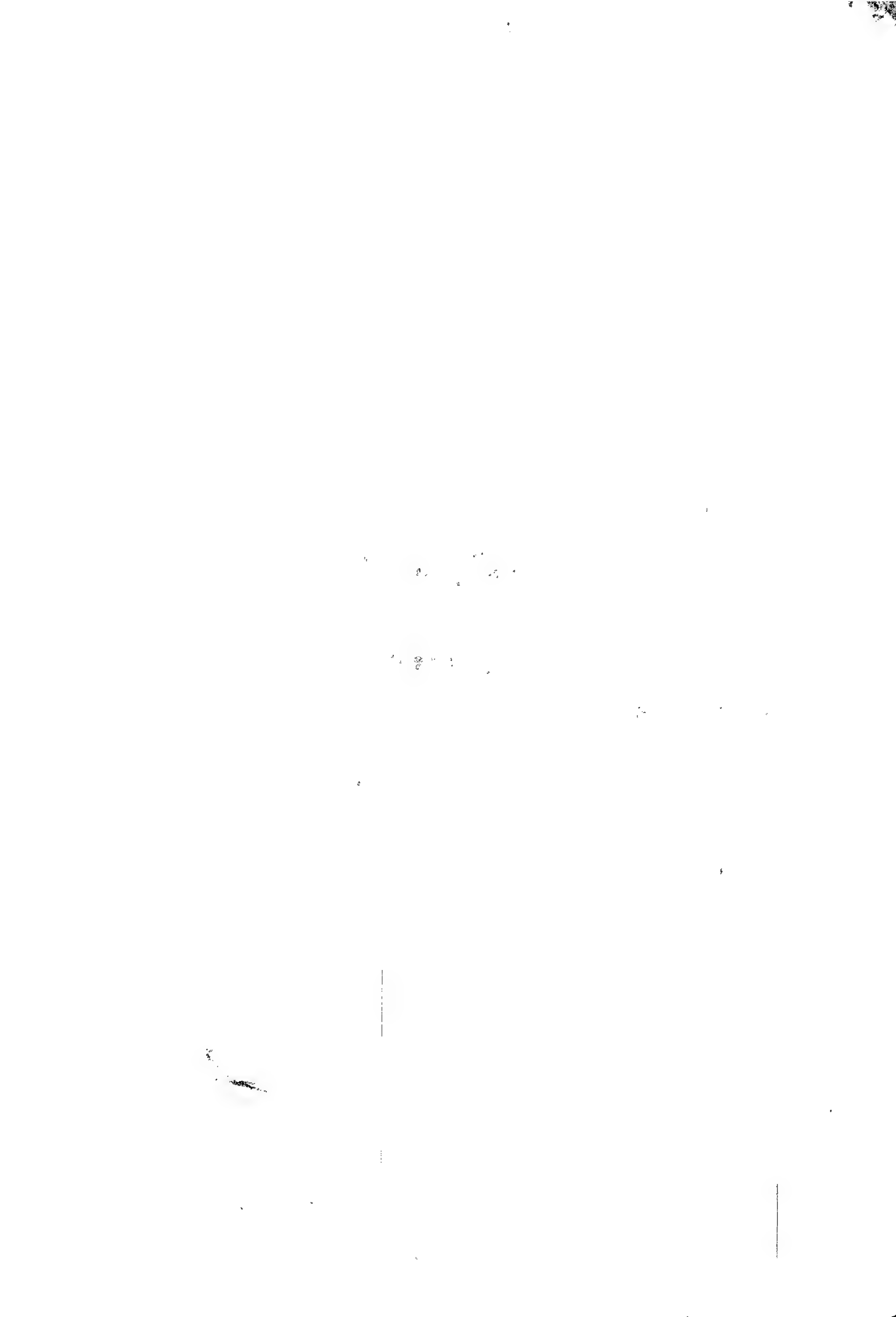
ضعيفة؛ فحالات النوم أو السكر الكحولي، على سبيل المثال، حيث يكون الفرد محروماً من حكمه، يبعثان كل الضروب من التخيّلات. ويعيش بعض المرضى العقليين، الذين يكون لديهم انحلال الشعور أكثر دواماً، في عالمهم المتخيّل، إذ يجسّدونّ شخصيات هذيانهم.

N.S.

وصف عام 1910 إرنست دوبره (1862 - 1921) وبنجامان لوغر، تحت اسم **هذيان الخيال**، بعض الأشكال من الذهانات الهاذية المزمنة، يبدو أن الأفكار الغريبة فيها ينتجها خيال ذو نزوات والهلوسات نادرة. وهذه التخريفات الغزيرة ذات العلاقة بجنون العظمة بصورة عامة، تطرأ لدى أفراد ذوي فاعلية خيالية غنية؛ وهذه التخريفات غير منطقية وغير نظامية، على عكس الذهانات المنظّمة الذهانية الهذائية. وعلى الرغم من غرابتها، يظلّ مؤلفوها مع ذلك متكيّفين جيداً مع الواقع، وذلك مايميّزهم من الفصاميين. وتقابل هذيانات الخيال على وجه التقريب **البارافرينيا المخرّفة** التي وصفها إميل كريبلن.

J.MA.

حـــرف
الـــدال



الداء الصغير

F: Petit mal

En: Petit mal

D: Petit mal

مظهر من مظاهر صرع معمم أولي، يتميّز بقصر المدة لأزماته النفسية الحركية.

نميّز ثلاثة أشكال من الداء الصغير. الأول هو **غيبة**، حيث يبدو الشعور معلّقاً خلال بعض الثواني (من خمس الى عشرة في الحدّ الأعلى). وللطفل نظرة ثابتة، مبهمة، ويوقف فاعليته؛ ولكنه يستأنفها في الحال على وجه التقريب، وذلك مايجعل أعضاء محيطه يقولون عنه إنه «يحلم» أو إنه شارد. وعندما تتجدّد هذه الأزمات في اليوم الواحد على الغالب، نتكلّم على **صرع خفيف** Pyknolepsie أو Pycnolepsie، أو نتكلّم أيضاً على مرض ماكس فريدمان، اسم عالم الأعصاب الألماني الذي وصف هذا المرض (1912). والشكل الثاني يظهر في **اشتداد نوبة الوني**، أي فقدان مفاجىء وقصير المدة (أقل من ثانية) للتوتر العضلي، الذي يعود الى حالته السابقة مباشرة. والشكل الثالث يكمن في رَمَع عضلي (اهتزازات مفاجئة) ذي مدة قصيرة جداً في العضوين العلويين، من الجانبين عادة.

ويبدو الداء الصغير لدى الطفل بين الثالثة والعاشرة من عمره ويختفي في مرحلة البلوغ عندما لايُخلي مكانه لأزمات الداء الكبير. وللداء الصغير عدة

مصادر : رضّة ولادة، اعتلال الدماغ، تشنّجات ذات حرارة شديدة، ورم دموي، ورم سرطاني، إلخ. والعلاج بالعقاقير يعمل بنجوع في مكافحة الداء الصغير، ولكنه ينبغي أن يكون دائماً. (انظر في هذا المعجم: **الصرع**).

N.S.

يتميّز الصرع الخفيف Pycnolepsie من غيبوبة الصرع بالذكرى التي يحتفظ بها الفرد لهذا الصرع الخفيف بإنذاره الهيّن «م». المصدر: معجم علم النفس، هنري بييرون «م».

الداء الكبير

F: Grand mal

En: Grand mal

D: Grand mal

مظهر توتري رَمَعي من صرع معمّم أولي.

تبدأ الأزمات التشنّجية على الأغلب بصورة عنيفة. فالمريض يصرخ في بعض الأحيان صرخة ويقع. جسمه متصلّب في اختلاجات توتّرية معمّمة تدوم بين عشر ثوان وعشرين؛ فكّاه مضغوطان وعيناه مقلوبتان. وهذا الطور هو الطور المسمّى «توتّري». ثم تلي التقلّص الشديد اهتزازات عنيفة تهزّ الجسم في كل اتجاه، خلال دقيقة على وجه التقريب (الطور الرَمَعي). ثم يطرأ الطور المترهّل أخيراً، حيث الجسم، المتراخي كلياً، يصبح مترهّلاً؛ وتدوم الغيبوبة بعض الدقائق، فالنوم يستقرّ، ثم يظهر الشعور من جديد ظهوراً تدريجياً. ولا يحتفظ المريض بأية ذكرى من أزمته، أزمة فيها الآثار المرئية الوحيدة، في معظم الحالات، هي عضّات اللسان وتبوّل لاإرادي. (انظر في هذا المعجم: **الصرع**).

N.S.

داء المقوّسات

F: Toxoplasmose

En: Toxoplasmosis

D: Toxoplasmose

داء ناجم عن وجود حيوان أوالي، المقوّسة، في العضوية.

هذا النموذج من الإنتان، المتواتر لدى الراشد (واحد من اثنين تقريباً)، يسبّب له مرضاً بسيطاً يمرّ دون انتباه إليه على الغالب. أما لدى الجنين، الذي تصيبه أمه بالعدوى بين الشهرين الخامس والسابع من الحمل، فإنه، على العكس، يولّد تشوّهات خطيرة كان قد حدّدها للمرة الأولى، عام 1937، أ. وولف، د. كوون. فالآفات ذات علاقة بالشبكية (تسبّب غَمَشاً أو عمى) والجمجمة (صغر الرأس أو موه الرأس) وتكلّسات مرئية بالتصوير الشعاعي. وثمة تخلّف عقلي، ذو أهمية مختلفة، موجود في 75 بالمئة من الحالات.

والتشخيص يمكنه أن يوضع، منذ الولادة، انطلاقاً من البحث وتقدير جرعة الأجسام المضادّة النوعية، بفضل الاختبار الصباغي الذي أعدّه ألبير بروس (مولود عام 1906) وهـ. أ فيلدمان (وثمة اختبار بديل يُستخدم في فرنسا على وجه الخصوص هو «اختبار انحلال المقوّسات» لديمون)

ويكون هذا الداء في بعض الأحيان أيضاً نشيطاً عند الولادة، إذ يتطلّب علاجاً ضد الالتهاب بالسبيوايسين. والإنذار تابع لشكل الآفات ومداها.

J.MA.

داخلي الاستقبال

F: Intéroceptif

En: Interoceptive

D: Ineroceptiv

مصطلح يصف المستقبلات الحسّية التي تجعلنا مطّلعين على بعض الخصائص من عمل الأعضاء الداخلية الوظائفي وتغيّراتها.

يوجد في المعدة، على هذا النحو، **مستقبلات كيميائية** تكشف التغيّرات والحموضة المعدية. ونقول، على وجه العموم، إن الإحساسات ذات المنشأ الداخلي أكثر انتشاراً من الإحساسات ذات المنشأ الخارجي. وبعض معطيات المستقبلات الداخلية لاتبين للشعور إلا في حالات العسر، مثال ذلك حروق المعدة أو الحمّى (استخدام الحساسية الحرارية العميقة).

J.ME.

دار الحضانة

F: École maternelle

En: Infant school

D: Kindergarten, Kinderbewahranstalt

منشأة تربوية مفتوحة للبنات والصبيان من سنتين الى ست سنوات.

تتميّز دار الحضانة بمرونة مواقيتها و فهمها حاجات الطفل الصغير. وفي البداية، لايؤتى بالطفل الصغير غالباً إلا في الصباح، وذلك أمر يتيح احترام إيقاعاته. ويتعلّم في الدار أن يندمج في جماعة أقرانه باللعب والعمل المشترك، وأن يتكيّف تدريجياً مع مقتضيات الانضباط. وتوفّر دار الحضانة للتلاميذ الصغار عالماً حيث يكون كل شيء على قدّهم؛ وحيث يتطوّرون بكل أمان مع رفاق عمرهم؛ وحيث تؤطّرهم معلّمات تلقّين تعليماً سيكولوجياً خاصاً. والنشاطات المقترحة عليهم خاصة باستعمال اليدين وتصنيف الأشياء، والبناء، والإيقاع، واللغة ووسائل التعبير الأخرى (الرسم بقلم الرصاص، صنع النماذج، الإيماءات، إلخ). واختيار النشاطات تابع لنمو الطفل، الحركي النفسي. وللنشاط الجسمي مكان كبير، وأوقات الراحة موزّعة بعناية. إن دور الحضانة التي لم تكن حتى عام 1830 سوى «مأوى» مخصّص لحراسة الأطفال الذين كانت أمهاتهم يعملن، تطوّرت بتأثير علماء البيداغوجيا مثل بولين كرْغومار.

ولا تنجم أهمية دار الحضانة عن أنها تحضّر لتعلّم القراءة والكتابة فحسب، ولكنها تنجم أيضاً عن واقع مفاده أنها محلّ الكشف المبكّر عن الإعاقات المختلفة

(الاضطرابات البصرية، السمعية، الحركية، الوجدانية) التي يمكن أن تظهر على بعض التلاميذ. ومن المهم، حتى تستمر دار الحضانة في تأدية دورها، أن يكون التكوين السيكولوجي البيداغوجي للمعلمين متواصلاً ومتجدّداً، وأن يظلّ عدد التلاميذ في الصف قليلاً.

N.S.

الدافــع

F: Pulsion

En: Instinct, Drive

D: Trieb

مصطلح منسوب الى فرويد (1905) يدلّ على الميول الدينامية اللاشعورية في الشخصية، التي تعمل عملاً دائماً، وتوجّه تصرّف العضوية نحو إشباع هذه الميول.

كل دافع، في رأي فرويد، جزء من فاعلية مصدرها عضوي. إنه يكوّن تفريغ طاقة تقطع التوازن الداخلي للجسم، ويخلق حالة من التوتر في العضوية، ويثير سلوك الفرد الذي يبحث عن الموضوع الذي يمكنه أن يسكّنه. وليس ثمة شيء يمكنه أن يشبعه كلياً، ذلك أن فارقاً صغيراً يوجد دائماً بين الإشباع المنشود والإشباع المبلوغ. ومن هذا اللاإشباع المتعذّر حلّه إنما تولد الرغبة باستمرار ولادة جديدة. فالدافع، المظهر الطاقي للرغبة، يفرض إذن على الحياة النفسية عمل إعداد يظهر بـ **الرغبة**، القوة السيكولوجية الوحيدة القادرة على أن تشرح السلوك. والدافع، المنظور إليه على هذا النحو، يمكنه أن يكون شبيهاً بمفهوم **القصدية الأولية** في علم النفس الفينومينولوجي. ويبيّن فرويد كيف أن دوافع الحياة **(إيروس)** ودوافع الموت **(ثاناتوس)** يمكنها أن تعمل عملها الوظائفي على نحو مستقل أو، على العكس، أن

تتوجّه نحو موضوع واحد وتمتزج امتزاجاً رحمانياً بنسب مختلفة. وعندما تسود الميول العدوانية، فإن المرء (ينتهي الى السادية، بل الجريمة. («انظر في هذا المعجم»: **تكافؤ الحدين [ثنائية المشاعر]، الحاجة، الرقابة، مبدأ الاستقرار، الإبداعية الفنية، الكبت، التحوّل [الانقلاب الى الضدّ]، السادية، التصعيد**).

N.S.

F: Pulsion Partielle **الدافع الجزئي**

En: Partial drive, Component instinct

D: Partial tarieb

عنصر من الدافع الجنسي يتميّز بمصدر (مثال ذلك، الفم أو الجلد بوصفهما منطقتين مثيرتين للغلمة) وهدف (مثال ذلك دافع الرؤية).

الدوافع الجزئية موجودة لدى الراشد على شكل «رغبات تمهيدية» (قبلات، مداعبات، ملابسات. . .)، تقود الى الجماع بصورة طبيعية. (انظر في هذا المعجم: **الاستعرائية، الليبيدو، المازوخية، السادية**).

N.S.

الدافعيــة

F: Motivation

En: Motivation

D: Motivation

مجموعة من العوامل الدينامية التي تحدّد تصرّف فرد.

تنطوي كل دافعية على تغيّرات فيزيائية كيميائية، فيزيولوجية، حركية، ذهنية، في العضوية. والواقع أن علماء أعصاب فيزيولوجيين، مثل كارل سبنسر لاشلي (1890 - 1958)، وإيثولوجيين (علماء دراسة السلوك العفوي للحيوان)، مثل كورنار لورنز (المولود عام 1903) ونيكولاس تانبرجن (المولود عام 1907)، برهنوا على أن السلوك تابع لتركيب الوسط الداخلي (مقدار الكلسيوم في الدم، والغلكوز، والهرمونات. .) وللتنبيهات الخارجية (البصرية، الشميّة، السمعية، الذوقية. . .) التي تعمل بواسطة الجملة العصبية. مثال ذلك أن الذكر لايعير الأنثى الطالبة السفاد انتباهاً إلا إذا بلغ النضج الجنسي، أي إذا كانت لديه نسبة معيّنة من الهرمونات الجنسية. ويمكننا، تجريبياً، أن نثير الجوع أو العطش لدى حيوان حينما نبّه النُوى الجانبية لتحت المهاد تنبيهاً كهربائياً، وأن نُطلق سلوك الأمومة لدى فأر ذكر بحقن هرمونات جنسية في التكوّنات تحت المهادية قبل البصرية. (أ. م. فيشر، 1956)، الخ. ويخلق التغيّر العضوي الذي نسبّبه بواسطة هذه التنبيهات حالة من التوتّر تحدّد سلوك الحيوان. فبوسعنا إذن أن نعتبر أن الدافعية هي العنصر الأول الزمني في السلوك؛ إنها هي التي تحرّك العضوية، ولكنها تستمرّ حتى ينخفض التوتّر. ويميّز علم النفس الكلاسيكي بين **الحوافز** و**البواعث**، فالأولى هي الأسباب

الفكرية لأفعالنا، والثانية هي الأسباب الوجدانية. ولكن هذا التفريق مصطنع وعبث. والواقع أنه لاوجود لسبب واحد في منشأ تصرّفاتنا، بل مجموعة لاتنفصل من العوامل الشعورية واللاشعورية، فيزيولوجية، فكرية، وجدانية اجتماعية، تتفاعل بالتبادل. وتؤثّر الشروط العضوية في الحياة النفسية، ولكن الحياة النفسية قادرة على أن تؤثّر في الجسم (مثال ذلك أن الغضب يثير دفقاً من الدم في الوجه يجعله أحمر)؛ والحياة النفسية لفرد من الأفراد تابعة، من جهة أخرى، لعوامل ثقافية واجتماعية تربوية. فدافعيات تصرّفاتنا معقّدة ولا شعورية على الغالب؛ بل نحن نجهل الأسباب العميقة أحياناً لأفعالنا الأكثر ابتذالاً، كشراء سيّارة. وذلك صحيح بحيث أن دراسة السوق والحملات الإعلامية لاتحدثان دون سبر مسبق للدافعيات والاتجاهات العميقة لدى المستهلكين. (انظر في هذا المعجم: **العدوان**، **الحاجة**، **السلوك**، **غريزة المحافظة على البقاء**، **مبدأ الاستقرار**، **علم النفس الاقتصادي**، **الانفصال**، **الإحباط**، **التوازن الحيوي**، **تحت المهاد**، **التعلّم الخفي**، **لورنز [كونراد]**، **علم النفس الفيزيولوجي**، **الدافع**، **المنبّه**).

N.S.

كان مخبر الفيزيولوجيا العصبية في جامعة Pécs، هنغارية، بين المخابر الأولى التي قرنت الإشراط بالطرائق المتقنة من الناحية التقنية، طرائق التخطيط الدماغي الكهربائي (القياس عن بعد، المساري الكهربائية المزروعة)، في دراسة الفاعليات العصبية العليا. وأنجز فريق الباحثين الذي يديره غراستيان، منذ عام 1956، مجموعة واسعة من الدراسات التجريبية في الدافعية ودورها في التعلّم. وأفضت هذه البحوث، التي تستلهم مفهوم **التنشيط**، الى نظرية متماسكة وذات أصالة، قادرة على أن توفّق وتولّف بين الفرَضين المتنافسين، فرضيْ أصل الدافعية، ولاسيما فرض **تقليص التوتّر** لهول (ك. ل.) أو لسكينر (ب. ف.)، وفرض **تحريض الدافع** لدونالد أولدينغ هيب (المولود عام 1904). وكان السلوك والفاعلية

الحيوية الكهربائية، لدى هررة مجهّزة بمساري كهربائية مزروعة في الدماغ، موضع دراسة في وضع من الإشراط الأداتي (أو الإجرائي) خلال التنبيه الذاتي أو التنبيه الغيري لمختلف مناطق الدماغ المتوسط والدماغ البيني. وكشف عن مسار الحيوان وعن سرعة حركته الدائرية واتجاهها **المعاكس** أو **المتّفق** جهازٌ خاص (اتجاه الانتقال أو حركات الرأس تُسمّى متّفقة إذا كانت تتبع جهة نصف الكرة الدماغية المنبَّه للحيوان؛ فإذا حدثت في الاتجاه المقابل، فإن الاتجاه يُسمى الاتجاه ا **المعاكس**). ويُلاحظ في بعض الأحيان، خلال تنبيه مستمرّ، انعكاسات في الارتكاس. وفي رأي غراستيان أن العلاقة بين الاتجاه المعاكس والاتجاه المتّفق للحركة وبين سلوك الاقتراب أو التجنّب تؤكدها الوقائع التجريبية.

وإليكم النتائج الأساسية لفريق غراستيان ومتضمّناتها السيكولوجية: أ) شدّة الإثارة تحدّد توجيه الاستجابة الانفعالية. فالهرّ الخاضع لتنبيه ضعيف («مستساغ») ينكبّ على حركات استكشافية؛ ويُظهر أعراض الخوف إذا أصبح التنبيه قوياً، وعلامات الغيظ في حالة استطالة التنبيه. والإيقاعات الكهربائية البيولوجية المسجّلة في الحُصين (أو قرن أمون) خلال الأطوار الأولى والثالثة من هذه الأطوار متشابهة بقوة، وذلك أمر يبدو أنه يدلّ على أن الغضب حالة مستساغة من الناحية الانفعالية؛ ب) تكشف تجارب التنبيه الذاتي أن الحيوانات تتجنّب الضغط على الرافعة، رافعة قيادة الدارة الكهربائية، إذا كان هذا التصرّف يوقف إثارة ضعيفة («مستساغة»)، ولكنها تضغط عليها بقوة إذا كان يلغي إثارة قوية؛ جـ) لمناطق المكافأة والعقوبة ضرب من تعيين موضع مختلف في الدماغ البيني والدماغ المتوسط، وهذان المركزان التوأمان الواقعان تحت القشرة الدماغية متصلان فيما بينهما اتصالاً وظيفياً. ولكن غراستيان، على عكس جـ. أولدز (1963)، يعتقد أن علاقتهما الكابحة ليست متبادلة، بل هي من نمط ذي مفعول رجعي سلبي (تغذية راجعة سلبية). وينجم عن ذلك أن الإلغاء المفاجىء للكبح في مركزي التنبيه الذاتي، إذن المكافأة، ينتج مفعولاً راسبياً ذي شدة قوية، وهذا المفعول من

الارتعاش ذو علاقة بآلية التعزيز. فالتغيّرات في الفاعلية الكهربائية للحُصين ترافق بصورة منتظمة هذا المفعول من الارتعاش.

وغراستيان يعتبر التعزيز نقطة حرجة لكل نظرية في التعلّم. فما هي الأدلة لمصلحة فرضه، فرض التعزيز بالارتعاش؟ 1) أماكن التنبيه أو مقاييس التنبيه التي لاتفلح في أن تثير ارتكاسات ارتعاش عاجزة عن إحداث مفعولات دائمة في السلوك؛ 2) اتجاه الحركات الجارية خلال الارتعاش يمكن أن يفسّرها سلوك التقارب أو التجنّب وفق كون التوقّف في تنبيه تحت المهاد مستساغاً أو غير مستساغ. وهذا، على المستوى السيكولوجي، متّفق مع «نظرية الاتجاهات» لـ م. ب. أرنولد (1960) التي مفادها أن الانفعالات المختلفة مرتبطة ببعض الاتجاهات أو بعض الميول الجسمية. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط**، **الإشراط**، **الإشراط الأداتي**، **التعزيز الإيجابي**).

E.M.K.

انطلاقاً من محاولة الفيلسوف وعالم الاقتصاد الألماني ماكس فيبر (إيرفورت 1864 - ميونيخ، 1920)، محاولة عنوانها **الأخلاق الفلسفية البروتستانتية وفكر الرأسمالية** (1901)، كانت شروح مختلفة قد قدّمت للتغيّرات الاقتصادية، وكانت جهود قد بوشر بها، لتحديد الاتجاهات والدافعيات التي تحرّض النماء الاقتصادي، من جهة، ومن جهة ثانية لتحديد الاتجاهات والدافعيات التي تؤثّر بوصفها عوامل كابحة. ويبدو تجنيد حاجات الفرد وحاجات المتّحد، في عداد الاتجاهات والدافعيات التي تحرّض النماء الاقتصادي، إنه الشرط الذي **لامندوحة عنه** لنمو اقتصادي متسارع (د. سينا، 1969). وشدّد إو. هيميلستراند وف. زو. أوكيديجي (1968) على «الوفاق الدافعي» من أجل استخدام كامل للمصادر البشرية التي تتيح نمواً اقتصادياً مستمراً. وكان د. ك. ماك كليلاّن (1961) الأول

الذي طوّر نظرية سيكولوجية للنماء الاقتصادي بُرهن فيها على أن تغيّر الدافعيات يسبق النمو الاقتصادي. واستطاع فيما بعد ماك كليلاّن ود.ك. ونتد (1969) أن يبيّنا تزايد فاعليات المشروع لدى التجار الصغار ورجال الأعمال في بعض مدن الجنوب من الهند الذين كانوا قد حضروا فترة زمنية قصيرة من التدريب على دافعية الإنجاز. وأكّد جـ.ب.ب. سنها (1970)، من جهته، أن دافعية الإنجاز تقتضي أيضاً، إذا كانت تيّسر سلوك الإنجاز، مستوى جيداً من المصادر، بغية مقاومة الميول الى التكديس التي تعمل لغير صالح النماء السريع في بلد من البلدان.

وأخذ د. سنها (1969)، في بحوثه في الفلاحين الهنود، برنامج نمو لمتّحد من المتحدات بوصفه «علاجاً» وبيّن أن التغيّرات الدافعية التي تقود الى نماء اقتصادي مستمر لم تكن قد حدثت دائماً. فالمقارنة بين الدافعيات ومستوى الطموح، لدى أصحاب المزارع، في القرى النامية جداً والقرى غير النامية، بيّنت أن الغالبية العظمى لاتشاطر في تصوّر مستوى من الحياة متنام دائماً. وكانت جهودهم محدودة بأسباب العيش والضرورات الأولى من حياة دارجة أو أنهم كانوا ينطلقون أحياناً نحو مستويات غير واقعية، ومستوى النمو الذي يتوقّعه المخطّطون لم يكن ممكناً مع هذه الدافعيات الضعيفة الموزّعة ومع طموح راكد. وبيّن تحليل للإسقاطات أُجري على رائز سمّي «الحياة السعيدة» (**رائز الحياة السعيدة، د. سنها، 1969**) فروقاً بين القرى ذات المستوى المرتفع من النمو الزراعي الاقتصادي والقرى المتخلّفة. وعلى الرغم من درجة مرتفعة من التشابه بين القرويين، فيما يخص أنماط حاجاتهم، فإن أولئك الذين كانوا قادمين من القرى الأكثر نمواً كانوا أفضل توجّهاً نحو الواقع وكانوا يتوصّلون الى تحديد تصوّرهم الحياة السعيدة على نحو أكثر وضوحاً. وكان الفلاحون يبدون، على وجه العموم، حذرين الى الحد الأقصى ويتجنّبون المجازفة؛ ولكن الفلاحين من القرى الأكثر نمواً يُبدون ميلاً الى أن يكون لديهم مستوى أعلى من الطموح، ومؤشراً من التباين بالنسبة للهدف الأهم. وكان ن.ب. شوبه (1974) قد درس ظاهرة الإقدام على

المجازفة وتجنّب المجازفة دراسة أعمق بالنسبة للعمر، والملكية، وبعض المتغيّرات الاجتماعية الأخرى. وبيّن تقرير كتبه د. سنها عن الفلاحين الهنود، منشور عام 1974، أن أي تغيّر جوهري في الدافعيات لم يكن قد حدث، بعد فترة من الزمن بلغت خمس سنوات، وعلى الرغم من النمو الاقتصادي.

وكانت علاقة بعض الدافعيات الأخرى بالنمو الاقتصادي، باستثناء حاجة الإنجاز ومستوى الطموح، قد لُفت النظر إليها. فبيّن إد. باريك (1968) أهمية الحاجة الى التوسّع، والحاجة الى توسيع الذات، وحاجة المرء الى أن يحدّد نفسه بالنسبة الى جماعة أوسع وبالنسبة لهدفها. وشدّد باريك أيضاً على متغيّر آخر، **دافعية التبعية** التي تعوق النموّ. وذلك يظهر بالبحث عن توجيهات، وبنقص المبادرة، ونبذ المسؤوليات، وإدراك الموانع المغالي، وكلها ظاهرات نقول عنها: إن النظام الاجتماعي النوعي، النظام الذي ميّز الهند في الماضي، هو الذي ولّدها. ويقترح باريك تخطيطية نظرية (نموذجاً إرشادياً) للنمو تكون بحسبها دافعية إنجاز متنامية (لفائدة الذات) ودافعية توسّع (لفائدة الآخرين) هامّتين لنماء اجتماعي اقتصادي عام. ويبدو له أيضاً أن تقليص الرغبة في التبعية (الحاجة الى أن يفوّض المرء أمره الى سلطة) أمر ذو أهمية بغية تسريع النمو. ويعتبر ج. ب. ب. سنها (1970) أن الميل الى التبعية، الذي يميّز الهنود جداً، مثبّط، كابح، بل **عامل تجميد** للنمو الاقتصادي. وهذا الباعث يرتبط ارتباطاً إيجابياً بالقدرية، بالحاجة الى الاستحسان، بالمراعاة الدينية، بالتحفّظ أمام التجديد، بمقاومة التغيّر. وفي رأي هذا المؤلف أن الميل الى التبعية قائم على ضغوط اجتماعية، وقائم بصورة خاصة على اتجاه الآباء وأهمية المحظورات التي يشخّصونها.

ومن الطبيعي، مادامت المتغيّرات الدافعية تُعتبر ذات دلالة قوية بالنسبة للنماء الاجتماعي الاقتصادي، أن تكون برامج تكوين لنموّها قد وُضعت. وأهمّها برنامج إنجاز الحاجات لماك كلولاند ووينتد (1969). وكشفت النتيجة عن زيادة في فاعليات المشروع لجماعة من صغار التجار، بالنظر الى أن سلوكهم بعد التكوين

يختلف اختلافاً ذا دلالة عن سلوكهم في المرحلة السابقة على تكوينهم ويختلف عن سلوك جماعة الضبط (المراقبة) التي لم تكن قد شاركت في البرنامج. ويكمن برنامج التكوين، برنامج جـ. ب. ب سنها (1970)، في تقليص الميل الى التبعية باستبعاد أساسه الاجتماعي وتغيير توقّعات الأدوار، بمعالجة إدراك الذات لدى الفرد واستخدام «مفعول البرهان» بتقديم نماذج ملائمة. وبيّنت هذه الإستراتيجيات، في وضع تجريبي، زيادة في المبادرات وإلغاء التبعية بين الأفراد، ولكن جدواها في أوضاع الحياة الواقعية تظلّ بحاجة الى البرهان. واقترح د. سنها (1969) توجيهاً جديداً لدافعيات الفلاحين بتنمية الوعي لديهم، بترسيخ أفضل توجّه نحو الواقع، بحضّهم على إقدام أكبر على المجازفة، بغية بلوغ النمو المرغوب في الاقتصاد الزراعي. ولم يعرض د. سنها مع ذلك برنامجاً مفصّلاً للنمو الذي يمكن عليه بلوغ هذا الهدف، ولا وجود لأدلة اختبارية على أن مثل هذا البرنامج سيُجري التغيّرات المرغوبة إجراء واقعياً.

والخلاصة أن علاقة الدافعية بالنمو الاجتماعي الاقتصادي مجال جديد ومحرّض البحث. فعلى علم النفس أن يعزل المتغيرات ذات الدلالة في هذا السياق وأن يقترح برامج عملية تقود الى نماء اقتصادي سريع، أساسي جداً بالنسبة للبلدان السائرة في درب النمو من «العالم الثالث».

D.S.

الـدالّ

F: Signifiant

En: Signifier

D: Ausdruck, Bedeutend

تعبير صوتي لعلامة ألسنية (كلمة، على سبيل المثال).

العلامة تتكوّن، في مصطلحات الألسنية التي أسّسها فرديناند دو سوسّور، من ترابط **دالّ** بـ **مدلول** («معنى»). وكان سوسّور يقول أيضاً: من ترابط «صورة سمعية» و«مفهوم»، مشيراً بذلك الى أن الدالّ والمدلول مجرّدان: إن أي علامة لاتتحقّق، لاتُلفظ أبداً مرتين على نحو واحد في الكلام. ومن المناسب أن ندوّن الدالّ بين قوسين، أو خطّين مائلين، والمدلول بين هلالين مزدوجين: ومثال ذلك أن العلامة **باب**، في اللسان العربي، تتحقق بارتباط الدالّ[باب] مع المدلول «باب». فالارتباط اعتباطي: فليس ثمة شيء يفرض **قبلياً** أن يُعبّر عن مفهوم كمفهوم باب، تعبيراً شفوياً بالمقطعين [باب] بدلاً من الكلمة الفرنسية [Porte] أو الإسبانية، أو الانغليزية، والخ. إن الدالّ نتيجة تقطيع في المادة الصوتية؛ وليس تحليله متعذّراً، ولكنه ينبني من وحدات أصغر، **الفونيمات** (هنا: ب، ا، ب) ذات العدد المحدود (بعض العشرات في كل لغة)، التي تتيح تكوين عشرات الآلاف من العلامات الصغرى المزوّدة بمدلول، التي تُسمّى **مونيم** أو **مورفيم**. وتتكوّن الفونيمات، هي ذاتها، على نحو اقتصادي من عناصر فرعية، مشتركة تارة، وطوراً مميّزة: فالتصويت [أو الفونيم] /ك/ صامت انفجاري حلقي مثل /غ/ ولكنه، على

خلاف /غ/ ، صامت، كذلك /P/ ، التصويت الأجنبي الذي يقابل /b/ ، إلخ .

وفي حين أن منظومة اللسان تفترض ، في عمل وظائفي مثالي، أن يكون لكل مدلول دالّ محدّد كل التحديد ودالّ واحد، فإن الدالّ مركز عوارض شتّى تدرسها **المورفولوجيا** (علم الصرف). إنها : 1) البدائل أو النسقية وفق السياقات؛ 2) الانفصالات : مثال ذلك أن «النفي» في اللسان الفرنسي يُعبّر عنه بمقطعين متميّزين، مفصول في الجملة؛ 3) ضروب الدمج، إلخ . وتتميّز دالآت اللسان أيضاً بكونها تنبني (إلا استثناء) في اتّجاه خطّي، على محور الزمن . وهذه السمة تميّز الألسن الطبيعية من نظم التواصل الرمزية الأخرى التي يدرسها علم العلامات، كشاخصات النظام الرمزي للطرق، حيث الدالآت البصرية متشابكة مكانياً . (انظر في هذا المعجم : **المونيم**).

C.MA.

F: Daltonisme, Dyschromatopsie دالتونية، عمى الألوان
En: Daltonism, Dyschromatopsia, Colour blindess
D: Daltonismus, Dyschromatopsie, Partielle Fbeblindheit

عاهة حسية تتميّز برؤية قاصرة للألوان.

كان الفيزيائي والكيميائي الانغليزي جون دالتون (إغلسفيلد، 1766- مانشستر، 1844) قد وصف عام 1798، للمرة الأولى، هذا الشذوذ الذي كان قد أُصيب به. وهناك عدة أشكال من الدالتونية، أندرها **وحدة اللون**، حيث لاتُدرِك الألوان، أياً كانت، إلا بوصفها صبغيات رمادية. وأكثر الأشكال تواتراً تتكوّن من عمى اللون الأحمر، واللون الأخضر، أو اللون الأزرق - البنفسجي. والدالتونية يجهلها على الأغلب أفراد مصابون بها، ذلك أنهم على وجه العموم قادرون على تفريق الأشياء مستندين الى خصائص أخرى غير اللون (الى الفروق في الكثافة الضوئية على وجه الخصوص). وبمناسبة فحص توجيه أو اصطفاء مهني إنما يُكتشف غالباً هذا القصور الذي يؤلّف عاهة مانعة بالنسبة لبعض المهن، كملاحة الطائرة وسياقة القطار أو عامل صباغ. وثمة روائز عديدة لرؤية الألوان، من تشكيلة **الأصواف لهولمغرين** والألواح الشبيهة بالمتساوية اللون لـ ج. ستيلينغ، المبتكرة عام 1876، الى الأقراص الملوّنة لدين فارنشورث (رائز اللونيات الخمس عشرة) والى رائز شينوبي إيشيهارا. وهذا الرائز الأخير هو، بالتأكيد، الأفضل إعداداً والأكثر حساسية من التقنيات الجاهزة. إنه يتألف من ثمان وثلاثين لوحة ملوّنة حيث تبدو بعض الفروق الدقيقة في الألوان متساوية اللون للمصاب

بالدالتونية. ولهذا السبب، لايرى الدالتونيون ظاهراً في وسط اللوحة مايدركه الأفراد الطبيعيون. ومحذور هذا الاختبار يصدر عن حساسيته القصوى، التي تولّد إجابات إيجابية على نحو كاذب. ولهذا السبب، يُفضّل عليه أحياناً **الرائز الثنائي التفرّع لفرانزورث**، الذي يكمن في الطلب الى الفرد أن يصنّف خمس عشرة صبغية في ترتيب متدرّج بدءاً من الأزرق، من أجل كشف سريع وغير متقن. والدالتونية آفة تنقلها النساء وراثياً وهي تصيب الرجال على وجه الخصوص (رجلاً من 12، وامرأة من 200). ويُعتقد أنها ناجمة عن غياب نوع من ثلاثة أنواع من المخروطات الضرورية لرؤية الألوان.

وثمة، علاوة على الدالتونية، آفات أخرى يمكنها أن تسبّب اضطراباً في رؤية الألوان. تلك هي حال **اعتلال الشبكية المصلي المركزي**، الذي يتميّز بوجود حويصلات صغيرة على البقعة الصفراء، منطقة مركزية من الشبكية مشبعة بالصباغ الأصفر. ويشكو الأفراد المصابون بهذه الآفة أن رؤية الألوان لديهم مشوّهة، ولكن الاضطراب يختفي تلقائياً بعد بضعة أصابيع، ويسبّب مرض السكّري عمى بالنسبة للإشعاعات الصفراء - الزرقاء، ويسبّب التسمّم بالديجيتال والسولفاميد صفرة المرئيات، إلخ. (انظر في هذا المعجم: **اللون**).

N.S.

دراسة السوق

F: Étude du marché

En: Market research

D: Market forschung

بحث منهجي في الزُبُن المحتملين لمنتج من المنتجات.

دراسة السوق، على عكس الإعلان الذي ينزع الى أن يشجّع بيع سلعة مصنوعة، تحدّد المنتج الجديد الذي يمكن أن يُطرح في السوق بنجاح. فيبحث الاختصاصيون، لهذا السبب، عن أن يعرفوا، بواسطة عينات ثابتة من المستهلكين واستقصاءات وسبور، رغبات الجمهور، وأذواقه، وأفضليّاته، ونواياه، وحاجاته، من جهة، وأن يعرفوا من جهة أخرى أهمية المنتجات المنافسة، والتوزّع الجغرافي لزبُنهم، وتخلّفهم المحتمل عن الشراء، الخ. ويتكفّل اختصاصيو **السوق**، عندما يكون قرار صناعة المنتج قد صدر، بطرح المنتج المعنيّ في السوق. ويقرّرون بيّنات البيع (العرض، السعر)، ويدرسون صياغة الإعلام الإعلاني، ويُعنون بتنظيم شبكة البيع وتكوين البائعين، إلخ. ويطلقون، قبل تسويق السلعة الكبير، حملة إعلانية رائدة في بعض المدن ذات الأهمية المتساوية أو يباشرون استقصاء بالسبر ليروزوا إعلان المنتج. (انظر في هذا المعجم: **سيكولوجيا الاستهلاك، وسائل الاتصال الجماهيرية، العينة الثابتة، الإعلان، السبر**).

N.S.

الدراما الاجتماعية

F: Sociodrame

En: Sociodrama

D: Soziodrama

طريقة سبر وعلاج، منسوبة الى عالم النفس الأمريكي جـ.ل. مورينو، تتوجّه بصورة أساسية الى جماعة بوصفها جماعة وتقصد بـ «التمثيل المشترك لكل مشترك» أن يحصل تفريغ جماعي.

تكمن الدراما الاجتماعية في أن ترتجل جماعة من الأشخاص في اتّصال متبادل مشهداً درامياً يتناول موضوعاً اجتماعياً، عاماً، كمشكل المرأة في المجتمع الحديث (بالنسبة للرجل، والعمل، والأطفال. . .) أو كمشكلات العنصرية أو صراع الطبقات أيضاً. إنها، يقول مؤلّفها، «طريقة بحث، فاعل ومعمّق، في العلاقات التي تتكوّن بين الجماعات وفي الإيديولوجيات الجماعية». فموضوع الدراما الاجتماعية الفعلي، على خلاف الدراما النفسية المتمحورة على الفرد، هو الجماعة التي تقصد الدراما الاجتماعية أن تعيد إليها التوازن، إذ تُظهر للشعور الواضح لدى كل فرد النزاعات وبواعث التوتّر، التي تغذّي المتّحد المعنيّ. وهذه التقنية تبدو قادرة على أن تعدّل الآراء والاتجاهات الشخصية (أو آراء واتجاهات الجماعة) إزاء بعض المسائل، ولكنها لايمكنها أن تحلّ نزاعات عميقة تتغذّى من وقائع موضوعية كإيقاعات العمل المغالية والأجور غير الكافية.

N.S.

الدراما النفسية **F: Psycho drame**

En: Psycho drame

D: Psycho drame

تقنية سيكولوجية أعدّها عالم النفس الأمريكي جـ.ل. مورينو الذي يستخدم الارتجال الدرامي الذي يكمن أحد أهدافه الرئيسة في تنمية العفوية لدى الممثلين. وتُستخدم هذه التقنية وسيلة معرفة، ووسيلة تكوين وعلاج فردي، ولكنها على وجه الخصوص معالجة في العمق لجماعة تقوم هي ذاتها بها.

ينبغي لنا أن نذكر أرستوفان (أثينا، نحو 450 -386ق. م)، في عداد أسلاف الدراما النفسية البعيدين، الذي يبيّن كيف أن الإنسان يمكنه أن يكون سجين أدواره الاجتماعية وكيف يمكنه، حين يضعها موضع التساؤل على المسرح، أن يفهم أسبابها ويتحرّر منها. ففي إحدى مسرحياته الهزلية، **الزنابير**، يكون البطل، فيلوكليون، مصاباً بهوس الحكم والإدانة، إذ يذهب الى قاعة المحكمة منذ الفجر. ويبرهن له ابنه، بليليلكيون، أن الشعور بالقوّة، التي يبدو أن منصب القاضي يمنحها، وهمي؛ وينظّم في بيتهما نفسه محكمة خيالية، ثم مأدبة متخيّلة. ويبدو فيلوكليون رجلاً واثقاً من نفسه، قادراً على أن يجسّد كل أدوار الحياة لأنه سيد حريته الداخلية» (ن. ن. دراكوليدس، 1965). وكان أرسطو (-322 384ق. م) قد لفت النظر أيضاً الى قيمة التمثيل المسرحي التنفيسية، ولكن استخدام المسرح لغايات علاجية بالنسبة لمرضى الأمراض العقلية لايعود تأريخه إلا الى نهاية القرن الثامن عشر. والواقع أن الطبيب الألماني جوهان ريل

(1759 -1831)، الذي منح الطب النفسي وضعه، وضع الاختصاص الطبي، أوصى بـ«علاج مسرحي» وبتكوين عاملين في هذا الاتجاه، «بحيث تتكوّن القدرة على تمثيل الأدوار كلها وفق حاجة كل مريض، وذلك مع القدرة على الإيهام الكامل». وكان مرضى الأمراض العقلية في شارنتون بفرنسا يمثّلون، في العصر نفسه تقريباً، مسرحيات مكتوبة من أجلهم، كاتبها المركيز ساد أحد النزلاء.

وخطرت ببال جـ. ل. مورينو (1889 -1947)، الذي كان طبيباً نفسياً في فيينة وكان قد أسّس فيها مسرحاً مرتجلاً، فكرة الدراما النفسية وهو يصغي الى الأسرار التي باح بها زوج ممثلة هزلية شابة، بربارا، التي أَلِفتْ أن تمثّل أدوار مخلوقات وديعة ومقدّسة، ولكنها كانت، في منزلها، فظّة، محبّة للخصام، عنيفة. وطلب مورينو الى بربارا أن تمثّل دور المومس، ثم عهد إليها بأدوار أخرى لنساء سريعات الغضب وخبيثات. ونالت بربارا كثيراً من النجاحات على المسرح وتحوّلاً في الوقت نفسه في الحياة الواقعية. وأصبح غضبها أقصر مدة وأقلّ تواتراً. وكانت تبدأ حتى بالضحك في اللحظة التي كانت ستستشيط غضباً، ذلك أنها كانت تتذكّر مشاهد تمثّلها على المسرح. وجعلها مورينو، فيما بعد، تمثّل مع زوجها أجزاء من حياتهما المشتركة، فترات من طفولتهما، ومشروعات مستقبلية، إلخ. وفي حين كان الثنائي يستعيد صفاءه، كان المشاهدون يستشعرون انفعالاً عميقاً، ذلك أنه كان يعبّر، وهو يتكلّم ويعمل باسمه الخاص، عن عواطف مشتركة بين الجميع، مثيراً على هذا النحو «ضرباً من التنفيس بالنسبة للجمهور».

وتستخدم الدراما النفسية خمس وسائل أساسية: 1- **المسرح**، ضرباً من المنبر على وجه العموم، يبلغه الصاعد إليه بثلاث درجات. ولا وجود للديكورات، بل ثمة فقط طاولة، كرسيّان أو ثلاثة، وسادات أو ديوان في بعض الأحيان؛ 2- الممثّل الرئيس أو **البطل**، الذي لايُطلب إليه أن يمثّل دوراً، بل أن يكون هو ذاته، وأن يتصرّف تصرّفاً حرّاً، عفوياً، وفق إلهامه الآني ومزاجه. 3-مقدّم البرنامج أو **المرشد**، الذي يكون في وقت واحد مخرجاً مسرحياً، معالجاً

ومحللاً؛ 4- **المعالجين المساعدين**؛ 5- **الجمهور**، الذي يمكنه أن يقدّم المساعدة للمريض أو يصبح هو ذاته مريضاً: «كلّما كان المريض معزولاً ـ عندما، على سبيل المثال، يكون تمثيله على المسرح مفعماً بالصور الهاذية والهلوسات- كان وجود جماعة مستعدّة للتعرّف عليه ومساعدته ضرورياً»، كتب مورينو يقول.

وتتضمّن الجلسات ثلاث مراحل: 1- مرحلة التحضير أو **الإعداد**. يسعى المرشد خلالها لإبعاد كل ضيق لدى الجماعة، إذ يطيّب خاطر كل فرد ويبحث مع الكل عن مشكل مشترك وعن بطل؛ 2- **التمثيل** أو الارتجال في الموضوع المختار. فالفرد يمكنه أن يمسرح أوضاع حياته اليومية، طموحاته، مخاوفه، أعضاء محيطه (إما بمساعدة هؤلاء الأعضاء الفعلية، وإما مع ممثّلين معالجين يسمّون «الأنوات المساعدة»)؛ 3- **المشاركة العلاجية للجماعة**، فالمستمعون والمشاهدون يطلعون الجميع على عواطفهم وتجاربهم الشخصية. ويستخلص كل فرد ماتعلّمه عن ذاته، والبطل، والجماعة. وكما أن البطل قد كان كشف عن همومه، كذلك أعضاء الجماعة يشاطرونه همومهم، «ويبلغ التنفيس كل الحاضرين تدريجياً».

وتقوم الدراما النفسية على بعض الفروض: أولها أن الوضع الإنساني لايُفهم بصورة واقعية إلا عندما نعيشه. والحقيقة أن التمثيل الدرامي الذي لايمكنه أن يجري إلا في الزمن، بالقياس الى التعبير اللفظي، أغنى، ذلك أنه يشغل أبعاد المكان كلها، ويجنّد الصوت والجسم، والنظر والسمع. والتمثيل المسرحي حيّ أكثر من مجرّد السرد. ففي التمثيل تنبعث دلالات يعجز القول عن بعثها، والمشاركة الانفعالية أعظم من جانب الممثّلين وجانب المشاهدين، الذين يتّحدون معاً في انفعالاته من وقت الى آخر. فثمة، على الرغم من سمة التمثيل الوهمية، علاقة حقيقية بين شخصية تقوم بين المشاركين، والمشكلات تنحلّ في الحدّة الدرامية لـ **اللقاء** مع الآخر. والفرض الثاني يكمن في أن التعبير عن الذات تنفيسي. وقد يحدث في الواقع أن يحتاز الشعور شخصٌ (طفل أو مراهق سارق أو عدواني، على سبيل المثال)، جِيء به يمثّل دوره الخاص، بنفسه احتيازاً أكثر حدّة مما حدث له

في الماضي ويغيّر سيرته. وتستخدم [illegible] ـسية عدة أساليب لن نذكر سوى بعض منها: 1- طريقة **الصنو** التي وصفها عام 1846 ميكائيلوفيتش دستوفسكي (1821 -1881) في روايته **الصنو**. وتمثّل «أنا مساعدة» دور البطل على المسرح. وإذ يضع الفرد، الذي يقوم بدور «أنا مساعدة»، نفسه على وجه العموم خلف البطل، في محور جسمه، فإنه يتصرف مثله، باحثاً عن محاكاته كما لو كان صنوه، معبّراً بصوت عال عمّا يستشعره البطل ولكنه لايجرؤ على أن يقول، أو لا يمكنه أن يصوغ أفكاره واستيهاماته المقموعة أو المكبوتة. وتتيح هذه التقنية تعميق المعرفة بالذات، وتيسّر التنفيس، وتهيّيء الدروب للتفسيرات وتُستخدم صلة بين المريض ومستمعيه؛ 2- طريقة **المرآة**، الموجودة في **هاملت**. فعلى المسرح ممثّل معالج يمثّل المريض (دون أن يشوّهه) الذي يرى، بوصفه بين المشاهدين، نسخة من ذاته تتصرّف كما يفعل في الحياة اليومية، ويمكنه أن يسمع صوته مسجلاً في آلة تسجيل؛ 3- **انقلاب الدور**، الموصوف في محاورات سقراط. فالمريض يأخذ دور من يمنحه حق المشاركة في الحوار (الابن سيكون الأب، ورب العمل سيكون العامل)، ذلك أمر يرغمه على أن يزيل التمحور على ذاته ويدخل في عالم الآخر. وكل فرد يبيّن، بتبادل الأدوار، كيف يعيش الشخصية التي مثّلها ويكتشف في الوقت نفسه أن بالإمكان وجود رؤية أخرى للعالم غير رؤيته. فكل ذلك يقود الى إدراك أكثر موضوعية لذاته والآخرين والى أفضل تكيّف اجتماعي في نهاية المطاف.

N.S.

الدراما النفسية التحليلية

F: Psychodrame analytique

En: Analytical Psychodrama

D: Analytische Psychodrama

طريقة في معالجة بعض الأشكال الخطيرة من الاضطرابات العقلية، قائمة على التمثيل الدرامي، وديناميك الجماعة، والتحليل النفسي.

الدراما النفسية التحليلية إبداع فرنسي بصورة أساسية. وهدفها أن تُظهر، بالتعبير المسرحي الحرّ، آليات الدفاع في الشخصية المعنيّة وتحليلها، بغية القدرة على أن ندمج الدوافع المنبوذة في هذه الشخصية دمجاً جديداً. وتتألف جماعة العلاج، التي لاتُعنى إلا بمريض واحد فقط، من قائد التمثيل وخمسة أو ستة ممثلين معالجين (ثلاثة رجال وثلاث نساء على وجه العموم)، كلهم محلّلون نفسيون ذوو كفاية ومؤهلون لديناميك الجماعة والدراما النفسية. ولا وجود للمشاهدين، باستثناء هؤلاء المعالجين المساعدين الذين يمكنهم أن يكونوا مدفوعين، في كل لحظة، الى الدخول الى المسرح بطلب من البطل أو المرشد. ويجري التمثيل، دون ديكور، على منبر أو، في حال عدم وجوده، على موقع من المكان حيث تتركّز الإضاءة. ويُدعى المريض، الذي كان قد أطلعه إطلاعاً كاملاً قائد التمثيل، خلال محادثات مسبقة، على أهداف الدراما النفسية التحليلية والوسائل التي تستخدمها، الى أن يرتجل بحرية مشهداً عن فكرة من الأفكار، ذكرى، حلم، رغبة. وبعد أن يختار الموضوع هو ذاته، ويوضّح الإطار والظروف، يوزّع الأدوار. والمرشد لايمثّل مبدئياً؛ ويمكنه أن يوقف المشهد ليبدي ملاحظة أو يقدّم تفسيراً يستدعيان جواباً

وضرباً من ترابط الأفكار لدى المريض على الغالب. ويُقترح هذا الترابط من الأفكار للحلقة التالية. ويمثّل المعالج المساعد ليساعد المريض على التعبير عن حالاته الوجدانية بأسلوب درامي، إذ يناور ليقوده أقرب مايمكن الى نزاعه (معارضة الأب والسلطة على سبيل المثال)، ويبعث آليات الدفاع لديه. وتنطوي المعالجة بالدراما النفسية التحليلية، شأنها شأن كل علاج تحليلي نفسي، على تأسيس ضرب من «عصاب التحويل» (ضرب من العصاب المصطنع يتكوّن حول المعالج أو المعالجين)، وتفسيره وحلّه. إنه علاج «شاقّ»، باهظ التكاليف لأنه يجنّد عدة اختصاصيين لمريض واحد، ولهذا السبب لايُستخدم إلا لمعالجة الأعصبة الخطيرة، وبعض أشكال الذهانات، وضروب الفصام بعد مرحلة الخلط العقلي أو المرحلة الحادّة، وحالات الإدمان على السموم؛ وهو علاج محظور في الذهان الهذائي (البارانويا) والانحرافات الحقيقية.

N.S.

الدعـايـــة

F: Propagande

En: Propaganda

D: Propaganda

عمل هدفه نشر فكرة، أو مذهب، بقصدٍ مفاده تعديل آراء الشخص الذي يتلقّاها، أو الجماعة، وعواطفه واتجاهاته.

والدعاية شبيهة بالتربية، ولكن الدعاية لا تحترم الحقيقة دائماً، في حين أن التربية متعلّقة بها. والدعاية يمكنها أن تخدم قضية مفيدة. مثال ذلك أن القضية المتمحورة على الصحة والأمن ستُظهر أن الكحول ليس طعاماً، والتبغ مضرّ، والسرعة على الطرق مميتة. وستستخدم القضية المفيدة وسائل الإعلام الجماهيرية وستنشر الصور الأكثر إثارة؛ وعلى هذا النحو إنما ستنيب، مناب صورة جيمس دين في السنوات الخمسين، المنتصر على مقود سيارته، سيارة السباق، صورة شاب، جذّاب وذي رجولة، سيؤكّد أن نشوة السرعة لم تعد سوى أسطورة انقضى زمنها. ولهذا النموذج من الدعاية هدف مفاده منفعة الفرد. إنها تقدّم إليه الإعلام، وتستعين بحسّ المسؤوليات لديه، وببصيرته، وبالقيم الإنسانية الأكثر نبلاً. فونستون تشرشل (1874 - 1965) لم يقنّع الواقع، خلال الحرب العالمية الثانية بعد الضروب الأولى من قصف لندن الكثيف بالقنابل، واقع وضع مأساوي، ولكنه عرضه عرضاً، واضحاً؛ وبيّن كيف أن عمل كل فرد كان مرتبطاً بالوضع الذي منع تحليله المفصّل صعود القلق. ومثل هذه الدعاية تختلف اختلافاً عميقاً من تلك التي نصادفها في الدول الشمولية، التي تسعى الى تقليص الفروق الفردية، وتوحيد

السلوكات، وإشراط الأشخاص بخلق آليات ميكانيكية لديهم، تتيح مراقبتهم والتلاعب بهم. وتصبح الدعاية في هذه الدول وسيلة لحقن الأشخاص الدائم بالأفكار المذهبية. إنها تُمارس في كل مجالات الحياة الاجتماعية (في المدرسة، والعمل، في الجيش والحياة الثقافية) وتستخدم كل الوسائل الممكنة في النشر (الإيديولوجيا النازية كانت تظهر حتى في كتب الحساب للتلاميذ). وتعليمات الحزب، في الصين الشعبية، تنشرها جماعات صغيرة من المناضلين، مزروعة في كل حيّ، وموجودة حتى في مراكز تخطيط الولادات. فكل فرد، في هذه البلاد، هدف الدعاية الرسمية وعاملها معاً.

والى جانب هذه الدعاية، دعاية **الدمج**، التي تبحث عن خلق وجدان جماعي، توجد صورة أخرى من العمل الاجتماعي: الدعاية **التخريبية** التي يكمن هدفها في أن «تسوّغ وتنظّم العنف الجسمي والمعنوي لمصلحة استيلاء منظّمةٍ على السلطة» (جيرار نامر، 1976، ص، 867). وتتميّز هذه الدعاية التخريبية بإيديويولجيا مبسّطة، ونشر كلمات تمثّل أوامر بسيطة وشعارات، وتحميس حزب ورؤسائه، ووعود غامضة، كالملكية الاقتصادية، وإلغاء البطالة، وإبطال الامتيازات، وتسمية «الضحايا» (السود، الماسونيين، الشيوعيين، المثقفين. . .) الذين يمكن أن يتوجّه الغضب والعنف إليهم. فالدعاية تحقّق عندئذ، على هذا النحو، تعليماً حقيقياً لتصرّفات شاذّة ذا نجوع يتعاظم بمقدار مايغيب الإعلام الحقيقي. وليس بالوسع مكافحة الدعاية إلا بإخضاع الأدلّة المعروضة الى نقد دقيق ومعارضتها بوقائع أخرى راسخة البنيان وأفكار جيّدة الدعم. فبالإعلام والثقافة إذن إنما يستطيع الإنسان أن يحلّل الإيديولوجيات المتماسكة التي تُقترح عليه. والثقافة، الثقافة وحدها، يقول توماس مان (1875 - 1955)، هي التي تتيح للمواطن أن يقاوم شتّى الممارسات التي يكون موضوعها. (انظر في هذا المعجم: **الإشراط، وسائل الإعلام الجماهيرية، الرأي، الحكم القبلي، الإعلان، الشائعة**).

N.S.

الدلالة الإحصائية

F: Signification statistique

En: Statistical significance

D: Statistische sicherung, Signifikanz

خاصّة نتيجة إحصائية، نحصل عليها من عينة عشوائية، مفادها أنها لايمكنها أن تُعزى الى المصادفة وحدها، أي الى تقلّبات اختيار العينة.

يقع هذا التعريف في إطار **نظرية الغشطالت** ونظرية الإعلام: الواقع أن معاينة من المعاينات تكون ذات دلالة إذا لم تظهر للملاحظ أنها ثمرة المصادفة، بل إنها مؤشّر لواقع آخر غير الواقع الذي جرت معاينته. وتجري المعاينات، في مجال الإحصاء، على عينات، أي على أجزاء ضيّقة جداً من العالم الإحصائي؛ وعندما تكون لهذه المعاينات ذات العدد المحدود دلالات، فإنها تكشف عن خاصّة للمجموع غير المحدود تقريباً، الذي استُخلصت منه العينة، وتسوّغ بالتالي حكماً ذا مدى عام، أي استقراء من الجزء الى الكل. وتبدو الدلالة على هذا النحو أنها أساس الاستقراء.

ونقول، بعبارة أخرى، إذا أدلينا بفرَض يتناول خصائص عالم إحصائي - حيث تنشأ منه بعض خصائص العينات -، فإننا لايمكننا أن نعتبر هذا الفرض صحيحاً (**استقراء**) إذا بدا أن العينات الملاحظة بالفعل تُظهر خصائص تختلف اختلافاً ذا دلالة عن الخصائص الناجمة عن الفرض. وثمة مجال للظنّ بالفرض عندما تكون النتيجة الحاصلة من عينة سُحبت بالقرعة قليلة الاحتمال (مثال ذلك 5 احتمالات من 100، أي 0,05) في نظر هذا الفرض وأنها لايمكنها أن تُعزى بصورة

معقولة الى مصادفات السحب بالقرعة . وهذه النتيجة غير المألوفة تزداد دلالتها ، أي أنها مثقلة بالإعلام ، بمقدار ماتطرأ خلافاً لكل توقّع وأن تكون احتماليتها الظرفية أضعف (مثال ذلك احتمال واحد من 100 ، أي 0,01) . وإذا كانت النتيجة ذات دلالة بصورة عالية (احتمال واحد من 1000 ، أي 0,001) ، فإن الفرض ليس موضع ظنّ فحسب ، بل ينبغي أن يُرفض . والفرض الذي يمكننا دحضه عند الاقتضاء هو ، لهذا السبب ، فرض يُسمّى دائماً «الفرض العدم» ويشار إليه بـ ف o . (Ho)

ولْنلفت الانتباه هنا الى نقطة رئيسة : التقنيات الإحصائية المسمّاة حسب المؤلفين «روائز الدلالة» أو «اختبارات الفروض» ليست قابلة للتطبيق إلا على العينات العشوائية . أما العينات الاصطفائية أو الموجّهة ، فإنها تستبعد المصادفة ، وتتجنّب بالتالي كل تمييز بين مايُعزى الى المصادفة وما لايعزى .

فإذا كوّنا ، على سبيل المثال ، من منطقة جغرافية محدّدة كل التحديد عينة صغيرة (عددها 100) من المراهقين جرى تحديدهم بواسطة السحب بالقرعة ولاحظنا أن نسبة 60 بالمئة من هذه العينة ذات حاصل ذكاء أعلى من 100 ، فإن بوسعنا أن نستنبط من ذلك ، على سبيل الفرض ، أن مجموع فتيان هذه المنطقة يقع على وجه الإجمال فوق المستوى العقلي الشائع . ونعارض هذا الفرض ، لتقييم صحة هذا الاستدلال ، بفرض ثان مفاده أن فتيان هذه المنطقة سيكونون ذوي ذكاء طبيعي ؛ ولن تكون عينة 60 بالمئة ذات حاصل الذكاء الأعلى من 100 ، في هذا الفرض ، سوى مصادفة سعيدة . فتدخّل هذا الفرض الثاني أمر لاغنى عنه ، ذلك أنه هو وحده الذي يتيح بناء «نمط المصادفة» الذي ينبغي الرجوع إليه لنعرف الى أي حدّ تكون العينة الملاحظة (لـ 60 بالمئة حاصل ذكاء أعلى من 100) ذات دلالة .

ويتيح عندئذ رائز دلالة أن يحسم بين الأمرين التاليين : هل الحكم الذي سوّلت لنا أنفسنا أن نطلقه على فتيان المنطقة يقوم على ضربة حظ مناسبة للمعنيّين

(فرض ف o [Ho]) أم على مستوى واقعي لمجموع المراهقين (فرض ف 1 [H1])؟
الواقع أننا نعرف، حسب قانون التوزيع للعينة الذي يدلّ عليه النموذج، تكرار كل عينة تتميّز بنسبتها **ن** لحاصل ذكاء أعلى من 100. وقانون التوزيع لهذا المتغيّر **ن**، المسمّى «متغيّراً مطلوباً روزه» أو «معيار الدلالة»، يؤدّي دوراً أساسياً في تطبيق الرائز، لأن احتمالات سحب عينة مثل **ن** ≤0,60 إذا كانت ضعيفة جداً بحسب هذا القانون، فإن واقع الحصول على **ن** = 0,06 ذو دلالة والفرض العدم (ف 0 أو H0) ينبغي رفضه.

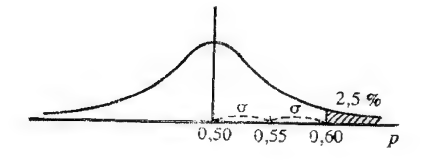
ولدينا، للبرهان على هذا القانون، قانون التوزيع، مخطط نظري معروف باسم «مخطط السحب بالقرعة»: صندوق يحتوي كرات بيضاء بنسبة ن وكرات سوداء بنسبة م = 1- ن مستخلصة بالسحب بالقرعة لعينات ذات عدد واحد ع 1، تميّزها بنسبتها من الكرات البيضاء ن؛ ونبيّن توزيع اختيار العينة ن توزيع شبه طبيعي للمتوسط.

$$\text{نَ} = \text{ن وانحراف معياري } \sigma(\text{ن}) = \sqrt{\frac{\text{ن م}}{\text{ن 1}}}$$

فإذا طبقنا ذلك على الفرض العدم، أي على فئة من السكان حيث يكون ح. ذ (حاصل الذكاء)= 100 وحيث تكون النسبة ن من ح. ذ >100 هي ن = 0,50، فإن هذا المخطّط يقدّم لنا توزيعاً للمتوسط نَ = 0,50 وانحراف معياري

$$\sigma(\text{ن}) = \sqrt{\frac{0,5 \times 0,5}{100}} = 0,05$$

وحسب جداول القيم وعلى الشكل المبيّن أدناه، نرى أن تكرار العينات مثل ن ≤ 0,60 (بالقيم المختزلة $\frac{0,5 - 0,60}{0,65} = \sigma 2$



ليس إلا 0,025. وهذا التكرار، أي احتمال أن نسحب بالقرعة عينة تكون فيها ن≤ 0,60، ضعيف جداً؛ فالمصادفة لاتقود، في إطار الفرض العدم (ف 0 أو Ho)، الى مثل هذه القيمة (ن ≤0,60) إلا مرتين ونصف (2,5) من 100، أي مرة واحدة من 40؛ وهذه النتيجة مستبعدة بحيث لانشرحها بـ«ضربة حظ». فعلينا إذن أن نعتبرها ذات دلالة لتركيب مجموع السكان، والاحتمال الضعيف المرتبط بها في إطار النموذج يُسمّى «عتبة الدلالة (أي 2,50 بالمئة أو 0,025). ونسمّي على وجه العموم «عتبة الدلالة» تلك الاحتمالية الضعيفة التي تُحسب نتيجة عينة (متغيّر مطلوب روزه) تحتها أنها ذات دلالة، أي ليست متوافقة مع الفرض العدم وتسبّب رفضه، وبالتالي تبنّي فرض بديل.

ونقول، في المثال المذكور، إن فرض ذكاء طبيعي لفتيان المنطقة (الفرض العدم) مرفوض في عتبة دلالة قدره 2,5 بالمئة. ويظلّ الاستدلال مع ذلك مشوباً بالريب، وعتبة الدلالة تقيس المجازفة بالخطأ في رفض الفرض العدم. والواقع أنه قد يحدث أن يكون السكان متناسبين مع الفرض العدم (ن = 0,5)، ولكننا سحبنا واحدة من هذه العينات النادرة حيث ن ≤0,6 واستنتجنا أن علينا أن نرفض هذا الفرض؛ ونحن، إذ نفعل ذلك، نرتكب خطأ ناجماً عن سوء الحظ في أننا سحبنا عينة ذات تمثيل ضعيف؛ ولكن سوء الحظ هذا أو احتمال الخطأ ليس إلا 0.025: فالريب الذي يضغط على قرار الرفض، رفض الفرض العدم، يساوي عتبة الدلالة.

وبوسعنا، إذ نعمّم التقنية الموصوفة في المثال السابق، أن نستخلص مرحلتين أساسيتين في إعداد وتطبيق كل رائز من روائز الدلالة:

أ) مرحلة نظرية واستنتاجية تتألف من تعيين قوانين المصادفة التي يمكن أن نطبّقها في هذا الحالة الخاصة وأن نحدّد على وجه الخصوص توزيعات المعاينة، التي يمكنها أن تُستخدم، مثال ذلك توزيع متوسطات العينات أو توزيع النسب (انظر

المثال السابق). وخلال هذه المرحلة، توضع تخطيطية نظرية أو نموذج احتمالي يُضاف اليه فرض يتناول خصائص المجموع ذي السمات المشتركة، فرض نسمّيه الفرض العدم؛ وهذا الإحصاء، إحصاء العينات يُسمّى «المتغير المطلوب روزه» أو «معيار الدلالة» (المتغيّر ن في المثال السابق).

ب) مرحلة تجريبية واستقرائية قوامها اختبار الفرض بواسطة المتغيّر المطلوب روزه، إذ نكوّن، بالسحب بالقرعة، عينة نحسب القيمة التي يأخذها المتغيّر المطلوب روزه بالنسبة لها. وإذ نحدّد عتبة الدلالة (5 بالمئة، 1 بالمئة، 1 بالألف) وفق المجازفة التي نكون مستعدّين لتعريض أنفسنا لها، فإننا نرفض الفرض العدم إذا كانت القيمة التي نحصل عليها فيما يخصّ العينة تقع في المنطقة التي يكون فيها احتمالها الظرفي أدنى من العتبة المختارة، أي حيث تكون القيمة ذات دلالة. فإذا كانت القيمة الحاصلة غير ذات دلالة بالنسبة لعتبة الدلالة المختارة، فإن الفرض العدم لايمكنه أن يُرفض على نحو مشروع: ويمكننا قبوله إذا لم يعارض هذا القبول أي اعتبار آخر.

ويقدّم الإحصاء للباحثين عدداً معيّناً من النماذج الاحتمالية خصائصها مدروسة في الموجزات. وقانون توزيع العينات بالنسبة لروائز الدلالة الأكثر رواجاً هي القوانين التالية:

– روائز غوس عن المتوسط أو النسبة (انظر المثال السابق).

– الروائز المبنيّة على توزيع X^2 أو معيار بيرسون لاختبار استقلال متغيّرين على وجه الخصوص أو نوعية توافق.

– روائز قائمة على توزيع T لستيودنت لروز قيمة المتوسط على وجه الخصوص أو تساوي المتوسطات.

– روائز F لفيشر ـ سنيديكور للتحقّق من فرض تباين واحد لفئتين من السكان طبيعيتين.

وروائز الدلالة الإحصائية لايمكنها أن تُستخدم براهين على فرض، على الرغم من فائدتها الكبيرة؛ وتطبيقها لايتّسم بأي سمة من الآلية ولا يمكنه أن يحلّ محل جهد الخيال لدى الباحث وتفكيره. (انظر في هذا المعجم: **اختيار العينة**، **التوزيع الطبيعي**).

J.M.M.

الـدمـاغ الأعلى

F: Cerveau

En: Cerebrum, Brain

D: Cerebrum, Gehirn

تكوّن عصبي يشتمل على نصفي الكرة الدماغية والبنيات التي توحّدهما.

كلمة «Cerveau» الفرنسية (الدماغ) تُستخدم في اللغة الدارجة مرادفاً لكلمة «encéphale» (الدماغ) أي كلية الكتلة العصبية التي يحتويها القحف، في حين أن الكلمة الأولى لاتكوّن سوى الجزء الأعلى منها*. ونلاحظ، في تطوّر الموجودات الحيّة العام، من وحيدات الخلية (كالأميبا)، المحرومة من الجملة العصبية، إلى الإنسان، توازي نمو الحياة النفسية والتنظيم العصبي. فليس ثمة، في المستوى الأدنى، سوى الانتماءات، والتوجّهات، وارتكاسات الهروب أو الابتعاد. ويبدو أن الذكاء يتزامن، في السلسلة الحيوانية، مع ظهور دماغ يتضمّن قشرة دماغية (كما هو الأمر لدى الثدييات)، ويتنامى بصورة تتناسب طرداً مع نمو هذه القشرة. ومردّ ذلك إلى ازدياد عدد الخلايا في القشرة الدماغية وعلى وجه الخصوص إلى ازدياد ارتباطاتها الداخلية. والدماغ الأعلى، في سلالة البشريات، نما نمواً تدريجياً وتكامل، ماراً من نحو 800 سم^3 لدى البقايا المتحجّرة من القرود الشبيهة بالإنسان المكتشفة في أفريقيا الجنوبية، التي عاشت منذ مليون من السنين، الى 1500 سم^3، حجمه في أيامنا هذه.

نمو الدماغ الأعلى: تنمو الجملة العصبية المركزية، خلال تكوّن الجنين، بدءاً من الراق الخارجي للمُعيدة، الأديم الظاهر. وفي الخط الوسطي الظهري من هذه

الوريقة، تبدو على التوالي ثخانة تُسمّى «صفيحة عصبية»، ثم انغماد هو «الميزاب العصبي» الذي يُنتج «الأنبوب العصبي». ثم تتكوّن، في الجزء الدماغي من هذا الأنبوب العصبي، ثلاث حويصلات يُشتق منها: 1- الدماغ الأمامي؛ 2- الدماغ المتوسط؛ 3- الدماغ الخلفي. ويولد الدماغ، حسب التعريف الموضوع في مقدمة هذا المقال، من الدماغ الأمامي، الذي سينقسم بدوره إلى **الدماغ الانتهائي والدماغ البيني**. فالأول يُنتج نصفي الكرة الدماغية، والثاني ينتج المهاد، والتصالبة البصرية، والمشاشة، والقمع، والمركّب تحت المهادي-النخامي.

تشريح الدماغ الأعلى: لدماغ الإنسان الراشد شكل نصف بيضوي طوله 16 سم، عرضه 14 سم، وارتفاعه 12 سم. وزنه المتوسّط 1100غ. إنه مقسوم إلى نصفي كرة يشغلان على وجه التقريب كلية حجم القحف. وهذان النصفان موصولان بحزم من الألياف العصبية، **الموصلات بين نصفي الكرة الدماغية**، أهمها **الجسم الثفني ثم المثلّث**. والوجه السفلي للدماغ مسطّح ويرتكز على قاعدة القحف، ومن الخلف على خيمة المخيخ (حاجز ليفي يفصل الدماغ عن الباقي من كلية الكتلة العصبية أي من encéphale). ويتألف الدماغ من المادة البيضاء (ألياف عصبية) والمادة الرمادية (الأجسام الخلوية). والمادة الرمادية تكوّن القشرة الدماغية التي تختلف كثافتها من 3 إلى 4 ملم وسطحها الكلي يبلغ أكثر من 2000سم^2. وتكوّن المادة الرمادية أيضاً النُّوى المركزية، أي المهاد، والنُوى المذنّبة والعدسية، والنوى اللوزية للفصوص الصدغية. وتشغل المادة البيضاء تلك الأجزاء الواقعة تحت القشرة الدماغية وبين النوى. وتربطها بالقشرة الدماغية (**ألياف الإسقاط**) بعض الألياف العصبية التي تكوّنها، وبعضها الآخر يقيم ارتباطات بين نصفي الكرة الدماغية أو بين الأماكن المختلفة من واحد من النصفين (**ألياف الترابط**).

وتجتاز القشرة الدماغية انخسافات بارزة قليلاً أو كثيراً: الشقوق والأتلام الثانوية. فالأولى تغوص حتى المادة البيضاء وتحفر **الفصوص الدماغية** في نصفي الكرة. والثانية، الأقلّ عمقاً، تحدّد التلافيف. ونلاحظ على كل نصف من نصفي

الكرة ثلاثة شقوق: **شق سلفيوس**، مائلاً إلى الأعلى والخلف؛ **شق رولاندو**، الذي يقترب اتجاهه من العمودي؛ **الشقّ العمودي الخارجي**، وهو أقلّ أهمية. وهذه الشقوق الثلاثة تحدّد الفصوص التالية: الجبهي، الجداري، الصدغي، القفوي. فـ **الفصّ الجبهي** يتّصل بالقطب الأمامي لنصفي الكرة الدماغية. إنه محدود من الخلف بشقّ رولاندو وبشق سلفيوس من الأسفل؛ ويقع **الفصّ الجداري** خلف شق رولاندو وأمام الشق العمودي الخارجي وفوق شق سلفيوس؛ ويقع **الفصّ الصدغي** تحت شقّ سلفيوس وأمام الشق العمودي الخارجي؛ ويقع **الفصّ القفوي**، الذي يتّصل بالقطب الخلفي، خلف الشق العمودي الخارجي. ويوجد أيضاً فصّ خامس، **فص الجزيرة**، الذي يقع في قاع شق سلفيوس، ولكنه غير مرئي تقريباً. والفصّ الجداري يستقبل رسائل الجلد والعضلات؛ إنه يمثّل منطقة الحساسية الشعورية. والفص القفوي فص الرؤية؛ والفصّ الصدغي فص السمع والتوازن؛ والفص الجبهي منطقة الحركية الإرادية. وتوجد، أمام شق رولاندو، التلافيف الجبهية الصاعدة، وهي المنطقة الحركية؛ وخلفه، توجد التلافيف الجدارية الصاعدة وهي منطقة حسّاسة: إن إليها تصل الألياف الحسّاسة الآتية من الجلد والعضلات.

إذا لاحظنا الوجه الداخلي لنصف كرة دماغية مجرّدة من الدماغ المتوسط، فإننا نجد: من الخلف، الشق العمودي الداخلي، مكافىء الشق العمودي الخارجي؛ ووراء هذا الشق، الفص القفوي، الموسوم بثلَم عميق جداً: **الشق المهمازي**؛ وعلى الجزء العلوي، نرى الطرف العلوي من شق رولاندو. وماهو أمام شق رولاندو يشكّل جزءاً من الفص الجبهي؛ وماهو واقع إلى الخلف ينتمي إلى الفصّ الجداري. وعلى الوجه نفسه، نكتشف شقاً جديداً هو **الشق الثفني الهامشي** الذي يحدّ التلفيف الطرفي. والباقي يمثّل الوجه الداخلي من الفص الصدغي، وجه يسمه تَلَم يتيح تمييز التلفيفين T4 وT5. والتلفيف الخامس الصدغي، الذي ينتهي إلى الأمام ملتفّاً حول نفسه، يسمّى **الحُصين**، ويُسمّى جزؤه الأمامي «خطّاف الحصين». وكل نصف من نصفي الكرة الدماغية محفور بتجويف

مركزي أو بطين يحتوي سائلاً رأسياً صلبياً. وهذا البطين الجانبي يتّصل بواسطة ثقب مونرو بالبطين الثالث، الواقع في المنطقة الوسطى من الدماغ، ويتصل من هنا بالبطين الرابع، على مستوى جذع الدماغ، بواسطة مسال سلفيوس.

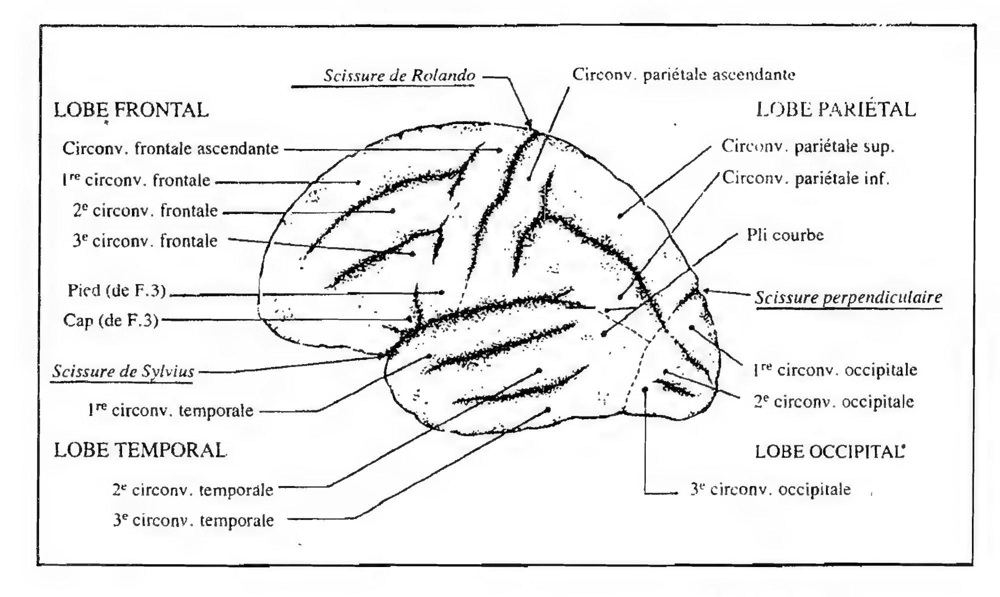
وخلايا القشرة الدماغية المرتّبة في ستة راقات منضّدة منظمة على نحو مختلف وفقاً لمختلف مناطقها ومتخصّصة إما في الاستقبال، وإما في اندماج الرسائل العصبية أو إصدارها. وخلال السنوات الأولى من الحياة، يستمرّ النضج العصبي، وتُقام ارتباطات عصبونية، ولكن العصبونات تحتاج إلى أن تتلقّى تنبيهات الوسط لتنمو وتصبح وظيفية. والواقع أننا إذا أغلقنا جفني وليد، فإننا نلاحظ، بعد بضعة أشهر، بالتحليل النسيجي، أن المناطق البصرية في قشرته الدماغية يطرأ عليها بطء كبير في النمو. فالتمرين ينمّي تكوين الارتباطات الداخلية ويجعل العصبونات التي كانت قد تلقّت التنبيه وظيفية. ولغياب التمرين مفعولات عكسية (تورستين ويسل ودافيد هوبل). وبيّنت أعمال الكنديين ولدَرْ غرافز بنْفيلد (سبوكان، واش، 1891 ـ مونتريال، 1976)، ل. روبرتس، أن نصفي الكرة الدماغية يكتسبان، خلال السنتين الأوليين من الحياة، تخصّصاً وظيفياً: النصف الأيمن يدرك العالم في غناه وتنوّعه، إذ يقوم مقام القاعدة لصناعة الصور الذهنية والفكر المشخّص؛ والنصف الأيسر «يبحث ويكتشف في هذا العالم شبكة منسجمة من الأسباب والنتائج» (فاديم ل. دوغلان، 1975) ويحكم الفكر المنطقي والمجرّد. فكلاهما يعمل عمله الوظائفي في تفاعل وثيق، إذ يتكاملان ويراقب أحدهما الآخر بالتبادل (سيرورة الكفّ). ويحافظ نصفا الكرة الدماغية، بفضل هذا التفاعل، على توازن حسّاس ودقيق بين فاعلياتهما.

والعمل الوظائفي الجيد للدماغ الأعلى مرتبط بتزويد أنسجته بالغلوكوز والأوكسجين، التي تستهلك منهما استهلاكاً كبيراً: 5/1 كلية الأوكسجين الذي تستهلكه العضوية أي 3,35 ملليتر/ بالدقيقة لكل 100غ من النسيج وبين 7 و17ملغ من الغلوكوز، حسب الفترة من اليوم، للكمية نفسها من النسيج. وبما أنه لا وجود

لاحتياط دماغي من الغلوكوز أو من الأوكسجين، فإن مفعول كل حادث (اضطراب وعائي، اختناق، إلخ) يوقف تغذية الدماغ بالأوكسجين (عوز الأوكسجين) أو بالغلوكوز (نقص سكر الدم) ويمكنه أن يسبّب آفات خطيرة. (انظر في هذا المعجم: **تحت المهاد، الدماغ المنشطر، المهاد**).

M.S.

(*)- يعرّف لسان العرب كلمة دماغ على النحو التالي: حشو الرأس، والجمع أدْمغة ودُمُغ. وأم الدماغ: الهامة، وقيل: الجلدة الرقيقة المشتملة عليه. ويبدو واضحاً أن كلمة دماغ هي المقابل العربي للمصطلح الفرنسي Engéphale وليس للمصطلح Cerveau إلا بمعناه الشائع «م».



1- **الدماغ الأعلى:** منظر خارجي.

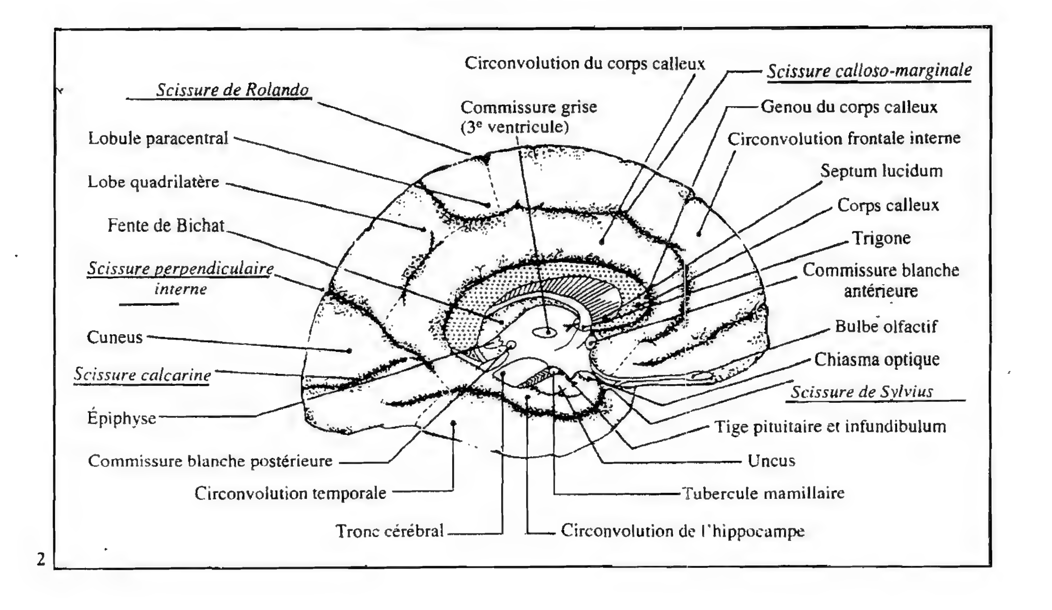
ترجمة المصطلحات التشريحية بدءاً من اليسار والأعلى:

الفصّ الجبهي: تلافيف جبهية: 1- تلافيف جبهية، 2- تلافيف جبهية، 3- تلافيف جبهية. قاعدة المنجل 3، رأس المنجل 3، **شقّ سلفيوس**، أول تلفيف صدغي.

الفصّ الصدغي: ثاني تلفيف صدغي، ثالث تلفيف صدغي.

شقّ رولاندو، تلفيف جداري صاعد.

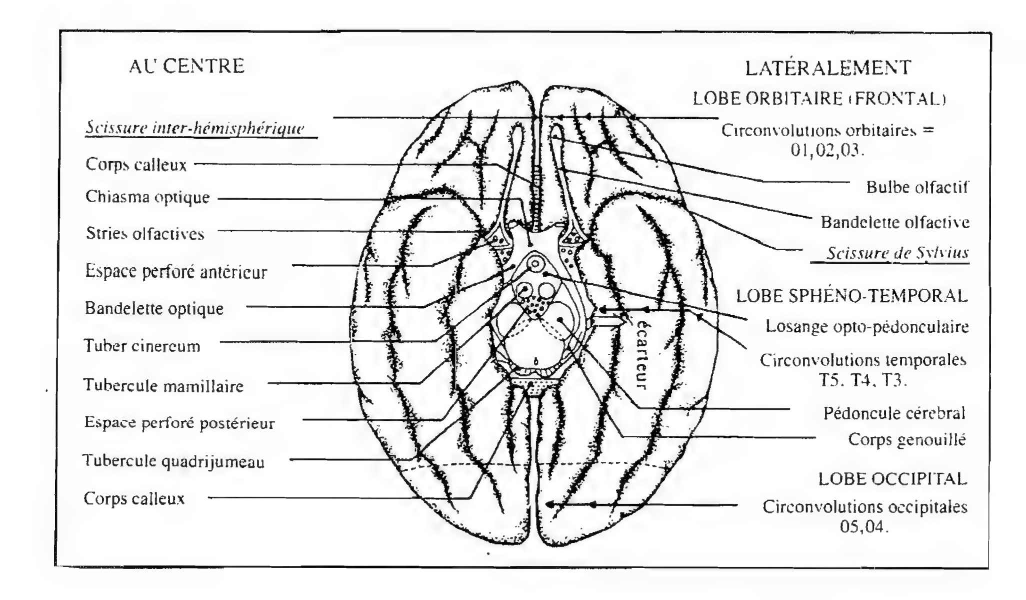
الفص الجداري: تلفيف جداري أعلى، تلفيف جداري سفلي، ثنية منحنية، شقّ عمودي، أول تلفيف قفوي، ثاني تلفيف قفوي، الفصّ القفوي، ثالث تلفيف قفوي.



2 ـ **الدماغ الأعلى**: منظر داخلي.

شقّ رولاندو، فصيص جنيب المركز، فصّ رباعي، فرجة بيشا، **شق عمودي داخلي**.

– وتد، شقّ مهمازي، مشاشة، صوار أبيض خلفي، تلفيف صدغي، جذع الدماغ، تلفيف الحُصين، حُدَيبة حَلَمية، معقف، ساق نخامية وقمعية، شقّ سيلفيوس، تصالب بصري، بصلة شمّية، صوار أبيض أمامي، مثلث، جسم ثفني، حاجز جليّ، تلفيف جبهي داخلي، ركبة الجسم الثفني، شق ثفني هامشي، تلفيف الجسم الثفني، صوار رمادي (البطين الثالث).



3 ـ **الدماغ الأعلى**: منظر سفلي.

في الوسط، شقّ بين نصفي كرة الدماغ، جسم ثفني، تصالب بصري، أتلام شمّية، فراغ مثقّب أمامي، عُصيبة بصرية، حَدَبة رمادية، دَرَنة حلَمية، فراغ مثقّب خلفي، درنة مربّعة التوائم، جسم ثفني.

جانبياً: فصّ حَجَاجي (جبهي)، تلفيف حجاجي = 01, 02, 03، بصلة شمّية، عُصيبة شمّية، **شق سلفيوس**، **فصّ وتدي صدغي**، معين بصري- سويقي، تلفيف صدغي [T5, T4, T3]، سويقة دماغية، جسم بديل للدربين البصري والسمعي، **فصّ قفوي**، تلفيفان قفويان [05, 04].

الدماغ البيني

F: Diencéphale

En: Diencephalon, Interbrain

D: Diencephalon, Zwischenhirn

جزء من كلية الكتلة العصبية التي يحتويها القحف، واقعة في قاعدة الدماغ، بين نصفي الكرة الدماغية.

الدماغ البيني أو «الدماغ المتوسط» يحتوي المهاد، أو الراقات البصرية، المؤلف من نواتين بيضاويتين ضاربتين إلى الرمادي، كبيرتي الحجم، تقعان جانبي البطين الثالث؛ وتحت المهاد، أو غدة الدماغ البيني، الذي يتكوّن من النوى فوق البصرية، القُمعية والحَلَمية؛ وجسم لويس و**المنطقة العائرة**، اللذين يبدوان كأنهما كتلتان من المادة الرمادية تقعان جانبي تحت المهاد. وتوجد النخامى معلّقة بالوجه السفلي من الدماغ البيني ومرتبطة بتحت المهاد بواسطة ساق عصبي (الساق النخامي)، وهي تشكّل مع تحت المهاد مركّباً تشريحياً ووظيفياً هو المركب تحت المهاد- النخامي، الذي يتّصف دوره بأنه أولّي. وتوجد الغدّة الصنوبرية (أو المشاشة) في الجزء الخلفي من الدماغ البيني، وهي عضو عصبي غدّي، حجمه كحبة حمّص، لونه رمادي، وشكله شكل كوز صنوبر، ودوره بوصفه غدّة صمّاء (داخلية الإفراز) أمر موضع خلاف.

والدماغ البيني هو المنظّم الأكبر للوظائف الإنباتية والحياة الغريزية الوجدانية. إنه يتدخّل في أيض (استقلاب) الماء، والشحوم، والسكّريات والبروتينات؛ وفي التنظيم الحراري، والجوع والعطش، والوظائف الجنسية. وهو

مركز يقظة الشعور، والتيقّظ، والنوم والمزاج. واستطاع بعضهم أن يلاحظ، خلال التدخّلات الجراحية العصبية في الدماغ البيني، تغيّرات مفاجئة في المزاج، ولاسيما حالات من إثارة الطبع الهوسي. كذلك تحوّلات الطبع يمكنها أن تكون ذات علاقة بأورام متموضعة في هذه المنطقة من الدماغ. وأخيراً، يرى بعض المؤلفين أن بعض الهذيانات الحادّة قد يكون سببها إصابة منتشرة في الدماغ البيني. (انظر في هذا المعجم: **الغضب المصطنع**، **تحت المهاد**، **الجملة الطرفية**، **المهاد**).

M.S.

الدماغ المعزول

F: Cerveau isolé

En: Cerveau isolé

D: Cerveau isolé

دماغ مقطوع عن باقي الجملة العصبية المركزية بفعل بضع الجذع الدماغي، بضع يُمارس على مستوى الجسر.

كان عالم الأعصاب الألماني ف. و. برومر قد استخدم هذه التقنية التجريبية لدى الهر، للمرة الأولى عام 1985. ومفعولها يكمن في إلغاء وصول السيّالات العصبية إلى قشرة الدماغ، سيالات تنقلها الأعصاب القحفية، باستثناء الزوجين الأول والثاني، أي الأعصاب الشمّية والبصرية. فنحصل، على هذا النحو، على حالة من «الإعداد» في وضع النوم الدائم، يُظهر البؤبؤين في حالة الانقباض (متضيّقين إلى الحدّ الأقصى) وعلى فاعلية قشرية كهربائية مزامنة (رسم التخطيط الكهربائي للدماغ يتألف من أمواج بطيئة ذات اتّساع كبير) تميّز حالات النوم. وعندما يُمارس البضع على مستوى الفقرات الضيقة، خلف البصلة على وجه الضبط، فإننا نتكلّم على **كلية الكتلة العصبية المعزولة** (encéphale [انظر ملاحظتنا في نهاية المقال عن **الدماغ** «م»]). وفي هذا الحال، تستمرّ حالة «الإعداد» في تلقّي موردات عديدة لأزواج الأعصاب القحفية الاثنتي عشرة كلها، وذلك أمر يشرح أن هذه الحالة من «الإعداد» تظلّ «مستيقظة» (رسم مخطط الدماغ الكهربائي يكشف وجود تناوب بين اليقظة والنوم). ولم يكن ثمة بدّ من أن يخلص برومر، في هذه المقارنة، إلى أهمية الإحساسات في الحفاظ على حالة اليقظة. وهذه الفكرة، التي

دافع عنها من قبل أ. سترومبل عام 1877، تتلاقى مع فكرة عالمي النفس الروسيين، سبورنسكي وغالكين، اللذين استطاعا أن يثيرا لدى الكلب حالات من النوم شبه الدائمة، بمجرد الحرمان التجريبي من الشمّ والرؤية والسمع. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط**).

N.S.

الدماغ المنشطر Split - brain

مصطلح انغليزي، مستخدم دون تغيير في اللغتين الألمانية والفرنسية، يدلّ على «دماغ متفكّك» أو على «دماغ مزدوج».

يُشار بهذا المصطلح إلى الحيوانات التي استئُصلت أليافها العصبية التي تصل نصفي الكرة الدماغية (الجسم الثفني والصوار الأمامي، على وجه الخصوص). ولهذا التدخّل الجراحي تأثير قليل على سلوك الحيوان، الذي يتحرّك ويلتقط المنبهات الحسية دون صعوبة، مع أن كل نصف كرة تعالج المعلومات التي تتلقّاها معالجة مستقلّة. ومن النادر جداً مع ذلك، في الظروف الطبيعية للفاعلية، أن يكون واحد من نصفي الكرة الدماغية هو الوحيد، على وجه الإطلاق، الذي يصله الإعلام لبعض الأحداث المدركة. والواقع أن تنبيهات عديدة جداً تبلغ نصفي الكرة الدماغية بصورة مباشرة (على الرغم من أن ذلك يحدث بنسب غير متساوية)؛ وتلك هي حال الرؤية على وجه الخصوص، عندما تكون العينان قادرتين على الحركة. فنقطع كذلك الألياف البصرية المتصالبة لدى الحيوان (استئصال التصالبة البصرية) بغية منع هذه المنبّهات البصرية الثنائية الواردة. والشبكية التي تغطّي النصف الخارجي (الصدغي) من العين يمكنها وحدها أيضاً، بعد هذا التشويه، أن تنقل إشارات إلى القشرة الدماغية، وينجم عن ذلك أن المعلومات التي تلتقطها عين لاتتوجّه إلا إلى نصف الكرة الواقعة في الجهة نفسها. ويمكننا على هذا النحو، حين نقنّع عيناً، أن ندفع الحيوان إلى فاعلية لايراقبها إلا نصف واحد من الدماغ.

ونتائج التجارب التي أُجريت على مثل هذه الحيوانات يمكننا تلخيصها على النحو التالي : 1) المكتسبات التي يحقّقها نصف واحد من نصفي الكرة الدماغية لاتنتقل إلى النصف الآخر عندما تكون الألياف الواقعة بين نصفي الكرة الدماغية قد استُئصلت قبل التعلّم ؛ 2) عندما يكون الاستئصال قد حدث بعد التدريب، نلاحظ، في روائز المراقبة، أن انتقالاً جزئياً قد حدث، وهو انتقال تقلّ أهميته بمقدار مايكون العمل أكثر تعقيداً؛ 3) إذا استُئصلت التصالبة البصرية وحدها (فالألياف بين نصفي الكرة الدماغية باقية إذن دون أن تُمسّ)، يكون الانتقال كلياً على وجه التقريب. وتتيح هذه الملاحظات أن نفترض أن ما كان موضع الانتقال، خلال التعلّم، إلى النصف من نصفي الكرة الدماغية، الذي لم يتدرّب، غير كاف، وأن هذا النصف ينبغي له، حتى يُطلق إجابات صحيحة، خلال رائز المراقبة، أن يكون بمقدوره أن يستمدّ المعلومات التي يحتاجها من النصف الآخر. ويُمارَس استئصال الجسم الثفني أحياناً على الإنسان لغايات علاجية. (انظر في هذا المعجم: **تناذر فكّ الارتباط**).

P.M.

الدموي

F: Sanguin

En: Sanguine, Sanguineous

D: Sanguinisch, Sanguinischer typus

في تصنيف الأمزجة لهيبوقراط، فرد يسود لديه المزاج الدموي. ويبدو، من الناحية المورفولوجية، فرداً جسيماً، ذا وجه تعلوه الحمرة؛ ارتكاساته سريعة: إنه، على وجه العموم، أنيس ومتفائل، ولكنه نزق وعنيف أيضاً. ومصطلح الدموي ينطبق، في تصنيف المدرسة الفرنسية الهولاندية لعلم الطباع، على أشخاص فاعليتهم أعلى من المتوسط (A)، يستجيبون مباشرة للانطباعات (P)، ويراقبون انفعالاتهم مراقبة جيدة (nE).

الدمويون أفراد قريبون جداً من **النموذج المنبسط** لدى ك. غ. يونغ، ولكنهم واقعيون وذوو دم بارد، وقحون في بعض الأحيان، يتقنون استغلال الأوضاع والاستفادة من الوسائل الطبيعية والاجتماعية التي تُتاح لهم. وإنهم، بوصفهم خدومين عن طيب خاطر، موضع تقييم بحماستهم للعمل ووضوحهم في الحياة العادية، وحسّهم العملي وحسّهم الدبلوماسي في العلاقات الاجتماعية. وهم يتصرّفون بجرأة ولا يتراجعون أمام الخطر. فمازاران، وفولتير، وتاليران، ينتمون الى هذا النموذج، نموذج الطبع الدموي. (انظر في هذا المعجم: **الطبع، هيبوقراط**).

N.S.

الدوبامين **F: Dopamine**

En: Dopamine

D: Dopamin

وحيد الأمين يُركّب في العضوية انطلاقاً من الدوبا.

الدوبامين يمكنه، بوصفه المعلن عن النورادرينالين، أن يؤدّي دور الناقل في الوصل العصبي. ونجده على وجه الخصوص في الدماغ، لاسيّما في النُوى المذنّبة والعدسية. ويفضي تحلّل الدوبامين بواسطة .M.A.O إلى تكوّن الحمض الونيلي المتماثل، أو H.V.A، الذي نجده في البول والسائل الرأسي الصلبي. والمقدار من هذا الحمض في السائل الرأسي الصلبي يُخبر عن كمية الدوبامين الدماغية. ويُلاحظ في مرض باركنسون ضرباً من النقص في الحمض الونيلي المتماثل، وذلك أمر قاد إلى استخدام L.Dopa بوصفه علاجاً سببياً لهذا المرض. (انظر في هذا المعجم: **النورادينالين**، **مرض باركنسون**).

M.S.

دوباميني النشاط **F: Dopaminergique**

En: Dopaminergic

D: Dopaminergisch

مصطلح توصف به عصبونات تركّب الدوبامين ولا تحوّله الى أدرنيالين.

بيّنت التقنيات الحديثة في الملاحظة (فلورة النسج، المجهرية الألكترونية، الخ) تنظيم الجمل العصبية المركزية. وعلى هذا النحو إنما استطاع بعضهم أن يحدّد أماكن مجموعات من العصبونات الدوبامينية النشاط، كما في النُوى المترابطة والنواة القوسية. وإسقاطاتها تذهب نحو النواة المذنّبة وجزء من اللوزة. (انظر في هذا المعجم: **الوسيط الكيميائي، الوصل العصبي**).

M.S.

الــدور

F: Rôle

En: Role

D: Rolle

نصّ يتعلّمه ممثّل وهو، بالتعميم، تصرّف متوقّع من شخص نعرف وضعه في جماعة معيّنة.

نظرية الدور، التي تكوّن النظرية الأكثر نوعية من نظريات علم النفس الاجتماعي، تتبنّين حول عدّة مفهومات أساسية، كمفهومات الدور، والوضع، والإجماع، والتوقّع المعياري، التي تحيل معاً إلى البنية الاجتماعية والأفراد المشخّصين الذين يؤلفون المجتمع. وهذا هو السبب الذي من أجله أمكن بحق اعتبار مفهوم الدور أنه الحلقة الأكثر أهمية بين علم الاجتماع، وعلم النفس، والأنتروبولوجيا، والطب النفسي، بين دراسات الجماعة ودراسات الأفراد.

ومصطلح الدور يعني أول الأمر، من الناحية الاشتقاقية، «ورقة مبرومة تتضمّن كتابة» من جهة، و«ماينبغي أن يتلوه ممثّل في مسرحية» من جهة أخرى، ليتّخذ أيضاً فيما بعد معنى «الوظيفة الاجتماعية»، «المهنة». ومعانيه في اللغة الدارجة، كثيرة، «شخصية»، أو «درامية»، أو «اجتماعية»؛ إنها تدلّ تارة على «الاتجاه»، غير الحقيقي على الغالب، لدى شخص، وتارة على «تجزئة ممثّل»، وتارة أخرى على «وظيفة اجتماعية»، وطوراً أيضاً على «فاعلية اجتماعية ذات أهمية» (مثال ذلك: «يؤدّي دوراً في الأعمال»).

وكان مفهوم الدور على الغالب، فيما يخصّ علم النفس الاجتماعي، مرتبطاً بمفهوم **الوضع** أو «الموقع الاجتماعي الذي يحتلّه فرد في منظومة اجتماعية». وترتبط بكل وضع طُرُز من التصرف تملي على الأفراد الذين يحتلّونه كيف ينبغي لهم أن يسلكوا، لاسيّما إزاء أولئك الذين يشغلون الوضع المكمّل (مثال ذلك المستخدِمون إزاء مستخدَميهم، والآباء إزاء أبنائهم). وهذه الطرز من التصرف تكوّن الدور، الذي يمكننا أن نعتبره الجانب الدينامي من الوضع على هذا النحو. ويُعرّف دور معيّن من الأدوار، تعريفاً مشخّصاً، بتوقّعات أعضاء الجماعة، وسمته الآمرة، بل القاسرة، بالنظر إلى أنها ناجمة عن الاتفاق على هذا التوقعات أو عن «الإجماع». وبوسعنا على هذا النحو أن نقول إن الدور طراز منظّم من التصرّف، خاصّ بوضع معيّن لفرد من الأفراد في جماعة، يحدّده إجماع أعضاء الجماعة وذو قيمة وظيفية لهذه الجماعة. فأي دور يتضمّن من جهة حقوقاً وواجبات، ويتضمّن من جهة أخرى اتجاهات وسمات طبع، تُعتبر أنها تشجّع الإنجاز الجيّد للدور. وقد يشغل أفراد عديدون وضعاً معيّناً، يؤدّون الدور ذا العلاقة. وقد يحتلّ فرد واحد عدة أوضاع، بالمقابل، ويملك على هذا النحو مجموعة كاملة من الأدوار. ولكن دوراً واحداً من هذه الأدوار هو المنشّط في لحظة معيّنة، دوراً يحكم كل السياق ذي العلاقة بالوضع؛ وتظلّ الأدوار الأخرى كامنة مع أنها تمارس في الوقت نفسه ضرباً من مفعول الهالة على أسلوب تأدية هذا الدور. فالدور لايمكنه أن يُدرك في تصرّف الأفراد إدراكاً مباشراً. إنه يكوّن الطراز الاجتماعي الذي يُفترض أن السلوكات المشخّصة تحاكيه. ويكوّن الدور المشخّص على نحو من الأنحاء تسوية بين الدور نفسه، والطراز النظري، والمحدّدات الشخصية والوحيدة لدى الفرد.

ويمكننا، بناءً عليه، أن ننظر إلى الدور من ثلاثة مستويات مختلفة من الواقع الاجتماعي: 1) المستوى السوسيولوجي للطراز، للدور الاجتماعي النظري؛ 2) المستوى السيكولوجي للفرد الذي يدرك هذا الدور ويفسّره ويؤديه؛ 3) المستوى

النفسي الاجتماعي للتفاعلات، مستوى ينقل فاعلون إلى الواقع الاجتماعي هذه الطرز منه، وفق شخصياتهم، وتبعاً للشركاء، والوضع المشخّص، وحسب سير التفاعلات.

وإذا نظرنا إلى الدور نفسه، **الطراز**، فإن بوسعنا القول إن الإجماع الذي يحدّده ويمنحه سمته القاسرة غير كلّي على الإطلاق. فدرجة الوفاق تختلف، في عداد عوامل أخرى، وفق الجزء المنظور إليه من الدور. وبعض التصرّفات، التي تكوّن «الصفة المركزية» من الدور، إلزامية ويتوقّعها كل أعضاء الجماعة، في حين أن تصرفات أخرى تعتبر اختيارية. ويختلف الوفاق أيضاً تبعاً للجماعة التي تحدّد الدور: والواقع أن الأفراد الذين يحتلّون الوضع النظير هم في الأغلب منسجمون (إجماع مرتفع) أكثر من أولئك الذين يحتلّون الموقع المشترك، وهؤلاء منسجمون أكثر من الأشخاص الذين يقعون خارج المنظومة الاجتماعية التي يكوّنها هذان الوضعان. وكانت درجة الوفاق بين الأفراد الذين يشغلون أوضاعاً مختلفة موضع دراسة باسم **إجماع بين موقعي**. ولكن الوفاق، حتى في كنف موقع واحد، غير كلّي، بالنظر إلى أن تصوّر كل فرد تسمه انتماءات أخرى، والأدوار الأخرى من مجموعة أدواره. وهذا الإجماع، أو **الإجماع داخل الموقعي**، غير مرتفع في المجتمعات المعقّدة، ذات التطوّر السريع، وذلك أمر يولّد ضرباً من عدم الأمن ونزاعات على مستوى الفرد. والأدوار الاجتماعية تجسّد على نحو من الأنحاء، على مستوى نظري، التفاعلات المشخّصة الكثيرة التي تجري في المجتمع، وهي، كالأفراد، يرتبط الواحد منها بالآخر بروابط تبعية وتبادلية كثيرة. فعدد الأدوار الاجتماعية وطبيعتها، كذلك الأسلوب الذي يرتبط به بعضها ببعض، تكوّن اللوحة لمجتمع معيّن في فترة معيّنة من تاريخه.

وإذا نظرنا إلى الدور من وجهة نظر **الفرد**، فإن على هذا الفرد، أن يتعلّم مختلف الأدوار في حياته، وفي كنف أسرته منذ بداية هذه الحياة، أسرة تقدّم إليه

مع ذلك تفسيراً نوعياً لها. ولكن على الشخص أيضاً، حتى يكون بمقدوره أن يؤدّي دوراً اجتماعياً، أن يعرف الدور المعاكس؛ فليس بوسعه أن يكيّف سلوكه مع سلوك شريكه إلا إذا كان قادراً أن يضع نفسه مكانه مؤقتاً، في دوره، وأن يرى نفسه على هذا النحو كما يراه الآخر. وهذه الآليات والتصرّف، آليات الدور وتصرّفه، يكتسبهما الطفل الذي يتعلّم على هذا النحو، بالتدريج، أن يتباعد عن ذاته وأن يضع نفسه في منظور الآخر. والأفراد يمكنهم أن يستدخلوا الأدوار، وهذا الاستدخال يكوّن أساس التوحّد [التماهي]، و«الأنا العليا» وكل السيرورات التفكّرية (كالنقد الذاتي والملاحظة الذاتية) التي تكمن، بالنسبة للشخص، في أن يمارس إزاء ذاته دور الآخر ويرى نفسه كما يراه الآخر. وإذا كان ممكناً للشخص أن يفقد أصالته وحقيقته في الأدوار التي يؤدّيها - إما أن ينتقل من دور إلى آخر كما «دوّارة هواء»، وإما أن يتوحّد بأحدهما توحداً صلباً -، فإن تعذّر أن يضع المرء نفسه ذهنياً في دور الآخر، وفقر مجموعة الأدوار، وعجزه عن الانتقال بيسر من دور إلى آخر، تميّز موقف العصابي أو تميّز، أقلّه، موقف الشخص السيىء التكيّف، السيىء الاندماج الاجتماعي، والمتمحور على ذاته.

ويمكننا القول، على مستوى **التفاعل**، إن الأدوار التي يؤديها الأفراد تسهّل التواصل، من حيث أنها تتيح التنبّؤ بتصرّفات الآخرين وفكّ رموزها. وقد تحدث مع ذلك نزاعات أدوار، **نزاعات بين شخصية** وضروب من سوء التفاهم، ناجمة عن تعريفات مختلفة للدور الواحد، ونزاعات **داخل الأشخاص** ناجمة عن كون الفرد مرغماً على أن يمتثل، في لحظة واحدة، لدورين أوامرهما مختلفة.

وكانت الأدوار الاجتماعية معتبرة على الغالب كابحاً لعفوية الفرد وتطوّر المجتمع. ومع ذلك يؤدي الفرد ويفسّر، من جهة، على طريقته الأدوار التي يمكنه على الغالب أن يختارها اختياراً حراً، وليست الأدوار الاجتماعية نفسها محدّدة من جهة أخرى تحديداً نهائياً، وتثير نزاعات الدور أيضاً تحوّلات في الأدوار ذاتها، ولو

أنها ترغم الأفراد على اختيارات أو على تسويات. إن الأدوار، بوصفها تحدّدها توقّعات الأفراد، تتعدّل عندما تتغيّر هذه التوقعات: الواقع أن تصرفات الدور تتعدّل، تحت تأثير شروط جديدة، لاسيّما الاجتماعية الاقتصادية، وذلك أمر يسبّب توقعات جديدة، «إجماعية» أكثر فأكثر، ويفضي إلى دور جديد. وبوسعنا القول على هذا النحو إن هذا المفهوم الذي ينتمي إلى علم النفس كما إلى علم الاجتماع، يمكنه أن يكون مصدر استقرار ومصدر تغيّر على حدّ سواء، بالنسبة للشخص وللمجتمع معاً. (انظر في هذا المعجم: **الشخصية الثقافية، الشخصية، تبادلية ضروب الشعور، الاتجاه الاجتماعي، الوضع**).

A.M.R.

الــدور (تمثيل الدور)

F: Rôle (Jeu de rôle)

En: Role playing

D: Rollenspiel

تقنية تعليم وتكوين نفسية درامية.

التعليمات التي تُعطى للمشاركين تكمن في أن يمسرحوا ويمثّلوا، وفق وهم مسرحي، علاقات بين إنسانية يمكنها أن تكون موجودة بين شخصين أو أشخاص عدّة. والهدف التعليمي (أو البحثي) من تمثيل الدور هو أفضل فهم للتفاعل الإنساني، الذي يُساق الفرد إلى أن يستخدمه استخداماً مهنياً. وكانت التقنية النفسية الدرامية قد استُعملت في المجال التجاري، وفي الصناعة والتعليم. وبوسعنا في الواقع أن نعلّم الباعة أو الممثّلين التجاريين أن يستخدموا علاقة البيع استخداماً أفضل، بعد أن يخبروا صعوباتها ووجوهها المختلفة. وكذلك الأمر فيما يتعلّق بالمشكلات العلائقية في إدارة مشروع.

وكان تمثيل الدور قد أُدخل في التعليم الطبي، بالولايات المتحدة الأمريكية، بالنسبة للمقاربة التعليمية للعلاقة طبيب- مريض. ونستخدمها أيضاً، منذ عدة سنين، بهذا القصد، مع طلاب ومع أطباء عموميين. والوصف الذي سنصف به هذه الطريقة، المستخدمة في هذا الإطار، يمكنه أن ينطبق على كل الجماعة المهنية المدعوّة لممارسة العلاقة بالآخر: مستخدمي العناية بالمرضى، العمال الاجتماعيين، علماء النفس، رجال الدين أو المحامين، على سبيل المثال.

وتبنين تمثيل الدور يمكنه أن يكون مختلفاً جداً، وفق وجهة النظر النظرية أو الطرائقية التي يتبنّاها المدرّس. والتعليمات بسيطة جداً؛ إنها تكمن في أن نجعل ماتباشر الجماعة عرضه ومناقشته، فيما يخصّ علاقة الطبيب المريض الخاصّة، ماثلاً في تمثيل مسرحي. ويتشخّص المشكل الفكري على هذا النحو في واقع درامي، محسوس ووجداني، خلال المشهد كله، بالنسبة للممثّلين والمشاهدين. فمنح صياغة درامية مسرحية يجعل التسويات السيكولوجية محسوسة بالنسبة لكل فرد بصورة مباشرة.

وتمثيل الدور يمكنه أن يتّخذ مظاهر مختلفة، وفق الخلفية النظرية والطوائقية. فنحن، في تعليمنا، نحثّ المشاركين، المجتمعين في زمر تتألف الزمرة من ثمانية إلى خمسة عشر شخصاً، على أن يعرضوا ويناقشوا حالة تشكّل فيها العلاقة المهنية طبيب- مريض أو طبيب- ممرّضة مشكلاً. وثمة، بالنظر إلى أن النقاش حرّ كل الحرية، خلافات في الرأي، إن لم نقل نزاعات، فيما يخصّ أسلوب فهم هذا الوضع العلائقي أو ذاك، لاتلبث أن تنبعث. ويوحي المرشد عندئذ في أن يُمثّل واحد من الأوضاع الموصوفة. فننتقل عندئذ من مستوى العقلنة النظرية إلى المستوى المشخّص. وأحد المشكلات الأكثر طرحاً على الغالب هو مشكل الموقف الذي ينبغي للطبيب أن يقفه أمام مريض مصاب بالسرطان، وعلى الوجه الأخصّ ذلك المشكل الذي مفاده أن نعرف ماينبغي للطبيب أن يقوله للمريض عن مرضه. ويبدأ التمثيل منذ أن يقبل مشارك دور الطبيب ومشارك آخر دور المريض. وتنبعث خلال المناقشة التي تلي التمثيل اعتراضات ونزاعات جديدة، وتبدو حلول ومخارج مختلفة. وهذه الأوضاع المختلفة يمكن أن يمثّلها المثلون أنفسهم أو ممثلون آخرون، ويستمرّ ذلك حتى استنفاد الموضوع.

وتكمن وظيفة المرشد في أن يفسّر مايحدث، ولكن دون أن يتجاوز أبداً إطار القطاع المهني الذي تتطلّع الجماعة إلى أن تعرفه معرفة أفضل. فالمدرس لايمثّل دوراً أبداً ولايقترح أي طراز من العلاقة أُسبغ عليه الكمال، لأن ذلك يمكنه أن يكبح

المشاركين. وإلى هؤلاء يعود أمر أن يجدوا بأنفسهم، خلال التمثيل، طرازاً أو عدة طرز يمكنهم من جهة أخرى تعديلها أو تغييرها فيما بعد، حسب التجربة المكتسبة خلال الجلسات.

ويتيح تمثيل الدور تجنّب مانعين هامّين يصادفهما الممارسون عادة، في بداية مهنتهم، عندما يحدث تعليم العلاقة بين الإنسانية مع المرضى مباشرة (أو مع الزبُن إذا كان الأمر أمر خدمة اجتماعية، على سبيل المثال). والمانع الأول يكمن في أن الإنسان لايمكنه أبداً، في الواقع، أن يرجع عمّا حدث. فالزمن المخصّص للمريض لايمكن الرجوع عنه وشكل العلاقة القائمة معه يصعب تعديلها. أما في تمثيل الدور، فإن بالإمكان، على العكس، أن يتملّص المشارك من هذه اللاانعكاسية ويعالجها؛ فبوسعه أن يكرّر وضعاً واحداً إذ لايعدّل إلا مَعْلماً واحداً أو أن يطلب إلى أحد المشاهدين ألا يعبّر عن رأيه فحسب، وإنما أن يعيش هذا الرأي أيضاً إذ يمثّله أمام الأشخاص الآخرين. والمانع الثاني يرتبط بواقع مفاده أن لقاء مهنياً، سواء أكان لقاء طبيب ومريضه أم لقاء محام وزبونه، ينتهي دائماً باتخاذ قرار. والحال أن المرء سيجهل دائماً، في الممارسة الواقعية، تلك المفعولات التي كان قرار مختلف بإمكانه أن يُحدثها. أما في تمثيل الدور، فإن كل التحوّلات متاحة على العكس، ومن الممكن تماماً أن تُقترح، بعد تمثيل أول، نسخة ثانية ستُفحص خلالها مفعولات قرار جديد.

ويقتبس تمثيل الدور الموصوف على هذا النحو عناصره الدينامية، أولاً، من **جماعة النقاش**؛ وغرض الجماعة «غيريّ التمركز»، أي متمركز على علاقة تقع خارج الجماعة نفسها. فالمناقشة تُستخدم وسيلة تواصل. ويقتبس عناصره، ثانياً، من **الدراما النفسية**: إن التمثيل يمنح الأوضاع المثارة صياغة درامية مسرحية؛ وثمة نهج مفاده تبادلات الأدوار. ويفسّر المدرسون مايحدث في الوضع الذي جرى تمثيله. ويقتبس عناصره، ثالثاً، من **جماعة التكوين**، **نموذج بالان**: والمقصود تعليم علم نفس طبي، تعليم ليس نهجه إعطاء معلومات، بل يمنح المشاركين فرصة

اكتساب ضربٍ من المهارة، من المعرفة العملية المهنية، بواسطة التمثيل الدرامي لأوضاع مستخلصة من الواقع.

ومدة التكوين بتمثيل الدور مختلفة جداً. وتبدو لنا عشرية من الجلسات، يفصل بين الواحدة والأخرى أسبوع، حداً أدنى، مع أن التجربة بيّنت أن جلسة واحدة أو جلستين يمكنهما أن تكونا كافيتين لجعل المشارك حسّاساً، إن لم تكونا كافيتين لتكوينه، للعلاقة بين الإنسانية. (انظر في هذا المعجم: **جماعة بالآن**، **علاقة الطبيب– المريض**، **الدراما النفسية**).

P.B.S.

دوركهايم (إميل) Durkheim (Émile)

فيلسـوف وعـالم اجتمـاع فـرنسي وباحث في الأخـلاق (إيبنال، فـوج، 1858- باريس، 1917).

المجتمع، في رأي دوركهايم، أكثر من تجمّع من الأفراد بكثير ومختلف عنه: إنه موجود يفكّر ويعمل «على نحو مختلف تماماً عمّا يفعله أعضاؤه لو كانوا منعزلين»؛ إن له تصوّرات جماعية، **وجداناً جماعياً** ينعكس في كل مايتجاوزنا ويقسرنا: الأخلاق، المثُل الاجتماعية والوطنية، الدين، المؤسّسات. فلكل متّحد أخلاقه يعبّر عنها دستوره. والوجدان الاجتماعي- السابق على الوجدان الفردي لأن الفرد يولد في جماعة اجتماعية- يستدخله الأفراد كلما جرت سيرورة التنشئة الاجتماعي. والمؤسسات الاجتماعية، كالأسرة والمدرسة ودور العبادة، هي الأماكن ذات الامتياز حيث تجري هذه التربية. ويتعلّم فيها الطفل أن يتعاون مع مثيله، ويحترم قواعد الحياة المتّحدية، «ويؤدي واجبه لأنه واجبه»، ويشارك في الجهد المشترك، ولكنه يتعلّم أيضاً أن يفكر ويحس كأشخاص محيطه. إن اندماجاً اجتماعياً سيئاً يولّد اضطرابات سيكولوجية خطيرة بل هو سبب الانتحار، ذلك مايبيّنه دوركهايم في كتابه **الانتحار، دراسة في علم الاجتماع** (باريس، ألكان، 1897). ويحتاج الإنسان إلى أن يشعر أنه متضامن مع الآخرين، وينتمي إلى متّحد جيّد التبنين يقوده إلى أن يخرج من ذاته، ويوفّر له المناسبة للتحمّس إلى قضية، فكرة، مشروع، ذلك أن «الفرد يحرص على ذاته بقدر ما لايحرص إلا على ذاته». ونسبة حوادث الانتحار هي، في رأي دوركهايم، كاشف حقيقي عن العسر الموجود

في المجتمع: إنها الأكثر ارتفاعاً حيث تكون الروابط الاجتماعية هي الأكثر ضعفاً وحيث تنحلّ البنيات الأسرية والدينية.

فلنذكر، من المؤلفات الرئيسة لهذا المؤلف: **قواعد الطريقة السوسيولوجية** (باريس، ألكان 1895)؛ **الأشكال الأولية للحياة الدينية: النظام الطوطمي في أوستراليا** (باريس، ألكان 1912)؛ **التربية وعلم الاجتماع** (1922، إعادة طبع، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1973)؛ **التربية الأخلاقية** (باريس، ألكان، 1925)؛ **التطور البيداغوجي في فرنسا: 1- من الأصول إلى عصر النهضة؛ 2- من عصر النهضة إلى أيامنا هذه** (باريس، 1987). (انظر في هذا المعجم: **الأنوميا** [**فقدان التنظيم**]).

N.S.

ديكارت (رونه) Descartes (René)

فيلسوف فرنسي (لاهاي، تُسمى حالياً لاهاي ديكارت، إندر- و- لوار، تورين، 1596 - ستوكهولم، السويد، 1650).

لم يكن ديكارت، مؤسّس العقلانية ذات التوجّه العلمي، ميتافيزيئاً إلا ليؤسّس مشروعه العام، مشروعاً هدفه فهم نظام العالم (العلم)، كيما يستخدم هذه المعرفة ليتدخّل في هذا العالم (العلوم التطبيقية). وذلك هو ماتعنيه «شجرة الحكمة» «التي جذورها هي الميتافيزياء، وجذعها الفيزياء، وأغصانها كل العلوم الأخرى التي تخرج من العلوم الثلاثة الرئيسة: الطب، والميكانيك، والأخلاق». ويؤمّن ديكارت، بعد أن تخلّص بـ«الشك المنهجي» من أفكاره المقبولة وشهادة حواسه، نهوجه الأولى بواسطة الـ **Cogito, erg sum** (أفكّر، إذن أنا موجود). ويعدّ ديكارت في الوقت نفسه **طريقته** (البحث عن أفكار واضحة ومتميّزة، تدريج الصعوبات، الاستدلال). ومن البدهية الأولى (**أفكر، إذن أنا موجود**)، ينبغي على وجه الخصوص أن تسترعي انتباهنا هنا القضيتان الموجبتان اللتان يجد الفكر الغربي نفسه حتى أيامنا هذه يواجهها: القيمة الأنطولوجية لهذه المعرفة، معرفة الفكر بفعله ذاته، من جهة؛ ومن جهة ثانية، التأكيد أن «النفس تفكّر دائماً» (الأمر الذي يعني نفي وجود مانسمّيه في أيامنا هذه «اللاشعور». وتظهر السيكولوجيا الديكارتية على وجه الخصوص، في مؤلّفه **انفعالات النفس** (1649)، المكتوب بالفرنسية من أجل الأميرة بالاتين. ويبيّن المؤلف، إذ يكافح ثنائية النفس- الجسم، أن النفس ترتبط، في واقع الوجود، ارتباطاً ملازماً بالجسم وبكل أجزاء الجسم

بواسطة نقطة رسوخ تشريحي يجعل موقعها في الغدة الصنوبرية (المشاشة) لأنها في مركز الدماغ. والانفعال حالة من اضطراب النفس، مرتبطة بشروط جسمية عضوية نوعية وبمظاهر يمكننا ملاحظتها (يصف ديكارت هذه العلامات النفسية الفيزيولوجية). ويذكر ستة انفعالات: الدهشة، والحب، والكره، والرغبة، والفرح، والحزن. وليس ممكناً على الدوام، يقول ديكارت، عمل مباشر تقوم به النفس لتلطيف الانفعالات، ولكن على المرء «أن يكون بصيراً على الدوام ويتذكّر أن كل مايمثل للخيال تحت ضغط الانفعالات ميّال إلى أن يخدع النفس». وليست أخلاق ديكارت كامنة في إلغاء الانفعالات (الرواقية)، ذلك أن «النفس مرتبطة بالجسم»، وإنما الانتفاع من الأهواء وتغيير طبيعتها. والفضيلة الديكارتية الرئيسة هي **النبل**. إننا رأينا في كتاب الانفعالات ذلك العمل المؤسّس لعلم النفس الفيزيولوجي، ويرى فيه بعض علماء النفس، كإدوان غاريّغ (1886 - 1968)، رائد السلوكية. ولنذكر أيضاً من مؤلفاته مؤلفه **مقال في الطريقة لقيادة العقل الجيّدة والبحث عن الحقيقة في العلوم**، يليه ثلاث محاولات في هذه الطريقة: **علم انكسار الأشعة، الظاهرات الجوية، الهندسة** (1637) و**تأملات في الفلسفة الأولى (تأملات ميتافيزيائية**، 1641 - 1642) (انظر في هذا المعجم: **المرض الخلاّق**).

R.M.

ديكرولي (أوفيد) Decroly (Ovide)

طبيب وعالم في علم النفس التربوي بلجيكي (رونه، بلجيكة، 1871 – إوكل، ضاحية بروكسل، 1932).

يؤسس ديكرولي في بروكسل، مكان إقامته، معهد التعليم الخاص، للمتخلّفين وغير الأسوياء (1901) ويعدّ فيه بيداغوجيا سيكولوجية تتلاءم مع تنوّع الحالات التي ينبغي أن يعالجها. ويمدّ فاعليته، عام 1907، على تربية الأطفال الأسوياء ويبتكر مدرسة برنامجها محدّد على النحو التالي: «للحياة وبالحياة». ويريد ديكرولي، الذي كان قد ربّي في الموروث الروسّوي، أن تكون المدرسة قائمة في إطار طبيعي، أي في وسط بحيث يكون بوسع الطفل أن يشهد يومياً ظاهرات الطبيعة، ويلاحظ الموجودات الحيّة وجهودها للتكيّف مع شروط الوجود المتوافرة لها. ويريد أن تصبح المدرسة بالنسبة للطفل استطالة وسطه الطبيعي قريبة من الواقع قدر الإمكان. ويعتقد دكرولي أن التربية ينبغي لها أن تكون متمحورة على حاجات الطفل الأساسية واهتماماته: التغذية، حماية نفسه من سوء الأحوال الجوية، حماية نفسه من الأخطار الخارجية، العمل والتجدّد، التقدّم. وكل المكتسبات قائمة على الملاحظة والعمل. فالطفل يجني العناصر إذن (وقائع ووثائق) هو ذاته، عناصر تُعدّ معارفه انطلاقاً منها. وسيقيس، على سبيل المثال، الأطوال، والأحجام، والمكاييل؛ وسيزور الورشات، والمزارع، والمعارض. ثم سيقارن هذه العناصر بعناصر أخرى (مكتسبات سابقة) وأخيراً، سيعبّر عمّا أدركه وحفظه تعبيراً مشخّصاً (الرسم بقلم الرصاص، الرسم الزيتي، صناعة النماذج، صناعة

الأشياء)، أو في تمثيل مسرحي، أو على شكل قصة أيضاً (شفهية، مكتوبة، مطبوعة). وسينجز الطفل، فضلاً عن الأعمال اليدوية، أعمالاً حقيقية (البستنة، النجارة. . .) ويألف الأدوات الحقيقية. أضف إلى ذلك أن المدرس (والصف) ستُعتبر، مادام الطفل موجوداً اجتماعياً وينبغي إذن أن يُهيّأ للحياة في المجتمع، **مجتمعاً في ذاته حيث كل فرد يمكنه أن يشعر بحريته ويضطلع بالمسؤوليات الملقاة** على عاتقه (تنظيم المتّحد متروك في الظاهر إلى مبادرة التلاميذ، لكن المعلمين يتدخّلون في حالة الضرورة).

وتنجم فكرة أساسية أخرى من بيداغوجيا أوفيد ديكرولي عن مفهومه لـ«وظيفة الإجمالية». فالطفل الصغير، في رأي هذا المؤلف، يفهم الموضوعات التي تحيط به فهماً على نحو إجمالي ولامتمايز، والأحداث، والأفعال، والأفكار. وينجم عن ذلك أن كثيراً من المهمّات المدرسية تتطلّب أن يُعاد التفكير فيها، ولاسيّما القراءة والكتابة. ونشر ديكرولي مقالات عديدة تناولت علم نفس الطفل، والروائز العقلية، ولكنه لم يترك مؤلفات توليفية لطريقته. فلنذكر من كتاباته: **التدريب على الفاعلية العقلية والحركية بالألعاب التربوية** (مع السيدة مونشام، نيوشاتل، دولاشو ونيستله، 1914)؛ **نحو مدرسة متجدّدة** (مع غ. بوم، باريس، بروكسل، 1921)؛ **وظيفة الإجمالية وتطبيقها** (بروكسل، 1929). وعرفت طرائق ديكرولي البيداغوجية خطوة كبيرة لدى المربين الغربيين، وكانت أفكاره موضع تبنٍّ كلي بالنسبة للتعليم الأوّلي في بلجيكة. وتوجد في فرنسة، منذ بداية الخمسينيات من هذا القرن، في سان-مانده (فال-دو-مارن)، مدرسة ديكرولي تستقبل 300 تلميذ، من الحضانة حتى الصف الثالث؛ إنها تابعة للتعليم العام ولها نظام المدرسة التجريبية. (انظر في هذا المعجم: **المدرسة الفعّالة**).

J.S.T.

ديلته (ولهايم) Dilthey (Wilheim)

فيلسوف ألماني (بيبريخ، ريناني، 1833 – سيس، تيرول، 1911).

علّم ديلته، على التوالي، في برسلو وبرلين (1882). ويبيّن ديلته في مؤلفه الأساسي، **المدخل إلى دراسة العلوم الإنسانية** (تُرجم إلى الفرنسية ونشرته دار المنشورات الجامعية الفرنسية)، أن نموذج العلم ذا النزعة الوضعية والطبيعية، القائم على **الشرح**، لايُطبّق على العلوم الإنسانية: علم النفس، علم الاجتماع والتاريخ، الذي ينبغي، على العكس، أن تكون قائمة على **الفهم**.

وعلم النفس، في رأي ديلته، هو «العلم الأساس» للعلوم الإنسانية؛ إنه دراسة الفرد بوصفه شعوراً وأسلوب وجود في العالم. فطريقة العلوم الإنسانية ستكون فهمية، وصفية وتحليلية. ومشكلته الرئيسة إدراك **المعنى**؛ والحال أن المعنى ليس معنى إلا بفهم **سياق**، لا بمعرفة «الأسباب».

وكان تأثير ديلته، على الرغم من أنه لايسترعي الانتباه، بارزاً في بعض الاتجاهات: ظهر في علم الاجتماع بنموّ النزعة التاريخية، التي دافع عنها تلميذاه، الفيلسوف أوسوالد شبنغلر (بلانكنْبورغ، هارز، 1880 ـ ميونيخ، 1936) وعالم الاجتماع مانهايم (1893 - 1947)؛ وظهر في علم النفس المرضي بالتيّار الوجودي، مع كارل ياسبرز (1883 - 1969)؛ وفي علم النفس بإسهامه في الحركة الفينومينولوجية.

ولنذكر، من مؤلفاته الرئيسة، **أفكار في علم النفس الوصفي والتحليلي؛ نظرية تصورات العالم**، 1910، الترجمة إلى الفرنسية 1927). انظر في هذا المعجم: **علم النفس الوصفي، التفسير أو التأويل**).

R.M.

دينامية الجماعة

F: Dynamique du groupe

En: Group dynamics

D: Grouppendynamik

دراسة القوى العاملة وسط جماعة من الجماعات.

هذا المصطلح، المنسوب إلى كورت لوفن (1890 - 1947)، الذي استخدمه للدلالة على مجموع التفاعلات الشخصية وسط جماعة، والقوانين التي تحكمها وأسلوب تبنينها، وصداها على كل عضو من أعضاء هذه الجماعة. والواقع أن الجماعة موجود متحرّك، وحدة عضوية خاضعة لقوى داخلية وخارجية، توازنها يتعدّل باستمرار ـ ذلك أن الأشخاص الذين يؤلّفونها يعيدون باستمرار ضبط اتجاهاتهم ويحوّلون علاقاتهم ـ وينخلق سيرورة دينامية دائمة من التكيّف. وبوسعنا أن نميّز في جماعة واحدة قوى تماسك وقطيعة، متباعدة، وضروباً من التعاطف والتنافر، ورؤساء، ومنعزلين، و«عُصبات»، ومعارضين، ومنشقّين، وشبكات من التواصل، ووجداناً جماعياً (اعتقادات وعواطف مشتركة)، إلخ، هي الموضوع نفسه، موضوع علم النفس الاجتماعي التجريبي. وحقّقت دراسة دينامية الجماعة، مع إدخال **القياس الاجتماعي** الذي ابتكره جـ. ل. مورينو (1889 - 1974) وإدخال **نظرية الحقل** لكورت لوفن، ضروباً عظيمة من التقدّم. فأصبحت هذه الدراسة تجريبية بدلاً من وصفية. ولم يعد الباحث يكتفي بدراسة الصلات الانتقائية، بل يُحدث تغييراً في بعض الشروط الفيزيائية أو السيكولوجية ليقيّم تأثيرها المحتمل في التفاعلات الاجتماعية. مثال ذلك أن الباحث يُعنى بحجم صالة الاجتماع أو

بحرارتها، بترتيب الأثاث، بشكل الطاولة، بالبعد الذي يفصل بين الأفراد، بالمكان الذي يحتلّه كل فرد، بمناخ التنافس أو التعاون، إلخ. وإذ درس ب. ستانزور (1950) ذلك الأسلوب الذي تتنظّم به التواصلات وسط جماعة المناقشة المجتمعة حول طاولة مستديرة، فإنه لاحظ أن هذه التواصلات تبلغ حدودها القصوى عندما تكون المناقشة مواجهة، ربما لأن المتكلّم يطّلع اطلاعاً مباشراً، عندما يتوجّه إلى أحد يجلس في مواجهته، على مفعول الكلمات التي يلفظها بواسطة إيماءاته ووضعاته. أو أن بعضهم استطاع أيضاً أن يبرهن أن تصرّف الأشخاص كان موضوع تعديل بالتأكيد بفعل اتّخاذ قرار مشترك أكثر منه بفعل تأثير يُمارس من الخارج علىٰ كل فرد منهم. والمحاضر البارع الذي يتوجّه الى ربّات بيوت مستمعات يبرهن لهن على قيمة سلعة غذائية لن يثير إلا تغيّراً طفيفاً في رأي الحضور (3 بالمئة)؛ وعلى العكس، عندما توافق جماعة من الأشخاص، بعد مناقشة حرّة لهذه السلعة، على أن الطعام المقصود جيّد ومفيد، ترتفع نسبة الأشخاص الذين يقرّرون أنهم سيستهلكونه إلى مايقارب الثلث. ووجدت دراسة العلاقات داخل الجماعات، التي كانت السبب في أن يؤسّس كورت لوفن (1945) **مركز البحث في دينامية الجماعة في مؤسسة ماساشوست للتكنولوجيا** (الذي انتقل إلى أن أربور بعد موت المؤسّس)، تطبيقات في ميادين شتّى، لاسيّما في الجيش والصناعة والمدرسة. (انظر في هذا المعجم: **التماسك**، **جماعة التشخيص**، **العلاج التحليلي للجماعة**، **الرأي**، **علم النفس الاجتماعي**).

N.S.

الدينامية العضوية

F: Organodynamisme

En: Organodynamism

D: Organodynamismus

نموذج ابتكره هنري إي مخصّص لدعم الجهاز النظري للطب النفسي، إذ يقدّم لكل الظاهرات النفسية المرضية إمكان الفهم والشرح، فيما يخصّ نشوء الأمراض العقلية، وعلم أعراضها، وتطورها وتصنيفها.

إن هذا النموذج علمي، بمعنى أنه يقترح فرضاً يمكن التحقّق منه اختبارياً في شتّى الأجزاء التي تتمفصل منطقياً فيما بينها. والنموذجان الوحيدان الموجودان بمتناول الطب النفسي، المتماسكان بما يكفي ليستقطبا حقله (أو، على وجه أصحّ، يتعارضا في ضرب من الاستقلال لارجعة فيه)، هما النموذجان **الميكانيكي والنفسي الدينامي**. فالأول، المبنيّ في بداية القرن التاسع عشر، يردّ الأمراض العقلية إلى تجاور عناصر، تكوّنت ميكانيكاً بفعل حوادث تشريحية فيزيولوجية تتمركز في المراكز الدماغية النفسية الحسية الحركية النوعية، وإلى تنسيقها الترابطي. فالشلل العام، من جهة، والذهانات التنكّسية، من جهة ثانية، تشرحهما آفات مكتسبة أو جبليّة. ولاتستعين هذه النظرية على نحو جائز بالفهم السيكولوجي ولا بالقصدية لتشرح تكوّن التناذرات النفسية المرضية. إنها تفترض ضرباً من التغاير الجذري بين السويّ والمرضي.

أما **النموذج النفسي الدينامي**، فإنه تطوّر بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر، مع اكتشاف سيغموند فرويد قوى اللاشعور. فأعراض الأمراض، وفق هذا

النموذج، هي، شأنها شأن متخيّل الحلم، إسقاطات رغبات مكبوتة. وتعمّم هذا الفَرَض، المطبّق أول الأمر على الهستيريا والأعصبة، تصميماً تدريجياً على الذهانات، ثم على مجموع المشكلات العلائقية الإنسانية. ويتعارض هذا النموذج، المخصّص لفهم الظاهرات النفسية المرضية بدلاً من شرحها إذ يعيدها إلى سببية محض نفسية، تعارضاً جذرياً مع النموذج الميكانيكي. ويفترض ضرباً من الاستمرارية بين السويّ والمرضي ويعتبر أن كل تصرّف، قلق، تنوّع في الاعتقاد أو العمل، يمكنه أن يُردّ إلى قاسم مشترك: دينامية اللاشعور النفسية والنزاع النفسي.

النشوء التاريخي والمنطقي للنموذج الدينامي العضوي. إلى جانب هذين النموذجين، اللذين ليسا سوى حدّي الثنائية الديكارتية، كانت الضرورة النظرية الملحّة تفرض نفسها، ضرورة لم يكن ثمة بدّ لها من أن تتجاوز هذا التناقض.

آ) **التطور التاريخي**. الطب النفسي مولود في عصر النهضة من «مطاردة الساحرات» وإرادة شرح لبعض السلوكات «الغريبة الأطوار»، شرح لاينطلق من أسباب فوق طبيعية كـ«المسّ الشيطاني»، بل من إرجاعها إلى أسباب طبيعية: تفكّك تنظيم الاقتصاد الجسمي ولاسيّما الجملة العصبية. وعلى هذا النحو إنما نمت فكرة **أصل عضوي** لكل أشكال المرض العقلي (بما فيها الأعصبة كما يدلّ عليها اسمها). وهذه القضية، قضية الأصل العضوي للمرض العقلي، القادرة وحدها على أن تؤسّس طبيعته المرضية وتعلن صحتها، ناب منابها **النموذج الدينامي النفسي** الذي تمثّل السويّ والمرضيّ في نهاية المطاف، إذ استأنف لحسابه الخاص ضرباً من فوق طبيعية المرض العقلي. وبوصفه لايشاء إلا فهم المرض دون شرحه، فإنه يدمّر موضوع الطب النفسي، موضوعه ذاته.

وكل تاريخ الأفكار في الطب النفسي تُنسّق بالنسبة لهذا التناقض، تاريخ يبيّن أيضاً ضرورة فهم المرض العقلي وشرحه، باللجوء إلى فكرة التركيب التراتبي للحياة النفسية، التي يسبّب تركيبها الأشكال النفسية المرضية. وعلى هذا النحو إنما يمكننا أن نعتبر جول باياّجر، جـ. ب. فالره، جاك مورو، جان هوغلانغز

جاكسون، بيير جانه، كارل ياسبرز، إ. بلولر، أ. ميبو، روّاد التصورّ الدينامي العضوي للطب النفسي.

ب) **التطوّر المنطقي للنموذج**. النموذج الدينامي العضوي، المخصّص لتجاوز ثنائية الجسم والفكر، ثنائية الفكرة والدماغ، استوحى أفكار جون هوغلينغز جاكسون (غرين هامرتون، يوركشاير، 1834 - لندن، 1911). وقد يبدو مفارقاً أن تستند الدينامية العضوية إلى هذا المؤلف الذي أعلن دائماً ارتباطه بمبدأ التوازي في تلازم **الدماغ** و**الفكر**، وفي تلازم المراكز العصبية (حتى العليا) والشعور. والسبب أن الحدس الجاكسوني - ولو أن جاكسون لم يتمكن من استثماره بسبب ثنائيته - أساسي في مبدأه الأساسي: تطور الجملة العصبية يحدث من الأكثر آلية إلى الأكثر إرادة، وانحلالها المرضي نكوص من الأكثر إرادة (أو شعوراً) إلى الأكثر آلية (أو لاشعورا). ونقول بعبارة أخرى إن منطق النموذج الدينامي العضوي هو منطق **وظيفة الدمج** في الجهاز النفسي، جهاز هو نفسه متراتب في الوظائف الأداتية، المنعكسة أو الغريزية. ويقتضي النموذج الدينامي العضوي، بهذا الصدد، مراجعة كلية للمنظومة الجاكسونية، يقتضي «جاكسونية جديدة» تستخلص الجذر من هذه المنظومة، الذي يعبّر عن وظيفتها الأساسية: فكرة **دمجٍ أنتروبي سلبي يحدّد معيارية التنظيم لحياة العلاقة**. وليس إلا في هذا الدرجة من العمق وفي نهاية هذه المراجعة إنما يتيح المبدأ الجاكسوني في التطوّر أن يمنح كل معناه تلك القضايا التي يكوّن تمفصلها النموذج الدينامي العضوي، إذ يدمج (ويتجاوز) النموذجين الميكانيكي والدينامي النفسي. وبهدف إبراز جيّد للفكرة التي مفادها أن الدينامية العضوية لايمكننا إرجاعها إلى النموذج الميكانيكي العضوي، ولا إلى النموذج الدينامي النفسي، إنما كانت هذه النظرية قد سُمّيت الدينامية العضوية.

القضايا الأساسية التي تكوّن النموذج الدينامي العضوي. إنها تحدّد: مايتطوّر وما ينحلّ؛ أنماط الانحلال؛ نشوء الأمراض المكمّل، السلبي والإيجابي، للأعراض؛ تصنيف الظاهرات العصبية والطبية النفسية وفق مستويات الانحلال وسمته الجزئية أو الإجمالية.

1) **تطور «الجهاز النفسي»**. ينبغي أن نفهم من مصطلح «جهاز نفسي» تنظيم حياة العلاقة بمقدار ماتتكوّن من نظام مركب ومتراتب للشخص، بحيث أن الآلية واللاشعور يخضعان للإرادي والشعوري. ويكتشف الوصف الفينومينولوجي للموجود الشعوري نمطين: أحدهما **متزامن**، حقل الشعور في حالية التجربة المعيشة؛ والآخر، **تزمّني**، تاريخية الأنا ونموّ الاستقلالية في الشعور بالذات وبواسطة الشعور بالذات. ويولد هذا «الجهاز النفسي» من تنظيم الدماغ وبالبناء الذاتي المستمرّ والتدريجي له، بحيث أنه لايتمثل لمدوّنة رموز وراثية فحسب، ولكنه ينضّد عليها **مخطّطاً شخصياً**. ودمج «الجهاز النفسي»، الذي يؤمّن هذا التكوّن، لايرتدّ إلى الوظائف الأولية التي هي أدواته. فما يتطوّر، كما ماينحلّ، إنما هو التنظيم التدريجي باستمرار، تنظيم «الجهاز النفسي»؛ بحيث أن **المبدأ الأول** للتصوّر الدينامي العضوي هو مبدأ حركة تدريجية لهذا التنظيم، تمضي من الأكثر آلية والأكثر لاشعوراً نحو الأكثر إرادة والأكثر شعوراً: أشكال الموجود الشعوري وبنياته تكوّن الأشكال التي يفرضها على «الجهاز النفسي» نظامُ تركيبه وغائيته.

2) **انحلال** «الجهاز النفسي» يكوّن حركة عكسية للحركة التي تركّبه وتوجّهه. إنه يمثّل **الأنتروبيا** لحركة تنظيم «الجهاز النفسي» السلبية. فتفكّك التنظيم، والانحلال، وزوال التبنين، هي ألفاظ مترادفة تعبّر عن هذا التفكّك لتركيب «الجهاز النفسي». وذلك يعني أن تفكك التركيب يظهر، على مستويات شتّى بالعودة إلى أشكال دنيا، أوّلية، عتيقة، أكثر آلية، وأكثر لاشعوراً، من أنماط الفكر والعمل. وظاهرة النوم - الحلم تكوّن المثال الأكثر مباشرة أو غير مباشرة، كل سيرورة من الانحلال، التي تكوّن بالفعل تلك الحالة الأولية من كل مرض عقلي.

3) **ديالكتيك السلبي والإيجابي في السيرورة الدينامية العضوية**. هذه القضية الثالثة أساسية لتمييز الدينامية العضوية من النموذج الميكانيكي والنموذج الدينامي النفسي، اللذين تستعير من كل منهما الدينامية العضوية بالضبط ماينبغي لها أن تستعير حتى تكافح النموذج الآخر. وتشدّد نظرية النشوء المرضي لتكوين

الأعراض، ضدّ النموذج الميكانيكي، على قصدية وقدرات التعويض والترميم من جانب **الجزء الإيجابي** القائم. ويسلّم التصورّ الدينامي فَرَضاً، ضدّ النموذج الدينامي النفسي، بضرورة سيرورة من تفكّك التنظيم، أي بـ **شرط سلبي**. ومن اليسير أن يفهم المرء أن السيرورة المولّدة لهذا التفكيك تدمّر بنيات الموجود الشعوري (التزامنية والتزمّنية)، المتكامل في نظامه وبنظامه (رقابته أو توجيهه)، في حين أن هذه السيرورة «تحرّر» قوى اللاشعور (القوى الأكثر آلية والأكثر استيهاماً). وهو أمر، بفعل ذلك، يتجاوز الاختيار بين النشوء النفسي- النشوء العضوي على وجه الدقّة لأن كل سيرورة نفسية مرضية تنطوي على حركة من نكوص البنيات لدى الموجود الشعوري وعلى ديناميك القوى اللاشعورية الموجودة. فالنموذج الدينامي تجانس يستعيد معاً فكرة تغاير للشرط السلبي، شرط السيرورة، وفكرة تجانس عميق للقوى الوجدانية التي تحرّرها هذه السيرورة.

4) **أنماط تفكّك التنظيم في الجهاز النفسي وتصنيف الأمراض العقلية والآفات العصبية**. من النظام نفسه، نظام تركيب الجهاز النفسي، إنما يمكننا أن نستخلص مبدأ التصنيف الطبيعي للأمراض في حياة العلاقة. فالأمراض العقلية يمكنها أن تُصنّف وفق أنماط الموجود الشعوري ومستوياته، ومستويات تفكّك التبنين في الأشكال التزامنية لـ **حقل الشعور** ومستويات تفكّك التنظيم في الأنماط التزمّنية لـ **الموجود الواعي بذاته**، التي بها يتأمّن استقلال الشخص وتاريخه. والتمييز الذي يفرض نفسه بين انحلالات «الجهاز النفسي» المتماثلة (أعصبة وذهانات)، وبين الانحلالات الموضعية في الوظائف الأداتية (تناذرات عصبية)، ذو أهمية كبرى أيضاً.

إن **التصورّ الدينامي العضوي للطب النفسي** يتيح لنا أن نستخلص النتائج اللازمة التالية:

آ) كون كل مرض مفعول سيرورة من تفكّك التنظيم في الجهاز النفسي، يعني أن **الطب النفسي جزء من الطبّ**، مهما كانت العوامل الاجتماعية

السوسيولوجية، الأخلاقية والثقافية، ذات أهمية في تكوين السيرورة كما في مفعولات. إنه، أي الطب النفسي، ينتمي إلى علم الأعصاب الذي تُعتبر معرفته أمراً لا غنى عنه للطبيب النفسي.

ب) المرض النفسي، إذ يحرّر نزاعات ودوافع عتيقة أو لاشعورية، مشحون بقوة مأساوية إنسانية تقتضي **علاجاً نفسياً**، أي تقتضي علاقة وجدانية، أفضل مايمكن إعداداً، بين الطبيب ومريضه، على مستوى المشكلات الوجودية، وذلك على نحوٍ أكثر نوعية من كل الأشكال الأخرى من المرض.

جـ) السمة الأساسية للظاهرة النفسية المرضية هي أنها، على وجه الدقّة، **مرضية**؛ فهي تقتضي إذن تشخيصاً أدقّ مايمكنه أن يكون، يأخذ بالحسبان تلك التغيّرات الإحصائية، وحياة العلاقة، والارتكاسات التي يحدّدها تكيّف المنظومات الأخلاقية أو الاجتماعية مع الوضع الإنساني بصورة عامة. فكل ماهو استثنائي (غير مطابق للمعيار، أي للمتوسط) ليس مرضاً نفسياً، سواء كانت العبقرية هي المقصودة، أو الجريمة، أو الإيديولوجيا السياسية.

د) الطب النفسي فرع من الطب موضوعه علم الأمراض لحياة العلاقة. وينبغي له مع ذلك أن يتميّز من علم الأعصاب، ذلك أن موضوع علم الأعصاب هو الانحلالات الموضعية والأداتية في حياة العلاقة (الوظائف الأولية من «الجهاز النفسي»)، وموضوع الطب النفسي التفكّك العام لتنظيم «الجهاز النفسي» الذي يدمج، في منظومته العلائقية، وضع الشخص ومنظومة الواقع. (انظر في هذا المعجم: **السويّ، الطب النفسي، الوضع**).

H.E.

ديوي (جون) Deywey (John)

فيلسوف وعالم نفس وعالم تربية أمريكي (بورلنغتون، فيرمون، 1859 – نيويورك، 1952).

صار ديوي، المعارض لنظرية العناصر التي أدخلها عالم النفس الانغليزي إدوار برادفورد تِتْشْنَر (1867 - 1927)، بطل الذرائعية، الذي يريد أن يتجنّب «الاكتفاء بالكلمات»، ويقيس قيمة النظريات بنجوعها العملي. وقليل الأهمية، في هذا المنظور، أن تنكبّ على محتوى الشعور لتكتشف تفصيلاته وبنيته، كما يوصي مناصرو المذهب الذرّي النفسي، في أعقاب و. وندت (1832 - 1920). وماهو مهمّ معرفته، على العكس، إنما هو ديناميك الحياة النفسية وقيمته الأداتية. فالموجود الإنساني، في فكر ديوي، ينزع دائماً إلى أن يحقّق ذاته. إن الأنا بؤرة طاقة تستخدمها الإرادة وتنقلها من القوة إلى الفعل؛ والعاطفة هي «مرافقة هذه الفاعلية، وعلامة القيمة العملية للارتكاس»؛ و**المعرفة** هي وسيلة تحقيق مشروعات الفرد؛ و**الطبع**، أخيراً، هو الجزء من الأنا الذي أُنجز من قبل. فدور المربي لن يكون «صياغة» الطفل ونقل المعارف إليه، وإنما هو أن يساعده على نمو خصائصه كلها وأن يتعلّم بنفسه وهو يعمل (**التعلّم بالعمل**)، وهو يواجه الواقع، ويقوم بتجاربه الخاصة، ذلك أن التفكير إنما هو مصادفة الصعوبات وحلّها.

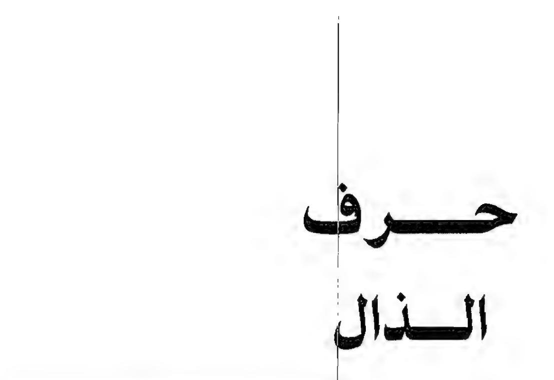
ويؤسّس ديوي عام 1896، ليختبر قيمة نظريته، «مدرسة مخبراً»، ملحقة بكرسيّه في الفلسفة والبيداغوجيا بشيكاغو. ويستقبل فيها تلاميذ من سن الثالثة حتى السادسة عشرة، يجرّب معهم تقنياته البيداغوجية الجديدة. ويُدخل فيها الانضباط الذاتي، بدلاً من الانضباط التقليدي، القائم على الالتزام الحرّ والفكر الديموقراطي. فالتلميذ لايأتي إلى هذه المنشأة ليكتسب فيها معارف تندرج في

منهاج وربما لن يستخدمها أبداً، وإنما ليتعلّم حلّ مشكلاته، تلك المشكلات التي يواجهها في وسطه يومياً. ويتصرّف المعلم، من جهته، كما يتصرف رفيق أكثر خبرة، ناصحاً، إذ يقود الطفل ويُطلعه على مايعلم عن موضوع المسألة المطروحة.
ولكن الأساسي هو **العمل**: ينبغي للتلميذ أن يتصرّف هو ذاته وبدافع من ذاته، وأن يكتشف اكتشافاته الخاصة بدلاً من أن يقبل قبولاً سلبياً تلك المعلومات المتلقّاة، دون أن ينقدها. وليست أعماله لفظية على نحو محض، دون غائية دقيقة، بل يحدّدها هدف عملي معيّن جيداً: إنجاز مشروع شخصي اختاره اختياراً حراً. فعلى الطفل أن يتزوّد بالوثائق، إذ يستقصي لدى الراشدين، ويبحث عن المعلومات في المجلات، والمكتبات، والمتاحف، وورشات الحرفيين، إلخ؛ وينبغي له على وجه الخصوص أن ينظّم عمله على نحو يكون بمقدوره أن يستخدم المعطيات التي يجمعها بالأسلوب المذكور استخداماً ناجعاً.

وتتميّز بيداغوجيا ديوي بثلاثة جوانب رئيسة: إنها **تكوينية** (متكيّفة مع نمو الطفل واهتماماته)؛ **وظيفية** (تستجيب لرغباته)؛ **اجتماعية** (تصبح المدرسة المكان المفضّل للتنشئة الاجتماعية، لتعلّم الحياة في المجتمع).

من مؤلفات ديوي العديدة، التي تُرجم كثير منها إلى الفرنسية، لنذكر: **عقيدتي البيداغوجية**، 1897؛ **المدرسة والمجتمع**، 1899؛ **كيف نفكّر**، 1910 (ترجمه إلى الفرنسية أو. ديكرولي، 1925)؛ **الديموقراطية والتربية** 1916؛ **الطبيعة البشرية والسلوك** 1922؛ **التجربة والطبيعة** 1925, 1929؛ **الطبائع والأحداث** 1929 (مجلّدان)؛ **البحث عن اليقين**، 1929 (عنوانه في الترجمة الفرنسية **البحث عن اليقين، دراسة العلاقة بين المعرفة والعمل**)؛ **مصادر علم للتربية** 1929؛ **الفن بوصفه تجربة**، 1933؛ **الليبيرالة والعمل الاجتماعي** 1935؛ **التجربة والتربية**، 1938 تُرجم إلى الفرنسية، بورّوليه، 1940)؛ **المنطق**: **نظرية البحث**، 1989؛ **مشكلات الإنسان**، 1946. (انظر في هذا المعجم: **المدرسة الفعّالة**، **نظرية العناصر، الوظائفية، الاداتية، المشروع**).

N.S.



حــرف الــذال

الذات

F: Soi

En: Id

D: ES, Selbest

ضمير الفاعل للشخص الثالث (في الفرنسية) يدلّ على الفرد في وحدانيته.

يوثر بعضهم عادة على هذا المصطلح، إذ يُستخدم أحياناً في الفرنسية مرادفاً للمصطلح الفرويدي ES، مصطلح Ça (id في الانغليزية) للدلالة على مجموع الدوافع الغريزية والمحتويات المكبوتة في اللاشعور. (انظر في هذا المعجم: **الجهاز النفسي**).

N.S.

مفهوم **الذات** جعلته غامضاً مختلف استخدامات هذه الكلمة التي تدخل في تركيب تعبيرات عديدة مثل «تحقيق الذات». و«الذات» في علم النفس مرادف «الشعور» أو «الشخص». ويقابل على هذا النحو شارل رونوفييه (مونبيلية، 1815-براد، 1903) بين الذات واللاذات ليحدّد الشخصية بوصفها علاقة بالعالم وتأليفاً. فالمقصود عندئذ هو الموجود الشعوري بوصفه **ذاتية**، بدلاً من **الأنا** التي تدلّ على مجموعة الخصائص الفردية. وتشمل الذات بالنسبة لوليم جيمس (1842- 1910)، على العكس، كل ما هو «أنا»، و«لي»؛ إنها إذن ضرب من أنا امتدّت إلى كل ما يستحقّ صفة «شخصي». فالذات، بهذه الصفة، تشمل الجسم.

ويسمّي سيغموند فرويداً **ذاتاً** هذا الجزء اللاشعوري من الأنا. أقترح أن أسمّي **أنا**، كتب يقول، «الكيان الذي تكمن نقطة انطلاقه في المنظومة إ (إدراك العالم الخارجي) ويتّصف بأنه قبل شعوري، محتفظين بتسمية **ذات** لكل العناصر النفسية الأخرى التي تستطيل فيها **الأنا** إذ تسلك على نحو لاشعوري (. . .). فالفرد يتألف على هذا النحو، في رأينا، من **ذات** نفسية، مجهولة ولاشعورية، تتنضّد عليها **أنا** سطحية، انبعثت من المنظومة إ (الإدراك) كما من نواة (. . .). وليس بين **الأنا** و**الذات** انفصال حاسم، وبخاصة في الجزء السفلي من الأنا، حيث تنزعان إلى الاختلاط. ولكن ما هو مكبوت يختلط أيضاً بـ**الذات** وهو ليس إلا جزءاً منها» (س. فرويد، 1923، ص177 – 178 من الترجمة الفرنسية). ولهذا السبب كان بعض الشارحين قد سِيقوا، بفعل تبسيط مفرط، إلى تسمية **الذات** Soi ماسمّاه فرويد ES أو«Ça» (أي الهو).

وأطلق ك. غ. يونغ على مفهوم **الذات** دلالة مختلفة كل الاختلاف. ومن المؤكد أن بعض صيغه تشبه التصوّر الفرويدي: «ثمة مجال للتمييز بين **الأنا** و**الذات**، فالأنا ليست إلا موضوعَ شعوري، في حين أن الذات موضوعُ كلية الحياة النفسية» (1921، ص479 من الترجمة إلى الفرنسية). ولكن الفارق في تعريف اللاشعور يدفع يونغ سريعاً نحو إعادة تعريف الذات أنها **تعالي الأنا**، تجاوز الأنا، نهاية «سيرورة تفرّد» تتيح للأنا أن تتحوّل إلى وعي كامل بالغير والعالم، حيث أراد بعض الشارحين أن يروا شبه تماثل مع الله. «تشمل الذات في ذاتها، على الإطلاق، أكثر من أنا فقط، كما يبرهن على ذلك الرمزيّ منذ الأزمنة الأكثر قدماً. إن **الذات** إنما هي الآخر أو الآخرين، وليس **الأنا** فقط. فالتفرّد لايستبعد العالم، بل يدمجه (مذكور **في** بودوان، 1963، ص. 226). وليست الذات فقط ضرباً من «مثال الأنا»، بل هي إخراج كل الكمون الإنساني من القوة إلى الفعل، وتحقيق كامل للموجود –الإنسان.

هذا المعنى، معنى **الذات**، بوصفها تجاوز الأنا وبلوغ وعي كوني، يوجد لدى البوذية **زن**: «الذات الواقعية ذات ميتافيزيائية تقابل الذات السيكولوجية أو

الأخلاقية التي تنتمي إلى العالم المحدود، عالم النسبي"(. . .). وتجربة الذات، من وجهة نظر **زن**، مفعمة بعاطفة الاستقلال، والحرية والتصميم الشخصي، والإبداعية» (في **بوذية زن والتحليل النفسي**، مؤلف جماعي، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1971، ص. 35- 37 وفي مواضع مختلفة). إنها لدلالة مشابهة يطلقها الفينومينولوجيون على موجود **الوجود** (وفق مارتان هيديغر) أو علىIpse (في رأي لودفيغ بانسونغر) بوصفه تعالي **الأنا** المتفرّدة والمتمحورة على ذاتها، القادرة على أن تحقّق وجودها الحقيقي الذي يكمن في أن تكون بصورة كلية في العالم -وفي- الغير.

R.M.

إننا نجد، في التجربة الداخلية وفي السلوك الإنساني أيضاً، عناصر كثيرة، اتجاهات أو معطيات تقودنا إلى **الذات** بصورة مباشرة أو غير مباشرة: تجربة القرار الحرّ؛ حوار كل فرد مع وجدانه؛ صراع الإرادة الحصيفة ضدّ التعب أو الألم؛ عاطفة الإثمية؛ جهد الفرد الذي يبذله ليكون هو ذاته أو ليكون مختلفاً عن الآخر؛ الكِبْر أو الذلّ؛ تجربة الشك المنهجي الديكارتية؛ هذيان العظمة؛ عواطف اختلال الإنيّة؛ تجميل الفرد مظهره الخاص؛ تأكيد الذات الأناني، الانتحار، إلخ. ويشعر كثير من علماء النفس الذين يهتمّون بعلم الشخصية بالضيق أمام صور مجزّأة للإنسان يقدمها لهم علم النفس الحديث. ولهذا السبب، فإنهم يبحثون في **الذات** عن مبدأ موحّد يغيب في النظرية السلوكية بقدر ما يغيب في مبحث المنعكسات. وحاول بعضهم في عدة مناسبات أن يعرّف هذا المصطلح تعريفاً علمياً، بغية أن يجعلوا منه مفهوماً راسخاً واضحاً، قادراً على أن يؤدّي دوراً مركزياً في نظرية الشخصية.

إن **الأنا** هي التي تحتلّ، في النظرية الفرويدية، هذا الموقع الأساسي. فالأنا تعتبر مرجعاً من مراجع الشخصية يناضل نضالاً مأساوياً ليفرض الانسجام بين

مقتضيات متعارضة: مقتضيات الحاجات الغريزية (الناجمة عن «الهو»)، ومقتضيات الأخلاق المجتافة («الأنا العليا»)، ومقتضيات الواقع أخيراً. وتتيح هذه التخطيطية أن نفهم دينامية شخصية سوية وشخصية مرضية على حدّ سواء. وعندما تمّ تجاوز التأثير الأول الآسر الذي أثاره اكتشاف دافعيات لاشعورية، تعاظم دور الأنا في نظرية التحليل النفسي (س. فرويد، 1923؛ أنّا فرويد، 1936). واتّخذت الأنا معنى موسّعاً (هـ. هارتمان، 1952؛ بلاّك ومعاونون، 1973)، بوصفها مفهومة أنها مرجع من مراجع الجهاز النفسي، بنية تحتية للشخصية حاملة الوظائف المرتبطة بالشعور (إدراك، فكر) بقدر ما هي حاملة آليات الدفاع اللاشعورية، معنى موسّعاً إلى حدّ أصبحت حدودها غير واضحة إلا قليلاً.

ووصف أيضاً علم النفس المرضي التقليدي (كارل ياسبرز، 1913) وجمع أعراضاً مختلفة ذات علاقة بالذات. فالموجود الإنساني يُجري بصورة طبيعية تجربة هويته الشخصية، ويكتشف حدود الأنا و«اللاأنا»، ويشعر في نفسه أنه وحدة متفرّدة، ويقيم علاقة انفعالية نوعية مع شخصه الخاصّ، إلخ. ولكن قد يحدث أن تكون هذه التجربة الأساسية مصابة بالخلل بسبب المرض العقلي؛ فعلامات التفكّك داخل الحياة النفسية (ثنائية الأفكار والعواطف، على سبيل المثال، التي تؤكد نفسها وتنفي نفسها في وقت واحد)، وفقدان الاتّصال الحيوي بالعالم الخارجي (لامبالاة، غياب معنى القيم المادية والأخلاقية)، إلخ، موجودة، على سبيل المثال، في الفصام.

وابتكر عدة علماء نفس معاصرين، يتحدّد موقعهم في مأثور وليم جيمس، مفهوم **صورة الذات** (ب. لِكّي، 1945؛ ك. ر. روجرز، 1959). والمقصود امتثال معرفي للشخص بواسطة الفرد ذاته، ولعلاقاته مع الموجودات والأشياء التي تكون أكثر أهمية بالنسبة له. ولهذه الصورة، صورة الذات، تماسك يمكننا انطلاقاً منه أن نفهم على حدّ سواء استقرار الشخصية وصلابتها المرضية وقوانين تغيّرها الدينامي، وبخاصة تحت تأثير العلاج النفسي. وتُستخدم الاستبانات لدراسة صورة الذات،

ذلك أن أفضل وسيلة لمعرفة الكيفية التي يدرك بها فرد نفسه هي أن نتوجّه إليه بالسؤال عنها؛ إن جـ. ف. ت. بوجنثال، س. ل. زيلّن، ابتكرا عام 1950، على سبيل المثال، طريقة تُسمّى **من أنت؟** تبنّاها عدة باحثين آخرين وعدّلوها (ر. إيكوير، 1974). وعُني باحثون آخرون، بغية تجاوز الصعوبات المرتبطة بهذه التقنية (تحديدات ناجمة عن اللغة، عن الجانب العقلي من المشكل)، **بالاتجاهات إزاء الذات** (المقصود بصورة أساسية عودة إلى مفهوم «مركّب الأنا» لكارل غوستاف يونغ). وابتكر بعض الباحثين أيضاً مفهوماً أكثر خصوصية مثل «عاطفة الذات» (ر. ب. كاتّل، 1957)، «قبول الذات»، «احترام الذات»، ولاسيّما «اعتبار الذات» (كوبرسميث، 1967)، وهو مفهوم مشتق من مفهوم أدلر «عاطفة الدونية». ونحن نصادف، في علم النفس ذي النزعة الإنسانية الذي أوحت به الفلسفة ولاسيّما مفهوم الأصالة (جـ. ب. سارتر)، تعبيرات مثل «تحقيق الذات»؛ وقد يحدث أيضاً أن نجد الفكرة الرومانسية، فكرة الإنسان «الطبيعي»، فكرة الذات «الأصيلة» التي لم تشوّهها الحضارة. ويمكننا أن نرى، في البحوث الحديثة في الذات، اتجاهاً طافحاً بالوعود، يقرن وجهات النظر التكوينية والنفسية المرضية (نموّ الشخص واضطراباته). ويوجّه بعض المؤلفين، موقعهم في وجهة نظر السيكولوجيا الدينامية، انتباههم إلى الذات (لا إلى **الأنا** بالمعنى الفرويدي) فيما يخصّ النرجسية (هـ. كوهوت، 1970؛ أو. ف. كيرنبرغ، 1974) ويجدون إلهامهم في فكرة جان بياجه بنشوء الذات النفسي من حيث هي بنية معرفية (**انظر** دراسة ب. بتلهايم للانطواء على الذات في الطفولة الأولى، 1967). ويمكننا اعتبار بعض الفاعليات أو أجزاء الفاعليات، كالسيادة على الذات، مصدر الذات في الأطوار الأولى من النمو الإنساني، ومصدر وظيفتها أيضاً في المراحل اللاحقة. (انظر في هذا المعجم: **الأنا**).

P.R.(ترجمه **J.S.T.** إلى الفرنسية)

الذاكرة

F: Mémoire
En: Memory
D: Gedächtnis

الاحتفاظ بمعلومات الماضي مع القدرة على تذكّرها أو استخدامها.

الحياة متعذّرة لولا الذاكرة. فالاعتياد، والعادة، والتعلّم، والتربية، ترتكز عليها. ولكل موجود حيّ، حتى الوحيدات الخلية، ذاكرة. ومثال ذلك أننا إذا نقلنا مجموعة من النقاعيات من إناء إلى إناء أكبر، نلاحظ أن الأواليات تتبع، خلال عشر دقائق إلى خمس عشرة، طريقاً يعيد رسم المدارات المختزلة للإناء البدئي. والدود المسطح البحري الذي تكوّن، عند الجزر، مستعمرات واسعة على الرمل الرطب لشواطئ المانش والأطلسي، يتوارى في الرمل منذ أن يحدث المدّ العالي. فإذا ربِّيت في مربى للأحياء المائية، فإنها تحتفظ خلال عدة أشهر بحركات الصعود والتواري التي كان المدّ والجزر يوقّعانها. والدود الإناث اللامع، الذي ينير فانوسه مساءً ليجذب الذكور، يستمرّ في ألا يضيء إلا في الليل، خلال زمن ما، حتى ولو وضعناه في الظلام على نحو دائم، فالمقصود إذن، لدى الحيوانات الدنيا، ذاكرة حسّية، آلية، تظهر بدوام سلوكات مألوفة زمناً طويلاً حتى بعد أن تفقد سبب وجودها.

ونميّز عدة أشكال من الذاكرة وفق النظر إليها لحظة الاستدعاء (ذاكرة مباشرة، مرجأة إلى أجل قصير، إلى أجل طويل...)، والسيرورة المستخدمة (ذاكرة عفوية أو إرادية)، والعضو الحسي (ذاكرة بصرية، سمعية، ذوقية، إلخ). **فالذاكرة العفوية** تتبع قانون الاهتمام، المستقلّ هو ذاته عن الوجدانية. وأثبتت

أعمال عالمي النفس السوفيتيين (ب. زانتشنكو، أ. سميدنوف) أن للحفظ العفوي أهمية لدى الأطفال الصغار أكبر منه لدى الأفراد الأكبر عمراً -لدى الراشدين على وجه الخصوص- وأن ما نحفظه عفوياً يظلّ سالماً فترة أطول بكثير من الذي كنا قد تعلّمناه إرادياً. ويعتبر بعض علماء النفس في أعقاب بيير جانه (1859- 1947)، الحريصون على أن يمنحوا مفهوم الذاكرة دلالة محدّدة، أن الذاكرة ينبغي لها أن تتجلّى بفعل: **قيادة السرد**. ولكن هذا التحديد غير مرْضٍ. فمن الضروري، في رأي دوله (المولود عام 1907)، أن نميّز ثلاثة مستويات متراتبة في الذاكرة: الأكثر أولّية، **الحسي الحركي**، خاصّ بالإحساسات والحركات على سبيل الحصر. وهو مشترك بين الحيوان والموجود الإنساني -وبخاصة للطفل الصغير جداً. والمستوى الأعلى، الخاص بالإنسان، يتميّز بالسرد المنطقي: إنها **الذاكرة الاجتماعية**، التي لايمكنها أن تستقرّ استقراراً دائماً إلا انطلاقاً من اللحظة التي تنمو فيها المقولات المنطقية. وأخيراً، تقع **الذاكرة الذاتية**، التي تبدو نحو عمر الثلاث سنوات وتستعير موادّها من الإحساسات، والأوضاع المعيشة، ولكنها لاتخضع إلا لقوانين اللاشعور. إنها هي التي تقدّم عناصر الحلم والمتخيّل، وعناصر الهذيان لدى المرضى العقليين: الماضي غير معترف به أنه ماضٍ؛ إنه يُعاش بوصفه حاضراً.

ويبيّن علم النفس التكويني أن الذاكرة تابعة لنضج الجملة العصبية وأنها لاتعمل عملها الوظائفي بوصفها آلية مستقلّة. والذاكرة، المرتبطة بمجموع الحياة النفسية، تستخدم الوجدانية وكلية المنظومة المعرفية، من الإدراك إلى الذكاء الصوري. فإذا طلبنا إلى طفل ذي ثلاث سنوات من العمر أن يرسم بقلم الرصاص شخصاً ما، فإنه يرسم دائرة (الرأس) ينطلق منها خطان عموديان (الساقان). إن ذلك هو الإنسان بالنسبة له: رأس على ساقين. وتظهر تفصيلات أخرى مع العمر: العينان، الذراعان، الفم، اليدان، ولكن الجذع لايُرسم إلا فيما بعد. فالذاكرة ترمّم ما هو مثبّت، أي ما كان قد أُدرك بوصفه أساسياً. ونرى أن ذلك يختلف باختلاف الأفراد والأعمار. والذاكرة مجموعة من العمليات تنمو بالتربية والتجربة.

وبيّنت أعمال علماء النفس الفيزيولوجيين أنْ ليس ثمة مركز للذاكرة، ولكن الذاكرة منوطة معاً ببعض المناطق المحدّدة من الدماغ، مثل **الحُصين** أو قرن أمون (تلفيف يكوّن قوساً يحيط بالجسم الثفني)، وبكلية القشرة الدماغية (مبدأ «عمل الكتلة» لـك. س. لاشلي)، وذلك صحيح بالنسبة لذاكرة الأجل الطويل على وجه الخصوص. فكل الدماغ معنيّ باستدعاء الذكريات، التي لانعلم أين تُحفظ ولا كيف. وهناك بعض جرحى الدماغ، حاملو جروح خطيرة، يجدون الذاكرة المفقودة، مجدّداً، بعد زمن طويل قليلاً أو كثيراً، كما لو أن دارات عصبونية جديدة كانت قد انتظمت تلقائياً.

والبحوث التجريبية التي انصبّت على تثبيت الذكريات وحفظها عديدة جداً. وأتاحت هذه البحوث إيضاح بعضٍ من جوانب هذا المشكل: إننا نحفظ جيداً ما يعنينا أو ما يخصّنا مباشرة؛ والمستساغ نحفظه أكثر من المنفّر؛ وما يتفق مع قناعاتنا؛ وما ينبغي أن نتذكّره لأنه ذو أهمية؛ وما نفهمه. وننسى بسهولة، على العكس، ما هو حيادي، سيّء التبنين، ضعيف الدلالة. ولاحظ هرمان إيبنْغهاوس (1850- 1909) أن ثماني قراءات كانت كافية لحفظ مقطع من قصيدة لبايرون، في حين أنه كان بحاجة إلى ثمانين قراءة ليحفظ قائمة من كلمات لامعنى لها، تحتوي عدداً مساوياً من المقاطع. فتثبيت الذكريات مرتبط إذن، في وقت واحد، بالشخص والمادة الواجب حفظها. إن فهم العناصر، وارتباطها بصورة أخرى، امتثالات وإحساسات، واندماجها في مخزون الذكريات المكتسبة، والتكرار، كل ذلك ييسّر الحفظ. ودرس عالم النفس السوفييتي، أ. لوريا (1902- 1978)، خلال نحو من ثلاثين سنة، رجلا ذا ذاكرة مدهشة، فينيامان، الذي كان يُظهر ظاهرة بارزة من **ترابط الإحساسات**: كانت الأصوات تتحوّل لديه إلى رؤيات ملوّنة، إلى انطباعات لمسية، إلى إحساسات ذوقية، إلى عطور. وكان بوسعه، بفضل هذه الارتباطات، أن ينمّي قوة ذاكرة عجيبة. وليست الذاكرة، لدى الناس عامة، أمينة حقّاً على الدوام. فالذكرى التي تخطر مزيّفة دائماً، ذلك أنها ذات علاقة ببناء جديد يجريه الذكاء. وإليكم مثالاً على ذلك: يريد مؤلف أن يذكر حالة هيلين كيلّر

(1880- 1968) التي نجحت، على الرغم من أنها كانت عمياء وصمّاء بكماء، في أن تكون مشرقة من الناحية الفكرية، نجاحاً يعود الفضل في الجزء الأكبر منه إلى إخلاص مربّيتها آن مانسفيلد سوليفان ومثابرتها. ولكنه تكلّم، إذ خانته ذاكرته، على كاترين كِهْلِن. ونحن نلاحظ أن في كهْلِن (Kehlen) اسم البطلة الشخصي هيلين (Helen) والحرف الأول من اسم عائلتها. أما فيما يخصّ كاترين، فمن المحتمل أن يكون ذلك ناجماً عن اسم الشهيرة كاترين مانسفيلد (1888- 1923)، الذي اختلط في ذاكرة المؤلف مع آن مانسفيلد. ومن الجدير بالملاحظة أن الاسم المذكور يكثّف الطفلة ذات العاهة ومربيتها في موجود واحد. فليست الذاكرة آلية دماغية. إنها فعل الحياة النفسية والتعبير عن الشخص برمّته. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم، الاتجاه، البيولوجيا الزمنية، الإدراك، الإيقاع، الذاكرة الدلالية**).

N.S.

الذاكرة الحيوانية، في رأي موريس برادين (1874- 1958) مستقبلية، متّجهة نحو المستقبل. واستدعاء الماضي **بوصفه ماضياً** لايزال غير موجود. وتدخل هذا الذاكرة، بوصفها حافزاً ضرورياً، في الفاعلية الإدراكية الأولية. وتجعل التوقّع ممكناً بـ«التعرّف» على علامات مدركة في الحاضر. فدور الذاكرة البيولوجية الأول يكمن إذن في **التوقّع** لا في الرؤية مجدّداً. والماضي يؤدّي دوراً لا يشعر به الحيوان، من حيث أنه يستخدم أول الأمر ذاكرته دون أن يعرفها. إنها تدفعه نحو المستقبل، جاهلاً معرفة الماضي **بوصفه ماضياً**، وذلك أمر ينجح فيه الإنسان. فالتصرّف الإدراكي يرتبط، في المستوى الأولّي والبيولوجي، بالذاكرة المستقبلية. ولولاها لما كان ممكناً أي استباق. وليس بالوسع توقّع المستقبل إلا بتوسّط ماض يماثل الحاضر. وليس الامتثال عرافة؛ ولا يمكنه أن يكون سوى ذكرى أثارها تماثل الأوضاع. فالماضي يحتلّ محلّ الحاضر آلياً ويبتكر توقّعاً لأحداث رافقت التجربة القديمة. (قانون الترابط والعادة).

وتسهم هذه الذاكرة المستقبلية، لاسيّما في الإدراك، بمعلومات عن طبيعة المثير وبعده. إنها ذاكرة النوع وذاكرة مكانية. ومثال ذلك أن الانطباع الذي يتركه نور على الشبكية ذو علاقة بضرب من الشدّة التي تصبح علامة المسافة الفاصلة بين الفرد والشيء. أضف إلى ذلك أن النوعية الحالية لانطباع يذكّر الفرد باللذة أو الألم التي، أو الذي، نجمت فيما مضى عن الاتّصال. ويصبح الحيوان، بفضل هذا «الامتثال»، قادراً على أن يتهيّأ إلى تجنّب هذا الاتصال، أو إلى نشدانه، أو إلى معاناته. والذاكرة هي، في رأي برادين، استطالة طبيعية للعادة، هي ذاتها ذاكرة لاشعورية. فثمة، لدى الإنسان، انقطاع الاستمرارية، والذاكرة البيولوجية المستقبلية تصبح قادرة على تصوّر الماضي **بوصفها ماضياً** وعلى أن يعيشه مجدّداً لذاته. ومع الفكر المجرّد إنما تظهر الذاكرة الماضوية في التطوّر. (انظر في هذا المعجم: **الإحساسات**).

R.G.

الذاكرة الدلالية

F: Mémoire sémantique

En: Semantical memory

D: Semantisches gedächtnis

تكوّن الذاكرة الدلالية هذا الجزء من الذاكرة ذات الأجل الطويل (بعبارة أخرى «مخزن» الذاكرة) التي تشارك في تنظيمها وتبنينها سيرورات اللغة.

في الأدب السيكولوجي المعاصر كثير من النظريات الخاصة بهذه المسألة. وتنطلق كلها من مبدأ مفاده أن المعلومات اللفظية لا يمكنها أن تُنقل إلى شيفرة مخزن الذاكرة بشكلها النصّي. فما يُنقل إنما هو محتوى الرسالة، وبعبارة أخرى **بنيتها العميقة**، في حين أن البنية السطحية تسجلّها الذاكرة ذات الأجل القصير. وينجم عن ذلك أن هذا الإعلام العميق ينبغي له، عندما «يُسترجع»، أن يكوّن، بصورة مسبقة، موضوع إعادة تبنين. فالمعلومات تتلقّى إذن شكلاً جديداً إذا استخلصناها من الذاكرة ذات الأجل الطويل، ولا تتغيّر إذا استخلصناها من الذاكرة ذات الأجل القصير.

وبوسعنا أن نميّز ضروب من النظريات الخاصة بتبنين المعلومات في الذاكرة الدلالية وتنظيمها: إنها نظريات العلامات، ونظريات العلاقات، ونظريات القضايا.

تسلّم **نظريات العلامات** أن الذاكرة الدلالية تتألف من مداخل معجمية ومجموعة من العلامات الدلالية، النحوية والفونولوجية، التي تُعزى إليها.

وتصف **نظريات العلاقات** بنية الذاكرة الدلالية بواسطة العلاقات القائمة بين العناصر المختلفة للمنظومة الذاكرية. إنها تُدرج مختلف نظريات الحقول الدلالية وعلاقات ترابطية، وكذلك أنماطاً من تراتبات المفاهيم.

وتعتبر **نظريات القضايا** (نظرية و. كِنْتش على سبيل المثال) أن القضية التي تتألف من علاقة وبيّنة أو عدة بينات عنصر بنائي للذاكرة الدلالية. وهذه القضايا تكوّن بنية اللغة، بنيتها العميقة التي تحكمها المبادئ المنطقية لحساب القضايا. وتحوّل القواعد النحوية هذه القضايا الأساسية إلى أقوال في اللغة المعنيّة. ولهذه القضايا كلها مهمّة مفادها أن تُبرز العمل الوظائفي في ذاكرة المنظومة المعجمية للغة والعلاقات الموجودة بين العناصر المعجمية المختلفة.

وتُجري كثير من المخابر السيكولوجية، في الوقت الراهن، بحوثاً تجريبية للتحقّق من الواقع السيكولوجي لأنماط الذاكرة الدلالية. (انظر في هذا المعجم: **شومسكي، الذاكرة**).

I.K.

ذرائعية التواصل F: Pragmatique de la Communication

En: Pragmatics of Communication

D: Kommunikationpragmatik

يمكننا، وفقا لنموذج التقسيم الثلاثي الذي تمارسه نظرية العلامات، أن نقسم دراسة التواصل إلى: **نظمية**، العلاقة بين العلامات (أو الرسائل)؛ **دلالية**، العلاقة بين العلامات (الرسائل) ودلالتها؛ **ذرائعية**، دراسة المفعولات لاستخدام العلامات على المستخدم. وللنظم علاقة وثيقة بالمنطق، ولعلم الدلالة علاقة وثيقة بالفلسفة والإبستيمولوجيا، وللذرائعية علاقة وثيقة بعلم النفس.

وينطوي كل فعل من أفعال التواصل، بالضرورة، على الجوانب الثلاثة المذكورة، وهي تكون فيه مترابطة. ولنضرب مثلاً على ذلك لعبة الشطرنج: اللاعبان («المتفاعلان») يعالجان رموزاً (بيادق الشطرنج) مزوّدة بدلالة اتّفاقية (دلالية)، إذ يتّبعان مجموعة من القواعد (نظم)؛ وكل قرار يتخذه لاعب يؤثّر في سلوك اللاعب الآخر الذي تؤثر استجابته بالمقابل في اللاعب الآخر (ذرائعية)؛ والكل يحتلّ مكاناً في سياق نوعي (اللعبة).

والوحدة الذرائعية الصغرى المزوّدة بمعنى، التي يمكننا أن ندرسها في سيرورة تواصل هي الثلاثي **المؤلف -الرسالة -المتلقّي**، الذي يصبح فيه المتلقي، باستجابته، موجّه (مؤلف) ثلاثيّ جديد مطابق للأول من الناحية البنيوية، وهكذا دواليك. ولايحدث تعاقبات هذه الضروب من الثلاثي، التي تتنضّد، بالمصادفة، ويمكننا أن

نعتقد أن الذرائعية، شأنها شأن النظم وعلم الدلالة، تتبع مجموعة من القواعد التي تشابه إجمالاً ضرباً من قواعد لغة، من علم نحو، من حساب رياضي، من مدوّنة رموز، من برنامج. وتقعيد هذا النموذج الذرائعي لايزال في بداياته، ويُحتمل أن يكون أكثر تعقيداً بكثير من تقعيد النظم (الذي تحقّق تحققاً واسعاً) أو تقعيد علم الدلالة.

وتقوم ذرائعية التواصل على تفاعلات ملاحظة وليس على عوامل نفسية داخلية تتّصف بأنها استنباطات وفروض. فلم نعد نعتبر الـ«فرد-موناد»، بل **نماذج** (أو بنيات) علاقات تخضع لقواعد التواصل وهي معطى مباشر من معطيات الواقع. وعلى المستوى الإبستيمولوجي، بصورة موازية، ننتقل من البحث عن الأسباب **الماضية**، التي يتعذّر التحقّق منها، على وجه العموم، إلى دراسة السيرورات **الحالية**. وهذه الطريقة سيبرنيطيقية بصورة أساسية، ذلك أنها تأخذ بالحسبان كل التحوّلات الممكنة التي يبين بعضها متواتراً جداً وبعضها الآخر نادراً أو لايحدث أبداً. إنها، فضلاً عن ذلك، «منظومة» بالمعنى الذي يطلقه على هذا المصطلح لودفيغ برتالانفي، بوصفها تشمل كلية التفاعلات (مؤلف - رسالة -متلقّي، استجابة المتلقي، سياق).

ومفعولات التواصل الإنساني كانت موضع دراسة، في عداد دراسات أخرى، أجرتها جماعة بالو ألتو (كاليفورنية) التي حاولت وضع أولّيات (axiome) مشتقّة، على نحو اختباري، من تقعيد التواصل الإنساني، وطبّقت مبادئها على الدراسة النفسية المرضية للأسرة والجماعات الإنسانية الأوسع. وأحد هذه المبادئ يكمن في أن كل سلوك في حضور شخص **هو** تواصل وبالتالي **ليس بوسع الفرد الإنساني ألا يتواصل**. فكل رسالة تحمل إعلاماً ولكنها هي أيضاً ضرب من تحديد العلاقة كما يراها مؤلف الرسالة (تقعيد التواصل). وكل رسالة يمكنها، جزئياً أو كلياً، أن تكون «عددية» أو «قياسية»، وفق مصطلحات المعلوماتيين. ونعلم في الواقع أن المعلوماتيين مدفوعون إلى معالجة المعلومات التي تُعرض بشكل قياسي

تارةً وعددي تارة أخرى؛ ونتكلّم في هذه الحالة الأخيرة على «digit» (رقم) أو «bit» (وحدة الإعلام). فـ«bit» تدلّ على كمية الإعلام التي يقدّمها حَدَث، احتمالها يساوي 2/1. مثال ذلك، إذا كان سؤال لايقبل جواباً إلا **نعم** أو **لا**، فإن الإعلام الذي يحتويه الجواب يساوي (bit). واللغة الشفهية أو المكتوبة رسالة «رقمية»؛ أما الرسالة الإشارية، والإيماء، والدموع، فهي رسائل «قياسية». والعلاقة بين الرسالة الجواب هي إما علاقة تناظر، وإما علاقة تكامل. وأخيراً، كلّ من حقلي ذرائعية التواصل يمكنه أن يكون ذا علاقة بضرب من علم الأمراض.

وبيّن جورج باتوسون، رئيس جماعة بالو ألتو ومنظّرها، أن مفعولات الرسائل لم يكن يتحدّد موقعها في نقل المعلومات فحسب، ولكن موقعها يتحدّد أيضاً في **بنيتها**. وإذ درس **نماذج** التواصل في أسرٍ أحد أعضائها فصامي، تعرّف فيها على رسائل متبنينة كمفارقات (نقائض) المنطق الصوري (وذلك ماسماه «القسر المزدوج») وبحث عن كيفية استخدام مثل هذه الرسائل على المستوى العلاجي: (انظر في هذا المعجم: **باتوسون**، **التواصل**، **القسر المزدوج**، **جماعة بالو ألتو**، **نظرية العلامات**).

P.W. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

الذكاء

F: Intelligence

En: Intelligence

D: Intelligenz

قابلية معرفية عامة فطرية.

يمكننا قياس هذه القابلية بشيء من الدقّة بواسطة الروائز التي تتيح إعداد حاصل ذكاء (ح. ذ). والذكاء عام بمعنى أن شخصاً ذكياً جداً ينجح في مهمّات متنوّعة جداً بمقدار ما تكون من النسق المعرفي. والذكاء معرفي بمعنى أن النجاح في بعض المهمّات التي تتطلّب قابليات أخرى (جسمية، وجدانية) مستقلّ عن قيمة ح. ذ. إنه فطري، ذلك أن الثابت هو أن شروط الوسط تؤثّر تأثيراً قليلاً على الفروق بين القابليات الفكرية. وحُسب أن نحو 80 بالمئة من هذه التغيرات ترتبط، في الحضارات الغربية الراهنة، بعوامل وراثية و20 بالمئة فقط مرتبطة بالوسط. والذكاء **مفهوم**، وليس شيئاً؛ إنه مفهوم كالجاذبية والكهرباء. ومن المهم جداً أن نفهم هذا التمييز: إن بوسعنا أن ندلّ على شيء، ولكن المفهوم جزء من نظرية علمية. والغالب أن ثمة تشييئاً لمفهوم الذكاء، وذلك هو السبب في ضروب من الأخطاء والخلافات. ومفهوم الذكاء، شأنه شأن المفاهيم كلها، قائم على بحث علمي وعلى إعداد إحصائي لنتائجه.

ويتوزّع الذكاء وفق منحنى غوس المنتظم، الذي له شكل جرس على التقريب، يحتوي غالبية عظمى من الحالات المتوسطة وعدداً أقلّ فأقل من الأفراد

اللامعين أو المتخلفين. فاللامعون في الروائز ينجحون على نحو أفضل في نموذج مجتمعنا؛ وبوسعنا بيان أن الأول من أخوين في أسرة واحدة، أحدهما لامع والآخر ضعيف الموهبة، ميّال إلى أن يرتفع في السلم الاجتماعي والآخر إلى أن يهبط إلى مستوى أدنى من مستوى والديه. فحاصل ذكاء مرتفع أمر لا غنى عنه للنجاح في المدرسة والجامعة. وهناك قليل من الفاعليات التي ليست هي الحال بالنسبة لها؛ ولكننا نجد أيضاً أناساً مستواهم العقلي مرتفع يمارسون الفاعليات الأكثر بساطة. وذلك مصدره أن الذكاء غير كاف للنجاح؛ وليس ثمة بدّ أيضاً من صفات أخرى كالمثابرة، وكذلك دافعية قوية، وظروف ملائمة والحظ.

وبرهن بعضهم على أهمية العوامل الوراثية بأنحاء متعدّدة. فثمة توائم حقيقيون، ترعرعوا بصورة منفصلة، حاصلات ذكائهم متقاربة جداً. ويشبه الأطفال المتبنّون، من هذه الناحية، أباءهم الطبيعيين أكثر مما يشبهون أباءهم الذين تبنّوهم بكثير، على الرغم من أن هؤلاء ربّوهم وقدّموا لهم شروط الوسط إذن. وفروق حاصل الذكاء بين أطفال رُبّوا في منشأة ذات سمة اجتماعية (ميتم) كبيرة بقدر كبر الفرق، على وجه التقريب، بين الأطفال «الطبيعيين»، مع كل تنوّع الوسط الذي يفترضه ذلك. وثمة مفعول ذو أهمية كبيرة للأصل الوراثي للذكاء يكمن في ما نسمّيه «النكوص نحو المتوسط»: الأطفال من آباء لامعين لامعون، على نحو أقلّ مع ذلك، والأطفال من آباء متخلّفين هم أيضاً متخلفون عقلياً، ولكنهم متخلّفون بدرجة أدنى. وهذه الظاهرة المعروفة جيداً تجنّب المجتمع كتامة الطبقات الاجتماعية؛ ففي مجتمع ذي حركية اجتماعية كبيرة، يجري على هذا النحو ضرب من المزج المستمرّ بين الطبقات، إذ أن الأطفال الأكثر نباهة من الطبقات العاملة يرتقون إلى الطبقة المتوسطة والأطفال الأقلّ موهبة من الطبقات المتوسطة يجدون أنفهسم في البروليتاريا.

وتقتضي روائز الذكاء أن نذكر النقد الذي مفاده أنها لن تكون سوى روائز تعلّم أو نجاح مدرسي. وثمة بعض أفراد من الأسكيمو اختُبروا بروائز، وهم في

حقول صيدهم بالمناطق القطبية، لم يظهروا أدنى من الكنديين البيض، على الرغم من النقص في ارتياد المدارس لديهم، وحصلوا على نتائج أفضل من عدة جماعات من الأوروبيين الذي كان مستوى ارتياد المدارس لديهم أعلى. وثمة جهود تُبذل لاستخدام مواد في روائز الذكاء مألوفة في كل مكان (كالأشكال الإدراكية والصور) ولتجنّب كل ما يُستعان فيه بمعارف يبلغها فقط جزء من السكان الذين يُرازون. وإذا لم يكن بوسعنا قط أن نستبعد المتغيّر الثقافي استبعاداً كاملاً، فإن بوسعنا أن نجعله مهملاً بصورة نسبية.

H.J.E. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

الذكاء هو القابلية لفهم العلاقات الموجودة بين عناصر وضع وللتكيّف معها، وبغية تحقيق الفرد أهدافه الخاصة. إنه فهم واختراع على الدوام، يقول غاستون فيّو (1899- 1961). وحتى يتحقّق الفهم والاختراع، لابدّ مسبقاً من ضرب من تنظيم عناصر الحقل السيكولوجي. مثال ذلك، كيف نعمل لندمّر ورماً سرطانياً بواسطة أشعة x دون إلحاق الأذى بالنسج السليمة التي تغطّيه؟ فلابدّ أول الأمر، لحلّ هذا المشكل (دونكر)، من أن نعيد النظر في المعطيات الأساسية ونحسب الإشعاع غير الضار، ثم نجعل عدة حزمات، تركيزها وحده سيكون ناجعاً، تتلاقى في المكان المراد. فالقدرة على حلّ المشكلات الجديدة والتكيّف بسرعة مع الأوضاع الجديدة علامة نوعية من علامات الذكاء. واعتقد بعضهم خلال زمن طويل أن فاعلية الإنسان المفهومية والمنطقية، التي تُعدّ انطلاقاً من اللغة، هي وحدها المتّصفة بالذكاء، في حين أن سلوكات التكيّف الأخرى كانت ناجمة عن الفاعلية الغريزية. ولكن بعض الباحثين برهنوا، منذ بداية القرن العشرين، بصورة مؤكدة تقريباً، على وجود أشكال أخرى من الذكاء. فليس ثمة ضرب واحد من الذكاء، متنوّع الدرجات، بل هناك عدّة ضروب تختلف باختلاف الموجودات والأنواع. وللعالم، والقائد الحربي، والفيلسوف، والمهندس، والفنان، والتاجر، أشكال من

الفكر مختلفة جداً. ولهذا السبب اقترح ثورندايك (1920) تمييز ثلاثة نماذج كبرى من الذكاء على الأقلّ: الذكاء **المجرّد** أو **المفهومي** الذي يتميّز بقابلية استخدام الموادّ اللفظية والرمزية؛ الذكاء **العملي** الذي يجد اليسر في المشخّص عندما ينبغي له التعامل مع الأشياء؛ الذكاء **الاجتماعي** أخيراً، الذي ينطوي على فهم الموجودات الإنسانية وسهولة التفاهم معها. فللأطفال (والمتخلفين عقلياً) ذكاء عمل بصورة أساسية. ولكنه لايبدو على شكل محدّد عادة. وتبيّن أعمال مدرسة جنيف أن القابلية المعرفية تُعدّ طوال الطفولة والمراهقة، وتمرّ في عدة مراحل تكون الأولى شبيهة بالأشكال الأولية للتكيّف البيولوجي وتميل الأخيرة إلى التماهي ببينات الفكر الرياضي المنطقية. إن الذكاء، يكتب بياجه قائلاً (1965، ص. 133) «يُبنى بمراحل من التوازن متتالية، بحيث أن العمل يبدأ، في كل مرحلة من المراحل، بإعادة بناء ما كان موضع الاكتساب من قبلُ في المرحلة السابقة، ولكن بشكل أكثر محدودية». فالأولى من هذه المراحل تتكوّن، بشكل **حسّي حركي**، خلال السنتين الأوليين على وجه التقريب. ويعدّ الطفل، المتفاعل مع وسطه، تخطيطيات أولية ستتيح له، باتّساعها وتنسيقها التدريجي، أن ينظّم الواقعي. ويستخلص على هذا النحو مفهوم **دوام الشيء** بصورة خاصة. ويدرك في المستوى التالي، «مستوى الفكر التمثيلي والإجراءات المشخّصة» (من سنتين إلى ست سنوات) تلك العلاقات المكانية، والزمانية، والسببية، الموجودة بين الأشياء وبين هذه الأشياء وبينه هو ذاته، إدراكاً تدريجياً. ويمكنه بفضل اللغة والوظيفة الرمزية بصورة عامة، أن يعيد بناء المكتسب السابق كله على المستوى التصوّري، ولكنه يُدخل فيه بعض التشوّهات الناجمة عن وجهة نظر تتّصف بالتمركز على الذات. وتتنظّم الإجراءات الأولى التي يمكن أن ينعكس اتجاهها، نحو السنة السابعة، بداية المرحلة الإجرائية بالمعنى الدقيق للكلمة، وتظهر، نحو السنة الحادية عشرة أو الثانية عشرة، العمليات الصورية أو الفرضية الاستنتاجية التي تنصبّ على أقوال منطقية وليس على أشياء، كما هو الأمر في المرحلة السابقة (عملية مشخّصة).

وشكّل الذكاء موضوع أعمال لاتُحصى. فحاول بعضهم أن يقيسه (**أول أداة** مفيدة ابتكرها أ. بينه) ويحلّله إلى عناصره. والنجاح في بعض **المهمّات العقلية** (اختبارات متنوّعة جداً يخضع له عدة أفراد تابعة، في رأي شارل إدوار سبيرمان (1863- 1945)، لعاملين: أحدهما عام (العامل g) (ع)، مشترك بين كل التمرينات؛ والآخر نوعي (عامل s) (ن)، خاصّ بمهمة خاصة. واقترح هذا المؤلف أن يكون العامل g، الذي يسمّيه «الطاقة العقلية» مماثلاً للذكاء. وبعض علماء النفس، الذين يشكّون بقيمة طريقة الارتباطات التي استخدمها سبيرمان، حسّنوا التحليل العاملي وأظهروا قابليات أولية عديدة (ل. ل. ثورستون) تتدخّل وفق المهمّة الواجب إنجازها. ويتألف الذكاء نفسه، في رأي ر. ب. كاتل (1967)، من قابليتين يصفهما بـ«السيّالة» و«المتبلّرة». الأولى (g f) (ع س) تتدخّل في مهمّات التصنيف والتماثلات، على سبيل المثال؛ والثانية (g e) (ع م) تعمل في الاستدلال والحكم، إلخ. ومهما يكن من أمر، علّمنا التحليل النفسي وعلم النفس العيادي أن الذكاء يختلف عن ضرب من ملكة الفكر. إنه، بوصفه لا ينفصل عن الوجدانية (وعن الانفعالات والنزاعات داخل الحياة النفسية)، تصرّف الشخص بكليته في وضع معيّن: فالفرد نفسه يمكنه أن يكون نبيهاً في برهنة رياضية، على سبيل المثال، وغير متكيّف كلياً أمام مهمّة عملية أو محفوفة بالخطر. وكما أن للوجدانية صدىً في الذكاء، كذلك الذكاء يمكنه أن يمارس رقابته على الوجدانية. إنه هو الأمر الذي يتيح لبعض الأفراد أن يسيطروا على نزاعاتهم إذ يضفون عليها الصفة الفكرية، أي أنه يمنحها صياغة استدلالية. (انظر في هذا المعجم: **القابلية**، **الثقافة**، **الفكر المتنوّع**، **التحليل العاملي**، **التوائم**، **الوسط**، **الذكاء الاجتماعي**).

N.S.

الذكاء الاجتماعي

F: Intelligence sociale
En: Social intelligence
D: Sozial intelligenz

قابلية فهم الرجال والنساء، والصبيان والبنات وتوجيههم، والتصرّف بحكمة في العلاقات الإنسانية.

هذا التعريف الذي أطلقه ثورونديك (1920)، الأول الذي ميّز الذكاء الاجتماعي على نحو دقيق، مايزال مستخدماً؛ ويبدو مرْضياً، ذلك أنه ذو علاقة بالواقع اليومي. والحقيقة أن الحياة الاجتماعية تقتضي، على ما يبدو، ضرباً ثالثاً من الذكاء، متميزّاً جيّداً من الذكاء النظري المجرد والذكاء التقني، العملي. وأعدّ موس، هونت وأُمووك (1927)، بين الأوائل الذين أعدوا، وجرّبوا مجموعة من روائز الذكاء الاجتماعي، ولكن النتائج لم تستجب لتوقّعاتهم. ووصل الأمر في النهاية، بعد خيبات متلاحقة، حتى إلى الشكّ في وجود مثل هذه القابلية الخاصة (كرونباخ، 1970) وإلى الرغبة في التخلّي عن هذا الفرض غير المثمر.

وسيكون مثل هذا الموقف مؤسفاً. والأفضل أن نعيد فحص الطرائق المستخدمة حتى الآن والنظر إن لم يكن مصدر الإخفاقات عدم كونها مناسبة للموضوع. والواقع أن الباحثين اعتقدوا اعتقاداً ساذجاً، خلال فترة طويلة من الزمن، أن التقنيات التي اختُبرت، تقنيات البناء الكلاسيكي للروائز العقلية، وعلى وجه الخصوص، ربما، الوسائل التي تقدّمها الحاسبات، تتيح لهم أن يعزلوا ضرباً خالصاً من عامل «الذكاء الاجتماعي». وعرف هذا العهد أوجه مع براغماتية التحليل العاملي، بين السنوات الثلاثين والستين، ولكنه يبدو أنه يبلغ نهايته. ويلجأ ماك كلولاند (1973) إلى توجيه جديد للبحث في الذكاء، الذي لاينبغي له

أن يكتفي بابتكار «روائز ألعاب» بل ينبغي له أن يأخذ على محمل الجدّ ذلك البحث عن معايير التصرّف التي يمكننا انطلاقاً منها أن نؤسّس التنبّؤات؛ وسيكون مع ذلك، يوضّح ماك كلولاند، من الخطأ أن نعتقد أن يكون بعض الأشخاص الذين نجحوا نجاحاً كبيراً في حياتهم المهنية والخاصّة هم التشخيص ذاته للإنسان الذكي من الناحية الاجتماعية، ذلك أن الأمر الذي تمّ البرهان عليه مفاده أن انعدم المساواة الاجتماعية الاقتصادية يؤثّر تأثيراً حاسماً في حظوظ التربية والتكوين. أضف إلى ذلك أن رائزاً لا تُثبت صحتَه إلا مفاهيم مقدار الدخل أو الوضع المهني لا يكفّ عن أن يعكس الفروق الاجتماعية ولا يعلّمنا شيئاً لا نعلمه من قبلُ. وعلى العكس، يؤكد ماك كلولاند أن أسلوب التصرّف في الأوضاع الصعبة يكوّن معياراً هاماً، ذلك أن هذا الأسلوب يستخدم صفات شخصية كالقدرة على التواصل، والصبر، ونضج الطبع، وتجعل العمل متناسباً مع الهدف المنشود. وفي هذا السبيل، إنما يمكن أن يجد علم النفس مستقبله. فإذا تخلّينا إذن عن أن نرى في الذكاء الاجتماعي عنصراً تقيسه الروائز حتى نعتبره استعداداً للتصرّف اجتماعياً على نحو مناسب، فإن مصطلح **الكفاية الاجتماعية** يصبح المصطلح الأكثر اتّصافاً بأنه مناسب، لأنه يأخذ بالحسبان بواعث الشخص ومقاصده (أرجيل، 1969).

وتبدو مثل هذه «الكفاية» أنها ترتكز على قابلية للمعرفة الحدسية بالغير والمشاركة الوجدانية، اللتين تتيحان لنا أن نرى ونتصرف، إذ نضع أنفسنا من وجهة نظر شريكنا (غ. هـ. ميد، 1934؛ أرجيل). ومع ذلك، لاتبدو هذه القابلية نامية بصورة خاصة لدى «الإنسان الميكيافيلي» (كريستي وجيس، 1970) الذي لايظهر لنا، على الرغم من نجاحاته كلها، أنه «كفيّاً» من الناحية الاجتماعية، أقلّه بالمعنى الأخلاقي للمصطلح. فمسألة الذكاء الاجتماعي لايمتدّ إلى مجال الأخلاق فحسب، ولكنه يمتدّ أيضاً إلى قطاعات أخرى، منها علم النفس التكويني. وتبيّن على هذا النحو بحوث أُجريت انطلاقاً من أعمال بياجه أن ضروب التركيز المعقّدة الخاصة بالإدراك وفهم الغير ليس ممكنة إلا بدءاً من عمر معيّن (ميلر، كيسّيل وفلافيل، 1970). (انظر في هذا المعجم: **الكفاية**، **اللذة**، **الدور**).

P.OR. (ترجمة: **J.S.T.** إلى الفرنسية)

الذكاء الحسي الحركي F: Intelligence sensori -motrice

En: Sensori-motor intelligence

D: Sensus -motorichen itelligenz

شكل من أشكال الذكاء قبل اللفظي، يميّز الأطفال الذين لم يبلغوا بعدُ مرحلة الفكر قبل الإجرائي ولكنهم الذين يكتشفون الآن تصرّفات الالتفاف والعودة، التي تجسّد مسبقاً، تجسيداً جزئياً، التـرابطية **(نتيجة حاصلة بفعل مسعيين مختلفين يُعترف على الأقل أنها نتيجة «واحدة»)** وانعكاسية الإجراءات **(القدرة على تنفيذ عمل في اتجاهي المسار، مع الشعور في الوقت نفسه أن العمل هو نفسه).**

ذكاء الطفل، من الولادة حتى الشهر الثامن تقريباً، ذكاء مشخّص وعملي بصورة أساسية، يوجّهه العمل. وليس لدى الرضيع، خلال الشهر الأول، سوى تكوينات وراثية ينتظم تصرّفه انطلاقاً منها. ثم تترسّخ المنعكسات بتأثير المفعول التراكمي للممارسة، وتنشأ أشكال أوليّة من العادات (بين شهرين إلى ثلاثة). وتظهر، بين الشهر الثالث والسادس (نحو أربعة أشهر ونصف عادة) ومع بدايات التنسيق البصري واليدوي، سلوكات جديدة تؤمّن الانتقال بين العادة البسيطة والذكاء. إنها الحقبة التي يكرّر فيها الرضيع تكراراً فاعلاً تصرّفه نفسه للحصول على النتيجة المنشودة، حين يُحدث على سبيل المصادفة ضرباً من المفعول (إنه، على سبيل المثال، يهزّ مجموعة من الجلاجل إذ يشدّ حبلاً قصيراً). ذلك إنما هو ما يسمّيه جيمس مارك بالدوين (1861- 1934) «الارتكاس الدائري». وتصبح

المخطّطات الأولية المبنيّة بواسطة الارتكاسات الدائرية، بدءاً من الشهر الثامن أو العاشر، «قادرة على أن تتناسق فيما بينها، إذ يُستخدم بعضها بوصفه وسائل وبعضها الآخر يحدّد هدفاً للعمل»(ج. بياجيه، 1947، ص. 124). وعلى هذا النحو إنما يبدأ الرضيع، ليمسك لعبة مخبّأة وراء شاشة، بإزاحة هذه الشاشة، ثم يستولي على الشيء المشتهى. ويهتمّ الطفل، بين السنة والشهر الثامن عشر، بالجدّة لذاتها ويكتشف، بالتلمّسات، تصرّفات جديدة لن يلاحظ أي شخص سمة الذكاء فيها: جذب شيء نحوه بواسطة السجّادة التي وُضع عليها، أو بحبل صغير مرتبط به، أو بعصا مستقلّة. وأخيراً، قد يكون هناك، بعد الشهر الثامن عشر، **ابتكار** أساليب بفهمٍ مفاجئ للوضع (هذا ما يسمّيه كارل بوهلر Aha -Erlebnis؛ ويسميه ولفغانغ insight (أي **الاستبصار**)). ولم يعد الطفل يحتاج إلى التجريب الفاعل؛ إنه يستدخل الأعمال، بمخطط أوّليّ من الامتثال الذي يعلن الانتقال من الذكاء الحسي الحركي إلى الفكر بالمعنى الحقيقي للكلمة. (انظر في هذا المعجم: **العملية (الإجراء)**، **المخطّط الأوّلي**).

N.S.

الذكـاء الحيواني

F: Intelligence animale

En: Animal intelligence

D: Tierintelligenz

إذا كان بوسعنا أن نعرّف الذكاء بالقدرة على حلّ مشكلات مشخّصة، فإن هذه القدرة موجودة أيضاً لدى الحيوانات العليا. وكان الاعتقاد السائد، حتى زمن قريب العهد، أن الذكاء وقف على الموجودات الإنسانية، إذ ليس بوسع الحيوانات أن تُقاد إلا بـ«غرائزها». وكانت حيل البهائم المتوحّشة، الأكثر غرابة، تُعتبر سلوكات فطرية، مسبقة الصنع، إذ لاتستخدم أي «ذكاء». ولكن هذا الاعتقاد غير مقبول بفضل الملاحظات على أرض الواقع والتجارب العديدة التي أجراها علم النفس وعلماء الحيوانات الذين درسوا سلوكها العفوي. إن إتين روبو روى حيلة عقعق لاحظه عام 1904: كان العقعق، الذي اشتهى قطعة اللحم التي كان هرّ يمسكها بين مخالبه، يدور وهو يقفز حول الهر، إذ يضيّق الدوائر التي كان يرسمها تضييقاً تدريجياً في الوقت نفسه؛ ثم نقر العقعق نقرة بمنقاره فجأة ذنب الهر الذي التفت وهو يرخي قطعة اللحم؛ فاستولى العقعق عليها وفرّ هارباً. وبيّن ف. روسّيف، في فيلمه عن **الحيوانات**، كيف أن ثعلباً كان يتظاهر بالموت حتى يجتذب الغربان إلى أن أصبحت في متناوله. ووصف عالم النفس الياباني م. كاواي (1965) واقعاً «ثقافياً» لدى قرود من الماكاك في جزيرة صغيرة من بلاده (Macaca fuscata) كانت أنثى منها تؤثر أن تغمس حبّة البطاطا الحلوة في جدول، بدلاً من أن تقضمها مباشرة، حتى تخلّصها من الرمل الذي كان يغطّيها؛ وحاكاها

على وجه السرعة أصغر قرود القطيع، ثم أمهاتها التي انضمّت إليها القرود المتردّدة. وبعد فترة زمنية قدرها تسع سنوات، كان القطيع كلّه قد تعلّم عادة غسل الدرنات، باستثناء الأكبر عمراً. أضف إلى ذلك أنه رأى، بما أن البحر كان قريباً (على بعد بضع عشرات من الأمتار)، بعض قرود الماكاك تؤثر الماء المالح على الماء العذب وتطيّب حبات البطاطا، إذ تغمسها في ماء البحر قبل كل قضمة. ووصف أيضاً علماء الرئيسات من الثدييات اليابانيون تصرّفات ذكيّة أخرى للقردة الشبيهة بالإنسان، كالعملية الكامنة في فصل حبّات القمح عن رمل الشاطئ حيث كان تنتشر هذه الحبّات، إذ تلقي هذه القردة قبضات من الخليط في الماء (الرمل يغوص في الماء بسرعة أكبر من القمح). وتخيّل علماء النفس، إلى جانب هذه الملاحظات المباشرة في الوسط الطبيعي، أوضاعاً عديدة لتقييم ذكاء الحيوانات. بعضها تجارب التفاف، وأخرى تجارب استخدام أدوات أو تعلّم. فقد بيّن لويس فيرلين على هذا النحو أن قرد الماكاك (macacus sinicus) كان قادراً على التجريد، في حين أن ولفغانغ كوهلر (1887- 1967) وعالمة النفس ناديا لاديغينا –كوتس برهنا بصورة مؤكّدة أن القرود العليا قادرة على صنع الأدوات (تشبيك قطع من الخيزران بعضها في بعض لصناعة عصا طويلة بغية الوصول إلى قرن موز موضوع في غير متناولها؛ تقويم قضيب من الحديد ملتفّ حول نفسه لدفع طعام محصور في أنبوب رقيق طويل؛ إلخ). بل الشامبنزي قادر على أن يتعلّم اجتياز متاهة معقّدة يقتضي استخدام رمزيّ غير لفظي يمكنه، بالنسبة للإنسان، أن يُصاغ على النحو التالي: «دورتان إلى اليسار، دورتان إلى اليمين، ثم دورة إلى اليسار»، وهكذا دواليك حتى اثني عشرية من الدورات. وأفلح عالما نفس من جامعة نوفادا (في الولايات المتحدة)، ر. ألِن غاردنر وبياتريس ت. غاردنر (1969، 1971، 1976) في تعليم شامبنزي أنثى، واشو، عمرها نحو سنة في بداية التجارب، أن تستخدم إشارات من مدوّنة الإشارات التي يستخدمها الأطفال الصمّ الأمريكيون، **الإشارات اللغوية الأمريكية** (إ. ل. أ.). والمقصود لغة إشارية من النوع القياسي، حيث تمثّل كل إشارة مفهوماً. ومثال ذلك أن الذراعين المتصالبتين على الكوعين تعنيان «رضيعاً»،

أو «لعبة» مع التوسّع؛ والإبهام في الفم يعني «الشرب»؛ والإصبع على الأذن يعني «الإصغاء»؛ واليد على قمة القحف «القبّعة»، إلخ. فاستوعبت واشو مئة واثنتين وثلاثين إشارة، وأفلحت في أن تستخدم بعضها في سياقات مختلفة عن شروط التعلّم. وعلى هذا النحو إنما استخدمت تلقائياً إشارة «أكثر»، المرتبطة في البدء بالغذاء، للنزهة، أو أنها أيضاً أشّرت إشارة «كلب» حين سمعت نباح كلب في الشارع. ولاحظ ر. أ. (و) ب. ت. غاردنر أيضاً أكثر من مئتين وتسعين من التوافيق المختلفة من الإشارات، ذات علاقة بجمل كالجملتين التاليتين: «قدّم لي طعاماً» أو «روجر يدغدغ واشو». وجلب عالم نفس آخر، روجر س. فوتس، من جامعة أوكلاهوما (الولايات المتحدة الأمريكية)، واشو عام 1970، إلى مستعمرة الشامبنزي التي كان يعمل عليها؛ وسرعان ما توجّهت واشو إلى الرفاق الجدد (لاسيّما إلى ذكرين، برونو وبو، اللذين كان قد عُلّما ثلاثين إشارة من **اللغة الإشارية الأمريكية**) باللغة التي كانت قد تعلّمتها. وولدت واشو توأمين فيما بعد، ولكنهما لم يعيشا. فعهد إليها روجر س. فوتس عندئذ برضيع شامبنزي، «لولي»، ربّته بوصفه ابنها. وحاكى لولي واشو واكتسب خلال زمن قليل تلك الحركات التي تعني «الطعام»، «الشراب»، «الحار»، «الثمرة»، «اعطني». وفي إيار (مايو) 1979، في أعقاب أزمة مزاج سيء كان قد صرخ ودفع يد أمه بالتبنّي، صالب ذراعيه على صدره في عدة مناسبات (إشارة لـ«العناق» إلى أن غفرت له واشو).

وثمة تجربة أخرى مدهشة كان قد أنجزها الدكتور دافيد بروماك (1969، 1971، 1972)، عالم نفس من جامعة كاليفورنية شرع يعلّم ساره، شامبنزي عمرها خمس سنوات، «القراءة» والكتابة، مستخدماً قطعاً من مادة بلاستيكية ملوّنة، يمكنها أن تلتصق على لوح مغناطيسي. وبدأ يعلّمها العلاقة بين هذه القطع البلاستيكية والأشياء والصفات التي كان ترمز إليها: مثلث أخضر يرمز إلى التفاحة، مربع إلى قرن الموز، نجمة إلى الشوكولاه، صورة ظلّية جالسة إلى سارة، إلخ. وكان الحيوان يحوز خلال سنتين مجموعة من المفردات عددها مئة وخمس

وعشرون كلمة مؤلفة من أسماء مشتركة، وأسماء أعلام، ونعوت، وأفعال (يأكل، يأخذ، يقطع)، وظروف، وحروف جر وروابط تبعية (في، على، أمام، إلى جانب)، ومفهومي نعم ولا، وحتى علاقات منطقية «إذا . . . إذن» («**إذا** أخذت سارة التفاحة، **إذن** ماري لا تعطي قرن الموز»). وتعلّمت سارة، في مرحلة ثانية، أن تؤلّف جملاً صغيرة مختلفة مثل: «سارة تضع قرن الموز في السطل». وأخيراً، عندما كانت تُسأل، فإنها كانت تجيب بالضرورة؛ مثال ذلك أنها كانت تؤلف الجملة التالية جواباً عن السؤال «ما التفاحة؟»: «التفاحة ثمرة حمراء» أو كانت تجيب أيضاً عن السؤال: «ما التفاحة بالنسبة للملعقة؟» بالجملة التالية: «التفاحة مختلفة عن الملعقة». وفي رأي د. بروماك أن سارة ربما نجحت على هذا النحو في اكتساب منظومة ألسنية. وحصل عالما النفس ر. أ. (و) ب. ت. غاردنر في نيسان (أبريل) عام 1976، من جهتهما، على رسوم أولية من الشامبنزي خاصتهما، الذي بدا حتى قادراً على أن يمثّل عصفوراً عندما يُطلب إليه. فكل هذه الوقائع تبرهن، برهاناً لا يتطرّق إليه الشك، أن الحيوانات العليا، والرئيسات من الثدييات على وجه الخصوص، قادرة على القيام بأفعال ذكية. (انظر في هذا المعجم: **لغة الحيوانات**).

N.S.

الذكرى

F: Souvenir

En: Remambrance, Recollection

D: Erinnerung

عودة حَدَث ماض إلى الفكر.

الذكرى غير موجودة بذاتها؛ إنها إعادة بناء الماضي انطلاقاً من عناصر الحاضر (عطر، مذاق، أغنية، إلخ)، والذكرى، كما يقول جورج غوسدورف (مولود عام 1912)، «لاتشهد على ماضينا بقدر ماتشهد على حاضرنا ومستقبلنا القريب». والذكرى يمكنها أن تظهر ظهوراً عفوياً أو في أعقاب جهد إرادي. إنها تستند على وجه العموم إلى أطر اجتماعية للذاكرة حدّدها موريس هالْبوكس (1877 -1945). مثال ذلك أننا نقول إن نور هذا النهار يذكّرنا بالخريف، في الألزاس، ويعيدنا إلى هذا العصر حيث كنا، ونحن أطفال، نعود إلى المدرسة بعد عطلة الصيف. وليست الذكرى أمينة أبداً، على الرغم من كل المعالم الموجودة تحت تصرّفنا، سواء أكانت هذه الذكرى تخطر خطوراً عفوياً أم إرادياً؛ إنها دائماً ضرب من تفسير الواقع وعرض مبسّط له. والواقع أننا ننسى عن طيب خاطر مايضايقنا أو يكون شاقّاً بالنسبة لنا، ونزيّن بألق خاص بعض الذكريات التي ليست هي الأكثر أهمية دائماً. وأثارت هذه الظاهرة اهتمام سيغموند فرويد على وجه الخصوص (1856 -1939)، الذي لاحظ أن أحداثاً أساسية في الطفولة كانت منسيّة، في حين أن وقائع أخرى، ليست ذات أهمية، كانت محفوظة ببروز مدهش. وبيّن له تحليله

الذاتي وتحليل مرضاه أن هذه الذكريات الأخيرة كانت تعمل بوصفها حُجُباً تختفي خلفها أحداث أخرى كان لها، في الطفولة، سمة تثير الحصر؛ وهذا هو السبب الذي من أجله كانت قد كُبتت في اللاشعور. وفي هذه الشروط، كانت **الذكرى- الحجاب** قد أصبحت مفهومة: إنها تكوين تسوية بين المكبوت ودفاع الأنا، يكثّف الأساسيّ من تجربة طفالية بارزة. (انظر في هذا المعجم: **الذاكرة، النسيان**).

N.S.

الذُهان

F: Psychose
En: Psychosis
D: Psychose

مرض عقلي يتميّز بإصابة عميقة في الشخصية يظهر على وجه الخصوص باضطرابات في الدائرة المعرفية (إدراك، حكم، استدلال) وفي الوجدانية (مزاج، انفعالات).

كان مصطلح **الذهان** يدلّ، في القرن الماضي، على الأمراض العقلية كلها؛ ولم يعد ينطبق إلا على اضطرابات تصيب مجموع الشخصية. والفرد في الذهان، على عكس ما يحدث في العصاب، لايشعر بمرضية حياته النفسية ولا يمكنه أن يتكيّف مع الحياة الاجتماعية (وهو بهذا المعنى «غريب») ومع الواقع، على وجه العموم.

ونعتبر عادة أن ضروب التخلّف والخبل، ألواناً من القصور النفسي الإجمالي مع توقّف النموّ أو الانهيار العقلي، لا تدخل في إطار الذهانات. والعادة أن هذه الذهانات موصوفة بصفة: ذهانات «ارتكاسية»، ذهانات «عضوية»، ذهانات «فصامية»، إلخ. والغالب أن الأمراض العقلية تصيب حياة المريض الشخصية، الأسرية والمهنية، بالخلل إلى حدّ يكون ضرورياً إدخاله المشفى في مؤسّسة للطب النفسي. فإجراء الإدخال في مشفى للطب النفسي ينبغي أن يتّخذ بسبب كون ارتكاسات المريض تصبح محفوفة بالخطر عليه (محاولات انتحار، رفض الطعام، تشويهات) وعلى الآخرين (عنف، اضطراب النظام العام). ويظلّ الذهاني، في حياته العلائقية، في أحاديثه (هذيان)، وفي عواطفه وأفعاله، غير مفهوم من محيطه.

تلك هي المعطيات الكلاسيكية الرئيسة للذهان. ولكن الواقع غير بسيط بهذا القدر. فثمة ذهانيون لم يبَن هذيانهم إلا بتقصّيات دقيقة وطويلة المدّة، أو لم يظهر مع الأسف إلا **بعد** حركة إجرامية: تلك هي حالة بعض الهذيانات الانفعالية (غيرة مرضية، هوس الجنس، إلخ). ونحن نعرف ذهانيين عباقرة اشتُهروا في الأدب (أرثور رامبو)، والموسيقى (روبير شوبان)، والرسم (فانسان فان غوغ، بول غوغان)، وكانت علاقات العبقرية بالجنون قد نوقشت مرات كثيرة من سيزار لومبروزو (1835- 1909). وهذه المسألة عادت إلى جدول الأعمال بعد النتائج التي حقّقتها بعض البحوث الوراثية التي تبيّن وجود نسبة كبيرة، في أسرة واحدة، من الفصاميين و«الموهوبين جداً» من الناحية العقلية.

ذهانات الراشد

في ذهانات الراشد، نقابل بين **الذهانات الخارجية المنشأ**، المرتبطة بسيرورة عضوية، وبين **الذهانات الداخلية المنشأ** التي تبدو ذات علاقة بجبلّة مرضية، وراثية أم غير وراثية.

ويمكننا أن نذكر في الزمرة الأولى: الذهانات النفاسية، الكحولية، السفلسية؛ إنها مشروطة بآفة عامة، بتموضع دماغي، بسيرورة ورمية، باضطرابات دورانية أو غدّية صمّية، إلخ. إنها تتّخذ على الغالب سمة **الخلط العقلي**، تناذر يتميّز بتعكير الشعور قليلاً أو كثيراً (يمكنه أن يمضي حتى الخَدَر)، وبفقدان التوجّه في المكان والزمان، وبهذيان يذكّر بالحلم (هذيان حلمي).

وفي زمرة الذهانات الداخلية المنشأ، نذكر أول الأمر: **الذهان الهوسي الاكتئابي** الذي نجد منه حالات كثيرة في أسرة واحدة وهو ينطوي على «تربة» خاصة جداً (المزاج الدوري) تنضاف إليها نوبات من الإثارة أو الاكتئاب (نوبات الإثارة مزعجة جداً بالنسبة للمحيط ونوبات الاكتئاب تعرّض إلى خطر الانتحار). وثمة، إلى جانب هذا الذهان ذي الشكل المزدوج، حالات مستقلّة من الهوس أو السوداوية التي تتّخذ المظهر العيادي نفسه بصورة محسوسة، **وذهانات هاذية حادّة**

(أو «هبّات هاذية») تقتبس الموضوعات الأكثر اختلافاً (ملكية، اضطهاد، تأثير، تقدير الذات المغالي جداً، إلخ) ويمكنها مبدئياً أن تشفى تلقائياً ولكنها يمكنها أن تعاود أو تتطوّر نحو الفصام أو الهذيان المزمن.

إن **الفصام** هو المرض العقلي على الوجه الأخصّ. وهذا المرض، الذي كان يسمّى فيما مضى باسم «الخَبَل المبكّر»، لا يتميّز بضعف فكري، إجمالي وتدريجي، بل بضرب من تفتّت الشخصية وانفصالها وتفكّكها، وبتنافرات (شاسلان) تدمّر وحدة الشخص وتماسك اللغة وأفعال الحياة الوجدانية، وتسجن الفرد في عالم شخصي غريب، متعذّرٍ فهمه، متعذّر تواصل الغير معه، حالٍ من الوجود نسميّه باسم «الانطواء على الذات». وتُضاف إليه، على وجه العموم، أفكار هاذية وهلوسات سيئة التنظيم، واندفاعات عدوانية أحياناً، ذاتية أو موجهة ضدّ الغير، واضطرابات كبيرة نفسية حركية (كاتاتونيا، سلوكات مقولبة) في بعض أشكاله. أما إنذاره، فإنه خطير، ولا ينطوي بالضرورة على عدم الشفاء، كما يميل بعضهم إلى الاعتقاد في الأغلب.

الهذيانات المزمنة حالات تتميّز بدوام الهذيان، دون سياق من القصور (إلا في الحالات التي تسمّى «ذهانية هذائية» [بارنويا]، التي تُعتبر شكلاً من أشكال الفصام). إنها تتضمّن تناذرات صفتها الغالبة هلوسية (ذهانات هلوسية مزمنة) وتناذرات أخرى حيث الهذيان تغذّيه تفسيرات، وحدوس، وإثارة متخيّلة أو انفعالية (ذهان هذائي).

ويفتح **أصل الذهانات** باباً لمناقشات عديدة. فالبحوث الحديثة، على **المستوى الوراثي**، أتاحت استنتاجاً مفاده وجود جينة نوعية، تقع على الصبغي x، في الذهان الهوسي الاكتئابي؛ وضرورة وجود محتمل، في الفصام، لجينتين مسؤولتين عندما تكون أوائلهما مرتّبة على نحو معيّن. وعلى المستوى **المرضي الوراثي**، تتعارض النظريات «العضوية الوراثية»، الرئيسة في الذهانات الخارجية المنشأ، على الرغم من أنها لاتستبعد العوامل العَرَضية، السيكولوجية أو ذات

العلاقة بالأوضاع، مع النظريات «النفسية التكوينية» التي تقيّم تقييماً عالياً هذه العناصر الأخيرة، دون أن تبدو مع ذلك حاسمة بهذا القدر كما في العصاب. وثمة أيضاً تمييز لـ**الذهانات الارتكاسية**، ذات العلاقة بمشكل شخصي، أسري أو أوضاعي أو آخر، والذهانات ذات العلاقة بنموّ الشخصية (التربة الذهانية الهذائية تشجّع نمو الذهان الهذائي) وأخيراً، الذهانات الناجمة عن **سيرورة تطورية** (كارل ياسبرز). ويقيّم التيّار الحديث، تيار «ضد الطب النفسي» تقييماً مغالياً عمل الوسط الأسري المثير للمرض على حساب العوامل الأخرى ويميل إلى تقديم الذهاني أنه التعبير عن عسر الأسرة. وهذه القضية التأكيدية، التي تحتوي عنصراً من الحقيقة ولكنها لاتكوّن شرحاً كاملاً، تعرّض المريض إلى خطرٍ مفاده أن يُحرم من العناية والرقابة الضروريتين لحالته اللتين يمكنهما أن يجنّباه، على سبيل المثال، انتحاراً وتساعداه على الشفاء.

وهناك **طرائق تجريبية** مستخدمة مع الحيوانات وحتى مع الموجودات الإنسانية. وتتيح هذه الطرائق إنتاج حالات ذهانية ودراسة، على سبيل المثال، مفعولات الموادّ، كحامض الليزرجيك أو المسْكالين، التي تثير حالات من تفكّك الشخصية، أو دراسة مفعولات الأوضاع الخاصّة (أطفال موضوعين تحت الحراسة، أطفال «متوحشين»). ولْنسترع الانتباه إلى أهمية العلاقات الأسرية المثيرة للمرض، التي يعود أصلها على الأغلب إلى الطفولة الأولى، والتي درسها المحلّل النفسي لودفيغ بانسوانجر (1881- 1966) وإوجين مانكوفيسكي (1885- 1972)، وخلفاؤهما في منظور فينومينولوجي.

وتبدأ الكيمياء الحيوية في أن تحمل إلينا معطيات ذات قيمة عن الاضطرابات الأيضية للأمينات الدماغية، على مستوى الدماغ البيني على وجه الخصوص. وتؤدّي هذه الأمينات دوراً كبيراً في نقل المعلومات، بوصفها وسطاء ومعدّلات. وهذه المعطيات، التي جعلت الباحثين مختلفي الرأي على الغالب، يمكنها أن تتضمّن، كلٌّ منها، جزءاً من الحقيقة وتبدو متكاملة أو ممكنة الاندماج في إشراط متعدّد الأبعاد.

ذهانات الأطفال

ثمة ميل في الطب النفسي للأطفال، على عكس ما يحدث في الطب النفسي للراشدين، إلى قبول مصطلح ذهان للدلالة على كيان (لا يُوضّح توضيحاً أكبر) ولكنه يُجعَل مقابلاً لبعض الحالات المحدّدة جيداً، كالفصام، أو يُستخدم للتعبير عن غموض اللوحة العيادية. وأراد بعضهم على نحو أحدث أيضاً، مع نموّ المعونة الطبية النفسية للأطفال، أن يفصل الحالات الأكثر إثارة للقلق (التي يحتفظون لها بتسمية الذهان) من الحالات التي لاتعرض إلا جزءاً من أعراضها المألوفة أو الحالات الأقلّ تبنيناً، التي نصنّفها في فئة جديدة تسمّى «قبل الذهانات» أو الحالات «الحدّية».

والتقابل بين مصطلحي «ذهان» و«عصاب» لدى الطفل لم يعد بعض المؤلفين (لا غالبيتهم) يقبلونه، ذلك أن الحدود لاتزال أقلّ وضوحاً والحالات «الحدّية» أكثر عدداً أيضاً. ويشعر المرء بالضيق مع ذلك في أن يطبّق المصطلح الواحد على راشد، شخصيته بلغت النضج (ولكن المرض أصابها بالاضطراب قليلاً أو كثيراً)، وعلى طفل هو، بالتعريف، موجود غير مكتمل، في صيرورة دائمة، وسيبدو تقديمه أول الأمر أنه يندرج في إطار معيّن، ثم في إطار مختلف. ولكن هذين الإطارين موجودان ويقابلان وقائع عيادية، ولو أن هذه الوقائع العيادية غير قياسية وعابرة. وكانت المسألة موضع مناقشة بالنسبة للمصابين بـ**الهوس الاكتئابي** على وجه الخصوص: إننا تابعنا عدداً كبيراً من حالات الهوس الاكتئابي، منذ الطفولة، التي كانت اللوحة غير القياسية تجعلنا نتردّد في إطلاق تشخيص نهائي؛ وكانت هذه الحالات، قد عرضت، بعد عدة سنين، هذه النوبات من الإثارة أو السوداوية المميّزة على وجه الإطلاق.

الهذيانات المزمنة أمراض الراشد مبدئياً، ولكن أشكالاً عابرة، أو يحرّضها والد هاذ، أو قبل فصامية أيضاً، يمكنها أن تلاحظ لدى الطفل. ويظلّ **الفصام** هو المشكل الرئيس. وثمة، هنا أيضاً، مشكل مفردات يطرح نفسه. فهذا الإطار

يشمل، بالنسبة للمؤلفين الأمريكيين، كلية ذهانات الطفل على وجه التقريب، ولو أن بعضهم يعترف، بالقياس على الراشد، بفروق دقيقة عيادية، كندرة الهذيانات والهلوسات الحقيقية، وتخفيف غالب، ومرونة كبرى في العلامات، إلخ. ويتكلّم المؤلفون الانغليز (لاسيّما ل. ونغ) عادة على **الانطواء على الذات**، إذ يفصلونه عند الاقتضاء عن الفصام الحقيقي. وهناك تبنّ في فرنسة، على الأغلب، لمصطلح «ذهان طفلي». ويبدو في الواقع أن الاتجاه الأكثر منطقية يكمن في أن يكون النظر إلى اللوحة العيادية، من جهة، في اندماجها في سيرورة النموّ، ومن جهة ثانية، في بنيتها.

ويمكننا أن نميّز مع ليوكامر، في المنظور الأول، **الانطواء على الذات** المبكّر، الذي يُلاحظ منذ الأشهر الأولى من الحياة ويتجلّى بانعدام القابلية على إقامة علاقات سويّة مع الأشخاص وعلى التصرّف في الأوضاع بصورة طبيعية؛ فالمريض متعلّق جداً، على العكس، بالأماكن والأشياء؛ ولايتحمّل تغيّر الوضع، ولاينمّي لغته إلا قليلاً أو على نحو متأخّر جداً.

والطفل، في **ذهان الاتحاد الوثيق** (مارغريت ماهلر)، ينفصل أيضاً عن الواقعي ويظلّ منصهراً بصورة الأم. ويتضمّن، على وجه العموم، جرد الشخصية في العمر المدرسي، قبل كل شيء، هذا الانفصال عن الواقعي مع الميل إلى العزلة، عزلة تحلّ محلّها في بعض الأحيان تبعية قصوى، تبعية تشبه الاتحاد الوثيق، مرتبطة باستيهامات كارثية، باضطرابات تيّار الفكر، واللغة، وصورة الجسم. فالفرد أُضفيت عليه الطقسية إلى الحدّ الأقصى، ويُظهر سلوكات مقولبة (ترجّح على سبيل المثال)، وأزمات قلق، ونشازات عديدة. وتلحق اللوحة، بدءاً من البلوغ، لوحة فصام الراشد، مع إمكانات تطورية خاصّة: الانهيار المدرسي، أشكال اكتئابية وانتحارية، نزعة إلى المخدّرات والجنوح، (hébïdophrénie): (شكل من أشكال الفصام لايُظهر إلا جزءاً من أعراضه المألوفة، يتميّز بزوال العواطف الأسرية والاجتماعية، وفقدان الفاعلية المهنية، وبنموّ الميول المعادية للمجتمع على وجه الخصوص [جنوح متكرّر، إجرام] «م»).

وفي المنظور الثاني (البنيوي)، يمكننا أن نميّز : آ) الشذوذات في سيرورة تكوين الشخصية أو **اضطراب التبنينات**. والانطواء على الذات عند كانّر مثال على ذلك. فتُوصف من جهة أخرى «اضطرابات الانسجامات التطوّرية» الذهانية، حيث ترتبط لوحة الانطواء على الذات بالإظهارات الأكثر تنوّعاً: فرط الحيوية العصبية، الكفّ، القلق، الأعصبة الكاذبة، إلخ؛ ب) انهدام الشخصية (**زوال التبنين**)، حيث ينهار الذكاء إلى مستوى من مستويات التخلّف بل الخَبَل الحقيقي؛ والشخصية، في حالات أخرى، هي التي تأخذ مظهر الفصام؛ جـ) **التبنينات الجديدة**، حيث الشخصية، التي هي الآن مصابة باضطراب البنية، تجد نفسها وقد غزتها سيرورة مرضية يمكن أن تكون: أسلوباً عتيقاً في التفكير والتصرّف (تصرف سحري) أو آلية دفاع من نموذج يصفه التحليل النفسي؛ أو نمواً طفيلياً من نموذج هلوسي، هاذ أو متخيّل فقط؛ أو نزعة إلى المعارضة الاجتماعية، بل الجنوح بالأشكال الأكثر تنوّعاً (سرقة، بغاء، عنف)؛ أو، أخيراً، لوحة هوسية تتضمّن زوال التكيّف الاجتماعي، بشكل ذي اتجاه عصابي، كالقلق العقيم والمقولب، ومظاهر شبه هستيرية.

والذهانات الطفلية يمكنها، على المستوى النفسي الفيزيولوجي، أن تكون مشروطة على نحو اصطفائي باضطرابات إدراكية (سمعية على وجه الخصوص)، إلى حدّ نرتاب غالباً في عجز حسّي. ومعروفة أيضاً ضروب الخَلَل الكبيرة في **الاتصال** مع الأطفال، اتصال وجداني وجلدي، إذ أن الاتصال الجلدي مرفوض عادةً ولكنه يمكنه أن يكون في بعض الأحيان منشوداً في «ذهانات الاتحاد الوثيق وفرط التبعية»، وذلك أمر يشهد على علاقة حنان إنسانية أمكنها أن تغيب لدى المرشّح إلى الانطواء الذاتي في حالات عديدة. وتؤدّي اضطرابات صورة الذات دوراً كبيراً في الذهانات الطفلية وتسترعي انتباه المربين والمعالجين النفسيين استرعاء كبيراً في الوقت الراهن. وثمة تقييم أيضاً للاضطرابات في اكتساب اللغة وفي، على مستوى أعمّ، عدم الأهليةُ لدى هؤلاء الأطفال لاستخدام الرموز. ويقع الخلل الأساسي، في رأي المدرسة البافلوفية، على مستوى اكتساب إشراط منسجم ويمكنه عندئذ أن يُعالج بطرائق **الإشراط**.

والوسط الأسري، الذي يُوجّه إليه الاتهام بصورة أساسية كانّر (لاسيّما في أعماله الأولى) ثم جماعة ضد الطب النفسي، يسترعي أيضاً انتباه المحلّلين النفسيين، على مستوى **علاقة الأم -الطفل** على وجه الخصوص (قصور عاطفي، اتجاه الإفراط في الحماية بعد نبذ أولي، إلخ). والمعيش كلّه، في المنظور الفينومينولوجي، هو الذي ينبغي أن يؤخذ بالحسبان، مع مفهوم الدفعة الحيوية، المصابة بالخلل في هذه الحالات على نحو انتقائي. (انظر في هذا المعجم: **علم العلامات الحيوي**، **القصور العاطفي**، **السلوك**، **الأم**، **الفصام**).

H.A.

لم يكن غزو التحليل النفسي ممكناً للذهان دون معرفة ببنيات اللاشعور، معرفة بسطها فرويد بوصفها أداة علاجية بالنسبة للعصاب. ذلك أن ثمة لاشعوراً واحداً فقط. إننا اقترحنا الصيغة التالية منذ عهد قريب: «يكمن الفارق بين العصاب والذهان في أن بنيات أساسية من النسق الرمزي، بنيات تظهر في قلب اللغة وتحتوي تجربة الجسد الأولى، مدمّرة في الذهان، في حين أنها مشوّهة في العصاب فقط». وبما أن سيرورة التدمير في الذهان تهاجم سيرورة الترميز، فإن كل مقاربة للسجلّ الرمزي تتطلّب تقنية تحليلية خاصة. والأداة التي تتيح، على الوجه الأخصّ، مجالاً للنفوذ إلى البنيات الأسرية، هي الدور، الوظيفة، الذي يؤدّيه كل عضو في الأسرة (ليدز، 1957، 1958؛ شنْدلر، 1959). وإذا أصاب الاضطراب هذا الدور، لا بسبب نزاعات سطحية، بل في أعقاب اضطرابات في صورة الجسم، فإن كل مقاربة تحليلية ينبغي لها أن تنشد السجلّ الرمزي. فعلاج المرض العقلي دون الاهتمام بالبنيات الأسرية أمر محكوم عليه بالإخفاق. وهذه المعاينة ليست ذات علاقة إلا بالمظهر الفينومينولوجي للذهان، بالمعنى الأصلي للتحليل البنيوي. ومانزال، في المرحلة الراهنة من البحوث، عاجزين عن إعداد نظرية لأصل المرض العقلي، المسمّى «داخلي المنشأ». ولكن **التجربة العلاجية النفسية**

تبدو أنها تبيّن أن هذا المرض لايمكنه أن يظهر إلا تبعاً لتجربة الجسم واللغة. فنحن نغفل إذن كل مقاربة تكوينية للذهان، ذلك أن أسباب سيرورته كثيرة، وضعيفة التوضيح. ومن المتعذّر تماماً إعداد نظرية بدءاً من معطيات العصاب. والفارق الكبير بين الذهان والعصاب ذو علاقة بالتربة التي يتحرك علم الأمراض فيها، حتى ولو أن ظهور عصاب يقع، في بعض الأحيان، بالنسبة إلى رضّ محدّد ممكن الإدراك. وليس لدينا، حتى الوقت الراهن، وسيلة لإقامة رابطة تكوينية واضحة بين بنية نفسية وظهور سيرورة التدمير. فالأنا، لدى هؤلاء المرضى كلهم، ضعيفة جداً؛ بل نقول إنها لم تستطع قط أن تتكوّن. ونلاحظ وجود ضرب من غزو «الهو». وفي الذهان، بوسعنا دائماً أن ندلّ على رضوض عميقة من المرحلة الفمية؛ ولكن هذا الجانب التكويني لايكفي لعلاج مرضى الذهان وتطبيق الطرائق الصحيحة بالنسبة لعلم أمراض العصاب عليهم.

إننا، لهذا السبب، حاولنا إعداد **نظرية ديناميـة للذهان**، أي **ضرب من الديالكتيك في عالم التجزؤ**. ففي كتاب أول عن **التبنين الدينامي في الفصام**، ألححنا على إمكان التدخّل في هذا العالم المفكّك، إذ أقمنا بعض الروابط بين هذه الأجزاء المختلفة. وينبغي لنا أن نختار أجزاء ذات علاقة بالجسم المعيش، حتى تصبح مثل هذه المقاربات البنائية دائمة. وأتاح لنا هذا النفوذ إلى تبنين يسمح بإقامة علاقة بين منطقة تدمير في **صورة جسم الفصامي وبين المكان الفارغ لأبيه** أن يوقف سيرورة الفصام. ونحن نعرّف السيرورة، في المصطلحات التي تبنّيناها، أنها ضرب من التفكّك في صورة الجسم يرافقه في وقت واحد فقدان العلاقة التاريخية في حياة الفرد. وكان أحد الفصاميين قادراً، بعد أن اكتشف حدود جسمه، على أن يسدّ فراغ أبيه هو، ولكن بأب ميّت أول الأمر فقط (التقرير المفصّل لهذا العلاج موجود في كتاب **الإنسان وذهانه، 1969**). والأب، بالنسبة للفصامي، منيع بديالكتيك، ذلك أن مكانه مدمّر. ويحتلّ الأب، على العكس، في **الذهان الهستيري** - «الهستيريا الخبيثة»، بالمعنى الذي يطلقه كونار عليها- مكاناً نوعياً في الأسرة، ولكنه أب منحرف، ويخلق في حياة أطفاله الوجدانية مناطق تدمير، لأنه

عاجز عن أن يقبل دوره الجنسي والتناسلي. والفَرَض التالي يمكنه أن يُبرز **الارتباط بين البنيات الأسرية وصورة الجسم في الذهان الهستيري**: حتى يكون بمقدور ابنة أن تنمّي عالم الرغبة (إنها الرغبة اللاشعورية دائماً، على المستوى التناسلي)، لاينبغي فقط أن يحتلّ الأب مكانه النوعي في الأسرة -وليست هي الحال في الفصام- بل ينبغي له، فضلاً عن ذلك، أن يقبل دوره الجنسي والتناسلي (بانكو، 1973). ويمكننا أن نبدي أيضاً ملاحظة أخيرة عن بقايا الأوديب في الذهان الهستيري: بما أن المسألة مسألة ذهان، فإن المقاربات الكلاسيكية لـ«المشهد البدائي» ليست ممكنة. وبيّن جـ. ماكدوغال (1969، 1972) كيف أن العَرَض المنحرف (دينامية الانحراف) يعكس تصدّع الأوديب. إننا ناقشنا، في كتابنا **التبنين الدينامي في الفصام**، وفي الطبعة الألمانية الموسّعة (1957)، ما يمكننا أن نسمّيه «الأوديب المبتور» في الذهان. وبما أن الطريقة التي نستخدمها (طريقة التبنين الدينامي لصورة الجسم) تنزع أول الأمر، في حالات الذهان الخطيرة، إلى ترميم حدود الجسم وترسيخها، فإن **المقاربة الاقتصادية لأيض الليبيدو في العصاب تتنازل عن مكانها لدينامية إقامة انطباع بالأمن**.

وتؤكّد بحوثنا على هذا النحو تلك النتائج التي حصل عليها و. غ. جوف (و) ج. ساندلر (1967)، الخاصة بمبدأ الأمن، وحصل عليها هـ. كوهوت (1966، 1971) الذي يقترح، بالنسبة للنرجسية، خطّاً جديداً من النمو يتجاوز أيض الليبيدو. وثمة، في هذا الإطار من البحث في البنيات «غير النزاعية»، التقاءات مع مفهوم «الموضوعات الانتقالية» لدى د. و. ونّيكوت. وبما أن السبل الاقتصادية لايمكنها أن تُطبّق في الذهان، فإن المقاربة التكوينية ينبغي لها أن تكون موضع إعادة نظر. فليس ثمة علاقة تواطؤ بين رضّ ونكوص، ذلك أن تربة الذهان الجبلّية النوعية تؤدّي دوراً. (انظر في هذا المعجم: **الأسرة، ذرائعية التواصل**).

G.P.

الذهان الحمْلي الولادي

F: Psychose Puerpérale

En: Puerperal Psychosis

D: Puerperalpsychose

مجموعة من المظاهر النفسية المرضية الطارئة في أثناء الحمل وبعد الولادة.

يشمل هذا المصطلح، المحدّد على هذا النحو، اضطرابات مختلفة جداً بفعل أسبابها، ومظهرها العيادي، وتطوّرها، وتواترها، تنحسر انحساراً منتظماً في البلدان المتطوّرة على الأقلّ. ونميّز، من الناحية العملية، ثلاث زمر رئيسة من حوادث من هذا النوع: الحوادث التي تطرأ في الأسابيع الستة بعد الوضع؛ الحوادث التي تبدو بعد زمن طويل من الوضع؛ الحوادث التي ترافق الحمْل.

والاضطرابات العقلية التي تحدث خلال الأسابيع الستة بعد الوضع هي الأكثر تواتراً. وتُظهر نساء عديدات (50 إلى 80 بالمئة)، خلال صعود الحليب (من ثلاثة إلى ثمانية أيام بعد الولادة)، تغيّرات سيكولوجية غير ذات أهمية أُطلق عليها اسم «تناذر اليوم الثالث». وتشعر النفْساء أنها تعبة (وَهَن)، حزينة، قلقة فيما يخصّ طفلها، عدوانية إزاء المحيطين بها؛ وتشعر في بعض الأحيان بصعوبات بارزة في الذاكرة أو تكوين الأفكار. وهذه الاضطرابات، المبتذلة والخالية من الخطورة، تختفي في عدة أيام، ولكنها تُظهر، على صورة مخفّفة، تلك العلامات الرئيسة للحالات الذهانية في هذه الفترة ذاتها.

ويتميّز الذهان الولادي المبكّر بفترة بدئية من الاكتئاب قصيرة، تليها حالة خلط عقلي عميقة قليلاً أو كثيراً، ترافقها الهلوسات (السمعية، والبصرية على وجه

الخصوص) التي تثير هذياناً كما في حلم. وتنتظم الأفكار الهاذية غالباً حول مشكلات الأمومة (نفي الأمومة، خشية من تبديل الطفل، إلخ). والمزاج الحزين عادة، يعاني ترجّحات متواترة وسريعة. ومثل هذه النوبات تشفى على وجه العموم دون أن تترك عقابيل، حتى ولو أن الملاحَظ في بعض الأحيان أن معاودة أو عدة معاودات تطرأ في فواصل زمنية قصيرة. وتظهر ظهوراً جديداً مع ذلك، في 10 إلى 20 بالمئة من الحالات خلال حمْل لاحق. وخطر الهيجان ومحاولات الانتحار أو قتل الطفل يفرض إدخال هؤلاء المريضات إلى المشفى. وعلاجهن بيولوجي (علاج كيميائي بمهدّئات الأعصاب) وسيكولوجي (علاج نفسي متمحور على علاقة الأم الطفل) معاً. ويكمن سبب هذه الاضطرابات، على وجه الاحتمال، في الانقلابات الكبيرة في افرازات الغدد الصمّ التي تلي الولادة، وفي عطوبة فردية ترتبط في نحو 10 بالمئة من الحالات بسوابق أسرية أو شخصية من الأمراض ذات العلاقة بالطب النفسي.

وتظهر الحوادث بعد الولادية المتأخّرة، التي كانت تسمّى من قبلُ «ذهانات الإرضاع»، بين الأسبوع السادس والسنة بعد الولادة (هذا الحدّ الأخير، السنة، الذي كان يقابل فيما مضى المدة المتوسطة لمرحلة الإرضاع، لم يعد قطّ مقبولاً). وهذه الحوادث أندر كثيراً من المظاهر المبكّرة ومختلفة جداً بتعبيراتها العيادية: وتُلاحظ في الأغلب اختلالات في المزاج، إلى جانب حالات الخلط العقلي النادرة التي تظهر خلال الفطام: وهذه الإختلالات في المزاج هي، الاكتئابات الذهانية (سوداوية) أو العصابية، أكثر تواتراً؛ والأزمات الهوسية نادرة. فأن يبدأ ذهانٌ فصامي في أثناء هذه المرحلة أمرٌ استثنائي. وفي هذه الحالات جميعها، كما في الحالات المبكّرة بعد الولادة، يبدو أن الاستعداد الشخصي المسبق يؤدّي دوراً أساسياً والسوابق الأسرية أو الشخصية ذات العلاقة بالطب النفسي متواترة.

والاضطرابات النفسية التي تصادف خلال الحمْل اضطرابات كلّها من طبيعة عصابية. (ونذكر، بهذه المناسبة، أن الذهانات أو الأعصبة الموجودة مسبقاً تطرأ

عليها هدأة في أثناء الحمل). وترافق الحملَ الطبيعي على الأغلب اضطرابات ٌ سيكولوجية ضعيفة تتكوّن من حصر متقطّع، وسرعة الغضب، و«الاشتهاءات». وتظهر في بعض الأحيان اختلالات أكثر بروزاً وأكثر تبنيناً، كغيرة مرضية، ومطالبة وجدانية ذات مظهر هستيري (مع رفض الحمْل أو نفيه، أحياناً)، وتغيّرات ذات أهمية في السلوك الجنسي، ونوبات اعتلال عصبي. ويؤدّي التاريخ الشخصي هنا دوراً حاسماً: إن الأمومة هي المناسبة على الغالب لتنشيط جديد، تنشيط صعوبات نفسية وجدانية عانتها الأم في الطفولة، ربما يفاقمها الوضع الوجودي الراهن (نزاع بين الزوجين، حمْل غير مرغوب، هموم مادية).

وينبغي لعلاج الاضطرابات العقلية في الحمْل أن تقتصر على علاج نفسي داعم. وعلاج التحليل النفسي يتعذّر الشروع فيه خلال هذه المرحلة، واستخدام الأدوية ذات التأثير النفسي ينبغي أن ينظر إليه بالدرجة القصوى من الحذر، بل أن يكون محظوراً في الأشهر الأولى من الحمل على الأقلّ. (انظر: **الحمل**، **الميل إلى الأمومة**).

J.MA.

ذهان السجن أو الاعتقال

F: Psychose carcérale ou psychose pénitentiaire

En: prison psychosis

D: Haftpsychose, Lagerpsychose

اضطراب عقلي ناجم عن الاعتقال.

يشجّع السجن ظهور اضطرابات نفسية أو يفاقم الاضطرابات التي كانت موجودة قبل الحرمان من الحرية. وأخطرها -وأندرها مع ذلك- ليس له إلا علاقة عرضية بالاعتقال. والمقصود حالات ذهانية وعصابية معروفة من قبل، ولم يكن الجرم على الغالب سوى التعبير المباشر عنها؛ فالفصام، والهذيانات المزمنة، والأعصبة الجنسية، والاضطرابات ذات الطبيعة الصرعية، هي أشكالها الأكثر اتصافاً بأنها مألوفة. وفي حالات المدمنين على المخدّرات السامة والكحوليين، يسبّب الحرمان المفاجئ من المخدر أو الكحول «حالة من الحاجة»، ويمكنه أن يثير هذياناً حاداً أو شبه حاد. وثمة اضطرابات أخرى، أكثر تواتراً يسبّبها الاتهام والسجن بصورة مباشرة. إنها تعبّر عن العطوبة السيكولوجية أو فقدان توازن الطبع لدى سجناء عديدين. فهي، على وجه العموم، حالات اكتئابية ترافقها فكرة الانتحار أو الاضطهاد؛ وتنبعث بعض هذه الاضطرابات انبعاثاً مبكّراً، عقب الإجراءات الجزائية أو إجراءات الاعتقال، ولكنها قد تكون أيضاً مرتبطة بندم الضمير الأخلاقي المعذّب (وبخاصة في «جرائم الدم»). وتولد الحالات الاكتئابية المتأخّرة، عادةً، بعد حادث يبدو قليل الأهمية، كفقدان وضع ذي امتياز في المنشأة

أو نزاع مع سجين آخر (ذي طبيعية جنسية مثلية أحياناً)، أو بعد الإعلان عن حداد أسري، أو عن خيانة الزوج، إلخ. فمحاولات الانتحار وأزمات الحَصر الحادّ، التي يرافقها الهياج العنيف على الغالب، متواترة. ويحدث في بعض الأحيان إظلام الشعور، «حالة ثانوية»، شكلها الأكثر شهرة هو **تناذر غنسر**، شكل يتميّز بالاستجابات والأفعال «الفاشلة».

ومواجهة السجناء مع مؤسسة السجن سببها على الأغلب اضطرابات السلوك، الخفيفة والعابرة، التي تعبّر عن حالة عسرهم، ووفق مزاجهم، يختار بعضهم مواجهة النظام، غير آبه بالعقوبات، في حين يحوّل بعضهم الآخر عدوانيتهم ضد ذواتهم ويحاولون تشويه أنفسهم أو الانتحار (بالشنق، بالنار، بابتلاع أشياء محدّبة أو أدوية جمعوها بصبر وأخفوها، بشقّ الشرايين، إلخ).

ويسوّغ تواتر الاضطرابات النفسية المرضية في وسط السجن تدخّل الطبيب النفسي وعالم النفس، تدخّلاً يتجاوز مجرّد الخبرة التي ليس لها هدف علاجي. ففي فرنسة، تتيح المادة 64 من القانون الجزائي توجيه جانح، يرتبط سلوكه المعادي للمجتمع بسبب مرضي، نحو منشأة طبية. ولكن علاج الاضطرابات العقلية خلال الاعتقال ظلّ غير كاف زمناً طويلاً. وذكر قانون الإجراءات الجزائية في فرنسة، للمرة الأولى، إمكان إيجاد أقسام طبية سيكولوجية داخل السجون، ولكن دورها لم يُوضَّح إلا عام 1967، بفعل تعميم من وزير العدل (30 أيلول (سبتمبر)). ومنذ ذلك الحين تعمل عملها الوظائفي، على نحو منتظم قليلاً أو كثيراً، استشارات في الطب النفسي توصف خلالها عقاقير أو تُقترح تحسينات في شروط الاعتقال. وعندما تنبعث اضطرابات حادّة ويكون الإنذار ملائماً، يُرسل المرضى إلى قسم الحالات الطارئة في مراكز الاستشفاء (حيّ السجناء)، ولكنهم يظلّون تحت الرقابة الدقيقة، رقابة الشرطة. ومن الممكن، في سجون نادرة (في باريس، وليون، ومرسيلية)، علاج هذه الاضطرابات حتى داخل السجن بفضل جهاز من الأطباء الاختصاصيين؛ وثمة علاجات نفسية فردية وجماعية كانت موضع المحاولة، ولكن

النتائج بانت أنها مخيّبة للأمل. وكان مأخوذاً بالحسبان أيضاً أن يزداد عدد المراكز الطبية السيكولوجية الخاصّة بالسجون وأن يُجعل منها قطاعات مستقلّة، مندمجة في إطار الطب النفسي العام. ولكن الأطباء النفسيين متردّدون جداً، ذلك أنهم يخشون، من جهة، أن يكونوا عاجزين عن ممارسة فنّهم بكل حرية، وأن يظهروا، من جهة أخرى، «عمّال تكييف» في خدمة النظام القائم. وتؤكد تجربتهم أن هذه الخشية ليست عبثاً وأن إدارة السجون والسجناء يُسقطون عليهم استيهامات متناقضة، وذلك أمر يجعل موقعهم موضع لبس ويحدّ كثيراً من إمكانات عملهم العلاجي.

J.MA.

الذهان الهذائي (بارانويا)

F: Paranoïa

En: Paranoïa

D: Paranoïa

ذهان مزمن، يخلو من تطوّر ينتهي إلى القصور، يتميّز بهذيان منظّم، هلوسي أو تفسيري.

مصطلح **الذهان الهذائي (البارانويا)**، الذي كان مرادف المرض العقلي خلال قرون، توضّح بالتدريج، ولاسيّما بتأثير إميل كريبلن (1856- 1926). ويُستخدم في الوقت الراهن للدلالة على نموذج محدّد من الشخصية، سماتها المميّزة يمكنها أن تتفاقم إلى حدّ تحقّق حالة مرضية: **الذهانات** (أو **الهذيانات) الذهانية الهذائية**. ويوضّح الذهان الهذائي (البارانويا)، أكبر من أي مرض عقلي آخر، الذي ينطبق على مجموعة متنوّعة متباينة من التناذرات المرضية التي ينتمي بعضها إلى الاغتراب الخطير، غياب الحدود الدقيقة بين «السويّ» و «المرضي». وتشترك هذه التناذرات في عدد معيّن من الخصائص التي تحدّد «سمة الذهان الهذائي». ويجعل اعتبار الذات المغالي (ضمور الأنا المفرط) وغياب المرونة في الاستدلال (الصلابة النفسية) هؤلاء الأفراد متكبّرين، سلطويين، غير متسامحين، محتقرين، عاجزين عن النقد الذاتي. إنهم، بوصفهم معجبين بأنفسهم وحذرين، يكرهون الألفة والمزاح، ويرتابون في أن الناس ينصبون لهم أفخاخاً ويظلّون جاهزين لكشف أوهى ظلامة يمكنهم أن يكونوا ضحيتها. وحتى لو أنهم من مستوى عقلي جيّد، فإن لهم حكماً فاسداً منذ أن يكون الأمر ذا علاقة بحياتهم الوجدانية، وتلك مسألة ذات مفعول

مفاده خلل تكيّفهم الاجتماعي. والمصاب بالذهان الهذائي لايمكنه إلا أن يكون متوحداً، إذا كان في جماعة، زعيماً سلطوياً أو متمرّداً يحبّ الانتقام. وهذه الاتجاهات تظلّ، إذا كانت ضعيفة البروز، متوافقة مع الحياة الاجتماعية، حتى ولو أن أولئك الذين يُظهرونها هم في عداد الذين يصعب العيش عليهم». أما إذا كانت هذه الاتجاهات أكثر بروزاً، فإنها تكوّن **عصاب طبع**: الوفاق مع الواقع عابر، العلاقات مع الغير مشوّهة بصورة خطيرة، ويكون الفرد المصاب محكوماً عليه بالعزلة الاجتماعية بسبب كبْره، ونَزَقه، وحذره، وأخطائه في الحكم، والشعور الدائم على وجه التقريب بالاضطهاد. وإذا كانت هذه الاتجاهات في درجة عالية، فإنها تحقّق حالة ذهانية هاذية.

وتتكوّن هذيانات الذهان الهذائي (البارانويا) انطلاقاً من فكرة أو عدة أفكار واضحة ليس لها في الأغلب أي أساس موضوعي ولكن الفرد يتبنّاها كلياً. وعلى هذه المقدّمات الكاذبة يُبنى الهذيان على نحو منطقي ومنظّم (من هنا منشأ اسم **الهذيان المنظّم**)، إذ يستخدم المصاب كل عنصر إدراكي أو واقع جديد يمكنه أن يعزّز الاقتناع الهاذي. والمحاججة التي يعرضها المريض تصبح من المتانة بحيث تنتهي على الغالب إلى أن تزعزع قناعات الذين يحيطون به، بل إلى أن يقنعهم، وقد يحدث في بعض الأحيان أن يشاركوا المريض معتقداته (وذلك أمر يكوّن **جنون اثنين معاً** المسمّى أيضاً **هذيان اثنين معاً**).

ويميّز بعضهم أربعة أشكال رئيسة من هذيانات الذهان الهذائي: 1)**الهذيانات الانفعالية** التي نواتها يمكنها أن تكون الغيرة (يقين بالخديعة) أو **الهوس الجنسي** (وهم هاذٍ بأن المصاب محبوب). وترافقها إثارة عقلية وعناد حقيقي من جانب الفرد على أن يبرهن على الأساس المتين ليقينه، ولو كان ذلك لقاء تشويه، إرادي قليلاً أو كثيراً، للأدلّة التي يدلي بها؛ 2)**هذيانات المطالبة** حيث الفكرة الغالبة هي الاقتناع بأنه موضع السلب، والإحباط، والحرمان من حقّه (ميراث، اكتشاف، إلخ). وليجعل أحقّيته هي الظافرة، فإن المريض يراكم الدعاوى (من هنا منشأ الاسم الذي

يُطلق عليه: **مخاصم يحبّ إطالة الدعاوى**) ولا يتردّد في أن يضحّي بأمواله في سبيل دعوى تافهة على الغالب. وللهذيانات الانفعالية وهذيانات المطالبة خاصّة أخرى مشتركة أنهما ينموان «في قطاع»، أي أنهما يكوّنان «منظومة جزئية» تغوص في الواقع وكأنها زاوية (هنري إي ومعاونوه، 1967، ص. 512)؛ 3) **هذيان التفسير**، الذي وصفه عام 1909 بول سيريو (1864- 1947)، وجون كابغرا (1873- 1950)، ينمو نمواً «مروحياً» لا «قطاعياً» أو ينمو نمواً «شبكياً»، أعني يمتدّ في تنظيم يزداد اتّساعاً على الدوام، بالنظر إلى أن البناء الهاذي يحدث هنا أيضاً بتفسير منطقي كاذب وخاطئ لإدراكات واقعية، ويشمل مع مرور الزمن مجالات تزداد عدداً بالتدريج. وهذيان التفسير أو **الجنون المستدلّ** (سيريو وكابغرا) يرافقه دائماً على وجه التقريب انطباعٌ دائم أن المريض مضطهَد؛ 4) **هذيان العلاقة لدى الحسّاسين** أو **الذهان الهذائي الشديد الحساسية** (أرنست كريتشمر، 1919) الذي يشرع فيه المريض، بعد ضرب من تراكم الخيبات، بتقديم تفسيرات هاذية ولديه على الغالب ارتكاسات اكتئابية. وتتميّز **البارانويا الشديدة الحساسية** من البارانويا الحقيقية بغياب الارتكاس العدواني. وشخصية هؤلاء المرضى موسومة، من جهة أخرى، بفرط الانفعالية، وفرط الحساسية، والتردّد، وسرعة العطب. أما فيما يخصّ الهذيان، فإنه يتصف بخاصّة مفادها أنه متمحور على الفرد ذاته، وعلى علاقاته الاجتماعية (من هنا منشأ اسمه **هذيان العلاقة**)، وأنه محدود بموضوع خاص (سوء سلوك جنسي، جنح خفيفة، إلخ)، وأنه يُعاش على نحو سلبي أكثر مما يُعاش على نحو فاعل وعدواني.

وشكّل أصل **التكوين الذهاني الهذائي** موضوع فروض شتّى. فبعضهم يدفع، في أعقاب كريبلن، بأسباب عضوية مجهولة (خلل العمل الوظائفي في البنيات الدماغية)، وآخرون، مثل ك. ياسبرز وإ. بلولر، بأسباب محض سيكولوجية (ارتكاسات على حوادث الوجود). والذهان الهذيائي هو بصورة أساسية، في رأي مدرسة التحليل النفسي، أسلوب من الدفاع ضد الدوافع الجنسية المثلية الكامنة التي لا يشعر بها الفرد ويسقطها على الغير. وهو يكوّن، من جهة

ثانية، نكوصاً إلى مرحلة سادية شرجية (س. فورنزي، ك. أبراهام) يتميّز باتجاه عدواني، مدمّر فيما يخصّ الموضوعات، ولاسيّما الصور الأبوية، بالخوف اللاشعوري بناءً على ذلك، من عدوانها عليه. ويتوصّل الفرد، انطلاقاً من هذا الوضع، المقبول والمرهوب معاً، إلى الاتجاه الذهاني الهذائي بفعل السيرورة التالية: إنه، أول الأمر، يحوّل دافع الجنسية المثلية إلى عكسه («أحبه»، عبارة تصبح «أكرهه»)؛ ثم يُسقط الفكرة المحوّلة على الموضوع («أكرهه»، عبارة تصبح «إنه يكرهني»)؛ وأخيراً يظهر الهذيان المسوّغ تماماً («بما أنه يكرهني، فإنني أكرهه»). وألحّ جاك لاكان، من جهته، على واقع مفاده أن المنظومة الاضطهادية يمكن أن تكون مدعومة برغبة لاشعورية في القصاص الذاتي. ووجهة النظر هذه ذات أهمية، ولكنها لا تخبرنا شيئاً عن السيرورة التي تقود تارةً إلى مجرد صعوبة في العيش في المجتمع، وطوراً إلى الاغتراب الكلي. (انظر في هذا المعجم: **الإسقاط، الذهان**).

J.MA.

الذهان الهلوسي المزمن أو الذهان الهذائي الهلوسي (بارانويا هلوسية) F: Psychose hallcinatiore chronique, Paranoïa hallucinatoire

En: Delusion of persecution,Persecution complex

D: Verfolgungswahn

شكل من الذهان الهاذي المزمن يتميّز بأهمية المظاهر الهلوسية وتنوّعها وسمتها الأساسية.

تقابل هذه الحالات تلك التي وصفها إميل كريبلن (1856- 1926) باسم **البارفرينيا النظامية** وبعضها يشترك في أمور مع **البارافرينيا الخيالية**. ومنحها غاتيان دو كليرمبو (1872- 1934)، الذي حلّل الهذيانات الهلوسية المزمنة تحليلاً دقيقاً، قاعدة بنيوية متينة حين جعل من تناذر **الآلية العقلية** (انطباع مفاده أن الحياة النفسية تفلت من رقابة الإرادة) نواة هذا الذهان. وانطلاقاً من هذا العنصر الحيادي، «المتميّز بغياب، أو بتعليق مؤقت لكل سيرورة فكرية»، وليكون الفرد على وفاق مع إدراكاته الخاصة الغريبة (يُعلَن له ما سيفعل، تُكرّر أفكاره، تُشرح أفعاله)، إنما يعدّ هذا الفرد هذيانه بصورة ثانوية.

ويوجد الذهان الهلوسي المزمن، على وجه العموم، لدى الأشخاص الذين تقع أعمارهم بين الثلاثين والخمسين، ولدى النساء على الأغلب. ويحدث فجأة. إنها، في العادة، أصوات تفصح عما لديها، تتكلّم كلاماً عدوانياً أو مهيناً وهي

أصوات تأتي من الخارج تارة، ومن الداخل، داخل الجسم تارة أخرى. ويشمّ الفرد في بعض الأحيان روائح أو يحسّ بإحساسات غريبة: جسم غازي، كهرباء . . . ونكتشف في هذه اللوحة من الهوس عناصر «الآلية الثلاثية» التي وصفها غ. دو كليرمبو (آلية فكرية - لفظية، آلية حسّية وحسّاسة، آلية نفسية حركية). فالمريض، في البداية، ذاهل، حائر أمام هذا الاقتحام الغريب في الأنا؛ ولكن عواطف غير بارزة من التأثير والاضطهاد تظهر على وجه السرعة، عواطف ستظهر في كلمات غنيّة ومتماسكة، قليلاً أو كثيراً، فيها «المضطهدون» مذكورون بأسمائهم. ولكن الفرد لايتمرّد، ويتبنّى موقفاً سلبياً ومستكيناً (ويتكلّم بعضهم في هذه الحال على «مضطهَد -مضطهَد» بالتقابل مع «مضطهَد -مضطهِد» في الذهان الهذائي (البارانويا)؛ والفاعلية الهاذية، من جهة أخرى، تظلّ، بالنظر إلى أن أي تفكّك إجمالي في تنظيم الشخصية لا يرافقها، متوافقة على الغالب مع فاعلية مهنية. بل يحدث أن الهذيان الهلوسي يكون «منعزلاً» جداً بحيث لا يشعر به محيط المريض، بالنظر إلى أن البوح بأسراره موقوف على شخص موضع ثقته. ومهدّئات الأعصاب ناجعة على الغالب في مكافحة هذه الآفة العقلية، ولكن إعطاءها ينبغي له أن يستطيل على نحو غير محدود. ويظلّ مفهوم الذهان الهلوسي المزمن، على الرغم من أنه موضع نقد قويّ على الغالب، مفيداً لوصف بعض الاضطرابات العقلية التي تتميّز من **الفصام شبه الذهاني الهذائي** بغياب تفكّك الشخصية والتطوّر الذي يُعتبر عجزاً، ومن **الذهانات الهذائية** بنقص منطق الإعداد الهاذي. (انظر في هذا المعجم: **الآلية العقلية**، **الذهان الهذائي (البارانويا)**).

J.MA.

الذهان الهوسي الاكتئابي

F: Psychose maniaque (maniaco) dépressive
En: Manic -depressive psychose
D: Manish -depressives psychose

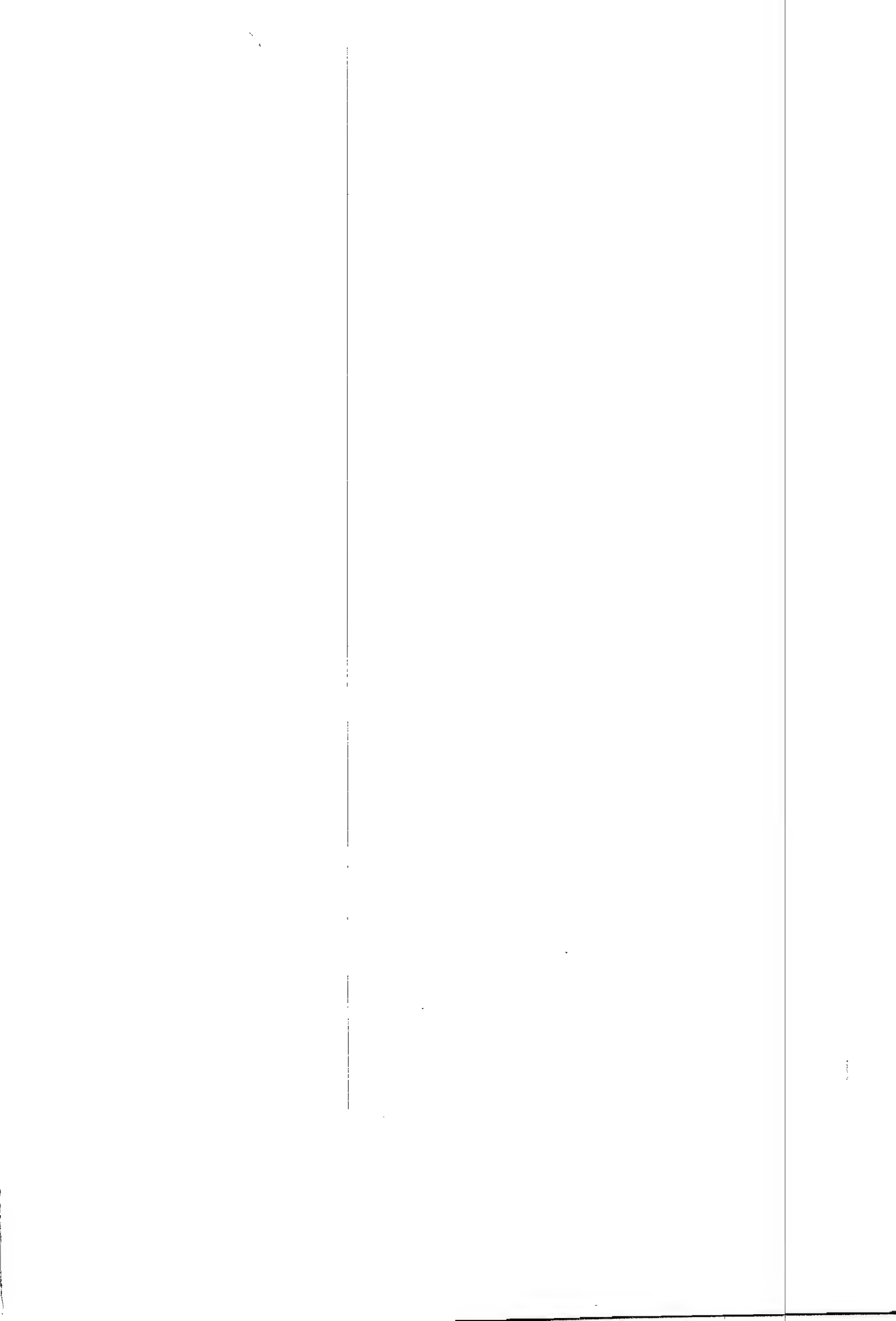
آفة عقلية تتميّز بالطروء الدوري لاضطرابات في المزاج تبلغ الذروة (نوبات من الاكتئاب والإثارة أو الإثارة) تفصل بينها فواصل مختلفة من الزمن والنوعية.

الوجود معاً والتناوب، لدى فرد واحد، لأزمات سوداوية وهوسية، معروفة منذ العصور القديمة، كان ولهلهم غريزنجر (1817- 1868) قد حدّدها تحديداً بارزاً عام 1845. وكان جول بايّارجر (1806- 1891) قد وصف «الجنون ذا الشكل المزدوج» وجون بيير فالره (1794- 1870) «الجنون الدوري»، عام 1845، في وقت واحد على وجه التقريب. وطُبّقت، فيما بعد، ألفاظ أخرى على هذا الكيان العيادي نفسه: «الجنون المتناوب» (دوله، 1860)، «الجنون المتقطّع» (فالنتين ماغنان، 1893). «ذهان دوري» (هيكر، 1898)، ولكن إميل كريبلن هو الذي اقترح عام 1899، في الطبعة السادسة من كتابه **المطوّل في الطب النفسي**، مصطلح «الجنون الهوسي الاكتئابي» للدلالة على واحد من الآفات العقلية الثلاث في تصنيفه، الذي أدرج فيه كل الحالات المرضية المتضمّنة اضطراب مزاج، باستثناء بعض الاكتئابات الخاصة بالشيخوخة (سوداويات الانتكاس). وواقع هذا الكيان المرضي ليس موضع مناقشة في أيامنا هذه، على وجه العموم. فالأشكال العيادية لهذا الذهان الهوسي الاكتئابي عديدة، وفق طبيعة وإيقاع النوبات الشديدة التي تؤرّف تطوّرها: تناوب النوبات السوداوية والهوسية، التي تفصل بينها هَدَآت من نوعية جيّدة؛ نوبات هوسية أو سوداوية متتابعة، ترافقها فواصل زمنية من الهدأة؛

أزمات من طبيعة هوسية أو سوداوية متداخلة من الناحية العملية (تبدأ نوبة قبل أن تكون الثانية قد انتهت)؛ وأخيراً، تعاقب مظاهر اكتئابية وهوسية خلال نوبة واحدة. ووصف إميل كريبلن أيضاً، بمصطلح «حالة مزيج»، أوضاعاً توجد فيها معاً علامات من مجموعتي اضطرابات المزاج: السوداوية، مع هروب الأفكار أو الهياج، والهوس الخدري أو العقيم، إلخ. وكان عمر ظهور الذهان موضع تقييم مختلف، ولكن بوسعنا أن نذكر أن هذه البداية استثنائية في الطفولة، بصورتها النمطية (يرى بعضهم في الاضطرابات الدورية لسلوك الطفل معادلاً لنوبات الإعياء لدى الراشد)؛ وهذه البداية نادرة جداً في المراهقة ولدى الشباب الراشدين، متواترة بين الثلاثين والخمسين (مع حدّ أقصى حوالي الأربعين). والأزمة البدئية اكتئابية في الأغلب (60 إلى 80 بالمئة من الحالات)، ويزداد تواتر النوبات السوداوية مع العمر؛ وتنقص مدة الهدأة مع تكرار النوبات. ولا تسبّب هذه الآفة تدهوراً عقلياً على وجه العموم، ولكن تطوّراً يرافقه العجز يمكنه أن يحدث، تطوراً يشجّعه أحياناً تكرار العلاج بالصدمات الكهربائية؛ أضف إلى ذلك أن تواتر النوبات أو الانتقال إلى الإزمان يمكنهما أن يكوّنا عائقاً اجتماعياً رئيساً. ولاحظ الملاحظون في وقت مبكّر جداً أن الذهان الهوسي الاكتئابي كان الآفة العقلية التي يتصف دور الوراثة والسياق الحيوي النموذجي فيها أنه الأكثر أهمية، وأكّدت على وجه العموم أعمال عديدة جداً وجهة النظر هذه. إنها بيّنت أول الأمر أنْ ليس ثمة فارق ذو دلالة في التواتر وفق الجنس، والمستوى الاجتماعي الثقافي أو العرق (الدراسات في هذه النقطة الأخيرة أصبحت مع ذلك أكثر صعوبة بسبب التغيّرات الحساسة جداً في التعبير العيادي عن هذا المرض، وفق التنظيم الاجتماعي الثقافي). وعلى العكس، ثمة أمر مسلّم به مفاده أن الذهان الهوسي الاكتئابي يوجد على الغالب مرتبطاً بنموذج حيوي خاص: إنه يقابل، في تصنيف إرنست كريتشمر (1888- 1964)، النموذج البدين على المستوى الجسمي، ويقابل نموذج «المزاج الدوري» على المستوى السيكولوجي؛ ويلاحظ هـ. لوكسمبرجر على سبيل المثال، نسبة 64.6 بالمئة من «البدينين -ذوي المزاج الدوري» بين الأفراد الهوسيين الاكتئابيين. ودور الوراثة كذلك معروف منذ زمن طويل؛ وهذا أمر يشرح دون شك، في بعض

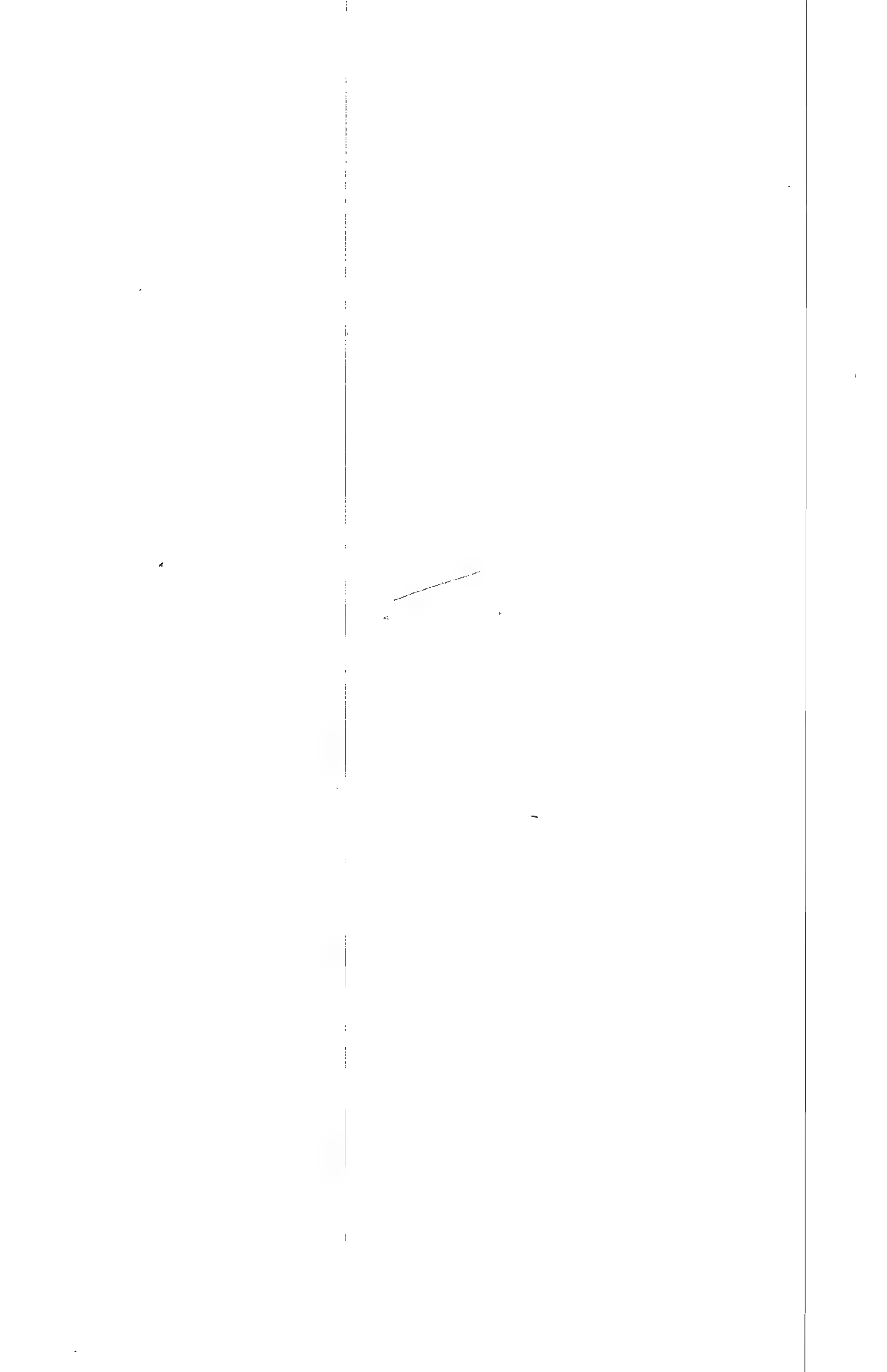
المناطق، أن حدوث انتحار كان يرهق أسرة الضحية فيما مضى؛ وثمة ضرب من اللعنة كانت على وجه الخصوص تحظّر الزواج خلال عدة أجيال؛ والدفع المألوف بقدر مشؤوم غامض، فوق طبيعي، كان يخفي دون ريب تلك المعاينة الاختبارية لتواتر العلاقة بين الانتحار والذهان الهوسي الاكتئابي والوراثة. وكانت أعمال عديدة جداً قد أكّدت هذا المفهوم، مفهوم النقل الوراثي، وهي أعمال انصبّت بصورة خاصة على زواج من التوائم اكتُشف لديهم توافق يمكنه أن يمضي حتى نسبة 95.7 بالمئة. أما أسلوب النقل، فغير معروف، ولكن سيرورة الغلبة البسيطة تبدو أنها الأكثر احتمالاً. وعارض حديثاً مع ذلك بعض المؤلفين هذا المفهوم للنقل الوراثي واقترحوا الفَرَض الذي مفاده أن الشخصيات ذات المرض المسبق كانت تجارب طفولية مبكّرة جداً قد صاغتها. وشكّلت البنية النفسية المرضية لـ«الإنسان الهوسي الاكتئابي» موضوع دراسات عديدة. ويلحّ الإسهام الفينومينولوجي على قطبية مزدوجة للحياة النفسية تترجّح باستمرار بين أوضاع متعاكسة (إثمية -شراهة، ماض -مستقبل، رغبة -واجب) وعلى العجز الرئيس عن الانسجام لحظة واحدة مع وضع من أوضاع التوازن. وأنا الفرد، في رأي التحليل النفسي، الحسّاسة جداً للإحباطات والجائعة للحب، تحقّق «اختياراتها» لـ«موضوعات الحب» على الطراز النرجسي، ونقول بعبارة أخرى إن الفرد سيحبّ الشخص الذي سيبدو له أنه يشبه ما هو عليه، وما كان، أو ما يتمنّى أن يكون. وسيدفعه منذئذ كل إحباط أي «فقدان للشيء» نحو اختلال هوسي أو اكتئابي، وفق شكل التعبير عن العدوانية. وينبغي لمقاربة التحليل النفسي أن تكون حذرة، من جرّاء الخطر الدائم لتطوّر حادّ وللانتحار. فأملاح الليثيوم تستخدم استخداماً واسعاً منذ عام 1967 لدى أفراد مصابين بالذهان الهوسي الاكتئابي. ويسبّب هذا العلاج، الذي ينبغي لمدته أن تطول إلى أمد غير محدود، تباعد النوبات ونقص شدّتها ومدتها. ويبدو أيضاً أنه يثير تغيّرات سيكولوجية طبيعتها الدقيقة وأهميتها ونوعيتها لم تكن أيضاً موضع تقييم واضح. (انظر في هذا المعجم: **النموذج الحيوي**، **الليثيوم**، **الهوس**، **السوداوية**).

J.MA.



حـــرف

الــراء



الرائز

F:Test

En: Test

D:Test

اختبار معيّر في إدارته ووضع علاماته، يقدّم معلومات عن القدرات لشخص، ولمعارفه، ووظائفه الحسية الحركية، وطبعه، إلخ، ويتيح أن يحدّد موقعه بالقياس على أعضاء الجماعة الاجتماعية الآخرين، التي يشكّل جزءاً منها.

عدد الروائز نما على نحو كبير جداً منذ بداية القرن العشرين الذي شهد ولادة أول «سلّم قياسي للذكاء» منسوب إلى ألفريد بينه (1857-1911) وتيودور سيمون (1873-1961). فثمة روائز «ورقة قلم» (على الفرد أن يجيب كتابة عن أسئلة مطروحة)، وذات تطبيق فردي أو جماعي، وروائز تعامل مع الأشياء (لغز ينبغي إعادة تركيبه، موزاييك نعيد إنتاجه، أشياء نبرهن عليها أو نركّبها. . .)، وروائز حسية حركية تستخدم أجهزة معقّدة في بعض الأحيان، لدراسة التنسيق العيني الحركي، والرؤية بالعينين، وسرعة الارتكاسات، إلخ، وروائز للشخصية، لمستوى الطموح، والاهتمامات، والمعارف، وهكذا دواليك.

وقيمة رائز تابعة لبعض الخصائص القياسية، التي يتحقّق علماء النفس من وجودها بالطريقة الإحصائية. وهذه الخصائص هي: **التجانس**، **العوَل**، **الحساسية**، **والصدق**.

1- يقال عن رائز إنه **متجانس** عندما يقيس استعداداً واحداً أو قدرة. ونتأكد من ذلك بحساب مؤشر الارتباط أو درجة الترابط بين كل رائز من الروائز الفرعية ومجموع الاختبارات الباقية.

2 - والخاصة الثانية من خصائص الرائز هي **العوَل** إذا أعطى نتائج متكافئة على وجه التقريب، إن لم تكن متشابهة، عندما نطبّقه على جماعة واحدة من الأشخاص في عدة مناسبات. وعول رائز [إمكان الاعتماد عليه] يُقاس بدرجة الترابط الموجود بين مجموعتين من العلامات التي يحصل عليها في هذا الرائز مجموعة من الأفراد فُحصوا، في الشروط نفسها، أقلّه في زمنين مختلفين. ويحصل الرائز الجيد على معاملات ارتباط تتغّير بين 0,80 و0,90 (0,85 مع رائز بينه ـ سيمون).

3 - نقول عن رائز **حسّاس** عندما يتيح ترتيباً يُظهر الفروق الدقيقة بين الأفراد، ولهذا السبب، تُحذف الاختبارات السهلة جداً (ينجح فيها 5 بالمئة من الأفراد) وتلك الاختبارات الصعبة جداً (يخفق فيها 75 بالمئة من الأفراد).

4 - والرائز **صادق** عندما يقيس قياساً فعلياً مايفترض أنه يقيس. ويُقوّم الصدق عندما نقارن التنبؤات بواقع الحوادث (بالنجاح المدرسي أو المهني على سبيل المثال). إنها الخاصة الأكثر أهمية من خصائص رائز.

ويقتضي إعداد الرائز أعمالاً تمهيدية طويلة وبحوثاً مستمرة لتحسين خصائصها. وقيمتها كان قد بُرهن عليها بصورة عامة، وانتشر استخدامها في كل قطاعات الحياة: المدرسة، العمل، الجيش، المشفى، إلخ. إنها ليست كاملة، ولكنها تتّصف بصدق كبير إذا قورنت بالطرائق الاختبارية التقليدية. ومثال ذلك أن درجة الارتباط بين نتائج الروائز عند دخول مدرسة المهندسين الكيميائيين والنجاح في نهاية العام الجامعي كانت 0,79 (غ. باجار، 1969، ص34-35)، في حين أن معامل الارتباط بين العلامات التي حصل عليها هؤلاء المهندسون في مسابقة الدخول والعلامات التي حصلوا عليها عند التخرج كانت 0,02 (وهو معامل ارتباط

ضعيف جداً). فنسبة الإخفاق الجامعي، في رأي هانس جورجن إيزنك، المقدّرة بـ15 بالمئة، يمكنها أن تتقلّص إلى 2 أو 3 بالمئة بفعل استخدام الروائز.

وليس الرائز الجيد مع ذلك، على الرغم من خصائصه كلها، سوى وسيلة سبر سيكولوجية. إنه يقدّم معلومات ثمينة، ولكنه لايقدم تشخيصاً. فالتشخيص حكم قائم على استدلال معقّد يدمج نتائج القياس النفسي وملاحظات لاتقبل التكميم، بمعطيات الحدس والعناصر المستخلصة من تاريخ الفرد. وليس للروائز أبداً سمة مطلقة، إنها نقاط صوى تساعد المجرّب في عمله، عمل إعداد التشخيص، إذ تتيح له أن يتحقّق من فرضياته الأساسية. (انظر في هذا المعجم: **القابلية، الارتباط، رائز الإبداعية، الذكاء، الشخصية، التقنية الإسقاطية، رائز الذكاء الاجتماعي**).

N.S.

جدول إجمالي لبعض الروائز ذات الاستخدام الشائع في فرنسة

آ – روائز المعارف والقابليات

1– اختبارات لفظية

– اختبارات معارف مدرسية (سوب، برودومّو)

– اختبارات مفردات (بينوا– بيشو)

– اختبارات ذاكرة (كلاباويد، بنتون)

2 – اختبارات غير لفظية

– اختبارات استدلال مجرد (د. 48، مصفوفات رافن المتدرّجة)

– اختبارات انتباه (اختبار الشطب لزازو)

– اختبارات الاستدلال المشخّص (مكعبات كوس)

- اختبارات النمو العقلي

. رسم غودونوف (يُستخدم من 3 إلى 12 سنة)

. متاهات بورتو

. سلالم الإنجاز لألكسندر (تُستخدم بدءاً من 7 سنوات) ولغراس أرثور (متدرّجة من 3 إلى 25 سنة)

3 - اختبارات حسّية حركية

- اختبارات رؤية ملوّنة (روائز إيشتيهارا، روائز بولاك)

- اختبارات نمو نفسي حركي لأوزيرتسكي

- اختبارات التنسيق اليدوي

- اختبارات التنسيق اليدوي

4 - سلالم ذكاء مركبة

- سلّم بينه- سيمون (أعاد النظر فيه تيرمان، ثم زازو، جيلي وراد فيربا، يُستخدم بدءاً من 3 سنوات.

- سلم النمو النفسي الحركي في الطفولة الأولى (روائز الأطفال الصغار لجيذيل، وبرونه - ليزين)

- سلالم ويشلر (ثلاثة أشكال متكاملة تمتدّ من 4 سنوات إلى الشيخوخة).

ب. روائز الطبع والشخصية

1 - الاستبانات

- استبانات الاهتمامات (كودر، سترونغ)

- استبانات سمات الطبع (ر. ب. كاتل)

- استبانات نفسية مرضية (M. M. P. I. متعدّد الأطوار للشخصية، مينيزوتا)

2 - روائز موضوعية

- روائز الأفضليات الموسيقية (ر . ب. كاتل)

- روائز مستوى الطموح

- روائز عضلية حركية (ميرا إي لوبز)

3 - اختبارات إسقاطية

- اختبارات يونغ (الترابطات الحرة بين الكلمات)

- اختبارات دوس (حكايات رمزية ينبغي إكمالها)

- اختبارات موره (.T.A.T) وبيلاك (C.A.T) وكورمان

- اختبارات رونزرويغ (الارتكاسات على الإحباط)

- اختبارات رورشاخ (بقع حبر) وزوليجر (رائز Z)

4 - روائز الإنتاج (مستخدمة مع الأطفال على وجه الخصوص)

- روائز الرسم

- روائز اللعب (صنع نماذج، دمى)

- روائز بناء قرية صغيرة (رائز القرية لأرثوس، لموشيلي).

رائز الإحباط **F: Test de Frustration**

En: Picture Frustration test, Rosenzweig frustration test

D: Picture frustration study test (P.F.Test), Rosenzweig P.F.Test

تقنية إسقاطية أعدّها وضبطها، عام 1944، عالم النفس الأمريكي سول روزنزويغ.

دراسة إحباط الصورة، اختبار صاغه روزنزويغ، آلة سيكولوجية خاصة بتقييم الضروب المختلفة من الارتكاسات العدوانية التي يحرّضها الإحباط. إنه اختبار يستعمل طريقة الترابط بالصور ويشتمل على ثلاثة أشكال: شكل مخصّص للأطفال من أربع سنوات إلى ثلاث عشرة، وشكل للأطفال في سن قبل المراهقة والمراهقة، من اثنتي عشرة سنة إلى ثماني عشرة، وشكل ثالث للراشدين فوق الثامنة عشرة. وتتكوّن المنبهات من أربعة وعشرين رسماً يمثّل كل منها مشهداً من الحياة اليومية يستخدم شخصين. يعلن الشخص الموجود على يسار الصورة قضية (جملة) تُحبط دائماً الشخص الموجودعلى يمين الصورة أو تساعد على وصف إحباطه (مثال ذلك: «إنك كاذب. . . .» أو: «ليس بمقدروك أن تدرك شيئاً»). والتعليمات الموجّهة إلى الشخص المراز تكمن في أن يتخيّل جواب الشخصية الثانية وأن يدوّن الجواب، إذا كان ممكناً، في الإطار المخصّص لهذا الغرض. والرسوم أنيقة الصنع على نحو مقصود، تسهيلاً لتوحّد الفرد (التماهي) بالشخصية المغفلة في الصورة. وعلى الشخص المراز أن يقدّم، على وجه الضبط،

جوابه الأول الذي يخطر في ذهنه وأن يعمل أيضاً عمله بالسرعة الممكنة. ويُدعى، عندما ينتهي، إلى أن يقرأ ما كتبه قراءة جديدة على نحو يكون الفاحص واثقاً من فهمه فكرته ويكون بوسعه أن يسأله للحصول على معلومات إضافية عندما تكون الأجوبة موجزة جداً أو مبهمة. وسيكون على هذا النحو قادراً على أن يحدّد مستوى توحّده. إن دراسة **إحباط الصور** يمكنها أن تُدار جماعياً أو فردياً، ولكن هذا الحلّ الأخير - الإدارة الفردية للاختبار - مفضّلاً، ولو لم يكن إلا لحاجات الاستقصاء.

ويجري وضع علامات النتائج، تحليلها وتفسيرها، انطلاقاً من نظرية روزنزويغ العامة من الإحباط. ويعرّف روزنزويغ الإحباط أنه ظاهرة تحدث كل مرة تصادف العضوية في طريقها عائقاً يصعب تجاوزه قليلاً أوكثيراً، أو مانعاً يحول دون إشباع حاجة حيوية. وهذا **الكَرْب** يسبّب زيادة في التوتر الذي سيبحث عن حل على نحو أو على آخر. والعوائق أو الموانع يمكنها أن تكون ذات مصدر خارجي أو داخلي، فاعلة أو منفعلة. مثال ذلك أن سياجاً يمنع الوصول إلى شيء مشتهى عامل محبط «خارجي - منفعل»؛ ويكوّن ضرب من عدم الأهلية عاملاً محبطاً «داخلياً - منفعلاً»؛ والدركي عامل «خارجي - فاعل»؛ والمانع الأخلاقي عامل «داخلي - فاعل». وارتكاسات الفرد متنوّعة أيضاً. ويمكنها أن تكون عدوانية، متّجهة ضدّ العالم الخارجي (**إجابات عقوبة خارجية**)، أو ضد الفرد ذاته (**إجابات عقوبة داخلية**)، أو إنكار الإحباط (**إجابات غير قصاصية**). ويمكنها أن تشير إلى أهمية المانع (**سيطرة المانع**) أو إلى أهمية دفاع الفرد (**دفاع ذاتي**)، أو تشير أيضاً إلى **دوام الحاجة**، بالنظر إلى أن التشديد ينصبّ على حلّ المشكل وعلى متابعة الهدف على الرغم من المانع. وليست هذه الارتكاسات على الإحباط، كما يمكن أن يفهم المرء، عدوانية أو سلبية كلها. وينجم عن تركيب هذا الفئات الست من الإجابات، بالنسبة لكل بند، تسع عوامل لوضع للعلامات ممكن. فالإجابات «سيطرة المانع» يُشار إليها، إصطلاحاً، بالأحرف الأجنبية M', I', E' ويُشار إلى إجابات «دفاع الأنا» بالأحرف الأجنبية M, I, E (ويوجد أيضاً بديلان إضافيان، I, E)، وإلى «دوام الحاجة بالأحرف الأجنبية m, i, e وأنماط وضع العلامات تقدّمها الكتب

الموجزة. وعندما ينتهي هذا العمل التمهيدي، تُحسب النسبة المئوية للفئات الست من وضع العلامات، الظاهرة في محضر الفرد. وثمة مؤشر للتوافق مع الجماعة (**تقدير التوافق مع الجماعة** أو G. C. R) يتيح للمرء أن يفهم إلى أي حدّ تتوافق الإجابات المقدّمة مع إجابات الأفراد الآخرين. وتُنقل النتائج إلى ورقة وضع العلامات، وتُقام **تمثيلات بيانية** تلخّص هيمنة بعض العوامل. وأخيراً تُحسب **الاتجاهات** بغية أن يبين كيف يعدّل الشخص المراز ارتكاساته على الإحباط بحسب مجرى الاختبار وعندما، على وجه الخصوص، ينتقل من النصف الأول من الرائز إلى النصف الثاني. وبوسع المرء على سبيل المثال، عندما يواجه بصورة شعورية قليلاً أو كثيراً ارتكاساته الخاصة السابقة، أن يُظهر قدراً أكبر من الغيظ أوالعدوانية ضد المحيط (عقاب خارجي) بعدأن كان مسالماً على نحو خاص، أو، على العكس، أن يعرض ارتكاسات إثمية بعد أن كان مغالياً في عدوانيته.

ولتقييم إجابات فرد من الأفراد وتفسيرها، نقارنها بإجابات أشخاص آخرين ينتمون إلى الجماعة الاجتماعية الثقافية نفسها، ولكن تجربة الفاحص العيادية ومعرفته علم النفس الدينامي أساسيتان.

وتقدّم دراسة إحباط الصورة، ببنيتها ذاتها، أفضل الإمكانات للبحوث في التحقّق من الصدق. وعوِل هذا الاختبار (إمكان الاعتماد عليه) مُرضٍ فيما يخصّ تصحيح المحضر نفسه، المعروض بمناسبتين، عالمُ نفس أو عدة علماء نفس يصحّحون الرائز نفسه كل منهم على حدة. ويزداد العول أيضاً عندما يُطبّق الرائز بصورة فردية. والعول في الرائز - إعادة الرائز جيد وسطياً (تختلف المعاملات من 60 إلى 80 بحسب المؤلفين). وهذا الاختبار مفيد في الإسهام بعناصر فهم دينامي عن الشخصية المعنيّة أكثر مما هو مفيد في توزيع الأفراد إلى فئات وفق منظور طبي نفسي. وقد يكون أداة ثمينة في البحوث عبر الثقافية. وكان هذا الاختبار، من جهة أخرى، موضع تكييف وتعيير في العديد من البلدان الأمريكية، والأوروبية والآسيوية.

S.R.

رائز الإدراك المتميّز للصغار

F: Test d' aperception pour enfants (C.A.T.)

En: Children's apperception test (C.A.T.)

D: Kinder - Apperception test.

(«Aperception» تعني أن يدرك الشعور فكرة أو حقيقة إدراكاً مباشراً).

تقنية إسقاطية مشتقّة من «رائز تفهّم الموضوع» لموري ومخصّصة للأطفال من سن ثلاث سنوات إلى عشر.

فكرة هذا الرائز ترجع إلى المحلّل النفسي إرنست كريس الذي لاحظ أن الأطفال كانوا يميلون إلى التوحّد (التماهي) بالحيوانات على نحو أسهل من توحدهم بالأشخاص. وإذ انطلق عالما النفس الأمريكيان ليوبولد وسونيا سوريل بيلاك من هذا المبدأ، فإنهما أرصنا هذا الرائز، رائز الإدراك المتميّز للصغار، عام 1949، المؤلف من عشر صور محفورة تمثّل حيوانات في أوضاع شتى: أسداً جالساً في مقعده الوثير، أسرة من القرود تتناول الشاي، إلخ. فالمشكلات الأساسية للطفولة تُثار على هذا النحو، بدءاً من المنافسات الأخوية حتى الاهتمامات الجنسية. ويجري تطبيق هذا الرائز، الذي يكمن في جعل الأطفال يتخيّلون حكايات لكل صورة، في جلسة واحدة مدتها ثلاثون دقيقة إلى ساعة. ومبادىء تحليل هذا الرائز وتفسيره مطابقة لتحليل وتفسير رائز تفهم الموضوع. ويتضمن رائز الإدراك المتميز للصغار متمّماً (.C.A.T.'S) يتألف أيضاً من عشر

صور تذكر صعوبات نوعية كالعاهة (كنغر يمشي بعكازين)، أو حمل الأم. وهذه الصور يمكنها أن تعرض وحدها، أو بالإضافة إلى رائز تفهم الموضوع، أو تستخدم نقطة انطلاق لتقنية لعب.

وثمة طرائق إسقاطية أخرى للأطفال تستلهم المبادىء التي يستلهمها رائز الإدراك المتميز. ويمثل في عداد هذه الطرائق الإسقاطية رائزا **صور بلاكي** و**رائز القائمة السوداء**. فالأول، المنسوب إلى جيرالد بلوم يقصّ مغامرات كلب اسمه «بلاكي» وأسرته، ويتألف من اثنتي عشرة صورة تثير الأمور الأساسية لنموّ الطفل النفسي الجنسي. وعلى الفرد، بعد أن يقص حكاياته، أن يجيب عن الأسئلة المعيّرة التي يطرحها عليه الفاحص والتي تتناول كل حكاية: «هل بلاكي سعيد؟»، «بما تحسّ ماما في هذا المشهد؟»، «ماذا تقول لبلاكي؟»، إلخ. وتوحّد الطفل (التماهي) بالبطل، في هذا الرائز، يسهّله الواقع الذي مفاده أن الحديث يدور خلال الاختبا ر كله حول الحيوان نفسه.

ويمسرح الرائز الثاني، **القائمة السوداء**، المنسوب إلى الطبيب الفرنسي لويس كورمان، خنزيراً صغيراً اسمه «القائمة السوداء» وأقاربه في تسعة عشر وضعاً. وعلى الطفل أن يقصّ، كما في رائز الإدراك المتميز، حكاية عن كل صورة من الصور التي يصنّفها بعد ذلك حسب أفضلياته. ويُطلب إليه أيضاً أن يتماهى بأحد هذه الشخوص، وذلك أمر يتيح له أن يختار الشعور ببعض من صعوباته. والفاحص يجعل الطفل أخيراً يرسم ويصف ويفسّر الحلم المألوف للقائمة السوداء. وتوجد مجموعة موازية، «القائمة السوداء الخراف»، المخصصة لأفراد يرفضون التماهي بخنزير صغير لأسباب دينية. (انظر في هذا المعجم: **رائز تفهّم الموضوع**).

M.C.

رائز (روائز) الأطفال الصغار

F: Baby - tests

En: Baby- tests

D: Klinkindertests

روائز نموّ للأطفال من العمر قبل المدرسي.

يعود تاريخ الدراسات المنهجية في النمو السيكولوجي الفيزيولوجي للرضيع والطفل الصغير، دراسات أتاحت المجال لعرض سلّم روائز خاص بالعمر الأول، إلى بداية القرن العشرين. وأعدّ إيزار وسيمون في هذا العصر، آخذين أعمال بينه قاعدة لهما، أداة صائرة إلى أن تقيم نمو الأطفال الصغار، ولكن عيبها كان يكمن في أنها لم تكن معيّرة. وكان أرنولد جيزيل (1925) من الولايات المتحدة، من جهة، وشارلوت بوهلر وهيلديغار هيتزر (1982) من فيينة، من جهة ثانية، قد ابتكروا السلالم الأولى للنمو النفسي الحركي التي لها خصائص رائز. وأعدّت بعدهم أوديت برونه وإيرين ليزين **سلّم نمو نفسي حركي للطفولة الأولى**، اختير عام 1954 بوصفه استقصاء عالمياً لنمو الأطفال الصغار. وترتكز هذه الروائز على الملاحظة المنهجية للسلوك في جوانبه المختلفة، الجانب الحركي، وضعية الجسم، الجانب اللفظي، التكيّفي والاجتماعي؛ إنها تتيح وضع مستويات وحاصلات نمو. وقيمتها التنبّؤية ضعيفة مع ذلك إلى حد كاف، وليس من النادر أن ترى أطفالاً صغاراً، مصابين بإعاقة شديدة في بداية حياتهم، يستدركون تأخّرهم فيما بعد وينمون نمواً على نحو مرض تماماً. (انظر في هذا المعجم: **الرائز**).

G.G.S.

F: Test des taches d' encre de Holtzman **رائز بقع الحبر**
En: Holtzman inkblot techinque **لهولتزمان**
D: Holtzman - inkblot technique

رائز شخصية منسوب إلي عالم النفس الأمريكي وين هـ. هولتزمان، مستوحى من التشخيص النفسي لرورشاخ ولكنه يتميّز منه حتماً بالشكل والروح.
المقصود دائماً بقع حبر ينبغي تفسيرها ولكن ثمة سبعاً وأربعين بقعة بدلاً من عشر في رورشاخ. واللوحات السوداء أو متعدّدة الألوان وذات حجم مقلّص قياساً على لوحات رورشاخ النظيرة. وأخيراً، يُرجى الشخص أن يقدّم لكل لوحة إجابة، إجابة واحدة، وتُجمع الإجابات في دفتر خاص. واللوحتان الأوليتان تستخدمان على سبيل المحاولة والإعداد. فالرائز بمعناه الدقيق لايستخدم إذن سوى خمس وأربعين لوحة. ويجري استقصاء بعدكل إجابة لتوضيح الخصائص الإدراكية الأساسية. وللرائز شكلان متوازيان B, A، لايحل أحدهما من الناحية العملية محل الثاني. وتتغيّر مدة الاختبار بين خمس وأربعين دقيقة وتسعين بحسب الأفراد، وزمن التصحيح ثلاثون دقيقة إلى خمس وأربعين. ويشمل نظام وضع العلامات اثنين وعشرين متغيّراً، كالتموضع، والمحدّد، والمحتوى.. يمكنها أن تتلقّى ضرباً من وضع العلامات العددية الدقيقة على سلّم من نقطتين أو عدة نقاط لكل لوحة من الألواح الخمس والأربعين. ويكون مجموع العلامات الجزئية الخمس والأربعين، لكل متغير، علامة المتغير. ولهذه التقنية خصائص قياسية أكثر دقّة من رائز رورشاخ وغالبية التقنيات الإسقاطية الأخرى. (انظر في هذا المعجم: **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

N.S.

رائز بيهن – رورشاخ

F: Test de Behen- Rorschach, Be- Ro test

En: Behen- Rorschach test

D: Bero test, Behen- Rorschach test

شكل مواز للتشخيص النفسي لرورشاخ منسوب إلى تلميذ من تلامذة رورشاخ، هانز بيهن – إيشانبورغ.

كان هيرمان رورشاخ يعلم أن رائزه ينطوي على كثير من النواقص ويفتقر إلى أسس نظرية متينة. وكان يعمل بجدّ على إصلاحه، متوقّعاً تعديلات وإضافات. وفي هذا الدرب إنما أدخل معاونيه، ومنهم هـ. بيهن إيشانبورغ الذي عمل معه رورشاخ على بناء مجموعة من اللوحات الموازية للوحاته. ويتألف هذا الرائز الذي نشره متأخراً عالم النفس السويسري هانز زوليجر (1983-1965)، من عشر لوحات تمثّل بقع حبر، بعضها رمادي، والأخرى ملوّنة، وفق النموذج والترتيب اللذين يمثلان في التشخيص النفسي لرورشاخ. (انظر في هذا المعجم: **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

N.S.

رائز ترابط الكلمات

F: Test d'association de mots

En: World association test

D: Wortassoziation-test, Assoziation-test

اختبار إسقاطي مشتقّ من بحوث السيكولوجيا العلمية في سيرورات الترابط، أعدّه ك.غ. يونغ.

إجراءات هذا الرائز من أكثر الإجراءات بساطة: يلفظ المجرب كلمة أو يعرض كلمة مكتوبة على الفرد الذي ينبغي له أن يجيب عنها إجابة سريعة بكلمة تخطر على باله مباشرة. وفرانسيس غالتون أول من اختبر هذه الطريقة على نفسه عام 1879. إنه أعد قائمة من خمس وسبعين لفظة غالبيتها أسماء مشتركة، وكتب الفكرتين الأوليتين اللتين كانت كل لفظة توحي بهما له. وحين فحص المادة المجموعة على هذا النحو، لاحظ أن الأفكار التي خطرت له في الأغلب كانت ذات صلة بطفولته أو مراهقته. وذكر، في نتائجه، أن الكلمات والترابطات «تنير، إنارة تثير الفضول، أسس فكر الإنسان وتعرّي تشريحه الذهني بفجاجة لايتمنى بالتأكيد أن يريها للناس جميعهم». واستخدم إميل كريبلن بعده (1892) هذه التقنية مع الأسوياء، وجعل منها ك.غ. يونغ إحدى الطرائق المفضّلة في دراسة العقد، في حين أن غراس كنت و أ. جـ. روزانوف كانا يستخدمانها ليحدّدا الخصائص الفردية. ووضع هذان العالمان قائمة من مئة كلمة (أسماء ونعوت مثل: ثابت، بطيء، معدة، ذنب، طفل، مر)، على عكس يونغ الذي آثر أن يضمّن قائمته (من مئة كلمة أيضاً) ألفاظاً مشحونة على نحو أكثر بكثير بمتضمّنات انفعالية وتشمل كل

الحقل الوجداني، بدءاً من الصعوبات المادية والطموح الخائب إلى الحب والموت. ويكون الفرد في وضع الاسترخاء. ويسجّل المجرب زمن ارتكاسه، ويراقب اتجاهاته وتصرفاته، ويحلّل استجاباته. فالفرد يستجيب في بعض الأحيان بسرعة كبيرة، ويتوقّف أحياناً ويبدو عاجزاً عن أن يقدم جواباً، حتى ولو تُركتِ له دقيقة ليجيب. وتبدو في لحظات أخرى صرخات ووشوشات، وتشنّج اليدين، واحمرار الوجه. . . أو يكرّر الكلمة المنبّه أيضاً، و يواظب على إجاباته، ويبتكر كلمات جديدة (وذلك أمر متواتر لدى الذهانيين). ولكن علماء النفس جميعهم لايستخدمون التقنية نفسها. فدافيد رابابور وميرتون جيل وروا شافير (1946) يستخدمون ستين كلمة ذات تضمّنات أسريةوعدوانية وجنسية، إلخ. ويكررون الاختبار ويطلبون إلى الفرد أن يجد الإجابات نفسها عن الكلمات نفسها مجدّداً (إذ يُعتبر إخفاق هذا التذكّر ذا دلالة)؛ وأخيراً يسألونه بغية الحصول على إيضاحات عن معنى الإجابات. وليس ثمة أي شك في أن هذه الإجابات لاتكون مرتبطة بمعيشه الشخصي واهتماماته كما بيّن ذلك عدة مؤلفين. ويذكر لويس تيرمان (1877-1956) وكاترين مايلز في كتابهما **الجنس والشخصية** (1936) قوائم من الإجابات مؤنثة أو مذكرة، على نحو نموذجي: مثال ذلك أن الصبيان يجيبون عن كلمة «بودرة» بكلمة «طابة» والبنات بكلمة «أحمر الشفاه». وترابطات الكلمات تبيّن أيضاً الاهتمامات والحاجات. ويلاحظ ل.غ. وسبه (1954)، إذ درس ارتكاسات خمسين فرداً حُرموا من الماء أوالغذاء خلال عشر ساعات وأربع وعشرين ساعة، تنامياً كثيفاً، في الحالة الأولى، لإجابات ذات علاقة بالأطعمة أوالمشروبات، وللإجابات التي تذكّر على وجه الخصوص، في الحالة الثانية، بالأفعال والأدوات والأماكن، الخاصة بالوجبة. وتتيح هذه الطريقة أخيراً بلوغ معلومات عن الشخصية. وللأشخاص الاندفاعيين أو ذوي التوجّه نحو العالم الخارجي (الذين يُظهرون اهتمامات اجتماعية، اقتصادية، سياسية) في رأي س. دون (و) جـ. بليس (و) إ. سبولا (1958)، أزمنة ارتكاس قصيرة ويقدّمون إجابات

بالتضاد. وترافق سمة الارتياب تكرار الكلمة المنبه قبل الإجابة وأخطاء التذكّر، في رأي ب. س. هوندال، ف. ف. إويمانوي (1974).

وكانت تقنية ترابط الكلمات مستخدمة منذ بداية القرن في بحوث الإثمية لتحديد هوية المجرم بين جماعة من الأظنّاء (هوغو مانستيربرغ، 1907). وتوضع، في هذه الحالة، قوائم خاصة تتضمّن نحواً من عشرين لفظة ذات دلالة للأشخاص المطلعين على ظروف الجريمة، يخالطها ثمانون اسماً لامعنى لأي منها. مثال ذلك سارق استولى على لوحة لرسام شهير بعد أن دخل فيلا من نافذةكسر زجاجها. فالكلمات «فيلا»، «نافذة»، «زجاج»، «لوحة»، تبدو حيادية لكل فرد إلا المجرم، ولكن المجرم قد يضطرب وهو يسمعها. ويسجّل المستقصي أزمنة الارتكاس، ومظاهر الأفراد الانفعالية، ويسجّل عند الاقتضاء، إذا كان لديه جهاز متخصّص، ضغط الدم، وارتكاساتهم النفسية الغلفانية، إلخ. وأتاحت مقارنة محاضر الأظناء أن تقود المجرم إلى الاعتراف في عدد من الحالات. وتستدعي هذه التقنية مع ذلك كثيراًمن التحفّظات، ولو لم يكن إلا لأنها تولّد مناخاً متوتراً بالحري، وذلك أمر لايمكنه إلا أن يفاقم عسر الفرد القلق، وأنها لاتُخبر شيئاً عن طبيعة الاضطراب الانفعالي المكشوف. وربما تلاقي هذه التقنية زوال حظوة نسبي لهذه الأسباب - زوال حظوة يبدو لنا غير مسوَّغ، ذلك أن مشروعيتها التي قام البرهان عليها أعلى في الغالب من مشروعية طرائق إسقاطية أخرى. (انظر في هذا المعجم: **الترابط**، **المنعكس النفسي الغالفاني**).

N.S.

F: Test d'aperception thematique **رائز تفهم الموضوع**
(ou) Test d'aperception des themes (T.A.T.)

En: Thematic apperception test (T.A.T.)

D: The matischer apperzeptionstest (T.A.T.)

رائز إسقاطي منسوب إلى عالمي النفس الأمريكيين ألكسندر موره (مولود عام 1903) و ك. د. مورغان، مؤلف من مجموعة من الصور الضبابية ذات الدلالة الملتبسة، يُطلب إلى الفرد انطلاقاً منها أن يقصّ حكاية.

استخدم عالما النفس الأمريكيان بريتان (1907) وليبي، منذ بداية القرن العشرين، صوراً إيضاحية لتحريض الخيال، ولكن لعبة الصور، التي ضبطها شوورتز عام 1931 لدراسة شخصية الجانحين الفتيان، هي التي يمكنها أن تُعتبر البشير برائز تفهم الموضوع (T.A.T.). وكان هذا الرائز قد أُعدّ في **العيادة السيكولوجية لجامعة هارفارد** التي كان يديرها موره في ذلك الحين. ويشمل هذا الرائز ثلاثين صورة وصفحة بيضاء يمكنها أن تؤلف أربعة ألعاب من عشرين لوحة، مخصّصة على التوالي للصبيان والبنات من سبع سنوات إلى أربع عشرة، وإلى المراهقين والراشدين من الجنسين. ويُقترح رائز T.A.T. بوصفه اختبار خيال. ويوصي موره أن يُطبّق في جلستين من ساعة لكل جلسة، يفصلهما فاصل أقلّه يوم، تُعرض عشر لوحات كل مرة.

والفرض الذي يرتكز عليه هذا الرائز يكمن في أن القاصّ، إذ يتماهى (يتوحّد) ببطل الحكاية، يعزو إليه دافعياته، وعواطفه وتصرفاته. ويستند التحليل

الذي يقترحه موره إلى نظريته الخاصة في الشخصية. ويأخذ هذا المؤلف بالحسبان على نحو أساسي تلك النزاعات التي تُحدثها حاجات الفرد في مواجهة الضغوط الخارجية، وكذلك الحلول التي يدلي بها. ويفحص خمسة عناصر في كل حكاية: 1) **البطل**. إنه، على وجه العموم، تلك الشخصية الأكثر اتصافاً بأنها رئيسة في الحكاية، الشخصية الأشبه بالقاص من حيث عمره ووضعه. والتماهي يمكنه مع ذلك أن يتمدّد في عدة أبطال متتابعين ينبغي تحديد وضعهم جيداً، 2) **الحاجات أو الدوافع** لدى البطل، التي يبلغ عددها، في نظرية موره ثمانياً وعشرين (إنجاز، عدوان، جنسية، على سبيل المثال). ويقترح المؤلف أن توضع علامة لقوة كل حاجة على سلّم من خمس نقاط، ثم تُجمع العلامة الحاصلة لكل حكاية وتُقارن بسلم معياري. ونعزل على هذا النحو تلك الحاجات التي تبتعد عن المتوسط ابتعاداً محسوساً، ونفحص العلاقات التي تقيمها فيما بينها؛ 3) **القوى الصادرة عن الوسط** التي يخضع إليها البطل. ويعدّد موره نحو ثلاثين منها (الانتساب، العناية، النبذ. . .)، يمكنها أن تكون مفيدة للبطل أو مؤذية. وتُنسب هذه القوى، على وجه العموم، إلى الشخوص التي تتفاعل مع البطل، ولاسيما إلى الشخوص الداخلة في الحكاية، مع أنها ليست ماثلة في اللوحة. وتوضع لهذه القوى علامات وتُفحص كما الحاجات، 4) **حلول العقد**، الناجمة عن التفاعل بين حاجات البطل وضغط العالم الخارجي. ومن المهم تحليل اتجاه الشخصية المركزية في سير الحكاية. هل يتحمّل الأحداث تحملاً سلبياً أم أنه، على العكس، يسيطر عليها؟ ومن الضروري، من ثم، تقييم نسبة النجاحات والإخفاقات وحلّ العقد الموفّق وغير الموفق، 5) **الموضوعات** المحددة بالتوليف بين الحاجة أوالضغط الخارجي. فتفاعل حاجة البطل وضغط خارجي يكوّن، مع حلها، **موضوعاً بسيطاً**. وتتّحد الموضوعات البسيطة في **موضوعات معقّدة** لتشكل حبكة الحكاية وسيرها. وهكذا يحصل الفاحص على قائمة من الموضوعات ويتوصّل، حين يفحص الموضوعات الناجمة عن حاجات البطل ذات الدلالة أو عن ضغط خارجي قوي بصورة

استثنائية، إلى ضرب من معرفة عالم الفرد الداخلي. واقترح بعض المؤلفين، لاسيما دافيد رابورت، س. س. تومكينز، ليوبولد بيلياك، أنماطاً أخرى من تحليل نتاجات الفرد. فبيلياك ينظر في أربع عشرة نقطة مختلفة: الموضوع الرئيس، البطل الرئيس، الاتجاهات إزاء شكلي الأبوين أو إزاء المجتمع، الشخوص المدخلة في الحكاية، إلخ.

ويعتقد موره أن من الممكن، بعد هذا التحليل، إجراء دراسة أعمق شبيهة بتفسير التحليل النفسي للأحلام. وهذا التفسير، الذي لايمكننا إجراؤه دون معارف متينة في التحليل النفسي، ينبغي أن نقابله بتاريخ الفرد الشخصي. وفي هذا الدرب إنما تابعت ف. شنتوب (باريس) أعمالها المنصبّة على رائز تفهم الموضوع. وتلاحظ أن تطبيق هذا الرائز يكوّن، بالنسبة للفرد، وضعاً نزاعياً، ويجنّد الفاحص معاً، حين يُطلب إليه أن يعدّ حكاية منطلقاً من منبه ينزع إلى تنشيط استيهاماته مجدّداً، سيرورات الفرد الثانوية (اللاشعورية) وسيروراته الأولية (الشعورية). وليست الدافعيات في هذه الشروط، هي التي، في رأي شنتوب، تظهر، بل ستظهر بصورة أساسية آليات الدفاع لديه، وذلك أمر سيخبرنا عن حال العمل الوظائفي لديها (مرونة أو صلابة) ودرجة نجوعها.

ورائز تفهم الموضوع أتاح العديد من التطبيقات التي اقتضت بعض التكييفات، واستخدم **البحث في التربية الهندية**، بقصد دراسة بعض من المتّحدات الهندية في الولايات المتحدة الأمريكية ومقارنتها، رائز تفهم الموضوع (T.A.T.) في اثني عشرة لوحة تمثّل شخوصاً وأوضاعاً من الحياة الهندية. وأتاح هذا الرائز، المعروض فردياً على ألف من الأفراد من ست سنوات إلى ثماني عشرة سنة من العمر، توضيح الخصائص السيكولوجية الخاصة لمختلف القبائل الهندية. وكانت مجموعات أخرى من الصور قدكُيّفت من أجل البحوث الأنتروبولوجية في أفريقية الجنوبية وميكرونيزية (مجموعة الجزر في المحيط الهادي الجنوبي). وأعد

أندره أومبريدان (1898-1958) **رائز تفهم الموضع الكونغولي**، المخصّص للسكان الكونغوليين، ويشمل هذا الرائز لعبة من ست عشرة لوحة يمثل فيها شخوص من العرق الأسود في أوضاع مختلفة. فنتائج تطبيقه على أفراد من إتنيات ومستويات ثقافية متنوّعة جداً استُخدمت في منظورات أنتروبولوجية وسيكولوجية تقنية على حد سواء. وأعد **رائز تفهم الموضوع الجماعي**، الذي يضمّ خمس صور توضيحية، عام 1947، لـ**المخبر الوطني للتدريب من أجل النمو الجماعي**، مخبر بيثيل (مين). وتُعرض هذه اللوحات على الجماعة التي نرغب في دراستها، إذ يُطلب إلى أعضائها أن يكتبوا جماعياً حكاية، منطلقين من كل لوحة منها.

وكانت تكييفات أخرى، أكثر استخداماً على نحو شائع، قد تحقّقت للأطفال بفضل ليوبولد وسونيا سورسل بلياك (رائز بلياك للإدراك المتميّز للأطفال) وبفضل بيرسيفال م. سيموندز للمراهقين. (انظر في هذا المعجم: **رائز الإدراك المتميز للأطفال**، **التماهي** [**التوحد**]، **آلية الدفاع**، **الإسقاط**، **رائز سيموندز**).

M.C.

رائز الحكم الأخلاقي

F: Tsédek-test
En: Tsedek-test
D: Tsedek-test

الاشتقاق: من العبري tsedek، أي «العدالة» و«المحبة».

اختبار اقترحه هنري باروك (1947) مخصّص لسبر الحكم الأخلاقي وتوضيح كيفية انتظام مفهومي الخير والشر لدى الإنسان السوي ولدى المريض العقلي.

يتضمّن الاختبار خمسة عشر وضعاً ينبغي للفرد أن يقدّم حلاً نظرياً لها. فبعض الإجابات كاشفة للاضطراب العميق في شخصية المفحوص. وللغالبية العظمى من الموجودات الإنسانية السوية، في رأي باروك، تقييم صحيح لما هو صائب ولما هو غير صائب. أما الفصاميون، فلم يعد لديهم، على العكس، رأي في أي شيء، إنهم ثنائيو المشاعر ومتناقضون. وهذا المؤلف يعلّق الأهمية الكبرى على الوجدان الأخلاقي، ذلك أن كل انتهاك للعدالة يُحدث مفعولات مؤذية على الفرد والمجتمع معاً. ففي قرارة كل موجود إنساني قوة أخلاقية لاترتدّ إلى غيرها، «تصون حقوق الحقيقة، على الرغم من انتهاكات الإنسان المستمرة». وعلى هذا النحو إنما لايشعر بالسكينة من يلقي بالخطأ الذي يقترفه على بريء، بل على العكس، ذلك أنه يضيف إثمية جديدة إلى الإثمية السابقة، وهو أمر سيقوده في دروب الحقد والتعاسة. (انظر في هذا المعجم: **الوجدان الأخلاقي**، **عاطفة الإثمية**).

N.S.

رائز الذكاء الاجتماعي F: Test d'intelligence sociale

En: Social intelligence test

D: Test der Sozialen intelligenz

اختبار مُعيّر، مخصص ليقيّم ويقيس قابلية التصرف على نحو مناسب في الأوضاع الاجتماعية.

منح ثورندايك (1920)، حين صادر على وجود شكل ثالث من الذكاء إلى جانب الشكلين المجرد والتقني، بناء الاختبارات في علم النفس التقني بالولايات المتحدة الأمريكية اندفاعة لايزال أثرها محسوساً في الوقت الراهن. وكان موس، هانت وأوموك (1927، 1949) هم الأوائل الذين حاولوا أن يحقّقوا وجهة النظر التي دافع عنها ثورندايك. فتصوروا وأنشأوا الروائز الخمسة التالية:

1- تقييم الأوضاع الاجتماعية. ينبغي للفرد أن يجد القرار الصائب، بين أربعة إمكانات، لشخص موصوف في وضع اجتماعي من الأوضاع. ويتضمّن الرائز ثلاثين بنداً؛

2- تفسير جملة. على الفرد أن يعيد تكوين الحالة السيكولوجية لشخص يباشر الكلام؛ ثمانية عشر بنداً؛

3- ذاكرة الأسماء والوجوه. ينبغي للفرد أن يحفظ، من خمس وعشرين صورةشمسية لأشخاص، اثني عشر وجهاً اسماؤها وكنياتها مذكورة له. وبعد زمن معيّن من التوقّف، عليه أن يجد الأسماء المقابلة للوجوه مجدّداً؛

4 - ملاحظة التصرفات الإنسانية. نُخضع الفرد إلى أقوال عامة عن السلوكات الإنسانية، وعليه أن يقول إن كانت هذه التعميمات صحيحة؛ خمسون بنداً؛

5 - حسّ الدعابة. ينبغي للفرد أن يميّز، من عشرين وضعاً مضحكاً ومسلّياً، لذعة الدعابة.

وتعبّر النتيجة النهائية عن نفسها بالحساب الكلي للنقاط.

وبان عوِل الرائز مرْضياً، وبيّنت بعض الدراسات لصدق الرائز أنه كان يقيس شيئاً يتفق مع الحس السليم؛ وعلى هذا النحو إنما كانت نتائج الروائز لمستخدمي مشروع متوافقة مع تقييمات الرؤساء ذات العلاقة بذكائهم الاجتماعي. ولكن المرء كان يلاحظ في الوقت نفسه أن هذه الاختبارات تتصف بارتباط قوي جداً مع روائز لفظية أخرى للذكاء العام (هانت، 1928). فنُظر فيما بعد إلى روائز الذكاء الاجتماعي، وقد أدلى بعضهم على الغالب بملاحظات مشابهة، بكثير من الريبة. وانتهى الأمر أخيراً، بعد أن بيّنت البحوث الدقيقة التي أجراها ثورندايك (1936)، و ر. ل. ثورندايك وشتاين (1937)، وذرو (1939)، التي انصبّت بصورة خاصةعلى اختبارات رائز الذكاء الاجتماعي لجورج واشنطون، أن نتائج هذه الروائز كان شرحها ممكناً بالعامل اللفظي للذكاء، كلياً على وجه التقريب، أقول انتهى الأمر أخيراً إلى الشك بوجود قابلية نوعية تُسمّى «الذكاء الاجتماعي». ومع ذلك، قام جـ. ب. غيلفورد (1967) ومعاونوه بمحاولة جديدة (أوسوليفان ورفاقه، 1965، 1966).

وطوّر غيلفورد، بعد أن حدّد من الناحية النظرية ثلاثين عاملاً مستقلاً عن الذكاء اللفظي كلياً و اختبارات لاتقتضي سوى حدّ أدنى من القابليات اللفظية، لمجموعات الصور والرسوم التي تمثّل أوضاعاً بين شخصية معقّدة، في مجموعة من اللقطات الخاطفة. والتعليمات التي تُلقى على الفرد، ذلك الذي تُقدّم إليه لوحات الرائز، تكمن في أن يحلّ رموز هذه الأوضاع ويفهمها. وشكّل، حتى يومنا هذا، اثنا عشر عاملاً من الثلاثين موضوع روائز من هذا النوع (هوبغنر،

1974، أورليك، 1974)، ونعرف على وجه الخصوص، من هذه الروائز، **رائز العوامل الستة للذكاء الاصطناعي** (أوسوليفان وغيلفورد، 1966). وتتميّز كل هذه الاختبارات ببناء إحصائي كامل وعول كبير. وهذه الروائز خيّبت الأمل مع ذلك، على الرغم من كل العناية التقنية التي أفادت منها، ذلك أن صدقها لم يكن موضع برهان في حقيقة الأمر. وأمكن للمرء أن يرى على وجه الخصوص أن ارتباطاتها بروائز الذكاء الكلاسيكية كانت على وجه التقريب كبيرة بقدر ارتباطاتها فيما بينها (كرونباخ، 1970، بيربومر، 1971). ويبدو جيداً أن نسبة الصدق الضعيفة لتنبؤاتها في المجالين المدرسي والمهني تكون ناجمة عن الجانب من الذكاء العام الذي تحتويه بصورة إرادية. وبما أننا لايمكننا أن نضع الذكاء العام والذكاء اللفظي على مستوى واحد، فإننا، مع الاختبارات الجديدة، نبلغ الدرب نفسه الذي نبلغه مع الروائز القديمة لموس ومساعديه (1927). ويبدو إذن أن ليس بوسعنا أن نفصل الذكاء «اللفظي» عن الذكاء «الاجتماعي»، ما داما مختلطين اختلاطاً قوياً، بواسطة الروائز الراهنة. وفي رأي عالمة النفس اليوغسلافية ليديجا بافلوفيتش فوتشي (1970,1966) أن ذلك لايكوّن عيباً مبطلاً، لأن اليسرَ اللفظي، في رأيها، ربما يكون الجانب الأكثر دلالة من الذكاء الاجتماعي. فما ستكون الحياة الاجتماعية دون تواصل لفظي؟ ألا يؤدي نوع التنشئة الاجتماعية دوراً سائداً في اكتساب اللغة لدى الطفل؟ فالذكاء لايمكنه في حقيقة الأمر أن يُنظر إليه نظرة مستقلة عن الذكاء اللفظي. وتدرّبت ل. بافلوفيتش فوتشي، مع مراهقين من أربع عشرة سنة إلى ثماني عشرة من العمر، على تحليل أقوال مأثورة شعبية وحِكَم لشخصيات شهيرة تتناول السلوك الإنساني. وأمكنها أن تبرهن على هذا النحو على انزياح لمفعولات هذا التدريب (تحويل) على الإنجازات المتحقّقة في شكل معدّل بعض التعديل لرائز الذكاء الاجتماعي «جورج واشنطن»؛ واستخلصت من ذلك أنه كان ممكناً تدريب المرء ذكاءه الاجتماعي، أقلّه في جوانبه المعرفية. (انظر في هذا المعجم: **الارتباط، الذكاء الاجتماعي، التحويل**).

P.OR. (ترجمة **J.S.T.** إلى الفرنسية)

رائز الزاي

F: Test Z
En: Z test
D: Z- Test

تقنية إسقاطية مشتقة من التشخيص النفسي لرورشاخ.

كان عالم النفس السويسري هانز زوليجر (ميست، قرب بييل، 1893 - إيتنجان، قرب برن، 1965) قد صاغ هذا الرائز خلال الحرب العالمية الثانية بغية اصطفاء سريع لضباط الجيش السويسري المستقبليين. ويتألف هذا الرائز من ثلاث نسخ مصوّرة إيجابية لبقع حبر، مخصّصة للإسقاط على شاشة. فالأولى، المصنوعة من صبغيات رمادية، تثير على وجه الخصوص إجابات شكلٍ (F) وتظليلٍ (E). إنها تشبه لوحات رائز رورشاخ VI,V,IV. والثانية متعدّدة الألوان، كاللوحات X,IX,VIII من هذا الرائز. وتتضمّن الثالثة بقعاً حمراء بين البقع السوداء؛ إنها تستدعي إجابات حركة (K) على وجه الخصوص، كاللوحة III من رورشاخ. أما الصور الشفّافة، فإنها تُستخدم للفحص الجماعي. فالأفراد يكتبون ما توحي إليهم الصورة به: الاختبار الجماعي لايمكنه، لهذا السبب، أن يُطبّق على الأطفال ولا على الراشدين من مستوى ثقافي منخفض. وتُستخدم، في الفحوص الفردية، لوحات مطبوعة على ورق مقوى أبيض. ومبادىء وضع العلامات والتفسير مطابقة لمبادئ التشخيص النفسي لرورشاخ. ويتيح رائز الزاي سبر الشخصيات بغية تقصّ سريع. وعندما يعتقد الفاحصون أنهم كشفوا عن علامات مرضية، يشرع في فحص أكثر تعمّقاً ذي تقنيات أخرى. (انظر في هذا المعجم: **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

N.S.

رائز سيموندز

F: Test de Symonds

En: Picture - story test

D: Picture story test

تقنية إسقاطية منسوبة إلى عالم النفس الأمريكي بيرسيفال م. سيموندز، مخصّصة للمراهقين من الجنسين.

يتكوّن رائز سيموند ز من عشرين لوحة تمثّل مراهقين في أوضاع ملتبسة شتى. ويدعى الفرد، كما في رائز **تفهّم الموضوع** الذي اشتُقّ منه هذا الرائز، إلى أن يبتكر حكاية، منطلقاً من كل صورة معروضة، ويمتدّ الاختبار على جلستين لساعة واحدة تقريباً، يفصل بينهما فاصل زمني قدرها أربع وعشرون ساعة. ولاتُعرض خلال الجلسة الأولى سوى اللو حات العشر من المجموعة A، وتُعرض خلال الثانية لوحات المجموعة B. ويوصى، إذا لم يكن ثمة إمكان لتطبيق المجموعتين من اللوحات، بلوحات المجموعة B، ذلك أنها أكثر اتصافاً بأنها كاشفة. ويختلف التحليل الذي يقترحه سيموندز اختلافاً ضعيفاً عن التحليل الذي تبنّاه هنري ألكسندر موريّ في رائز تفهم الموضوع. والواقع أن سيموندز يأخذ بالحسبان، بدلاً من النظر إلى حاجات البطل من جهة وضغط الوسط الخارجي من جهة أخرى، أربعة عشر عاملاً مثل: العداوة والعدوانية، الحب والغلمة، ثنائية المشاعر، العقوبة، القلق، نمط الدفاع ضد القلق، النزاعات الأخلاقية، الإثمية. . . . ثم يعكف على تحليل نظامي للنتائج: زمن الاستجابة، التوقّفات، الاتجاه بالنسبة لوضع الامتحان، تعليقات خاصة يدلي بها الفرد، بنية الحكاية، النغمية الانفعالية، اللغة. . . أما عن التفسير، فإنه مستوحى من علم النفس الدينامي والتحليل النفسي. (انظر في هذا المعجم: **رائز تفهم الموضوع**).

M.C.

رائز الشطب

F: Test de barrage

En: Crossout test

D: Durchstreich-test

اختبار انتباه تخيّله عام 1895 بنجامان بوردون (1860-1943)، يكمن في شطب بعض الحروف من نصّ مطبوع.

أبدل فيما بعد إدوار تولوز وهنري بييرون (1904)، ورونه زازو (1941)، وريشار ميلي (1956)، بالنص علامات هندسية. وبنى هذا الأخير، ميلي، رائزاً «لانموذج له». ويكمن **رائز الشطبين**، الذي ابتكره زازو، في أن تُشطب بخط صغير بعض من العلامات، ثم تُشطب، في ورقة ثانية، علامتان مختلفتان وفق اتجاههما. ويتيح رائز الشطبين، في رأي مؤلفه، تقييم قابلية الفرد للتركيز الذهني، مقاومته الرتابة، قابلية التعب لديه، رقابته النفسية الحركية، سرعته (عدد العلامات المشطوبة)، الاهتمام الذي يوليه تنفيذ مهمة (نسيان، أخطاء)، بالإضافة إلى إمكانات الانتباه والملاحظة.

N.S.

رائز الصور الأربع

F: Test de quatre images

En: Four pietures Test (F.P.T)

D: Vierbilder-test

اختبار إسقاطي ضبطه عام 1930 د. جـ. فان لينيب، مخصّص لاكتشاف الاتجاه العام لفرد إزاء حياته، واكتشاف بنية شخصيته وديناميتها.

إنه رائز يتألف من أربع صور ملوّنة (تُختار الألوان من لوحة الألوان نفسها بغية توحيد الكل)، ذات رسم غير دقيق يمّثل: 1- **علاقة خصام**: شخصيات قرب طاولة، أحدها جالس والآخر واقف، إحدى ذراعيه ممدودة نحو الأول؛ 2 - **الصميمية**: سرير في وسط غرفة؛ 3 - **العزلة الاجتماعية**: رجل في شارع مهجور، تحت وابل من المطر، يظلّ مستنداً إلى عمود فانوس؛ 4 - **الحياة في الجماعة**: أربعة أشخاص جالسون أمام ملعب لكرة المضرب حيث بدأ شوط. ويُدعى الفرد إلى أن يقصّ حكاية، انطلاقاً من الأوضاع الأربعة المعروضة، وبوسعه أن يرتّبها وينسّقها كما يشاء ويستغرق مايشاء من الزمن وبوسعه أيضاً أن يكتب حكايته، بعد أن لاحظ الصور، خلال دقيقة واحدة فقط. وسيحلّل عالم النفس تحليلاً شكلياً إنتاجه (غنى المفردات، الأسلوب، الموضوعات الرئيسة، الأصالة. . .) وسيحلّل المضمون تحليلاً سيكولوجياً، وذلك أمر يكوّن الجزء الأكثر اتصافاً من عمله، بأنه شائك، ذلك أنه يقتضي تجربة كبيرة. (انظر في هذا المعجم: **التقنية الإسقاطية**).

N.S.

En: Make a picture story test **رائز الصورة والقصة**
(M.A.P.S)

D: make a picture story test

طريقة إسقاطية للإنتاج الدرامي، وصفها عام 1947 عالم النفس الأمريكي إدْوِن س. شنيدمان.

مبدأ هذا الاختبار، الذي يمتّ بصلة إلى **رائز تفهم الموضوع**، يكمن فيما يلي: يطلب الفاحص إلى الفرد أن يبتكر سيناريو، انطلاقاً من منظر معيّن وشخوص يختارها اختياراً حراً من الموضوعة تحت تصرفه. عدد المناظر اثنان وعشرون وعدد الشخوص سبع وستون (رجال، نساء، أطفال، حيوانات). فالمناظر يمكنها أن توضع مسطّحة على الطاولة (وتلصق الشخوص عليها) أو تُعرض عمودياً، وتكون الشخوص، في هذه الحالة، في وضعية الوقوف على كتل خشبية ذات فُرضة. ويسجّل الفاحص **بالتفصيل** ما يرويه الأفراد من الحكايات ويفسّرها كما في **رائز تفهم الموضوع**. والاختبار يمكنه أن يستخدم بهدف تشخيصي، بغية تقييم مفعولات علاج، أو لغايات علاجية. ويوجد أطلس لهذا الرائز مجموعة فيه نتائج الدراسات المقارنة التي تناولت راشدين أسوياء، أو مصابين أو ذهانيين، وأطفالاً مرضى ومراهقين غير متكيّفين. وهذه التقنية تنال الإعجاب بفعل سمتها اللعبية، ولكنها طويلة في إدارتها وفي فرزها. (انظر في هذا المعجم: **رائز تفهم الموضوع**).

N.S.

رائز الفرز

F: Test de classement

En: Sorting test

D: Sortier test

رائز عقلي مخصّص لتقييم قدرة شخص على تكوين فئات.

مبدأ هذا الرائز بسيط: إن على الفرد أن يفرز عناصر معروضة إلى فئات. وينبغي له، حتى يفلح في ذلك، أن يدرس كل عنصر من هذه العناصر، ثم يوجد خصائصها المشتركة. وهناك اختبارات عديدة من هذا النموذج، ذات صعوبات متنوّعة، أبسطها تلك التي أعدّها، عام 1941، كورت غولدشتاين (1878-1965) ومارتان شيور: **رائز الفرز حسب الشكل واللون لويغل - غولدشتاين - شيور**، **رائز فرز الأشياء لغيلب - غولدشتاين - ويغل - شيور**، **رائز فرز الألوان لغيلب - غولدشتاين**. والمطلوب في الاختبار الأول فرز القطع الخشبية ذات الأشكال الثلاثة (مربع، دائرة، مثلث) والألوان الأربعة (أزرق، أصفر أحمر، أخضر)، فعندما الفرد يرتّب الأشياء وفق أحد المبدأين (الشكل أواللون)، يُطلب إليه أن يجري تصنيفاً آخر، دون أن يذكر المبدأ الآخر له. وفي الاختبار الثاني، يُعرض عليه تسعة وعشرون شيئاً يمكنها أن تُفرز وفق لونها، وشكلها، واستعمالها، إلخ. أما الاختبار الثالث، فإنه يكمن في فرز أصواف ملوّنة، إما حسب لونها، وإما حسب تشبّعها باللون (ذي العلاقة بنقائها على نحو أساسي).

ويمثل، بين رائز الفرز الأكثر صعوبة، **رائز تكوين المفاهيم لهانغمان - كازانان**. وابتكر نارزيس أخ (1871 -1946)، في ألمانية، وساخاروف في روسية،

اختبار فرز، بعد أعمال غولدشتاين، أتاح لهما دراسة النموّ التكويني للفكر المفهومي. واستأنف هذا الاختبار ليف سيمينوفيتش فيكوتسكي (1896-1934) الذي أسس نظريته في الفكر الفصامي انطلاقاً من النتائج التي حصل عليها من دراسة المرضى العقليين. وطبّق بدورهما هذا الرائز إوجينيا هانغمان وجاكوب كازنان اللذان ترجما كتاب فيغوتسكي، وحسّناه. وتتألف مادة هذا الرائز من اثنتين وعشرين قطعة خشبية مختلفة الشكل (6 أشكال مختلفة)، واللون (خمسة ألوان)، والسماكة (ضربين من السماكة)، والسطح (ضربين من السطوح). ويُطلب إلى الفرد أن يفرز هذه الأشياء إلى أربع فئات. ومن الضروري أن يعمل، لإنجاز هذا التصنيف، آخذاً بالحسبان معيارين معاً. والواقع أن توليفة واحدة، قائمة على السطح والسماكة، تتيح فرزاً صحيحاً، ويمكننا، بفضل اختبار من هذا النوع أن نتبع المراحل وأنماط الاستدلال التي استخدمها الفرد وأن نكشف اضطرابات الفكر المفهومي الذي يعتبره علماء النفس أنه الشكل الأكثر إعداداً من أشكال الذكاء. (انظر في هذا المعجم: **التصنيف**).

N.S.

F: Test de Fuchs-Rorschach (ou) "Fu-Ro" Test. **الرائز فو - رو**

En: Fuchs-Rorschach-Test

D: Fu-Ro-Test, Fuchs-Rorchach-Test

رائز موازٍ للتشخيص النفسي لرورشاخ، منسوب إلى عالم النفس الألماني دري - فوخر الذي نشره عام 1930.

رائز يتألف، كنظيره، من عشر لوحات، بعضها ذو لون واحد (رمادي أو أبيض) وبعضها الآخر ملوّن. (انظر في هذا المعجم: **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

N.S.

F: Test du village **رائز القرية**

En: Village test

D: Dorf-test

اختبار إسقاطي يكمن في جعل الفرد يبني قرية، إذ يستخدم عناصر تصويرية (كنيسة، دار بلدية. . .) وغير تصويرية (عيدان، متوازيات السطوح. .) يقدّمها الفاحص.

أدخل هنري أرثوس عام 1939 هذه التقنية إلى فرنسة. وقنن بيير مابيل (1950) هذه المواد فيما بعد وبسّطها إذ منحها سمة خاصة، وبذل جهداً ليمنح هذه التقنية أساساً نظرياً. ودرس سلوك الأفراد في أثناء الاختبار (حركاتهم، إيماءاتهم، إيقاعهم)؛ فللأشكال المبتكرة (قرية على شكل صليب، أو نجمة، أو مبعثرة، إلخ) ولترتيب قطع القرية على الطاولة التي ينقسم مداها إلى أربع مناطق (يمين، يسار، في الأعلى، في الأسفل) دلالة رمزية. وعلى هذا النحو إنما يكون الربع الموجود في الأسفل وإلى اليسار منطقة **النزاعات**، في حين يكون الربع الموجود في الأعلى وإلى اليمين منطقة **المشروعات**.

ويكوّن **رائز القرية المتخيّلة**، الذي أعدّه روجر موشيلي (1960)، إتقاناً جديداً للتقنيات السابقة. فالمواد تتألف من 300 قطعة (بيوت، أشجار، حيوانات، شخوص، إلخ) ينبغي للفرد أن يبني بها قرية متخيلة سيسكن فيها. وتباشر محادثة بعد البناء لتوضيح ماكان موضع دلالة. ومايكشف عنه الرائز، في رأي موشيلي، ليس الشعور التأملي (المستبعد بالدعوة إلى المتخيّل وبالنتيجة الوجدانية الكلية التي

يثيرها الاختبار، وإنما **الشعور الأوّلي**، أي فكرة أولية متميزة من الشعور الواضح، لايمكننا التعبير عنها بالكلام، ولكنها تمارس تأثيرها على الفرد والتعبير عنها حركياً أمر ممكن. إنه ضرب من العالم الداخلي الضيّق قبل اللفظي وقبل المنطقي (مختلف عن اللاشعور الفرويدي) ذي الميل إلى «التعبير عن نفسه» والظهور، على نحو مجازي ورمزي، حتى على غير علم من الفرد، لأنه لم يشكّل بعدموضوعاً لضرب حقيقي من احتياز الشعور. فالشعور الأولي يشبه إذن مايسميه باشلار «الفكرة المسقَطَة». والقرية المتخيلة **تُعاش غير شعورية**، ذلك أنها غير موضوعة أمام الشعور (يبدو أن الشعور التأملي ينصرف عنها). وتظلّ مع ذلك شعورية، ذلك أن الفرد يكابدها. وليست القرية المتخيلة **متجانسة**، ذلك أن بعض الأهداب إذا كانت شعورية وتقبلها **الأنا** التأملية، فبعض الأهداب الأخرى تتجنّبها هذه الأنا. وهي قرية تتصف بأنها **متمركزة على الذات**، لأن كل ماهو موجود فيها ذات علاقة بـ **أنا** الفرد، ولكل تفصيل معنى شخصي. إنها تنتمي إلى عالم الاستيهام ومشحونة بـ **الوجدانية**، وهي **لاعقلانية**، قبل منطقية وقبل أخلاقية (الموجودات والأشياء التي تشغلها تفوت مبادئ المنطق). إنها، أخيراً، **دينامية وخالقة**، إذ تدعم وتبعث الحياة في عواطف الفرد واتجاهاته. ويحدث في أثناء بناء القرية تفكّك حقيقي في **الأنا**: فالشعور التأملي، من جهة، في صراع مع مشكلات التنظيم المادي، ومن جهة أخرى، ثمة أنا أخرى تعبّر عن نفسها «في عالم لذاته»، دون أن يكون لدى الفرد شعور مباشر بها. فليس اللاشعور، يقول المؤلف، هو الذي يعبّر عن نفسه على هذا النحو، بل هي اتجاهات فقط، اتجاهات لم تكن شعورية خلال البناء.

ويُستخدم رائز القرية لـ هـ. أرثوس، شأنه شأن النسخ التي أعدّها من هذا الرائز بيير مابيل وروجر موشيلي، لفحص الأطفال والمراهقين والراشدين، الذين يقبلونه على وجه العموم برضى. ويدوم البناء عشرين إلى ستين دقيقة، ويتطلّب كشف الإجابات بين عشرين وثلاثين دقيقة. (انظر في هذا المعجم: **التفسير**، **التقنية الإسقاطية**، **الرمز**).

N.S.

رائز (استبانة) القياس الاجتماعي

F: Test, questionnaire, sociométrique

En: Sociometric test

D: Soziometrischer test

أداة تتيح قياس مستوى التنظيم في جماعة وبنيتها، في ضوء التعاطفات والتنافرات التي تظهر فيها.

الأسلوب، البسيط والسهل، يكمن في الطلب إلى كل عضو في جماعة ضيّقة، حيث كل عضو فيها معروف، أن يعلن مع من يتمنّى أن يؤلف فريقاً في فاعلية محدّدة (اختيار إيجابي)، مع من لا يودّ أن يرتبط (اختيار سلبي)، من يمكنه أن يختاره (توقّع اختيار)، من لن يختاره على وجه الاحتمال (توقع النبذ). ويمكننا استخدام هذا الأسلوب مع أطفال صغار، منذ دور الحضانة، ومع راشدين. فالأمر الذي لاغنى عنه، بالنسبة للأطفال الصغار، هو أن تتوجّه الأسئلة إلى كل طفل صغير بصورة فردية وأن يسجّل الباحث بنفسه إجاباته (مثال ذلك: «مع من من رفاقك في الصف تحب أن تلعب في الحديقة؟»). ويصبح ممكناً، بالنسبة لمن هم فوق التسع سنوات من العمر، إدارة الاستبانة جماعياً، إذ توزَّع مطبوعات تحتوي طلبات مصاغة على نحو واضح دقيق: «إذا طلب إليك أن تختار، فأياً من أطفال صفك تفضّل رفاق لعب لك؟» الاختيار الأول. . . ، الاختيار الثاني. . . ، الاختيار الثالث، أو السؤال التالي: «من هم الذين ترغب، مع رفاقك في الورشة، في أن تراهم يسمّونك، أو تسميهم، لإنجاز عمل صعب؟».

ومثل هذه الاستبانات يمكنها أن تُنظَّم وتُطبَّق على كل ضرب من الجماعات، في المدرسة، والإدارة، والصناعة، والجيش، إلخ. إنها تتيح للمرء أن يكوّن فكرة دقيقة لتنظيم جماعة تلقائي، وأن يتصور منظومة التواصل المستقرة فيها؛ وأن يعرف المنعزل، والشعبي، وإذا تكوّنت فيها عُصبات (أو «زمر» أي جماعات فرعية يختار كل الأعضاء فيها بعضهم بعضاً بالتبادل)، وإذا كانت الجماعة تعاني توترات ونزاعات كامنة.

وفي الاستخدامات الأولى لهذا الرائز، رائز القياس الاجتماعي، كان الاستخدام المنتظم مقتصراً على الاختيارات السلبية، ولكن هذه الممارسة انتهت إلى أن تكون مهملة، ذلك أنها لم يكن يفوتها أن تثير مقاومات وكانت منشأ ضغائن حادّة. ومَحْوَرَ الباحثون، من جهة أخرى، انتباههم على الأشخاص الذين اختيروا أو نُبذوا دون أن يتساءلوا كثيراً عن بواعث هذا الاختيار أو النبذ. والحال أن معرفة هذه البواعث ذات أهمية. والواقع أننا قد نكون مسوقين إلى اختيار شخص لعدة أسباب: مثال ذلك لأنه قوي ويوحي بالأمن أو، على العكس، لأنه ضعيف ويتمنّى من يختاره أن يساعده. ولايقدّم رائز القياس الاجتماعي سوى معطيات خام، تتطلّب أن تكتمل بمحادثات فردية وتفسَّر بحذر. (انظر في هذا المعجم: **الرسم البياني الاجتماعي**).

N.S.

الرائز كا ـ رو

F: Test de Kataguchi - Rorschach
(ou) "Ka-Ro" test
En: Ka-Ro-inkblot test
D: Ka-Ro-Test

رائز مواز للتشخيص النفسي لرورشاخ، منسوب إلى عالم النفس الياباني ياسوفومي كاتاغوشي (1963).

كان هيمرمان رورشاخ يلحّ، في كتابه التشخيص النفسي (1921)، على ضرورة ابتكار بعض من المجموعات من البقع موازية لتلك التي كان قد احتفظ بها لرائزه. وقد تتيح مثل هذه المجموعات الموازية استبعاد عامل «الذاكرة» في الحالة التي ينبغي لنا أن نطبّق الاختبار نفسه على فرد إما لتقييم تغيّرات المزاج لديه، خلال أطوار شتى من مرض على سبيل المثال، وإما لتقييم تغيرات الشخصية، الناجمة عن علاج، إلخ. وكانت بعض المجموعات الموازية قد صنعت طبقاً لهذه الأمنية، صنعها على التوالي هـ. بيهن- أيشانبورغ (1941)، م.ر. هـارور إيريسكون (و) م.إ. ستينر (1945)، ك. دري- فوخز (1958)، إلخ. وربما تكون مجموعة كاتاغوشي هي الأقرب إلى الأصل. أضف إلى ذلك أن المؤلف عيّر الاختيار بعون من علماء نفس عياديين عديدين. واستعان كاتاغوشي ومعاونوه، بغية فحص تكافؤه مع التشخيص النفسي لرورشاخ، بطرائق إحصائية واستخدموا المقاربات المتعدّدة الأبعاد، إلخ. وينجم عن ذلك أن للرائز «كا – رو» تشابهاً مع رائز رورشاخ، على الرغم من فارق طفيف في المحتويات. أما صدقه العيادي، فلايزال موضع دراسة. (انظر في هذا المعجم: **بنْ رورشاخ، رائـز هارّوورْ، التشخيص النفسي لرورشاخ، بقع الحبر لهولتزمان**).

Y.K.

رائز هارّووَر

F: Test de Harrower

En: Harrower- Test

D: Harrower - Test

رائز جماعي منسوب إلى السيدة م.ر هاروور وإلى م.إ. ستينر، يستخدم الإسقاط على شاشة لوحات التشخيص النفسي لرورشاخ وتقنية الاختبار المتعدّد.

يتلقى كل فرد مجموعة من القوائم المطبوعة يمثل فيها عدد معيّن من الإجابات الممكنة. ويُقترح لكل لوحة ثلاثون إجابة، نصفها مصدره أشخاص أسوياء والنصف الآخر مصدره أفراد «منحرفون». وتُعرض الإجابات زمرة من عشر إجابات؛ وعلى الفرد المراز أن يختار منها واحدة من كل زمرة، أي ثلاثاً لكل لوحة على الأقلّ (الإجابات التي تقترب أكثر ما تقترب من إدراكه). وينطوي هذا الأسلوب على المزية التي مفادها أن تتيح فحص عدة أشخاص معاً وتبسيط التصحيح الذي يصبح سريعاً جداً. ويقدّم الرائز معلومات كافية لإجراء فرز إجمالي بين الأفراد الأسوياء والأفراد «المنحرفين» (أي الأشخاص الذين يقدمون أكثر من 40 بالمئة من الإجابات المرضية) ويصبح الرائز، لهؤلاء الأشخاص، مدخلاً جيداً لفحص عيادي فردي أكثر عمقاً. (انظر في هذ المعجم: **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

N.S.

رائز وشْلر بيلّيفو

F: Test de wechsler-Bellevue

En: Wechsler-Bellevue Scale

D: Wechsler-Bellevue-Test

سلّم فردي للذكاء، للمراهقين والراشدين، منسوب إلى عالم النفس الأمريكي دافيد وشلر (رومانية، **1896- نيويورك، 1981**).

يتألف هذا السلم، سلم الذكاء، المنشور عام 1939، من ستة اختبارات لفظية (أحدها، رائز المفردات، اختياري) ومن خمس اختبارات غير لفظية. الأولى تكوّن السلم اللفظي والثانية سلم الإنجاز.

يحتوي **السلم اللفظي**: رائزاً من معارف عامة (خمسة وعشرين سؤالاً مرتبة وفق صعوبة متصاعدة، فالسؤال الأول هو: «من هو رئيس الجمهورية؟»)؛ ورائزاً للفهم العملي (عشرة أسئلة من نوع: «لماذا الدولة تجبي الضرائب؟»)؛ ورائزاً للحساب العقلي (عشر مسائل صغيرة)؛ ورائزاً للذاكرة المباشرة (تكرار مجموعات أرقام)؛ ورائز استدلال منطقي (أوجد التشابهات القائمة، على سبيل المثال، بين تفاحة وإجاصة)؛ ورائز مفردات (أربعين لفظة ينبغي تعريفها، كـ «حاجز» أو «جحود علني»).

ويشمل **سلم الإنجاز** هذه الاختبارات التالية: ترتيب الصور (إعادة تكوين حكاية بالصور)؛ إكمال صور (اذكر الناقص في رسم غير كامل)؛ تجميع أشياء (لغز: لعبة مسلية)؛ مكعبات كوس (إعادة تكوين موزاييك بواسطة مكعبات كل

وجه منها مرسوم على نحو مختلف)؛ شيفرة (حوّل مجموعة من الأرقام إلى مجموعة من العلامات وفق شيفرة معيّنة).

وكل اختبار من الاختبارات يتيح الحصول على علامة خام (raw score) تأخذ بالحسبان معاً سرعة الإجابة وصحتها. وتتحوّل هذه العلامة الخام، بواسطة جدول، إلى علامة مدرّجة (scaled score). وكانت العلامات المدرجة قد وضعت بحيث أن المتوسط، لكل عمر معيّن، يكون 10 والانحراف المعياري 3. وتتحوّل مجموعات العلامات المدرجة بدورها (المسماة أيضاً «علامات معيارية») الحاصلة في السلم اللفظي، وسلم الإنجاز أو السلم الكامل، إلى «حاصل الذكاء اللفظي»، و«حاصل الذكاء العملي» و«الحاصل العقلي»(ح.ع). وتُستخدم لذلك جداول موضوعة تبعاً للعمر الزمني، أي تأخذ بالحسبان «التدهور الفيزيولوجي» الذي لمفعوله وقع لدى الأفراد في عمر النضج ولدى الشيوخ على وجه الخصوص. ويحتفظ د. ويشلر بمصطلح (ح. ذ)، على الرغم من أن المقصود علامات محسوبة بحسب سلم من الانحرافات المختزلة (علاقات الانحرافات الفردية بالانحراف المعياري) التي متوسطها محدّد بـ 100 وانحرافها المعياري بـ15. فهذه العلامات تُظهر إذن انحرافاً بالقياس على المتوسط لا على مستوى من النمو.

ولا يتيح سلم ويشلر - بيليفو تقييم ذكاء المراهقين والراشدين فحسب، ولكنه يتيح أيضاً حساب مؤشر التدهور العقلي المرضي. وتوجد تكييفات لسلم ويشلر - بيليفو بالفرنسية، والإيطالية والألمانية. وكان د. ويشلر قد عُني، منذ عام 1940، بتحسين رائزه، آخذاً بالحسبان ملاحظات عديدة كان علماء النفس قد استطاعوا أن يدلوا بها. فثمة تعديلات كانت قد تناولت عرض البنود أو تحريرها، وكذلك صياغة التعليمات ومعايير التصحيح، وشرع في تعبير دقيق جداً وفق عينة ممثّلة لكل سكان الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت النتيجة **سلم ويشلر المعيّر مجدداً لذكاء الراشدين** (W.A.I.S)، المنشور عام 1955 والمكيّف بالفرنسية عام 1968 باسم **سلم ذكاء الراشدين لوشلر**. (انظر في هذا المعجم: **التدهور العقلي**).

N.S.

الرابطة العالمية لعلم النفس التطبيقي **F: Association internationale de psychologie appliquée**

En: International Association of applied psychologie

D: Internationale Gesellschaft für angewandt psychologie

رابطة أسسها عام 1920 إدوار كلاباريد خلال اجتماع لعلماء النفس منعقد بجنيف. وكانت تُسمّى في البدء «الرابطة العالمية لعلم النفس التقني». وحلّ محل هذا المصطلح الأخير، عام 1955، مصطلح «علم النفس التطبيقي»، ذي المعنى الأوسع.

وكان الرئيس الأول لهذه الرابطة كلاباريد ذاته؛ والأمين العام الأول لها هو ج. م. لاهي. ونظّمت الرابطة ثمانية مؤتمرات عالمية قبل الحرب العالمية الثانية. ولابد لهذه الحرب أنها كانت شؤماً عليها، بعد وفاة كلاباريد (1940) ولاهي (1943)، وتشتّت الأعضاء واختفاء المحفوظات. وأُعيدت العافية مع ذلك إلى الرابطة بعيد الحرب، بطلب من السيدة لاهي والسيدة بومغار تن-ترامر، ونظّمت الرابطة، عام 1949، مؤتمرها التاسع في برْن برئاسة هنري بييرون.

ومنح السيد ر. بونارديل رابطة علم النفس التطبيقي العالمية، بصفته أمينها العام من 1951 إلى 1964، اندفاعة قوية: رفع عدد الأعضاء إلى أكثر من 700، وأصلح الأمور المالية بالتعاون مع أمين الصندوق م. كوميتو، ونظّم المؤتمر الحادي عشر في باريس عام 1953و أسّس نشرة الرابطة العالمية لعلم النفس التطبيقي التي أصبحت عام 1968، بفضل ل. س. هيرنشو، **المجلة العالمية لعلم النفس التطبيقي**.

وقاد الأمين العام للرابطة ر. بيره، بين عامي 1967-1968، حملة انتساب رفعت عدد الأعضاء إلى أكثر من 3000 عضو في 92 بلداً. ونظّم في لييج المؤتمر السابع عشر عام 1971، الذي كان احتفالاً بالعيد الذهبي للرابطة.

وتتألف الرابطة العالمية لعلم النفس التطبيقي من: أعضاء شرف؛ أعضاء ذوي ألقاب، ينبغي لهم أن يكونوا قد نشروا أعمالاً شخصية؛ أعضاء منتسبين، ينبغي لهم أن يكونوا ذوي أهلية مناسبة في علم النفس. وتدير الرابطة لجنة إدارة عددها نحو أربعين عضواً. وتختار الجمعية العامة، المجتمعة في كل مؤتمر، هذه اللجنة التي تنتخب من أعضائها مكتباً يتألف من رئيس، ونائب رئيس، وأمين عام - أمين صندوق وللرئيس الذي لا يُجدّد له حق في أن يكون عضواً في هذا المكتب.

والنشاطات الرئيسة لهذه الرابطة هي تنظيم المؤتمرات العالمية لعلم النفس التطبيقي، ونشر **المجلة العالمية لعلم النفس التطبيقي**، التي تظهر مرتين في العام، وأخيراً تأليف لجان عمل عالمية لدراسة مسائل محدّدة.

R.P.

رادولسكو ـ مورتو (كولستانتان) Radulescu - Mortu (Constantin)

فيلسوف وعالم نفس روماني (بوتواشتي، أولتيني، رومانية، 1868 ـ بوخارست، 1957).

يدافع رادولسكو ـ مورتو منذ عام 1898، في كتابه **مشكلات علم النفس**، عن فكرة علم نفس مدعوّ ليصبح علماً دقيقاً وتجريبياً، على غرار الكيمياء أو البيولوجيا، مع أن الظاهرات النفسية ذات تعقيد كبير جداً. وينشر عام 1923 **دروساً في علم النفس**، ضرباً من توليف بحوث هي الأكثر أهمية في زمنه وتحتلّ مكاناً على مستوى أفضل الموجزات الجامعية. وطمح رادولسكو - مورتو إلى أن يعدّ مذهباً أصيلاً في الفلسفة، سمّاه **الشخصانية الطاقية**، ينسّق الشخصانية مع نظرية الطاقة لولهم أسولد (ريغا، 1833- غروشبوثين، قرب ليبزنغ، 1932). وكان لنشر محاولته المعنونة **الشخصانية الطاقية** (1927، بوخارست، كازاشكوليلور) عواقب متناقضة على علم النفس، ذلك أن الكتاب وسّع، من جهة، دائرة القراء الذين يهتمون بمشكل الشخصية (مسألة رئيسة في علم النفس)، ولكنه من جهة أخرى، جعل مقارنته محض العلمية واندماجه في بحث صارم، محروم من الاعتبارات الفلسفية، أمرين شاقين.

A.R.

راليا (ميهه) Ralea (Mihai)

عالم نفس واجتماع روماني (بوخارست، 1896 - برلين، 1964).

مضى راليا، بعد دراسته في جامعة بوخارست، إلى الاختصاص في باريس، حيث نال الدكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية بأطروحته عن **برودون: تصوره التقدّم واتجاهه الاجتماعي** (باريس، جوف، 1922) والدكتوراه في الآداب بأطروحته **فكرة الثورة في المذاهب الاشتراكية، دراسة في تطور التكتيك الثوري** (باريس، 1923). وتعمّق راليا على وجه الخصوص في دراسة علم النفس لدى بيير جانه (1859-1947)، الذي يشعر راليا أنه منجذب إليه ويقتفي أثر توجّهه في بعض مؤلفاته على الرغم من بعض التحفّظات والملاحظات النقدية.

ويولي راليا الشروط الاجتماعية التاريخية دوراً كبيراً في تحديد التصرف، إذ يؤلف في دراساته وجهتي النظر السيكولوجية والسوسيولوجية.

والإسهام الرئيس لراليا في نمو علم النفس برومانية يظهر على نحو أخص، بعد الحرب العالمية الثانية، في إعادة الاعتبار لعلم النفس التقليدي وإعادة تبنينه انطلاقاً من قاعدة مادية - ماركسية.

A.R.

رانك (المسمّى أوتو روزانفيلد) Rank (Otto Rosenfeld, dit)

عامل نفس نمساوي (فيينة، 1884 - نيويورك، 1939).

رانك، التلميذ النابه من تلاميذ فرويد، هو الأول في تطبيق التحليل النفسي على الأساطير والقصص الخرافية. وندين له على وجه الخصوص بـ: **أسطورة ولادة البطل** (1909)، **قصة لوهانغران الخرافية** (1911). ولكن مؤلفه النظري الأكثر أهمية هو: **صدمة الولادة. تأثير الحياة الجنينية في تطور الحياة النفسيةالفردية والجماعية** (ترجمة ونشر بييو، باريس، 1928)، حيث تتوطّد قناعاته الشخصية، وهو مؤلف يسم بداية انشقاقه. والواقع أن رانك يبتعد، منذ هذا العصر، عن الاستقامة الفرويدية، ويغادر فيينة (1825) نهائياً بعد عدة سفرات إلى أمريكا لينذر نفسه لتعليم طريقته العلاجية الخاصة في باريس والولايات المتحدة. ويستقر عام 1936 في نيويورك.

وفي رأي أوتو رانك أن مصدر الحصر ماثل في صدمة الولادة و«الأعصبة بأشكالها المختلفة، والأعراض العصابية أياً كانت، تعبّران عن الميل إلى ضرب من النكوص(. . .) نحو صدمة الولادة التي ينبغي للمرء، بهذه المناسبة، أن يتجاوز ذكراها» (1924، الترجمة الفرنسية، ص250). فما دامت النزاعات النفسية كلها تجد مصدرها في ضرب من اضطراب علاقة الأم - الطفل، فإن للمحلّل دوراً أمومياً ينبغي له أن يؤدّيه، ولتدخّله «هدف مفاده أن يفصل، وفق قواعد الفن، الليبيدو البدئي عن الموضوع الذي تثبّت عليه» (**المرجع نفسه**، ص. 241). ونواة العصاب ليست العقدة الأوديبية في رأي رانك، ولكنها صدمة الولادة، فهو بذلك

يضع النظرية الفرويدية كلها موضع التساؤل . ويرى أيضاً أن من غير المجدي تحليل نتاجات اللاشعور كلها، «وتعرية حياة المريض العامة في سيرها، التاريخي إذا صح القول» (**المرجع نفسه**، ص241). ويوصي رانك، بوصفه متأثراً بـ«التقنية الفاعلة»، بتقنية فورنزي، بعلاجات ذات مدة محدودة، يكمن الأساسي منها في انفصال المريض عن المحلّل (الذي يعيشه المريض بصفته بديل الأم)، انفصال «يتمّ تحت تأثير إعادة الإنتاج لصدمة الولادة، بحيث أن المريض يتخلّص من آلامه حين يفقد طبيبه؛ أو نقول على نحو أدق إن على المريض أن يتخلّى عن طبيبه ليتخلّص من آلامه» (**المرجع نفسه**، ص 245). ويعتبر رانك، إذ لاحظ أن المريض يقيم علاقة متميّزة (**تحويل**) مع معالجة منذ بداية العلاج، إن من الممكن إذا حددنا دفعة واحدة مدة العلاج، أن نبتر «عروة الكبت البدئي الغوردية (المستعصية)، بدلاً من أن نفرض على أنفسنا عملاً مفاده البطء في فكها بصعوبة. . . » (**المرجع نفسه**، ص253). فهو، إذ يفعل ذلك، يتجاهل الإعداد البطيء الضروري للعمل التحليلي ويتوهّم معتقداً أن تحرير الحالات الانفعالية (**التنفيس**) يكفي لإثارة الشفاء. وفي عداد مؤلفاته الأخرى، نذكر **دراسة غشيان المحارم** (1912) **ودون جوان والمثْل** (الترجمة الفرنسية، ببيو، 1973). (انظر في هذا المعجم: **فورنزي**).

M.C.

الرأي

F: Opinion

En: Opinion

D: Meinung

حكم قائم على وقائع غير يقينية يتبنّاه المرء عن طيب خاطر بمقدار مايشاطره فيه عدد كبير من أعضاء مجتمع واحد.

الرأي هو العاطفة السائدة في كَنَف متّحد، «دخيلة أمة» (ألفريد سوفي). إنه يتكوّن في التفاعل الاجتماعي، عبر التواصلات بين الشخصية (مناقشات أصدقاء)، ونقول، على نحو أكثر دقة، إنه يتكوّن بفعل التماهي بالأبوين أو بأعضاء آخرين من المحيط، تحت ضغط الجماعات التي ينتمي إليها الفرد (الأسرة، الكنيسة، الحزب، النقابة. . .) وبتأثير «قادة الرأي». وهؤلاء، الذين كان بول. ف. لازارسفيلد، برنار ر. بوريلسون، هازل غوده، قد اكتشفوا وجودهم عام 1940، أفراد لهم، في جماعة من الجماعات، تأثير في الآخرين. إنهم يؤدّون دور المرحّل والمصفاة بين أعضاء الجماعة والمعلومات المنشورة جماعياً ويتغيرون وفق الموضوعات المعنيّة. فهم، بالنسبة للسلع ذات الاستهلاك الكبير، أم أسرة عديد أعضاؤها، وصبيّة أنيقة بالنسبة للدرُّجة، وتاجر بالنسبة للأعمال الكبيرة، إلخ. والآراء ذات علاقة بالشخصية أيضاً. فبعضهم أمكنه أن يلاحظ، على سبيل المثال، أن للأفراد ذوي التوازن الجيد وجهات نظر معتدلة تُظهر الفروق الدقيقة، في حين أن الضعفاء يخفون ارتياباتهم خلف أحاديث متطرّفة وغير متسامحة. وللناس

الناضجين آراء ثابتة ومتماسكة نسبياً، متكيّفة مع القيم المعاصرة، في حين أن الشباب غير ثابتين والشيوخ محافظون متردّدون.

وعندما يكون أسلوب في رؤية الأمور منتشراً على نحو كاف ولكنه يحتفظ بسمة حيادية، فإننا نتكلم على **رأي عام** opinion générale. وعندما يكون رأي عدد كبير، على العكس، قوة ضغط، فإننا نتكلم على **رأي جماهيري أو علني** (opinion publique). إن الحكام في روما القديمة، ذات العهد الغابر، كانوا يهتمون بحالة الشعب الذهنية. كان القادة، في فرنسة القرن الثامن عشر، يسبرون الرأي الشعبي بواسطة عمال سريين. وظهرت استقصاءات الرأي الأولى عام1824، عشية انتخاب الجنرال أندروجاكسون (1767-1845) لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن السبور العلمية حديثة. فقيمتها بانت عام 1936 عندما تنبأ هوراس غالوب (المولود عام 1901)، مع خطأ قدره 6 بالمئة فقط، بانتخاب فرانكلين روزفيلت لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. ومنذ ذلك الزمن تكاثرت معاهد السبر في البلدان الديمقراطية، ويشكّل الرأي العام موضوع استشارات منتظمة. وهذه الاستشارات يمكنها أن تجري بواسطة طرائق استقصاء شتى، كتلك التي ضبطها ل. ل. ثورتون، غ. مورفي، ر. ليكرت، على سبيل المثال. وتتيح هذه التقنيات دراسة الرأي لعينة من السكان وتمثيل زوال الحظوة بيانياً (منحنى J)، والحظوة (منحنى J معكوس)، واللامبالاة (منحنى الجرس) أو انقسام الناس إلى جزأين متعارضين (منحنى U). (انظر في هذا المعجم: **الشائعة، السبر**).

N.S.

رايخ (ولْهِلْم) Reich (Wilhelm)

طبيب نفسي أمريكي من أصل نمساوي (دوبرزينيكا، غاليسي، المقاطعة القديمة من الإمبراطورية الأسترو - هنغارية، 1897 - ليوسبورغ، بنسلفانية، الولايات المتحدة الأمريكية، 1957).

يكتشف رايخ، وهو طالب طب في فيينا، كتب سيغموند فرويد التي يتحمّس لها، ويصمّم أن ينذر نفسه لعلم الجنس. ويوجّه، بعد إدوار هيتشمان ونانبرغ، ندوة للجنسية، ولكنه سرعان مايبتعد عن فكز فرويد لينصرف إلى العمل السياسي. ويكوّن، بصفته عضواً في الحزب الشيوعي (1928)، رابطة إعلام وبحوث جنسية، ويؤسّس عدة مستوصفات في فيينة للعمال، ويؤسس في برلين، عام 1930، حركة **الجنس السياسي** لتسييس المسألة الجنسية.

وفكرة رايخ بسيطة: المجتمع (وعلى الأخص المجتمع الرأسمالي) يقمع الجنسية ليحقّق أغراضه. ويفرض، بوساطة مؤسساته التقليدية (الأسرة، المدرسة، الكنيسة، الجيش) «درعاً خلْقياً وعضلياً» لكل شخص، فيكون هذا الشخص مرغماً على هذا النحو ولايبلغ تفتّحه بحرية. فلابد إذن من مكافحة هذا الوضع، والنضال في سبيل العمل لإلغاء القوانين التي تقمع الإجهاض والجنسية المثلية، بل لتغيير المجتمع، ويضع رايخ، بصورة موازية لعمله السياسي، تقنية استرخاء عضلي وتعبير انفعالي حيوي طاقي، تُسمى «علاجاً نباتياً» كيّفه بعض تلاميذه وجعلوه معروفاً في ظل التسمية التالية: «العلاج الحيوي الطاقي». ويكمن هذا

العلاج بصورة أساسية في تمرينات تنفسية وحركات جسمية تقترن بها تدريجياً «شروح» أو تفسيرات سيكولوجية..

وأثار رايخ كثيراً من العداوة إذ مزج السياسة بالعلم. ووجدنفسه على وجه السرعة، هو الذي كان الفرويدي الماركسي الأول، مستبعداً في وقت واحد من الحزب الشيوعي الألماني (1933) ومن رابطة التحليل النفسي العالمية (1934). والتجأ أول الأمر، هارباً من النازية، إلى الدانيمارك، فالسويد، فالنرويج، ثم استقر، في نهاية المطاف، بالولايات المتحدة الأمريكية (1939). ولكن طبعه المضطرب وأفكاره الأصيلة جلبا له هجمات عديدة (ولاسيما من **إدارة الطعام والدواء**) أسفرت، في النهاية، عن حكم بالسجن سنتين. وإذ اعتقل عام 1957 في سجن لويسبرغ الإصلاحي، فقد مات فيه بعد بضعة أشهر.

ومن مؤلفاته المترجمة إلى الفرنسية، نذكر: **المادية الديالكتيكية، المادية التاريخية والتحليل النفسي** (1929، الترجمةالفرنسبة، 1970)؛ **وظيفة هزّة الجماع** (1927، الترجمة الفرنسية، 1952، الطبعة الجديدة، باريس، لارش، 1978)؛ **معركة الشباب الجنسية** (1932، الترجمة الفرنسية، 1972)؛ **غزوة الأخلاق الجنسية** (1932، الترجمة الفرنسية، 1972، الطبعة الجديدة، باريس، بيّو، 1978)؛ **تحليل الطبع** (1932، الترجمة الفرنسية، 1972، الطبعة الجديدة، بيّو 1978)؛ **رايخ يتكلم على فرويد** (الترجمة الفرنسية، 1972، الطبعة الجديدة، بيو 1978)؛ **علم النفس الجماهيري النازي** (1933، الترجمة الفرنسية، 1972، الطبعة الجديدة، بيو، 1978)؛ **الأثير، الله والشيطان** (الترجمة الفرنسية، 1973، الطبعة الجديدة، بيو، 1978). (انظر في هذا المعجم: **الفرويدية الماركسية**)..

N.S.

الرتابة

F: Monotonie

En: Monotony

D: Monotonie

سمة مايجري دائماً بأسلوب واحد، ماينقصه التنوّع.

يولد عمل رتيب، ضعيف الجاذبية، متكرّر على الغالب، عاطفة من السأم تتعذر مقاومتها وانخفاض التيقّظ، إذ يرغم من يعكف عليه بذل جهد إضافي يفاقم تعبه. وليس مشكل الرتابة في العمل مرتبطاً بالثورة الصناعية. إنه كان موجوداً في أعمال الحقل (البزار، دق القمح ودوسه بالأرجل ودوس العنب. . .) وفي أعمال أخرى يدوية على حد سواء (كالنسيج على الأنوال القديمة، على سبيل المثال)، ولكن العمال لم يكونوا خاضعين لإيقاع تفرضه الآلة والتنظيم العملي للعمل. وأصبحت الرتابة مشكلاً حاداً مع العقلنة التي تجزّئ العمل إلى مهمات مجزأة كثيرة، لاتثير الاهتمام، وتجعل العامل مجرد استطالة للآلة. ورتابة العمل يعيشها العمال على نحو مختلف وفق شخصيتهم، واتجاههم إزاء العمل، ومقتضياتهم الفكرية، ونوعية حياتهم الوجدانية. بعضهم يرضى بالتكرار، وآخرون - الأكثر فاعلية وذكاء والأكثر تطوراً - يشقّ عليهم تحمّله. فالرتابة عسيرة على وجه الخصوص في الأعمال نصف الآلية، ذلك أن الفكر لايمكنه أن ينعتق كلياً من العمل ليفكر في شيء آخر، ولا أن يستغرق فيه استغراقاً كاملاً. والأمر يجري على المنوال نفسه في الأعمال الممكنة التي تتصف، في مرحلة معينة من سيرها، بطور محفوف بالخطر. فالهروب في المتخيّل يكوّن نمطاً من الدفاع هو من النجوع بحيث أن بعض

العمال يرفضون فترات الراحة القصيرة والمتواترة التي تمنع هذا الهروب. ولكن ثمة علاجات أخرى مستخدمة لمكافحة الرتابة. إنها أول الأمر تغيّرات العمل الممنهج بإحكام (ينبغي في العمل المسلسل، أن يتدخّل التغيير في نهاية ساعة ونصف)؛ وفترات الراحة التي يمكن أن يسترخي العمال خلالها ويتبادلون الحديث، وذلك أمر يخرجهم من عزلتهم؛ عرض الشيء المكتمل في الورشة حتى يكون بوسع العامل، ولو أنه مشغول بعمل مجزأ، أن يشعر أنه معنيّ بما يفعله، وأنه يشارك في إنجاز عمل مشترك.

N.S.

الرجع

F: Retentissement

En: Repereussion

D: Widerhall

انعكاس حَدَث على الحياة النفسية لشخص من الأشخاص.

يستجيب بعض الأفراد بسرعة على واقع أو على حالة تثير الانفعال، ثم لم يعودوا يفكرون فيهما. وآخرون، هادئو الأعصاب حالياً وغير مبالين على مايبدو، لاينسون، على العكس، شيئاً ويأخذون بالحسبان تجارب الماضي ليكيّفوا تصرفهم مع الأحداث. وتسمّى هاتين الحالتين من الاستجابة **رجعاً** في منظومة المدرسة الفرنسية الهولاندية لعلم الطباع، وتعرض هذه المدرسة نموذجين متقابلين، النموذج «الأولّي» ذا الاستجابات السريعة، والانطباعات لديه عابرة، والنموذج «الثانوي» الذي يستشعر انطباعات دائمة، والحاضر لديه مثقل دائماً بالماضي والمستقبل. ويكوّن الرجع والفاعلية والانفعالية استعدادات الطبع الأساسية الثلاثة. (انظر في هذا المعجم: **الفاعلية**، **الطبع**، **الانفعالية**).

N.S.

الرَجْعي

F: Rétroactif

En: Retroactive

D: Retroaktiv, Rückwirkend

مايؤثّر في الوقائع أو السيرورات السابقة.

بيّنت بحوث علماء النفس في التعلم أن فاعلية جديدة كان ممكناً أن تكون ذات مفعول مسهّل أو كابح في تذكّر العمل السابق أو في تعلّمه مجدداً. وبرهن عالما النفس الألمانيان جورغ إلياس مولر (1850-1934) (و) أ. بيلزيكر، منذ عام 1900، أن الراحة تشجّع، بعد فترة زمنية من التعلم، ترسيخ الذكريات، في حين أن جهداً عقلياً جديداً يضعفها. فأولئك الذين كانوا قد استراحوا فترة نصف ساعة، بعد أن تعلموا «درساً» (قصيدة و قائمة من الكلمات، أو أعداداً من أربعة أرقام، على سبيل المثال)، من الأفراد الذين قبلوا المشاركة في تجاربهما، قدّموا نسبة من الحفظ قدرها 56 بالمئة، أما أولئك الذين كان عليهم أن يبذلوا جهداً إضافياً وهم يتعلمون درساً جديداً، فإنهم لم يحفظوا سوى 26 بالمئة من الدرس الأول. والنقص في نسبة الحفظ في العمل البدئي هو العاقبة المباشرة لما يسمّيه مولر وبيلزيكر **الكبح (الكفّ) الرجعي**. وهذه الظاهرة تلاحظ لدى الحيوانات الدنيا. فإذا علّمنا بطريقة التعزيزات السلبية، صراصير أن تهرب من الظلام، وإذا احتفظنا ببعض منها غير فاعلة (إذ نحجزها في أنابيب بورق نشاف) في حين أن الصراصير الأخرى متروكة حرة في التحرك على هواها في سياج، فإننا نلاحظ بعد فترة من

الزمن محدّدة أن إشراط تجنّب الظلام باق لدى الصراصير الأولى ولكنه زال لدى الثانية. ويبدو أن الفاعلية تتداخل مع الحفظ وأن الذكريات تحتاج إلى مهلة زمنية للترسّخ حتى تكون ثابتة بصورة دائمة. فانعدام الفاعلية، خلال هذه الفترة الزمنية، تشجّع حفظ الذكريات في حين أن الفاعلية تشتّته.

واكتشف ب. ل. هوايتلي (1927) أن جهداً عقلياً **يسبق** تعلّم درس كان بوسعه أن ينقص حفظه. وسمّى هذه الظاهرة **التداخل** أو**الكف المؤثر (الكبح)**. وقدّم هـ. فون رستورف أمثلة أخرى تغيّر فيها فاعلية أولية الآثار التذكرية. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم، الذاكرة**).

N.S.

الرسم

F: Dessin

En: Drawing

D: Zeichnung

مجموعة من خطوط شكل وحوافّه.

لفظة رسم تتجاوز، في علم النفس، مجرد التمثيل بقلم الرصاص أو الريشة وتدلّ على الرسم الملوّن بالأقلام والألوان المائية على حد سواء. وعلماء النفس يستخدمون الرسم مع المراهقين والراشدين (مثال ذلك أنهم يستخدمونه، خلال الاستشارة الأولى، عنصر تشخيص ووسيلة إقامة علاقة)، ولكنهم يستخدمونه على وجه الخصوص مع الأطفال، فهو وسيلة تعبيرهم الأثيرة. إنهم يستعملونه رائز نموّ فكري ووسيلة دراسة الشخصية. ولايتقن الطفل، حتى سن الثالثة أو الرابعة تقريباً، إلا الخربشة. ثم تبدأ بالظهور، عبر الخطوط غير المنتظمة، دوائر ومربعات. وفي الخامسة، تجتمع هذه الرسوم الهندسية الموجزة لتمثّل أشياء مألوفة: بيوتاً، قطارات، سيارات، إلخ.

وفي السادسة، يرتّب الطفل مجموعة الأشياء حول موضوع رئيس (المزرعة وحيواناتها على سبيل المثال) ويبدأ في أن يربط الأشياء بمستويات (الأرض ممثّلة على الغالب). وفي سن الثامنة، تبدو الخطوط المنظورية والخلفيات (طرق، جبال). ويكتشف الطفل، من التاسعة إلى الحادية عشرة، دور الظلال للتشديد على البروز، ويمزج الألوان للحصول على لوينات جديدة. ويرسم الأطفال

جميعهم، في الأعمار نفسها، بالأسلوب نفسه على وجه التقريب. ويترتّب على ذلك أنه يبدو أن رسوم الطفل يمكنها أن تخبر عن مستواه العقلي. وعالم النفس الأمريكي فلورانس غوداناف (1886-1959) مؤلف رائز جيد، **رائز رسم رجل**، يتيح بسرعة تقويم النموالعقلي لطفل بين الثالثة والثالثة عشرة. ونشر د. ب. هاريس **رائز غوداناف ـ هاريس للرسم**، الذي يتطلّب إنتاج ثلاثة رسوم: رسم رجل، رسم امرأة، رسم الطفل الذي يرسم. ويبدو أن هذا الاختبار الجديد أكثر جدارة بالثقة من التقييم بحسب رسم واحد.

ويُستخدم الرسم الحر (ارسم ماتشاء) أو الرسم بحسب موضوع («ارسم شجرة، أسرتك، حلماً، إلخ»). إن **رائز رسم الشجرة**، المنسوب إلى عالم النفس السويسري كارل كوش (1906-1958) بسيط وممتع، ولكنه يرتكز على منظومة سيكولوجية معقّدة مقتبسة من كارل غوستاف على وجه الخصوص. فصدقه غير كاف، على الرغم من تعبير متقن جداًلمختلف عناصر التفسير. أضف إلى ذلك أن سهولته الظاهرة توقع كثيراً من علماء النفس في الخطأ، فيقدّمون تفسيراً للرسم انطباعياً، كيفياً على الغالب، بدلاً من الانكباب على تحليل مرهف دقيق. وتمثل الروائز التالية، في عداد الروائز الأخرى للرسم الأكثر استخداماً: **رائز الأسرة**، الذي يفترض أن يمثّل الطفل فيه مشكلاته الوجدانية ذات العلاقة بالكوكبة الأسرية، رائز «الأسرة الرائعة» لمارتاكوس وجيرد بيرمان، الذي شكّل موضوع معالجة إحصائية، ثم **رائز الاتجاهات الأسرية** المتكوّن من مجموعة من ثمانية رسوم لمشاهد من الحياة الأسرية. ونقول بصورة عامة إن مايؤخذ بالحسبان معاً، في هذه الاختبارات، هو الجانب الشكلي من الرسوم (موقع الرسم على الورقة، ارتكاز الخط، اختيار الألوان) وجانب المحتوى، الذي يبيّن، بياناً مباشراً أو بصورة رمزية، عالم الأطفال والتجارب المعيشة. (انظر في هذا المعجم: **التقنية الإسقاطية**، **الرائز**).

N.S.

الرسم البياني الاجتماعي

F: Sociogramme

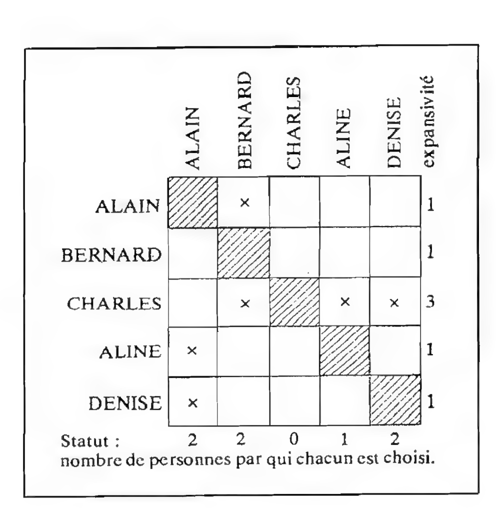
En: Sociogram

D: Soziogramme

تمثيل بياني للعلاقات بين الشخصية لفرد من الأفراد في جماعة ضيّقة، أو للنسيج بين العلاقات التي يفصح عنها الأفراد داخل هذه الجماعة.

الإجابات الحاصلة في رائز قياس اجتماعي تتطلّب ترتيباً، وتصنيفاً وتمثيلاً بعلامات اصطلاحية: مثال ذلك دائرة بالنسبة لبنت، مثلث بالنسبة لصبي، سهم الموجود على الشكل أسماء أعلام.

الوضع: عدد الأشخاص الذين اختاروا كل شخص منهم.



	ALAIN	BERNARD	CHARLES	ALINE	DENISE	expansivité
ALAIN		×				1
BERNARD						1
CHARLES		×		×	×	3
ALINE	×					1
DENISE	×					1
Statut :	2	2	0	1	2	

nombre de personnes par qui chacun est choisi.

شكل 1. مصفوفة اجتماعية

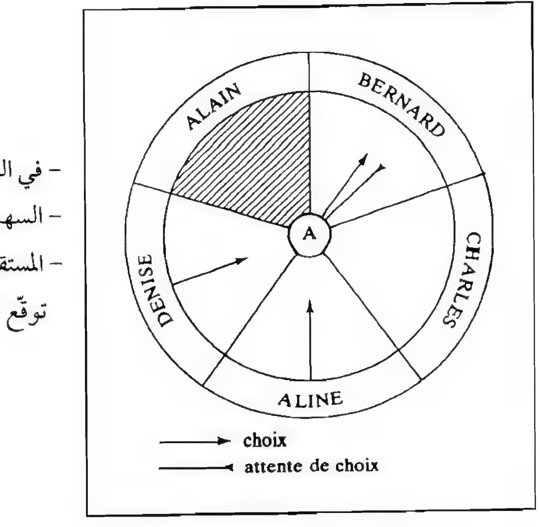
لاختيار إيجابي، سهم منقّط لرفض، إلخ. وبوسعنا استخدام جدول ذي مدخلين (شكل1)، مصنوع من خطوط وأعمدة بقدر مايوجد من الأفراد (نرتبهم ترتيباً ألفبائياً). فنجعل في الخطوط الاختيارات التي يفصح عنها الأفراد (**التواصلية**)، والاختيارات المتلقاة (**الوضع في القياس الاجتماعي**) في الأعمدة.

ويمكننا، في منظور من التحليل الفردي، أن نمثّل كل ذرة اجتماعية، أي شبكة العلاقات البينية لفرد، تعاطفاته الاصطفائية واختياراته وضروب نبذه التي يكون موضوعها في جماعة معيّنة، في رأي جـ. ل. مورينو. ولذلك نستخدم الطريقة «الشمسية، طريقة عالم النفس الفرنسي جون ميزونوف (مولود عام1918)، التي تكمن في أن نجعل تمثيل الشخص المعنيّ في مركز دولاب ذي أقسام عددها بقدر عدد الأعضاء، وفي كل قطاع نضع رموز الأشعة الموجّهة المناسبة (شكل2).

وفي منظور التحليل الجماعي، تقوم طريقة «الدريئة»، طريقة عالمة النفس الكندية ماري نورثوي، على توزيع الأفراد في أربع دوائر متحدة المركز وفق أوضاعهم في القياس الاجتماعي، إذ يوضع الأكثر شعبية في المركز، والمعزولون على المحيط، وعلى أن نجعل العلاقات بين الأفراد ممثّلة بواسطة علامات متّفق عليها.

ويقدّم الرسم البياني الاجتماعي خريطة القياس الاجتماعي لجماعة من الجماعات ويخبرنا مباشرة عن تماسكها، وبنيتها الوجدانية (المقنّعة عادة بالتنظيم الرسمي)، **وقادتها** الفعليين، توتراتها الداخلية، ونزاعاتها الكامنة. ودرس الجنرال الأمريكي جـ. غ. جنكينز (1947) على هذا النحو، خلال الحرب العالمية الثانية، وضع كتائب الطيران على متن الطائرات، العاملة في جنوب المحيط الهادي، ولاحظ أن الكتائب الأكثر فاعلية والأقل تعرضاً للإصابات كانت تلك الكتائب التي طواقمها تقيم أفضل العلاقات الوجدانية فيما بينها. وعلى سبيل الإبانة بالمثال،

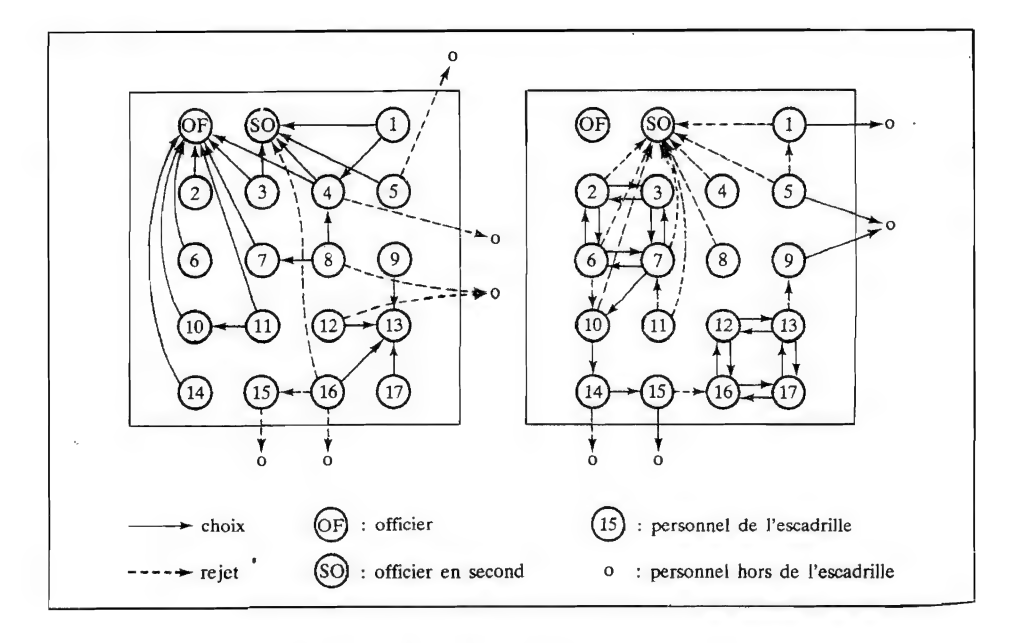
- في الرسم أسماء أعلام.
- السهم: اختيار.
- المستقيم الموجود تحت السهم: توقّع الاختيار.



الشكل -2- رسم بياني اجتماعي فردي

الفرد A ذو نظر غير ثاقب. إنه يتوهم أن برنار سيختاره ولايدرك الاختيارين اللذين تلقاهما من ألين ودينيز.

ننسخ الرسمين البيانيين الاجتماعيين لكتيبتين إحداها كانت ذات معنويات رائعة وأخرى كانت تبدو فاقدة المعنويات (شكل 3). وكانت كلتاهما تضمّ سبعة عشر رجلاً، إضافة إلى القائد والضابط المرؤوس. ولم تكن استبانة القياس الاجتماعي قد عُرضت إلا على رجال الكتيبة السابعة عشرة. وكان الطلب إليهم أن يشيروا إلى الرؤساء والرفاق من كتيبتهم الذين كانوا يتمنّون الطيران معهم في مهمة معركة وأولئك الذين لم يكونوا يرغبون الطيران معهم. وكان بوسعهم أيضاً أن يختاروا (أو ينبذوا) أشخاصاً آخرين من كتائب أخرى من جماعة العمليات العسكرية.



شكل3 : رسم بياني اجتماعي لكتيبتي طيران أمريكيتين جاهزتين للانطلاق، مقتبس من جـ.غ. جنكينز، 1947.

السهم الأول: اختيار - السهم المنقط: نبذ - OF: ضابط - SO: ضابط مرؤوس - 15: أفراد الكتيبة - O: أفراد خارج الكتيبة

ويبيّـن هذان الرسمان البيانيان الاجتماعيان بياناً لالبس فيه أننا حيال جماعتين متبنْينتين على نحو مختلف بصورة مطلقة. فالكتيبة الأولى متلاحمة حول القائد الذي يتلقّى ثمانية اختيارات، وحول الضابط ذي المرتبة الثانية الذي يتلقى ستة اختيارات. فلا الواحد منهما ولا الآخر موضوع نبذ. وليس ثمة من الناحية العملية سوى الاختيارات الإيجابية داخل الجماعة وضروب نبذ موجّـهة إلى الخارج، فأعضاء الكتائب الأخرى تستقطب العدوانية الناجمة عن التوتر المتراكم بسبب المهمات المتكررة المحفوفة بالمخاطر. أما في الجماعة II، فالأمر على

العكس، القائد مجهول، والضابط من المرتبة الثانية ينبذه أكثر من نصف عدد رجال الطاقم، فالشقاق سائد: ونميّز فيها، بالفعل، ضروباً من النبذ أكثر من الاختيارات، ولاسيما وجود «عصبتين» (2-3-6-7) و (17,16,13,12) تقدمان على تحطيم الوحدة الوظيفية للكتيبة. أضف إلى ذلك الاختيارات التي تنشد أفراداً من خارج كتبيتهم، اختيارات تكوّن مؤشراً إضافياً إلى التفكّك. (انظر في هذا المعجم: **التماسك**).

N.S.

الرسم البياني الدافعي

F: Profil pulsionnel

En: Drive profile

D: Triebsprofil

تمثيل بياني للاختيارات الوجدانية التي جرت في رائز زوندي، يميّز الميول الدافعية لدى فرد من الأفراد.

التفسير، الذي يحدث على أساس نظرية الشخصية والتصور النفسي المرضي لزوندي، يقدّم، بواسطة معطيات إحصائية متنوّعة، نقاط صوىً تشخيصية. ففي الحقل الأعلى من المحور الأوسط الأفقي للرسم البياني، نجمع الاختيارات التعاطفية حسب العوامل (الجزء المظلّل)، ونجمع الاختيارات المنفّرة في الحقل الأسفل (الجزء ذي التربيعات). ويقابل كل عمود من الأعمدة الثمانية مرضاً من الأمراض الدافعية. ويُري الرسم البياني عددالاختيارات الإيجابية والسلبية في العوامل الثمانية التالية: الجنسية المثلية (h)، السادية (s)، الصرَع (e)، الهستريا(hy)، الكاتاتونيا (k)، الذهان الهذائي [البارانويا](p)، الاكتئاب (d)، الهوَس (m). والعوامل متجمّعة في أربع قوى موجّهة: الجنسي، النوبي، الفصامي، المزاجي الدوري. وتبيّن الأمثلة التالية (انظر الشكلين) رسماً بيانياً دافعياً لشخص جيد التوازن (شكل 1) وآخر لشخص سيء الاندماج في الواقع (شكل2). (انظر في هذا المعجم: **القدر** [**تحليل القدر**]، **الأنا**، **زوندي**).

F.M.

PROFIL PULSIONNEL — Szondi											
		S		P		Sch		C			
		h	s	e	hy	k	p	d	m		
	6									6	
	5									5	
	4									4	
+	3									3	+
	2									2	
	1									1	
	1									1	
	2									2	
–	3									3	–
	4									4	
	5									5	
	6									6	

1. Profil pulsionnel d'une *personnalité bien équilibrée* (Sch : − +), de sensibilité morale élevée (P : + −). avec une tendance à l'élaboration des tensions (S, Sch). Conflits éventuels : attachements exagérés : reste prisonnier du contact une fois lié (C : − +).

PROFIL PULSIONNEL — Szondi											
		S		P		Sch		C			
		h	s	e	hy	k	p	d	m		
	6									6	
	5									5	
	4									4	
+	3									3	+
	2									2	
	1									1	
	1									1	
	2									2	
–	3									3	–
	4									4	
	5									5	
	6									6	

2. *Aspirations irréelles* (C : − −) avec labilité de la conscience (Sch : 0,0), attitude égocentrique (P : 0 +). Des symptômes de dépersonnalisation sont vraisemblables.

الشكل 1 : رسم بياني دافعي لـ شخصية متوازنة جداً.

(Sch :-+)، **حساسية أخلاقية مرتفعة** (P :+-)، **مع ميل إلى** إرصان التواترات (sch, s). نزاعات محتملة : ارتباطات مغالية : تظلّ متمسكة بالاتصال عندما ترتبط (c :-+).

الشكل 2 : طموحات غير واقعية (c:- -) مع عدم الاستقرار في الشعور (o,o: sch)، اتجاه التمركز على الذات (o:p +)، أعراض تفكّك الشخصية أمر محتمل.

الرسم البياني للقطب، الرسم البياني السيكولوجي F: Profil de polarité, Profil Psychologique

En: Polarity profile, Psychological profile

D: Polaritatsprofile, Psychisches profile

تمثيل بياني للنتائج التي ينالها فرد في مجموعة من الاختبارات (روائز، استبانات...)

مفهوم القطب الجاذب أو المنفّر ذو فائدة طرائقية خاصة للعلوم الإنسانية، سببها أن الحوادث السيكولوجية أو الاجتماعية هي، على الغالب، نتيجة تفاعلات تستخدم قوى متعارضة، وتوترات متناقضة، وتحركات نزاعية. وكانت الفلسفة الإغريقية تعتبر من قبل أن **القطبية** إحدى الوسائل لإدراك الواقعي بصورة تصورية، إذ تحصرها في تقابلات مناسبة أو ألفاظ جدلية (مثال ذلك «عدائي - ودّي»، «مليء... فارغ»، «متوافر- نادر» إلخ). وبيّنت أعمال الإتنولوجيين وعلماء الاجتماع، فيما بعد، أن القطبية شكل أولي من الفكر البدائي (مثال ذلك: «دنيوي -مقدس»، «مزارع - صياد»، «شرق - غرب»، «نيء - مطبوخ»، إلخ).

وإذ يحوّل علماء النفس هذا النمط من التفكير إلى نهج علمي، فإنهم يميّزون على الغالب موضوع الدراسة بوضعه في منظومة من الإحالة تتكوّن من نقائض ملائمة، تسمى غالباً «ثنائية القطبية». وثنائية القطبية يمكنها أن تكون ذات **تفرّع ثنائي**، أعني أنها تتحدّد بثنائي من المحمولات تتعارض تعارضاً صارماً جداً، مثل رجل - امرأة، يدوي- فكري، ريفي- مديني، أو بثنائي **قياسه ممكن**، أي يتحدد

بوصفه سلّماً ننتقل فيه من طرف إلى آخر بمجموعة من نقاط صوى وسيطة، عددها فردي (خمس نقاط، سبعة أوتسعة، على وجه العموم)، بهدف حساب نقطة مركزية حيادية. فيكون لدينا، على سبيل المثال، فئات من العمر متتالية من الطفولة إلى الشيخوخة، ودخول فردية ذات شرائح، بدءاً من العسر إلى اليسر، ونتائج روائز في علم النفس التقني بدءاً من العجز الكامل إلى العبقرية، إلخ. **وثنائيات القطبيةذات التفرع الثنائي** أدوات تصنيف، **وثنائيات القطبية التي يمكن قياسهاعلى سلم** هي توصيفات متدرّجة تتيح بياناً دقيقاً ومنهجياً للملاحظات، بالنظر إلى أن هذه الملاحظات تكون على الغالب مرقّمة بأرقام موجبة متّجهة نحو أحد القطبين وأرقام سالبة متجهة نحو القطب الآخر.

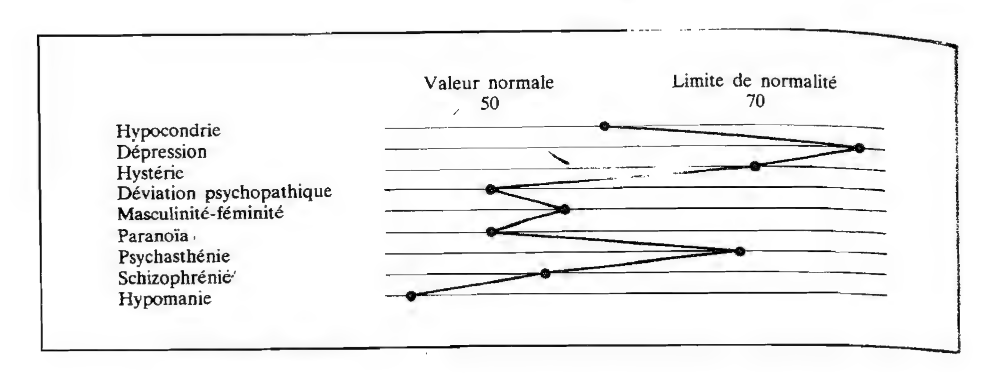
ويكوّن نظام من الثنائيات القطبية التي تُختار اختياراً مناسباً، بالنسبة للملاحظ، **مجموعة من الرموز وصفية** تسهّل عليه المقارنة. فالتمثيل البياني المعروف باسم«رسم بياني للقطبية» كان عالم النفس وعالم الأعصاب الروسي غريغوريج إيفانوفيتش (1860-1928) قد ابتكره وروّجه بدءاً من عام 1911. وأصبح هذا الرسم البياني أداة عمل مستخدمة في علم النفس الفرقي (شكل1).

وتقبل تقنية الرسم البياني للقطبية تطبيقات متنوّعة جداً. 1) تمييز نماذج مختلفة، في إطار دراسة أحادية، من الرسوم البيانية التي تتيح مقارنة بمجرد التنضيد أو حساب معاملات التشابه؛ 2) تفسير التشكّلات الأكثر بروزاً إما بالشكل (مثال ذلك رسم بياني ذو رأس أو رؤوس بارزة بوضوح)، وإما بواسطة مؤشرات التمييز التي تكوّن موضوع تحليل تشكّلي، 3) تمثيل السلالم بأبعاد مستمرة (أو متغيّرات مستمرة)، إذ تصبح عندئذ مجموع النقاط المحرزة «قيماً سلّمية» يمكننا أن نعتبرها مكوّنات «قوة موجّهة»؛ فالرسوم البيانية هي منذئذ تمثيل «قوى موجّهة» في مجال متعدّد الأبعاد، والخصائص الرياضية لمجالات القوى الموجّهة يمكننا أن نستثمرها بتفسير سيكولوجي: زاوية قوتين موجهتين، معيار أو طول قوة موجهة، اختزال تعدّدية الأبعاد في مجال المتغيرات بواسطة التحليل العاملي، تطبيق التحليل

المتعدّد المتغيرات، إلخ. 4) استخدام البطاقات ذات الثقوب لمجالات ذات أبعاد مرتفعة (حتى 80 سلّماً)، في حين أن التمثيل البياني غير مقروء (شكل2).

ولنلاحظ أخيراً أننا إذا لم نأخذ بالحسبان سوى قطب واحد لكل بعد من الأبعاد، التي تصبح عندئذ متغيرات وحيدة القطب (فكل القيم إيجابية)، فإن الرسم البياني يمكننا تمثيله على محاور ثابتة، ذات عدد مساو لعدد الأقطاب، كلها منطلقة من نقطة «الصفر» (شكل3).

وتشبه التخطيطية الأخيرة تخطيطية «الإحداثيات القطبية» في الهندسة التحليلية، ولكن القصد مختلف كل الاختلاف ذلك أن بعداً واحداً ووحيداً، في هذه الحالة، ماثل على محور متحرك يدور حول نقطة الصفر (شكل رقم 4). (انظر في هذا المعجم: **المميز الدلالي**).



الشكل1 . مثال على الرسم البياني السيكولوجي (يمثّل حالة من عصاب مبتذل) وُضع انطلاقاً من الجرد المتعدّد الأطوار للشخصية في مينوزوتة (M.M.P.I).

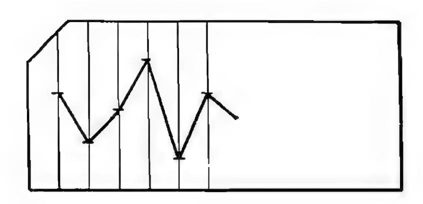
يقدّم الرسم البياني، في شكل بصري معبّر، النتائج التفصيلية وتشكّلها العام في وقت واحد، فكل ذروة من الخط المنكسر يقابل التقييم المحسوب لكل

من ثنائيات القطب. وهذه القيم، التي تسمى «علامات» أو «مرتقى السلالم»، تظهر بعدد ليس له، على الأغلب، سوى سمة ترتيبية.

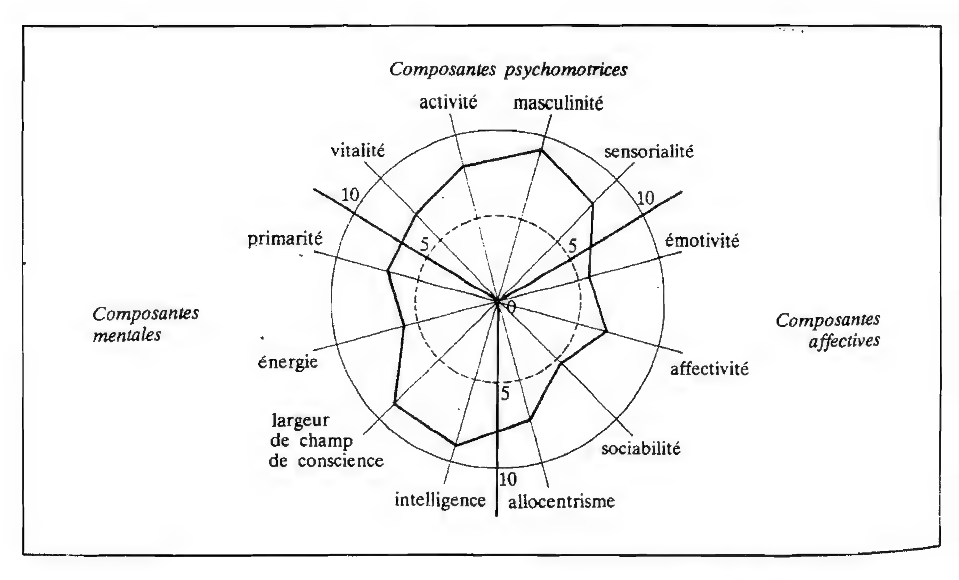
ترجمة الكلمات الأجنبية الموجودة على الشكل:

إلى اليمين: حدود السواء (70)، قيمة سويّة (50).

إلى اليسار بدءاً من الأعلى: توهّم المرض، اكتئاب، هستيريا، انحراف سيكوباتي، ذكورة- أنوثة، ذهان هذائي (بارانويا)، نهك نفسي عصبي، فصام، لوثة.



شكل 2: بطاقة مثقّبة تُعتبر أداة دراسة للرسوم البيانية.



شكل3: مثال على الرسم البياني الوحيد القطب ذي 12 بعداً.

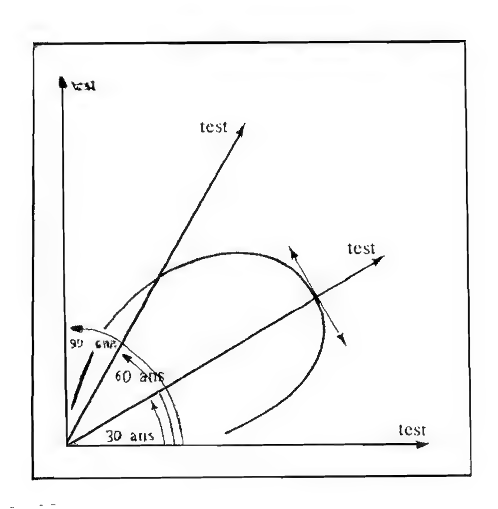
الشخصية تُعتبر هنا قوة موجّهة ذات 12 مكوّنة. والشخصية القوية يقابلها رسم بياني يقع في الجزء الخارجي من هذا المجال المتكوّن من 12 بعداً.

ترجمة الكلمات الأجنبية (انظر في الشكل تجده يتألف من 3 مقاطع، نترجم كل مقطع بدءاً من الأعلى، فاليمين، فاليسار):

المكوّنات النفسية الحركية: الحيوية، الفاعلية، الذكورة، الحياة الحسية؛

المكوّنات الوجدانية: الانفعالية، الوجدانية، الاندماج الاجتماعي، التمركز على الغير.

المكوّنات العقلية: الأولية، الطاقة، اتساع حقل الشعور، الذكاء.



شكل 4. مثال على إحداثيات قطبية.

تطور الذكاء مع العمر (د. وشْلَر، قياس الذكاء لدى الراشد). العلامة المتوسطة في الرائز تمر بقيمة قصوى نحو عمر الثلاثين سنة.

ترجمة الكلمات الأجنبية: انظر في الشكل تجده مقسماً إلى ثلاثة مجالات هي، بدءاً من الأسفل: من 1-30 سنة، من 31-60، من 61-90 سنة.

أما الكلمة الموجودة في نهاية الأسهم فهي test، أي رائز!

J.M.M.

الرسم البياني المتفرّع، رسم الشجرة F: Diagramme en arbre

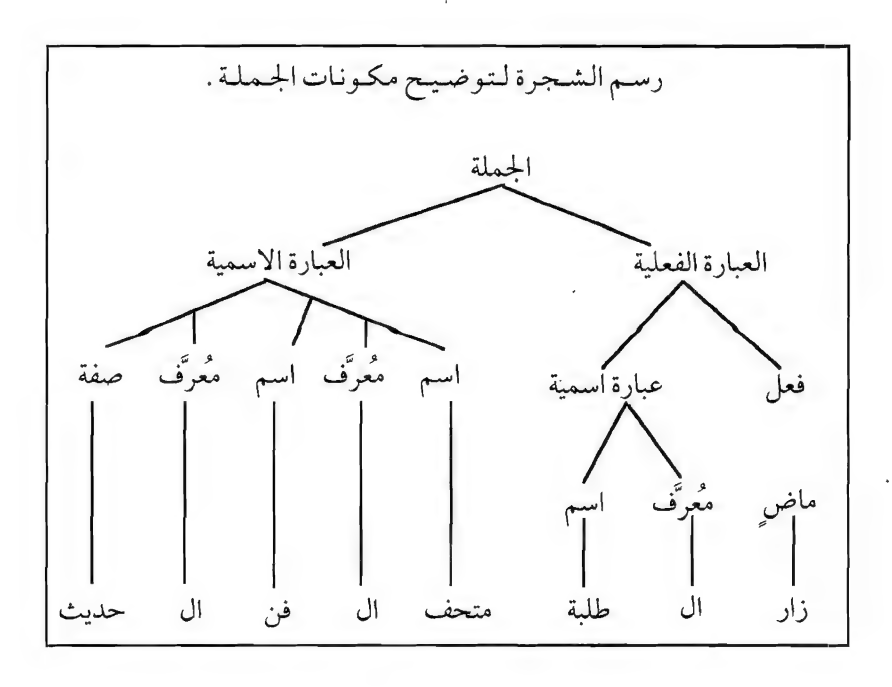
En: Branching diagram

D: Baumdiagramm

تمثيل بياني متفرع لسيرورة معينة

الرسم البياني المتفرع (شكل شجرة)، في النحو التوليدي، المسمى أيضاً **مؤشراَ تركيبياً**، يتيح تمثيل بنية لمكوّنات جملة. فنحن نميّز في القضية التالية: **الأسد الكهل الذي كان يفترس غزالاً** (يمكنها أن تُكتب مجدداً: ق ⟵ ت آ+ت ف)، تركيبياً اسمياً إلى اليمين (ت آ) وتركيباً فعلياً إلى اليسار (ت ف). وبوسعنا أن نتابع التحليل، مستخدمين مجموعة كاملة من الرموز المقولية ومن قواعد إعادة الكتابة. ولكن التمثيل البياني يقدّم إلينا نظرة عامة أكثر مباشرة لبنية الجملة. (انظر في هذا المعجم: **شومسكي**).

N.S.



الشكل. رسم الشجرة لتوضيح مكونات الجملة.

نشير إلى أننا وضعنا هذا الرسم الوارد في «معجم اللسانيات الحديثة»، (تأليف د. سامي حنا، د. كريم زكي حسام الدين، د. نجيب جريس، مكتبة لبنان)، ص 28 بدلاً من الرسم الوارد في المعجم الذي نترجمه، وهو يفي بالغرض.

«م»

الرسم الذهني الأولي

F: Schème

En: Scheme

D: Scheme

مجموعة من الظاهرات، المنظّمة في الزمان والمتدخّلة في فعل المعرفة، نستبق المستقبل بها، ونحضّر عملاً.

الرسم الذهني الأولي، في مصطلحات بياجه (1986 -1980)، مجموعة متبنينة من العناصر الرئيسة لعمل من الأعمال، ضرب من المخطط الذهني الأولي الممكن نقله إلى أوضاع مطابقة أو الممكن تعميمه على أوضاع مماثلة. إنه غير متكوّن بصورة تسبق محتواه، ولكنه يتكوّن في العمل، والاتصال بالأشياء التي ينطبق عليها العمل في حالة النشوء. مثال ذلك أن الوليد يحوز منعكس المصّ، الذي يبين منذ أن يوضع على الثدي، ويُوجد الرضاع رسماً تذكّرياً إذ يكوّن رسماً ذهنياً أولياً محركاً، يظهر بين الوجبات عندما يمص الرضيع في الفراغ، أو عندما يباشر مصّ إبهامه حين يصادفه. ويحتوي الرسم الذهني الأولي، الذي ينظّم عملاً معيناً، عناصر تعميمها على أوضاع أخرى ممكن؛ إنه يبدو قبل الصورة الذهنية، والامتثال أو الفكرة (وهو، لهذا السبب، منيع على الشعور) وتابع، في وقت واحد، للتجربة والفعل الراهن. وثمة دائماً، من العادة إلى الذكاء، دمج لعناصر جديدة وتكوّن رسم ذهني أولي من النسق العالي. (انظر في هذا المعجم: **بورلو، ارتكاس دائري، الإجراء**).

N.S.

الرغبة

F: Désir

En: Wish, Desire

D: Wansch, Bigierd

ميل أصبح شاعراً بموضوعه.

الرغبة قوة نفسية على نحو محض تولد من غياب إشباع حاجة. فإذا رغبت في الطعام، فذلك يعني أنني جائع، ولكنني إذا أكلت قبل أن تتجلّى الحاجة، فإنني آكل دون شهية ودون رغبة. وتتفاقم قوة الرغبة عندما تكون الحاجة موضع معارضة. فالرغبة تتغذّى بالموانع والممنوعات، وإذا كان كل نقص يُسَدّ مباشرة وعلى نحو تام، فلم يعد هناك لذة متخيّلة، أي لم يعد ثمة رغبة. ولكن هذا الخطر مستبعد، ذلك أن جزءاً من عدم الإشباع باقٍ، جزءاً ستولد منه الرغبة، هذه القوة الحيوية الأساسية التي تلوّن الحياة الوجدانية وتمنحها شدتها، شدة تثير العواطف والأهواء، التي تحركنا وتوجّه تصرفاتنا. وفي حقل الرغبة إنما تُعَدّ الشخصية بكاملها، عبر توترات لاتنقطع وعبر تقلّصها، إذ تنحلّ نزاعات داخل النفس، أكثرها أهمية في النشوء الفردي عقدة أوديب.

والرغبة، وفق النظرية الفرويدية، ظاهرة لاشعوريةعلى نحوأساسي، ترتبط ارتباطاً لاتنفصم عراه بـ«الآثار التذكّرية» التي تعود إلى «تجارب الإشباع» الأولى لدى الرضيع. فالإثارة الناجمة عن الحاجة، يقول فرويد، تترك أثراً في ذاكرة هذا الرضيع تنضاف إليه صورة مقترنة بالإشباع الأول. وتتعزّز هذه الآثار، فيما بعد،

وتنزع الرغبة إلى أن تتحقّق، إذ تستخدم الدروب نفسها. فالرغبة يمكنها، عندما تكون موضع معارضة، أن تجد وسيلة الإشباع، إذ تنتقل إلى موضوع بديل واقعي (سيمص" الطفل إبهامه حال غياب الثدي، ثدي الأم)، أو إلى موضوع متخيّل (حلم، وهم، سراب). ففي الأحلام على وجه الخصوص إنما تظهر الرغبة على صورة رموز وصور مكثّفة)مثال ذلك أن شخصية ستجمع خصائص أشخاص مختلفين معروفين). وتعبّر الرغبة عن نفسها، لدى الفصاميين، في الأعراض، «تكوينات تسوية» بين الامتثالات المكبوتة والمقتضيات الدفاعية. وينبغي للرغبة، في رأي جاك لاكان، أن تكون متميّزة من الحاجة والطلب.

وتتميّز **الحاجة** بواقع مفاده أنها تنشد موضوعاً نوعياً (الغذاء للإنسان الجائع، على سبيل المثال)، ويتوجّه **الطلب** إلي الغير، وسيكون في حقيقته، دائماً، طلب حب («كل رغبة في الحب لدى فرد هي في الوقت نفسه رغبة في أن يكون محبوباً»، يقول جان لاكروا)، أما **الرغبة**، فإنها ستكون مرتبطة باستيهام لابموضوع واقعي. (انظر في هذا المعجم: **الحاجة**).

N.S.

الرقابة

F: Censure

En: Censorship

D: Zensur

الاشتقاق: من اللاتيني Censura، من Censor، قاض كان يُعهد إليه، لدى الرومان، بإحصاء السكان وقمع الأخطاء التي تُرتكب ضد الأعراف.

أسلوب تحقّق تمارسه سلطة عليا على أفعال شخص وتصرفاته.

الرقابة الأخلاقية أو الاجتماعية موجودة في كل التجمّعات الإنسانية وتنشد ضمان تماسكها: فأي فرد لايمتثل للقواعد الأخلاقية أو لايحترم القيم المقبولة في جماعة يكون عرضة للوم أو حتى الإبعاد. فليس مسموحاً، في مجتمعنا على سبيل المثال، أن تُنشر مؤلفات تمتدح الجريمة أو قطع الطرق؛ وعندما يريد شخص، في أمكنة أخرى، أن يعبّر عن رأي يعارض الإيديولوجيا المقبولة، يلجأ إلى الاعتدال في التعبير عن فكرته وإلى تقنيعها. وهذه الرقابة الذاتية موجودة على المستوى الفردي واللاشعوري بصدد رغبات تستوجب اللوم (رغبات ثأر، رغبات في موت الأبوين، في حب متعذّر. . .)، ندافع عن أنفسنا ضدها. ويصادر فرويد، في نظريته الأولى للجهاز النفسي، على وجود وظيفة يَقظة بين اللاشعور من جهة، وما قبل الشعور – الشعور من جهة أخرى. وتتفحّص هذه الوظيفة الذهنية، التي تعمل بصورة دائمة، كل ميل وتكبت كل تلك الميول التي لايمكن أن يقبلها الشعور. وتُلاحظ مفعولات الرقابة، على وجه الخصوص، في ثغرات

الحلم، وفي تقنيع وتحوّلات عناصره، وكذلك في **تكوينات التسوية** بين الامتثالات المكبوتة والقوى الكابتة. وأحدأسباب الإخفاق في الاستبطان وحتى في **التحليل الذاتي**، الذي يستعين بالترابط الحر، وتحليل الأحلام، وتفسير التصرفات، ذو علاقة بوجود هذا المرجع من الملاحظة الذاتية الذي يمنع وصول بعض الرغبات والتكوّنات المشتقة منها إلى الشعور. (انظر في هذا المعجم: **التلاحم** [**التماسك**]، **الأنا العليا**).

N.S.

F: Danse des Obeilles **رقص النحل**

En: Bees' dance, Language of the bees

D: Transprache

وسيلة تستخدمها النحلة لتنقل إلى سكان الخلية معلومات حيوية مختلفة.

نحن نعلم، بفضل ملاحظات عالم الحيوان النمساوي كارل فون فريش (المولود عام 1886) وتجاربه وملاحظات تلاميذه وتجاربهم، ومنهم بالتأكيد وعلى وجه الخصوص مارتان لاندوير، الأستاذ في جامعة فرانكفورت - على - الماين، أن لغة النحل تقوم بصورة أساسية على أشكال مختلفة من الرقص ذات صور حركية (ترافقها إشارات اهتزازية)، أشكال كان ممكناً فكّ رمزيتها. وعلى هذا النحو إنما كان ثورب قادراً عام 1948، بعد أن لاحظ رقص نحلة جنيٍ، أن يحدّد على خريطة جيش موقع الجني؛ وحدّد كارل فوَن فريش من جهته، مستخدماً خديعة (جثة نحلة)، طيران نحلات الجني صوب موقع كان قد وضع فيه رحيقاً. ونميّز، في هذه الأشكال من الرقص ذات الصور الحركية، ثلاثة أشكال على الأقل:

1 - **الرقص الدائري**، الذي تنفذه نحلة الجني على جناح من أجنحة الخلية أو على لويحة الطيران وسط جمهور من مثيلاتها، يدلّ على وجود الغذاء قريباً من الخلية. إنه رقص سريع، مدته تختلف من بعض الثواني إلى دقيقة، يرسم دوائر ضيقة، حيث يحدث الدوران بالتناوب إلى اليمين وإلى اليسار.

2 - **الرقص على شكل ثمانية 8 أوالرقص المهتزّ** الأكثر تعقيداً من السابق ولكنه يحمل أيضاً معلومات أكثر بكثير. إنه يشير إلى اكتشاف غذاء بعيد وإلى

مكان وجوده (اتجاه ومسافة)، و خاصتّه (تركيزه بالسكر) وكميته. ونرى النحلة في هذا الرقص تجري في اتجاه مستقيم، ترسم نصف دائرة إلى اليمين أو اليسار، ثم تعود إلى نقطة انطلاقها، ثم تمضي مجدّداً على نحو مستقيم وترسم نصف دائرة أخرى إلى اليسار أو اليمين، متناظرة مع الأولى، وهكذا دواليك؛ ويحدث ذلك خلال عدة دقائق في بعض الأحيان. وترسم النحلة، على مسار الخط المستقيم، بالطرف المستدقّ من بطنها اهتزازات سريعة (من هنا منشأ اسم «الرقص المهتز»)، وهي تُصدر معاً طنيناً ضعيفاً يتكوّن من رشقات قصيرة من الاهتزازات (نحو 30 رشقة بالثانية)، واتجاه المسير المستقيم يعطي اتجاه الغذاء. وعلى المستوى الأفقي (لويحة الطيران عندما يكون الطقس حاراً)، يستقر الاتجاه بالنسبة للشمس. مثال ذلك أن مسار الرقص في خط مستقيم، إذا كان خط الطيران (خط نظري يقود من الخلية إلى الغذاء) يشكّل مع الشمس زاوية من 60 درجة، سيراعي هذه الزاوية نفسها بالنسبة للشمس. والاتجاه يحدث في داخل الخلية، ما دامت أجنحتها مرتبة بصورة عمودية، بالإحالة إلى الجاذبية: فإذا كان المسير في خط مستقيم يتجه نحو الأعلى، فذلك يعني أن الغذاء في اتجاه الشمس؛ وإذا كان يتّجه نحو الأسفل، فذلك يعني أنه في الاتجاه المعاكس؛ وإذا كان يشكّل مع الخط العامودي زاوية من60 درجة، إلى الأعلى واليسار، فذلك يدل على أن الغذاء يقع على 60 درجة من يسار الشمس، إلخ. وعدد دورات الرقص يمثّل المسافة: فكلما كان مصدر الغذاء بعيداً، يصبح الرقص معتدلاً والدورانات نادرة. ولاحظ كارل فون فريش دوراناً واحداً، لفترة زمنية من 15 ثانية، يمثّل 10 كم، ودورانين لتمثيل 5كم، وأربعة دورانات إلى خمسة لتمثيل كيلو متر واحد وستة لـ 500 م، وتسعة إلى عشرة لـ100م.

(كما لو أن تواتر الدورانات كان يعطي كمية تقريبية تتناسب مع عدد السفرات الممكنة في فترة معيّنة). ويدلّ عدد الدورانات بصورة احتمالية على

الجهد الواجب بذله، ومصروف الطاقة الضروري للذهاب إلى «مكان الجني، ذلك أن إيقاع الرقص يتناقص عندما يكون على النحلات أن تطير عكس الريح حتى تبلغ الغذاء.

3 - الرقص على شكل هلال أو على شكل منجل. إنه شكل من «الرقص الدائري» (غ. هاين، ب. تشومي، 1950)، تنفذّه بعض الأجناس من النحل (الإيطالي، على وجه الخصوص). أنه يدل على وجود الغذاء على مقربة من الخلية (من 10م إلى 20)و على الاتجاه الذي يقع فيه (اتجاه افتتاح الرقص).

ويشير رقص النحل أيضاً إلى اكتشاف الماء الذي يحتاج إليه ليروي ظمأه ولترطيب الخلية، وإلى وجود الراتنج (الضروري لسدّ الشقوق) أو إلى اكتشاف مأوى لجماعة النحل: شجرة ذات جذع أجوف، تجوّف صخرة، خلية فارغة. ولاتختلف هذه الأشكال من الرقص عن الأشكال السابقة، إن لم يكن بالمدة الزمنية التي تكون أطول كثيراً. ونظام التواصل بين النحل هو من نموذج تماثلي، وذلك أمر يحدّد له حدوداً. مثال ذلك أنه لايتضمّن علامة لتمثيل مفهوم «في الأعلى» (الأزهار لاتنبت في السماء). إن كارل فون فريش شرع في التجربة التالية: بعد أن وضع خلية نحل قرب الأرض بين دعامتي سارية إذاعة، رفع إلى الأعلى، بواسطة ملفاف رفع، صينية كان وعاء يحتوي على الماء المحلّى قد ثُبّت، وذلك على نحو يكون الغذاء فيه على وجه الضبط فوق فتحة الطيران، أي فتحة الخلية. فالكشافات من النحل رقصن رقصاً دائرياً ولكنهن لم يعرفن أي اتجاه يذكرنه، وانطلقت نحلات الجني، المستنفرات، تبحث في جوار السارية، ولكن أياً منهن لم تكتشف الغذاء. (انظر في هذا المعجم: **لغة الحيوانات**).

N.S.

الرمز

F: Symbole

En: Symbol

D: Symbol, Sinnbilol

وسيلة تعرّف، في الحضارة الإغريقية القديمة، تتألف من قطعتي شيء مكسور يصلهما المرء. والرمز، فيما بعد، كل علامة اصطلاحية تُستخدم استخداماً مقصوداً. ولكن تمييزاً آخر يتيح بيان الفارق بين علامة ورمز على نحو أفضل: ففي حين أن العلامة «اعتباطية»، خالية من أي تشابه مع المدلول، يكون الرمز، على العكس، «معلّل» كما يقول الألسنيون، أي أنه يتضمّن ضرباً من القرابة مع ما يرمز إليه.

يمثّل الرمز ماهية موجود، ومالديه مما يتعذّر التعبير عنه، ويقيم مع هذا الموجود علاقة دائمة، طبيعية أوعقلانية. بل يمكنه أن ينوب مناب الموضوع الممثَّل، أي يحل محله: مثال ذلك أن خصلة شعر من شخص عزيز انفصلنا عنه ستؤدي دور الرمز، دور **المثيل** له، وتجعله ماثلاً للخيال. إننا نكتشف دائماً في الرمز شيئاً يعبّر عن الرمز: شكل لفافة التبغ، في القطعة الخشبية التي يرفعها الصبي الصغير إلى فمه عندما يقلّد أباه، فكرة القوة، في الأسد الماثل في شعارات النبالة ببريطانية العظمى، إلخ. ويرجع الغنى الذي لانفاد له، غنى الرمز، إلى خاصّته الجمالية، إلى المفاجآت التي يحتفظ بها لنا، إلى الدلالات المتعدّدة التي يجمعها ويكثّفها. فعلى جدران بعض المغارات، حفر أناس ماقبل التاريخ، أناث البيون (ثور وحشي)، إذ لم يعبّروا على هذا النحو عن الرغبة في امتلاك لحم هذه الحيوانات

فحسب، ولكنهم عبروا أيضاً عن الرغبة في امتلاك حيويتها والقوى الخفيّة للجيل. فالرموز تكوّن لغة أساسية، مبهمة وفاتنة، ملازمة لطبيعة الإنسان. ولايتردّد بعض علماء النفس كإيفن روفنتلو (1972)، أن يشبّهوا الرموز، الخاصة بالإنسان، بـ«المنبّهات - العلامات» لدى الحيوان. ومن المعلوم أن كل فرد، في كل نوع، حسّاس لعدد المنبهات المعيّنة. وهذه الإشارات (رائحة، اهتزاز، صراخ...) التي يميّزها الحيوان من الإثارات الكثيرة الصادرة عن العالم الخارجي، ليس لها دلالة بالنسبة له إلا بمقدار ماتشكّل جزءاً من وضع موروث؛ إنها تحدّد لديه، عندما يكون ذا دافعية، سلوكاً خاصاً. ويجري الأمر على المنوال نفسه على وجه التقريب لدى الإنسان إذا أجرينا التغييرات الضرورية. مثال ذلك أننا نتعرّف دون صعوبة رأس طفل صغير في دائرة مشوّهة أو على جسم امرأة في رسم مجرد أو منحوتة لهانز أرب (ستراسبورغ، 1886- بال، 1966). ويرى كارل غوستاف يونغ وجاك لاكان أن الرمز وسيلة التعبير الوحيدة التي يحوزها الموجود الإنساني لصوغ واقعيّ وجداني معقّد لاينفك يستشعره ولايفلح في إضفاء المفهوم عليه بوضوح. فكل رمز يحتوي جزءاً من لغز، معنى خفياً، شيئاً مجهولاً أو شيئاً غير معترف به ليفلت من الشعور. وفي الفن التانتري الهندي، على سبيل المثال، يمثّل الإنجاب مثلثٌ معكوس (**عانة أنثى**) يحتوي نقطة مركزية (**منيّ الرجل**). ويكتب ك. غ. يونغ قائلاً: «إن الرمز يفترض دائماً أن التعبير المختار يدل أو يصوغ، صياغة أكمل مايمكن، بعض الوقائع المجهولة نسبياً، ولكن وجودها أمر بُرهن عليه أو يبدو ضرورياً (...). والتعبير الذي نستخدمه للدلالة على شيء معروف علامة دائماً، وليس رمزاً على الإطلاق (...). فالرمز تابع إذن، في المستوى الأول، لاتجاه الشعور الذي يلاحظ أن شيئاً من الأشياء يكون أو لا يكون رمزاً» (1921، ص. 469-470 من الترجمة).

والرموز موجودة على وجه الخصوص في الأساطير والديانات، والشعر والفولكلور، واللغة والأحلام، وفي الأفعال الخائبة، إلخ. وعددها كبير جداً،

على الرغم من أنها ترجع فقط، كلها على وجه التقريب، إلى الأحداث الأساسية من الوجود (الولادة والموت، الحياة الجنسية) ، إلى الجسم، إلى الأبوين وأعضاء الأسرة. ويتعذّر وضع جدول كلي للرموز ودلالاتها، على الرغم من بعض التوافق بين الرموز الرئيسة (الأفعى تمثّل القضيب والخصوبة في كل مكان على مايبدو). والواقع أن الرموز تجد مصدرها معاً في المخزون الثقافي المشترك وفي المعيش الفردي، والمتخيّل والاستيهام. ولكل شخص رمزيته الخاصة به، رمزية لايعرف معناها دائماً. ذلك إن خاصة الرمز، يقول المحلّلون النفسيون، إنما تكمن في أن الشعور لايتعرفها، ووظيفته إنما تكمن في أن يعرض بشكل مختلف بعض المحتويات النفسية المكبوتة التي ماكان ممكناً لها قط أن تتجاوز حاجز الرقابة لولا هذا التحوّل. (انظر في هذا المعجم: **الأسطورة، علم العلامات، العلامة، المنبه**).

N.S.

روبان (إدغار) Rubin (Edgar)

عالم نفس دانيماركي (كوبنهاغن، 1886 - كوبنهاغن 1951).

إليه إنما ندين بالتمييز الأساسي بين الخلفية والشكل في الإدراك. ويعتبر روبان مؤسّس «مدرسة كوبنهاغن». إنها ليست مدرسة بالمعنى الدقيق للمصطلح، بل موروث بالحري، يجعل النظر إلى مشكلة علم النفس من وجهة نظر غشطالتية وفينومينولوجية؛ فالأحداث المبتذلة من الحياة اليومية تصبح فيها جديرة بالبحوث الأكثر تفصيلاً. وكان روبان، أول الأمر، متأثراً بالتيار الفلسفي السيكولوجي، الذي نشأ في القرن التاسع عشر ومثله ف.ك. سيبرن، سورين كييركيغار وهيرالد هوفدينغ. ولكن إقامته في غوتنجن، لدى جورج إلياس مولر (1850-1934)، إنما تؤرخ توجّهه نحو علم نفس منظور إليه على أنه كل وفينومينولوجي. فأصبحت الحياة اليومية معه موضوع دهشة وفضول: «كيف يرى العالم الذي يحيط بالفرد كل فرد؟» ولكن تساؤلاً من هذا النوع يثير المشكل الأساسي للتواصل بين المجرب والفرد الذي يجرّب عليه. كيف نعلم بالدقة مايشعر به في وضع معيّن؟ إن المجرب يمكنه أن يغيّر المنبه، ويستخدم على سبيل المثال، أشخاصاً آخرين، كما في تجارب فرانز فروم، أو أشكالاً ثلاثية الأبعاد (مارتان جوهانسن) وظاهرات ذاتية الحركة (إي.ك. موستغارد) أومجسّمة الحركة (أي حيث يكون إدراك العمق تابعاً للحركات التي يمكننا تسجيلها موضوعياً)، كما في بحوث فريد كنودسن. ولكن روبان سيصطدم بالصعوبات نفسها: صعوبات الإصغاء إلى الأفراد، وطرح أسئلة تكميلية مناسبة، والتأكد أن الإجابات كانت موضع فهم جيد. فالمقارنات المستمرة

مع موضوعات أخرى مفيدة، ولكن حساب العلاقات بين الذاتية (إدغار ترانيكجر راسْموسّن) لايقدم مبدئياً وسيلة بلوغ التحقّق التجريبي. إنه يتيح على الأكثر أن نأمل تجنب بعض الالتواءات، على هذا النحو، في الحوار والحصول على أكبر قدر من الصدق في النتائج. وهذه الطريقة التجريبية لم تبن صحيحة في الدراسات المخبرية فحسب، ولكنها بانت أيضاً صحيحة، إلى حد واسع، في علم النفس التطبيقي. ومثال ذلك أن استدلال الفصامي يمكنه أن يوصف انطلاقاً من تحليل دقيق (ليز أو سترغارد) للسرد الذي يقدّمه عن إدراكاته، عندما يوضع في وضع معيّن، مع منبه واضح.

وعلم النفس الدانيماركي راسخ جداً في التيار الذي طوره إدغار روبان في بحوثه التجريبية ومنذ أطروحته للدكتوراه التي كانت تندرج في الحركة المعارضة لعلماء النفس القدماء، علماء نفس «الملكات». وهذا الموروث الذي نقله تلاميذه هو من المتانة بحيث أن الجيل الجديد من الباحثين، الذي لم يعرف روبان شخصياً، يستمر، على الأغلب، في العمل بحسب الأفكار نفسها في مجال الإدراك ومجالات علم النفس العيادي وقطاعات أخرى من علم النفس التطبيقي، على حد سواء. (انظر في هذا المعجم: **س. كيير كيغار، الظاهراتية** [**الفينومينولوجيا**]).

L.L. (ترجمة **J.W.A.** إلى الفرنسية)

روبنشتاين (سيرجه ليونيدوفيتش) Rubinstejh (ou) Rubin-stein (Serghei Leonidovitch)

فيلسوف وعالم نفس روسي (أوديسا، 1889 - موسكو، 1960).

كان روبنشتاين أحد كبار المنظّرين في علم النفس المعاصر بروسية. وتندرج بحوثه في الدرب الذي رسمه إيفان سيتشينوف (1829-1950) وإيفان بتروفيتش بافلوف (1849-1936). فالحياة النفسية، في رأيه كما في رأي علماء النفس الروس، عامة، تابعة للفاعلية العصبية العليا، ولكن أصلها قائم في العالم الخارجي، لأن فاعلية الدماغ الأعلى تابعة للإحساسات، بصورة عامة، تفاعلات الفرد مع محيطه. وهكذا فإن الفكر أكثر من نتيجة العمل الوظائفي الدماغي: إنه على وجه الخصوص **انعكاس** الواقع الخارجي. ومن المتعذّر أن نفصل بين الوظيفة العقلية والوظيفة المادية للدماغ، ذلك أن كلتيهما متفاعلتان، شأنهما شأن الفكر والسلوك في ارتباطهما الوثيق وتأثرهما المتبادل، وشأن السلوك والبنية الاجتماعية الاقتصادية في علاقتهما المتماثلة. وعُني روبنشتاين على وجه الخصوص بالذاكرة (مجموعة عمليات تتطور بالتربية والفاعلية التطبيقية) وقوانين نموّ الفكر العامة. فدراساته في السيرورات العقلية أظهرتها فاعلية معقّدة تشمل تحليل الوضع، والبحث عن معارف ضرورية لحلّ المشكل، واستخدام وسائل، في الوضع الراهن، اختُبرت من قبل في ظروف مماثلة، وتعميم الأساليب الجديدة المكتشفة، إلخ.

M.C.

روتشيلد (فريدريك س) Rothschild (Friedrichś.S)

عالم نفس من أصل ألماني (جيسن، هيس، ألمانيا الغربية، 1899).

عمل من عام 1928 حتى عام 1930، في معهد علم الأعصاب، جامعة فرانكفورت، بإشراف كورت غولدشتاين، ومساعد م. ماير في المدينة نفسها من عام 1930 حتى 1933. وينشر روتشيلد كتابه، **رمزية البنية الدماغية**، عام 1935. ويستقر، بصفة محلّل نفسي، في القدس عام 1936، ويباشر التحليل النفسي بإشراف ماكس إيتانغون، رئيس معهد التحليل النفسي في برلين سابقاً. ويعلّم علم النفس الطبي، عام 1948، في جامعة القدس، ويدير بالوكالة قسم الطب النفسي في مشفى القدس الجامعي. إنه، في الوقت نفسه، أستاذ زميل للطب النفسي في كلية الطب بهذه المدينة. (انظر في هذا المعجم: **علم العلامات الحيوي**).

J.L.

روجرز (كارل رانسوم) Rogers (Carl Ransom)

عالم نفس أمريكي (مولود في أوواك بارك، ضاحية شيكاغو، عام1902).

روجرز مؤلف طريقة أصيلة من العلاج النفسي: **اللاتوجيهية**، التي تنشد توضيح عواطف المريض المكتسبة إذ تعاد إليه كما في مرآة، حتى يحتاز الشعور بها احتيازاً تاماً، وينقل إمكاناته من القوة إلى الفعل ويوجّه نفسه. ويبدو المعالج، إزاء المريض، مخلصاً وجاهزاً، كلياً، إنه يصغي إليه بتعاطف ويستقبل دون تقييد ولانقد كل مايرد منه، حتى يقوم في الثنائي تواصل صادق. وهذا المناخ من الصراحة والصدق يساعد المريض على أن يكتشف نفسه كما هو، ويضطلع بأفكاره الخاصة وعواطفه، ويحيا وفق قيمه الشخصية، على نحو حر ومسؤول. ونذكر من مؤلفات روجرز مايلي: **النصح والعلاج النفسي** (1942، ترجمه إلى الفرنسية جـ. ب. زيغليارا، بعنوان: **علاقة العون والعلاج النفسي**، باريس، E.S.F.، 1970)؛ **العلاج المتمركز على الزبون: ممارسته الحالية، التضمّنات والنظرية** (1951، بوسطون، هوغتون، ميغلين)؛ **العلاج النفسي وتغير الشخصية** (1954)؛ **يصبح المريض شخصاً: وجهات نظر علاجية للعلاج النفسي** (1961)، هوغتون ميغلين، ترجمه إلى الفرنسية إ. ل. هربرت بعنوان: **نمو الشخص**، باريس، دونو، 1966)؛ **الحرية في التعليم**(1969، كولومبوس، ك. إ. ميريل، ترجمه إلى الفرنسية د. لو بون: **الحرية للتعلم**، دونو، 1971)؛ **جماعات اللقاء** (1970، هاربر ورو، ترجمه إلى الفرنسية د. لو بون، **جماعات اللقاء**، دونو (1973). (انظر في هذا المعجم: **العلاج النفسي غير الموجّه**).

CL.C.

روزنزويغ (سول) Rosenzweig (saüle)

عالم نفس أمريكي (مولود في بوسطون، ماساشوست، عام 1907).

بحوثه الرئيسة تنصبّ على نظرية الشخصية، والدينامية النفسية، والإبداعية، والتقنيات الإسقاطية وتاريخ علم النفس. وأرصن عام 1934 نظرية في الإحباط وتصور رائزاً، **دراسة إحباط الصور**، عرض رسماً أول له عام 1935. وظهرت بعد تسع سنوات الطبعة الأولى لهذا الاختبار الذي كان نجاحه مباشراً. ومادة هذا الاختبار تكمن في دفتر يحتوي رسوماً تمثّل مجموعة من الأوضاع المحبطة. فيطلب إلى الفرد أن يتخيّل الاستجابات اللفظية للشخصية المحبطة، وذلك أمر يتيح دراسة الأنماط الخاصة لاستجابته، بفضل آلية الإسقاط. وهذا الرائز يستخدمه استخداماً واسعاً العياديون الذي يثمّنون بساطته وخصائصه القياسية. (انظر في هذا المعجم: **رائز الإحباط**).

N.S.

روسو (جان جاك) Rousseau (Jean- Jacques)

كاتب وفيلسوف سويسري فرنسي اللغة (جنيف، 1712 - إرمينونفيل، قرب سانليس، واز، 1778).

يتكوّن الفكر، في رأي روسو كما في رأي كوندياك (1714-1780) وأصحاب النظرية الحسية، انطلاقاً من الإحساسات. وتولّد هذه الإحساسات، إذ تتّحد، «عقلاً حسياً» أول الأمر «يكتسبه الطفل أولاً بفعل رجليه، ويديه، وعينيه»، سيقول روسو وهو يتكلم على الطفل)، ثم ستولد أفكاراً و«العقل»، بفعل ترابط الأفكار واتحادها. وينجم عن ذلك أن المربي لن يعرض على الطفل أبداً شيئاً لايمكنه أن يراه «مادام يتعلّم الحكم الصائب حين يمرّن حواسه». وليس الطفل قادراً على الاستدلال على نحو مجرد، استدلال ينصبّ على «أشياء» غائبة، فالاهتمام الحالي والمحسوس هو الذي يحركه. وعلى التربية أن تأخذ النمو الطبيعي للطفل بالحسبان، وينبغي لها أن تكون وظيفية وتتكيّف مع كل عمر؛ فكل اكتساب سيحدث في زمنه، ولاينبغي للمربي أن يتعجّل شيئاً، ذلك أن لكل حالة من الحياة كمالها. إن مثل هذه التوصيات تفتح الدرب لبحوث حقيقية في سيكولوجيا الطفل. ففهم الطفل أساسي في التربية التي تتصف بأنها، في المستوى الأول، علاقة المربّى بالمربي. ويثير طفل صغير يبكي، على سبيل المثال، تدخّل محيطه، أما أن يصبح بكاؤه «أوامر»، فذلك أمر سيحوّله إلى طاغية. فالراشد ينبغي له إذن أن يكون قادراً على أن يعرف دلالة هذه النداءات حتى لايستجيب لها إلا بمعرفة تامة. وعلى الطفل أن يعلم أن رغباته تتعثّر بقانون الواقعي. وعندما يتعلّم تحديد

هذه الرغبات تبعاً لقوانين الأشياء ويختبر «نير الضرورة الضاغط» سيصبح أقوى، ولو لم يكن إلا عندما يصبح أكثر واقعية، ويتخلّى عن استيهامات خياله، ويتحرر من مخاوفه المغالية. فتكوين إنسان (هدف التربية) إنما هو جعل جسمه سليماً وقوياً، وفكره منفتحاً ومستقلاً، ولكنه على وجه الخصوص جعل الطفل مواطناً مسؤولاً وحراً، أعني موجوداً قادراً على أن «يستسلم للضرورة»، ويحترم القانون الذي يأمر به العقل. (انظر في هذا المعجم: **الترابطية**).

J.S.T.

روورشاخ (هيرمان) Rorshach (Herman)

طبيب نفسي وعالم نفس سويسري (زوريخ، 1884 - هيريزو، كانتون أبنزيل، 1922).

كان هيرمان، كأبيه الذي كان أستاذ رسم، شغوفاً بالرسم الزيتي الذي يمارسه، إنه يرسم رسوماً رائعة. ويُعنى بالتحليل النفسي، والأحلام، وترابطات الكلمات، والأسلوب الذي يستجيب به مختلف الأشخاص للوحة واحدة أو لبقع الحبر. ويسجّل استجابات مرضاه، التي يقارنها باستجابات الأفراد الأسوياء. ويكتشف على هذا النحو أن الإدراك البصري متأثر بالشخصية والمرض العقلي.

ويبني عام 1918 رائزاً إسقاطياً مؤلفاً من عشر لوحات (ست منها سوداء وأربع ملوّنة) تمثّل بقعاً متناظرة. وإذ نُسجّل الأهمية التي يوليها الفرد المراز مختلف أجزاء هذه اللوحات (التفصيلات الصغيرة والكبيرة، الأبيض، الأسود، اللون، إلخ)، فإنه يكون ممكناً أن نصف بنيةشخصيته، وميوله إلى الانبساط (النموذج المتّجه نحو الخارج) أو الانطواء على الذات (النموذج المتجه نحو الداخل)، وضعف طاقاته الغريزية (النموذج المكفوف) أو تكافؤ الضدين لديه (النموذج المتكافىء في ميول الانبساط والانطواء)، واضطراباته العصابية أو الذهانية المحتملة. ولم ينتشر استخدام هذا الرائز الإسقاطي إلا بعد موت مؤلفه بنحو عشر سنوات، ولكنه، منذ ذلك الحين، طريقة فحص الشخصيةالأكثر ممارسة. (انظر في هذا المعجم: **التشخيص النفسي لروورشاخ**).

Cl.C.

ريبو (تيودول) Ribot (Théodule)

فيلسوف وعالم نفس فرنسي (غينغامب، شواطئ الشمال، 1839 - باريس، 1916).

كُلّف ريبو، عام 1885 بمحاضرة في علم النفس التجريبي بالسوربون وأصبح عام 1889 أستاذاً أصيلاً للكرسي الأول في علم النفس التجريبي والمقارن، الذي أحدثته كوليج فرنسة له. إنه لم يكن قد تخلّى، على الرغم من أنه كان يوصي بالموضوعية والتجريب، عن المقاربة «العيادية»، و«الطريقة الداخلية» التي «لايعلم المرء بدونها على أي شيء يتكلم». وكان يعتقد، مع أنه يعي حدود التجارب المخبرية، أنه لم يكن ثمة بدّ لعلم النفس من اللجوء أيضاً إلى طريقة المقارنة واستخدام مكتسبات الفروع الأخرى المجاورة من المعرفة، كالفيزيولوجيا، والبيولوجيا، والأنتروبولوجيا، والإتنوغرافيا، والتاريخ، والألسنية. وكان يُعنى هو نفسه بعلم الأمراض، الذي كان يرى فيه ضرباًمن التجريب، «من النسق الأكثر إرهافاً، أنشأته الطبيعة نفسها في ظروف محدّدة جيداً وبأساليب ليست بمتناول الفن الإنساني». وإذ استأنف نظرية جون هوغلنغر جاكسون (1834-1911) التي تعتبر أن وظائف الجملة العصبية متراتبة، فإنه جعلها قاعدة نظرية سيكولوجية فيزيولوجية للشخصية (1885). وبيّن أن تفكك الوظائف النفسية يجري من الأكثر تعقيداً إلى الأكثر بساطة وأن الذكريات الأحدث، الأكثر تعقيداً، المجردة والخالية من الدلالة الوجدانية هي التي، في حالة الذاكرة على سبيل المثال، تمّحي على النحو الأسرع،

في حين أن الوقائع القديمة، البسيطة والمشحونة بالانفعال تظلّ وطيدة. ولم يكن ريبو طبيباً، وذلك أمر كان يرغمه على العمل على وثائق بالواسطة، ولهذا السبب، حثّ تلاميذه، بيير جانه(1947- 1859)، جورج دوما (1866-1946)، وآخرين، على أن يكملوا تكوينهم الفلسفي بدراسات طبية ليصبحوا علماء نفس. (انظر في هذا المعجم: **الدينامية العضوية**).

G.G.S.

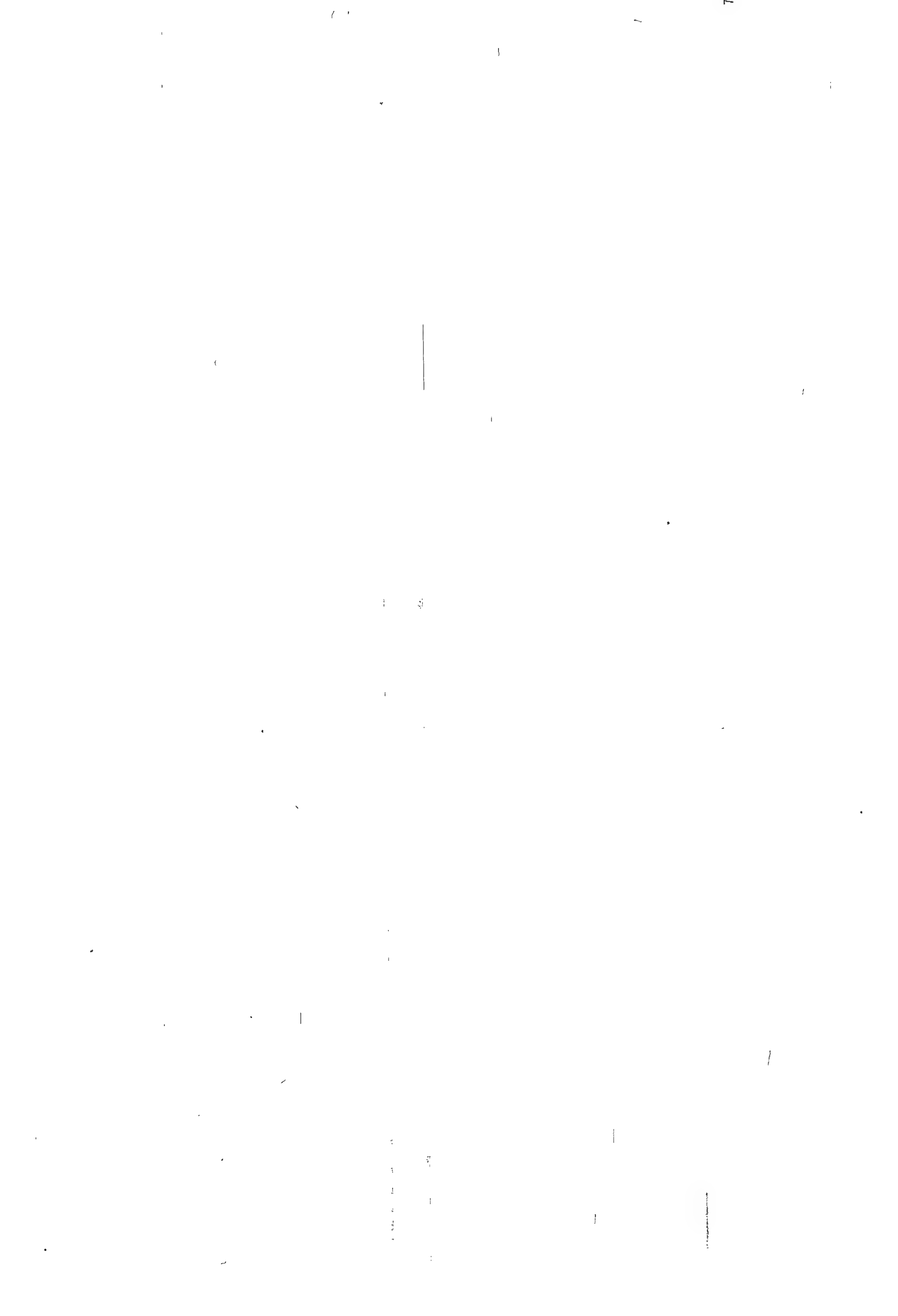
ريدل (جوزيف) Riedel (Joseph)

طبيب نفسي (فريدلانت، قرب ليبيريك، بوهيم الشمالية، 1803 - فيينة، 1870).

نذر ريدل نفسه، بتأثير جان ثيوبالد هيلد الذي كان يتابع ريدل محاضراته وعروضه المرضى في معهد المغتربين عقلياً، إو **سْفاته كاتيريني** في براغ، للطب النفسي، وسُمّي عام 1837، الطبيب الرئيس لهذه المنشأة. وظلّ فيها حتى 1851، التأريخ الذي دُعي فيه إلى إدارة المأوى الجديد للمغتربين عقلياً في فيينة. وكان ريدل قد جعل من قسمه في مشفى براغ مركزاً فاعلاً حيث كانت ضروب التقنيات العلاجية جميعها تُستخدم. وعلى هذا النحو إنما كان قد أدخل فيه العلاج بالعمل، بالمهنة، بالفن، بالموسيقى، بالراحة، بالتربية وإعادة التربية، والعلاج بالماء، والعلاج الكيميائي. وبوصفه حريصاً على تكوين توثيق دقيق يتناول الأمراض العقلية، فإنه كان يبحث عن أسبابها الجسمية المحتملة باللجوء إلى تشريح جثث المرضى. ذلك أن ريدل، شأنه شأن معلمه جان هيلد، كان عالم بدن على نحو أساسي وكان يعتبر الدماغ عضو الوظائف النفسية.

E.V.

حـــرف
الـــزاي



F: Zézaisement, Zozotemen **الزأزأة**

En: Lisping

D: Lispeln

الاشتقاق:الكلمة الفرنسية مشتقة من المحاكاة الصوتية التي تقلّد تكرار صوت الزاي.

اضطراب النطق الكامن في منح صوت «الزاي» بعض الأحرف.

الزأزأة، المسماة أيضاً «عيب بين سنّي»، متواترة لدى الأطفال الذين لايزالون غير متقنين، إتقاناً جيداً جداً، وضع لسانهم بالنسبة لصف الأسنان الأعلى. (انظر في هذا المعجم: **عسر الكلام، الكلام**).

N.S.

الزعيم

F: Meneur

En: Ring - Leader

D: Anführer

شخص يثير الآخرين ويدفعهم إلى العمل.

زعيم الجمهور ليس الرئيس، ولو أنه يتمتع في بعض الأحيان، كالرئيس، بنفوذ كبير يكفي للتأثير في تصرف الجمهور الذي يشكّل الزعيم جزءاً منه. وللرئيس نظام أساسي ويؤدّي وظيفة معترفاً بها ومقبولة، إنه تعبير عن الجمهور، الذي يسمّيه ويقلّده سلطة لينجز مشروعاً محدّداً. والزعيم، على العكس، يفرض نفسه عفوياً وليس له مسؤولية معترف بها. فالجمهور، كتجمّع من المتسكعين أثارهم حدث مروّع، يمكنه أن يوجد زعماء ويسبب الفوضى. ويروي هادله كانتريل (1941)، على سبيل المثال، أن زعيم جمهور عاث فساداً، مسؤول عن فتنة حقيقية في ليفيل (الولايات المتحدة الأمريكية)، كان أمياً في الأربعين من عمره، كحولياً ودون مهنة محدّدة. والجماعة المتبنينة، ذات الرئيس، يمكنها أيضاً أن يكون لها زعيمها أو زعماؤها الذين تأثيرهم يمكنه أن يعزّز نفوذ الرئيس أو، على العكس، يعارضه، وذلك أمر يمكنه أن يكون سبب نزاعات عديدة. (انظر في هذا المعجم: **السلطان** [السلطة]، **الرئيس**).

N.S.

زلّة لسان أو قلم

F: Lapsus

En: Lapsus

D: Lapsus

خطأ، نسيان، غفلة.

بيّن فرويد أن الأخطاء المرتكبة بفعل عدم الانتباه، ونحن نتكلم أو نكتب، لها على الغالب معنى خفياً. فإحلال كلمة محل كلمة أخرى يمكن أن يسوّغه التعب، أو الإثارة أو اضطراب في الانتباه، ولكن هذا التفسير غير كاف، ذلك أن هذه الشروط لاتشرح لنا الشكل الذي يتخذه هذا الخطأ. كيف نفهم على سبيل المثال، زلة اللسان المتواترة جداً، الكامنة في التعبير بدقة عن عكس ما نقصد قوله؟ «أعلن الجلسة **مغلقة**»، قال يوماً رئيس مجلس النواب النمساوي في بداية الاجتماع؛ «زوجي يمكنه أن يأكل ما **أريد**» (بدلاً من «مايريد»)، تروي زوجة شابة سلطوية؛ «آمل من الآن فصاعداً أن أتمتع برؤيتكم **نادراً جداً**»، قال بود، لحظة المغادرة، قريب أتى بعض أقاربه يزورونه، إلخ. ويبيّن التحليل النفسي أن زلات اللسان أو القلم نتيجة التعارض بين قصدين مختلفين أحدهما تحت شعوري أو لاشعوري. فالحالة الفيزيولوجية يمكنها، حال التراخي في رقابة الإرادة والانتباه، أن تشجّع زلات اللسان والقلم، ولكنها لاتُحدثها. (انظر في هذا المعجم: **الفعل الخائب**، **الرقابة**، **اللاشعور**).

N.S.

الزمن

F: Temps

En: Time

D: Zeit

مرحلة موسومة بتعاقب الأحداث، وتعديل الحالة، والتغيّر.

الزمن بناء فكري ينشد السيادة على العابر وفهم جانب أساسي من تجربتنا الحسّية: **التغير**. ويعرّفه ويلهلم غوتفريد لايبنز (1646 -1716) «نظام الظاهرة المتعاقبة». ولن يكون ثمة زمن لو أن العالم كان ساكناً وثابتاً ولو أن النهار لم يكن يعقب الليل، والربيع الشتاء، والسرور يعقب الحزن. وليس لدى الطفل مفهوم واضح للزمن، بل انطباعات زمنية فقط (الانتظار على سبيل المثال). وليس إلا بصورة تدريجية، تحت تأثير النضج العصبي الفيزيولوجي وبلوغ السيرورات المنطقية، كتسلسل الأحداث إنما يتكوّن نظام التعاقب الزمني؛ ويبدو الزمن أنه لايقبل الانعكاس وينتظم في ماض وحاضر ومستقبل؛ ومفهوم الديمومة يتكوّن ويصبح قابلاً للقياس.

وللزمن الإنساني جانبان: جانب موضوعي واجتماعي، قائم على الميكانيك السماوي وتشرحه الساعة ذات الرقّاص والروزنامة، وجانب ذاتي، شخصي، يختلف من فرد إلى فرد ومن لحظة إلى أخرى. وليس الزمن المعيش، الذي يتقلّب مع حالاتنا النفسية، واهتماماتنا، وأعمالنا، بعداً متجانساً: إنه يبدو تارة يتمدّد ويبطئ، وتارة ينكمش ويهرب يائساً بسرعة. فالمرض، والبطالة، والبعد، تُفرغ الزمن من جوهره، فيبدو لنا، في حالاته، أنه يستطيل إلى مالانهاية له. أما الفاعلية

الكثيفة، الشاقة، الممتعة، فإنها، على العكس، تمنحه كثافة تجعله يبدو لنا قصيراً جداً (أقلّه في اللحظة الحالية، ذلك أن المراحل الغنية بالانطباعات القوية هي التي تبدو لنا، من الناحية الماضوية، الأكثر طولاً). وإذا كان الزمن يجري في الشيخوخة أسرع من جريانه في الطفولة والمراهقة، فالسبب أن الشيخوخة تختلف عن هذين العصرين من الحياة اختلافاً عميقاً: إن الطفولة والمراهقة هما زمن المكتسبات، والانطباعات الجديدة دائماً، وضروب النضال ليؤمّن الفرد لنفسه وضعاً، واكتشاف الحب، إلخ. أما الشيخوخة، فإنها، على العكس، تقابل مرحلة حيث كل شيء (أو كل شيء على وجه التقريب) قد حدث من قبل، وحيث لم يعد ثمة شيء يثير الدهشة أو العجب، وحيث الزمن فارغ لأنه يجري في عالم فاعلياته مقلّصة، رتيبة، خالية من الاهتمام الكبير.

ولايختلف إدراك الزمن والقيمة التي نمنحه إياها مع الأعمار فحسب، ولكنه يختلف أيضاً مع الثقافات. فإذا كان الزمن يبدو في مجتمعنا سلعة ثمينة ينبغي للفرد أن يتجنّب تبديدها، فإنه غير ذي أهمية في مجتمعات أخرى. فالفرد الراشد على سبيل المثال في بالي يعيش اللحظة الحاضرة؛ إن بوسعه، بوصفه لاينتظر شيئاً، أن يتحمّل الإزعاج في أعماله تحملاً مطلقاً. فالحياة ليست، بالنسبةله، سوى حاضر لانهاية له، لايفضي إلى شيء.

ولتقديرنا للزمن أسس بيولوجية بالتأكيد أيضاً، لانكفّ نلمحها، ذلك أن التجارب التي حدثت مع بعض المخدّرات، كالمسكالين، والأفيون، وحمض الليزرجيك (L.S.D.25) بيّنت أن الأزمنة تستطيل أو تقصر وفق المنتجات المستخدمة من المخدرات. ويكشف علم الأمراض العقلية، من جهة أخرى، أن الزمن المعيش يمكنه أن يفقد تنظيمه في الخلط العقلي (عقب تسمّم على سبيل المثال) أو يتخثر في حاضر مصنوع من انشغال البال المنتشر لدى الفصاميين (الذين يتميّزون بانقطاع الاتصال بالمحيط، ويظن بعض المؤلفين أن لديهم اضطراباً كيميائياً حيوياً). ويركد السوداويون، من جهتهم، في حاضر يغذّيه ماض مرهق، ولايلمحون

مستقبلاً غير مستقبل الموت. أما المهووسون، فإنهم يعيشون في زمن مسرع حيث يكمن مستقبلهم «فيه»؛ ولهذا السبب، تتعاقب مشروعاتهم الكثيرة حتى من قبل أن تتكوّن، وليست سيول كلامهم، وفاعليتهم المستمرة، وإعصار أفكارهم، سوى التعبير عن التسارع المفرط في زمنهم المعيش.

وإدراك جريان زمني ليس خاصاً بالإنسان على نحونوعي. فالحيوان قادر أيضاً على إدراك مدة زمنية، حتى أن إي. ب. بافلوف (1849-1936) سمّى «الإشراط بالزمن شكلاً من الارتكاس الملاحظ (منعكس لعابي دوري) لدى الكلاب التي يُقدَّم لها الطعام وفق الدورية نفسها، كل ثلاثين دقيقة على سبيل المثال. وأوجد أي. س. بوريتوف (1932) أيضاً منعكساً مشروطاً بالزمن وهو يستخدم صدمات كهربائية تُطبَّق كل خمس دقائق على واحدة من قائمتي كلب أمامية. ويبدو الحيوان ناعساً، في الفاصل الزمني بين صدمتين، ولكنه يبدو أنه، قبل نحو من دقيقة من التنبيه الكهربائي القادم، يستيقظ، يهزّ رأسه ويرفع قائمته ليتجنّب الصدمة المتوقّعة.

ونرى إذن أن مفهوم الزمن يندرج في سيرورة عامة، سيرورة التكيف مع العالم الذي يحيط بنا. فإدراك مدة زمنية، وإيقاع عمل، وإيقاع في الظاهرات التي تتعاقب وتحدث، يجعلنا قادرين على أن نستبق أطوار التغيّر وأن نجعل سلوكاتنا متوافقة معها. (انظر في هذا المعجم: **البيولوجيا الزمنية**، **الساعة الداخلية**، **الإيقاع**).

N.S.

يبدو الزمن، وفق المستوى الذي نضع أنفسنا فيه، أنه عامل فيزيائي ينحلّ، عندما ندفع التحليل على غرار ألبير إنشتاين (إولم، ألمانية، 1879 - برانسوتون، الولايات المتحدة الأمريكية، 1955)، في بعد رابع للمكان؛ أنه المشكل الأساسي للفلسفة (هنري برغسون)؛ أنه الشكل **القبلي** لحساسيتنا (إيمانويل كانت)؛ أنه إطار

الجريان البيولوجي من الولادة إلى الموت- المحتوى دائماً في زمن أوسع-، أو يبدو أيضاً أنه خاصة معيشنا وكمال «شيفرتنا» الداخلية (كارل ياسبرز). ونقول باختصار إننا نبلغه دائماً في كل مكان ولا ندركه أبداً. وإذ حاول من قبل أفلوطين (205-270 بعد الميلاد)، في **التُساعية** (7,III)، أن يبلغ الزمن انطلاقاً من أبدية حركة الأفلاك، والفاصل الزمني والآن، فإنه انتهى إلى القول إننا لايمكننا أن نفهم الزمن خارج النفس: «إنه لايرافق النفس، وليس لاحقاً بها؛ ولكنه يظهر فيها، إنه فيها». فليست النفس موجودة إذن في الزمن المدرك أنه عامل خارجي من عوامل العالم الموضوعي، بل الزمن هو الموجود في النفس. وليس بوسعنا، لهذا السبب، أن ندركه خارج حياة النفس، أو خارج ذاتيتنا إذا تكلمنا بلغة أكثر حداثة. فما سيكون تعريف المتعالي عند أيمانويل كانت («علم الجمال المتعالي»، في **نقد العقل المحض**، 1871) إنما هو مطروح هنا الآن. فالزمن يشمل بحث الفرد، أياً كان مستوى هذا البحث. وإذا كان الفرد «يتصور» الزمن بعداً رابعاً للمكان، فذلك أقصى تجريده. إنه لايعيشه أبداً بصفته كذلك. أضف إلى ذلك أن أفلوطين يلحّ على واقع مفاده أن طبيعة الزمن تبدو كأنها «استطالة تقدّمية لحياة النفس». وهذا التقدم يكمن في التغيرات. وهنا يلحق المطمح الفلسفي بالمعيش، ذلك أن الإنسان يعيش الزمن أنه تغيره الداخلي الخاص، تبعاً لما يمسّه ولجريان الزمن، جريان نفسه. فالنزاع الذي يمكنه أن يعيشه لايفلت من هذا القسر الذي لايرحم. والإنسان، الذي يحيّره اختياره، يحتاز الشعور بأن عدم الاختيار إنما هو اختيار أيضاً، وانصياع إلى القضاء والقدر غالباً. فالإنسان يترجّح بين حصر الحرية (أن يصنع شيئاً من الزمن) وحصر القضاء والقدر (ترك الفعل للزمن). وتندرج كل لحظة حاسمة، في رأي غاستون باشْلار (1884-1962) في حدس خاطف للتغير الذي يسبّب الدوار في بعض الأحيان، فكل فسحة زمنية فارغة تواجه حصر الانتظار والزمن الذي ينبغي «قتله». والإنسان، على كل المستويات، من التسلية إلى الانفعال، يواجه دراما داخلية يحاول أن يعيشها أو يضطلع بها. فالأسف يستنفد قواه، والأمل فضيلة شاقة، والحاضر الذي يتقلّص إلى نقطة يفلت منه. ويكوّن

الماضي والحاضر والمستقبل تاريخه الداخلي، القدر والحرية معاً. ويبحث سورين كيير كيغار (1813-1855)، في «التكرار»، عن التوازن بين الحنين والأمل. ولكن التكرار متعذّر: «إن المياه التي تنسكب على أولئك الذين ينزلون في الأنهر، التي تظلّ هي ذاتها، مختلفة دائماً»، كان هيراقليطس (576-480 ق. م) يقول. وفي التكرار يرى سيغموند فرويد، مصيباً، آلية العصابيين. إنه هو الأمر عينه: زمن مغترب، اضطراب الزمن في انعدام الجاهزية للأشياء الجديدة. فالطفولة المتكررة تقينا استيهامياً من النضج، ولكنها لاتقينا من الشيخوخة ولا من الموت. وليس زمن التكرار سوى إلغاء الزمن المعيش والحياة الواقعية، التي هي «الانبعاث المستمر للجدّة غير المتوقّعة» (برغسون). ولايتواجه هنا فحسب زمن العصاب مع تكراراته العتيقة، وزمن الشفاء، التيقّظ لغير المتوقع، ولكن تتواجه أيضاً عدة مجموعات من الموضوعات الأسطورية للزمن الذي يمكننا أن نعارضه والذي لاينفذ إلى زمن الشعور فحسب، ولكنه ينفذ أيضاً إلى زمن التاريخ الذي يختلف إدراكه ومقاربته. ويجعل فرويد من عقدة أوديب نواة الأعصبة. وهي أيضاً مركزية في مجموعة الموضوعات الإغريقية بشبكتها من ضروب القضاء والقدر التي لامفرّ منها ومرجعها، الأكثر قدماً والعكوس، أورانوس (الذي ضاجع أمه) وكرونوس، ابنه، الذي قطع له خصيتيه. إنها أسطورة الأجيال البائدة، أسطورة انعدام النمو في الزمن والتاريخ. وليس ثمة ما يثير الدهشة أن يكون الزمن لدى الإغريق دائرياً أو مخلوعاً. وكانت الهند ترى فيه وهماً. وتعلّقه المسيحية بالنعمة وتفصله إلى زمنين على نحو ذي دلالة. فأين الزمن الذي يسكنه الإنسان، وأين تاريخ مسؤولية إنسانية؟ ربما تكون في كتاب الكتب، مدوّنة تدويناً لغزياً في هذا الكتاب الأول من سفر التكوين الذي يؤسّس الثنائي الإنساني على صورة الله الذي خلقه. وربما يكون موجوداً في هذا الكتاب نفسه، في ولادة التاريخ الذي تكوّنه أجيال البطاركة [بالمعنى الاجتماعي والديني]، في قدوم الله نفسه الذي تجلّى لموسى وحده باسمه الذي لايوصف، الله الذي لم يظهر في النص منذظهور العالم المادي، بل مرتبط بتقديس اليوم السابع- ظهور الزمن- وظهور الإنسان. وربما يكون فقط في تعبير

ابراهيم Hinneni («ها أنا ذا») الذي يتأسّس بموجبه زمن دالّ، تسكنه مسؤولية، زمن يبني مشروعاً، سواء أكان مشروع الله أم مشروع الإنسان. فالزمن العصابي هو، في تكراره، استقالة الزمن ونفيه؛ وزمن المسؤولية وحده قد يبني، في نهاية المطاف، تاريخاً إنسانياً. ذلك أن الزمن في الحياة، ماذا سيكون إن لم يكن التآكل المهيب لعوالم المعادن، وانطفاء العوالم الملتهبة؟ وماذا سيكون الزمن دون الإنسان إلا التزاحم العديم الشكل، تزاحم الموت والحياة؟ فالحوار الذي يؤسّس الثنائي الإنساني الأول في الواقع... إذ تبدو حواء في النص بصفتها إمكان المواجهة وجهاً لوجه - يسوّغ وحده البحث عن الترنيمة الدينية وكلامها اللغزي: «الحب قويّ كما الموت». وهذا ينطوي، في مستوى الشعور الفردي ومستوى التاريخ معاً، على انتصار مبدأ الانبعاث على غواية السقوط التي تؤسس، في رأي فرويد، غرائز الموت أو، على نحو أبسط، «شجاعة الوجود» كما يقول غ. ديلبيير.

E.A.

زمن الاستجابة

F: Temps de réaction

En: Reaction time, Response time

D: Reaktionzeit

زمن الكمون بين تنبيه العضوية واستجابتها الإرادية.

حيوية استجابات موجود حيّ لتغيّرات البيئة، أوبطؤها، منوطة معاً بهذه التغيرات وبالفرد المعنيّ. ونحن لانستحيب لكل التنبيهات التي تحاصرنا. بل نستجيب فقط لتلك التي لها، بالنسبة لنا، معنى وقيمة (إيجابية أو سلبية). فالاستجابة «قرار» إذن، فعل إرادي.

وكوّن زمن الكمون موضوع أعمال تجريبية عديدة جداً، بدءاً من أعمال هيمرنا هيلمهولتز، عام 1850، وأعمال عامل الفيزيولوجيا النمساوي سيغموند إكسنر (1840-1926) الذي استعمل، أول من استعمل، مصطلح Reaktiozeit (زمن الاستجابة)، وأعمال و. وندت ثم إ. كريبلان، كارل غوستاف يونغ، هنري بييرون، إ. كلاباريد، إلخ. ونحن نعلم من الآن فصاعداً أن زمن القرار يختلف وفق **شدة** المنبه (يثير منبه ذو شدة ضعيفة أو قوية جداً توتراً عصبياً يؤثّر في زمن الكمون). وزمن الكمون تابع أيضاً لـ **الجملة الحسّية** المستخدمة (تستجيب العضوية لصدمة كهربائية في اليد استجابة أسرع من استجابتها لصوت؛ لمنبه سمعي أسرع من استجابتها لمنبه مرئي)؛ وتابع لـ **جنس** الأفراد (الرجال أسرع استجابة من النساء؛ لـ **العمر** (أزمنة الاستجابة هي الأقصر بين عشرين وثلاثين من العمر)؛

و**الحالة الفيزيولوجية** (للكحول مفعول إبطاء)؛ للخصائص **السيكولوجية** (الانفعالية، القلق)، ولاهتمام الأفراد بالاختبار، وتدريبهم، وفترة اليوم، إلخ).

وتؤدّي دراسة أزمنة الاستجابة دوراً كبيراً في الاصطفاء المهني، عندما يكون المقصود أن يشغل الأفراد وظائف تستدعي اليقظة وسرعة الاستجابات (ملاحة الطائرات، قيادة الحافلات، على سبيل المثال). واستُخدمت دراسة أزمنة الاستجابة أيضاً في بحوث الإثمية، بروائز ترابط الكلمات. ويرى ب. م. سيموندز (1931) أن أزمنة الاستجابة، القصيرة جداً أو الطويلة جداً (أكثر من 2.6 ثانية) ربما تكون ذات دلالة، ولكن صدق هذا المؤشر ليس كبيراً جداً لدى الأفراد المثقفين. (انظر في هذا المعجم: **الاستجابة، المنبه**).

N.S.

الزَمَنَة **F: Chronaxie**

En: Chronaxie, Chronaxia, Chronaxy

D: Chronaxie

الزمن الدقيق الضروري للحصول على استجابة عصب، أو عضلة، أو مركز عصبي خاضع لتيار كهربائي شدته تساوي ضعفي التيار القاعدي.

كان لويس لابيك (1866-1952) قد اكتشف الزمنة عام 1909. إنها مدد زمنية قصيرة جداً، تختلف من بعض العشرات بالألف من الثانية إلى ثانية، ولكنها تميّز حالة الألياف والأنسجة. وتوجد أنسجة سريعة (ذات زمنة منخفضة) وأنسجة بطيئة (ذات زمنة مرتفعة)، وتكون الألياف العصبية أكثر قابلية للإثارة بمقدار ماتكون سرعات التوصيل فيها أكبر وأقطارها أوسع. (انظر في هذا المعجم: **التيار القاعدي**).

N.S.

الزِنْ

F: Zen

En: Zen

D: Zen

اختصار الكلمة اليابانية Zenna (تأمل).

مذهب فلسفي وأخلاقي تمتدحه طائفة تأملية بوذية، مزدهرة في اليابان، يبلغ عددها فيه عدة ملايين من المؤمنين، وعرفت بعضاً من النجاح في الولايات المتحدة الأمريكية وحتى في أوروبة الغربية.

الزن مشتقة من الفلسفة الصينية ch'an أو Tsh'an (شان أوتشان) تكيّفت مع تقنيات هندية في التأمل (dhyäna في السنسكريتي، Tchana في الصيني) استوردها من الصين في القرن السادس راهب بوذي هندي بوديدارما. إن التشان، الذي أدخله إلى اليابان عام 1192 رجل الدين الياباني إيزه (1141-1215)، أصبح **الزن**، بعد أن امتزج بالشنتو shinto، الديانة الأصلية لهذا البلد؛ والزن إحدى الطوائف البوذية الأكثر تقشّفاً. والزن فلسفة أكثر مما هي ديانة، نمط من الحياة يضمّ تعاليم أخلاقية. إنها لاتنشد أية معرفة ولكنها تنشد «الإخلاص»، والعفوية، وحقيقة الكون المطلقة، ونفس الموجودات، ذاتها، والأشياء، و«الإشراق» الذي سيكون ممكناً بلوغه بالتركيز والبحث التأملي. فالمعرفة الموجودة في الكتب، و«الكتابات»، والاستدلال الفلسفي، لايمكنها أن تكون ذات فائدة في هذا البحث. وتُكتسب العظمة الأخلاقية بالصبر، والتقشف، والطهارة، والسيادة على الذات، بانضباط قاس وحياة بسيطة متعفّفة. وينبغي للمرء أن يعكف على أن

يحسن صنع مايصنعه، حتى المهمات الأكثر عامية؛ وأن يتدرّب على التأمل في صمت مطلق خلال ساعات، بل أيام، جالساً على تاتامي (حصيرة من قش الأرز)؛ وأن يستغرق في التأمل والسكينة؛ وأن ينشد وجداناً رفيعاً صاحياً، متحرراً من الأهواء ومن كل رغبة، السبب الحقيقي للألم؛ وأن يحاول، أخيراً، أن يقترب من **أناه** الواقعية ويجد السبيل التي تفضي إلى إنجاز الذات. ويحدث هذا التدريب الروحي، المسمّى **زا - زن**، في معبد بوذي زن على وجه العموم، بإشراف راهب يطلب إليه الممارس أن يمنحه ضربة عصا على كتفه عندما يحسّ به أنه على وشك أن يغفو. ويأمل الزيني، بالتركيز الكامل على الفكر، أن يبلغ «الإشراق» الذي ينبعث من اللاشعور وسيجعله يتحد كلياً بالحياة الكلية. وحتى يجعل فضائل التأمل تستطيل، سيطبّق قواعد البساطة والسيادة على الذات، القواعدنفسها، على كل فعل من أفعال الحياة. فالرمي بالقوس، وترتيب باقة زهر، وتحضير الشاي (techa - do)، وصناعة الشعر والتمثيل المسرحي، تكوّن كلها «دروباً» يمكنها أن تساعد المستجدّ على أن يحقّق ذاته. وتنشد الزن، شأنها شأن تعليم سقراط، تفتّح الشخص بالمعرفة. إن تعليم زن: «أنظر في نفسك، فأنت بوذا» يحاكي عبارة سقراط: «اعرف نفسك بنفسك». (انظر في هذا المعجم: **العطف**، **التأمل**، **موريتا [شوما]**).

N.S.

الزواج

F: Mariage
En: Marriage, Matrimonie
D: Heirat

اتحاد رسمي بين رجل وامرأة، بغية تأسيس أسرة.

غالبية المجتمعات الإنسانية تعرف الزواج. إنه يكوّن، بالنسبة للرجل والمرأة، فعلاً من الأفعال الأكثر أهمية في الحياة، ذلك أنه يرتبط مستقبلهما بالتزام ربطاً بعمق. ولاحتفالات الزواج هدف مفاده أن يظهر علناً انفصال المتزوجين عن أسرهم البدئية وإرادتهم في تكوين أسرة جديدة. والزواج، في المجتمعات البدائية وفي عدد من بلدان العالم الثالث، تنظّمه الجماعة بل تصمّمه، دون اعتبار النسق الوجداني. والزواج في الغرب، أيامنا هذه، هو التعبير، دائماً على وجه التقريب، عن إرادة الزوجين المشتركة، زوجين قرّرا أن يعيشا معاً عيشاً نهائياً. وذلك يستتبع مقتضيات أساسية أكثرها أهمية هما المقتضيان التاليان: الانسجام الجنسي والتفاهم الفكري. ولكن هذين المقتضيين، اللذين يبدوان طبيعيين، هما في عداد المقتضيات الأكثر صعوبة أن تتحقّق تحققاً كلياً، ذلك أنها توجب تكامل الزوجين، والتوافق الدائم بين شخصيتيهما، وضرباً من الوحدة في وجهات النظر، والرغبات المشتركة، وكل ذلك على الرغم من الفوارق الفردية الحتمية. ويفهم المرء، في هذه الشروط، أن الزواج لايمكنه أن ينعقد دون محاذير متعدّدة. وبين أ. جيرار (1964) أن هذا الالتزام كان خاضعاً، في مجتمعنا، لعدة ضروب من القسر. فالضرب الأول من النسق الاجتماعي الاقتصادي والثقافي مادامت ثلاثة أرباع الزيجات تحدث بين أشخاص من الوسط الاجتماعي نفسه؛ والضرب الثاني من القسر مهني: فالرجل والمرأة كانا يعملان قبل الزواج، بالنسبة لثلثي الحالات، في شعبة

واحدة. والثالث جغرافي: 57 بالمئة من أزواج المستقبل يسكنون البلدة نفسها، ويسكنون على وجه العموم تفصلهما مسافة تتيح وسائل المواصلات لقاءات يومية؛ أضف إلى ذلك أن غالبية الزيجات معقودة بين أشخاص يتحدّرون من منطقة واحدة. وتستجيب هذه الضروب من القسر لضرورات واقعية: فلكي يتعارف زوجا المستقبل تعارفاً جيداً، عليهما أن يلتقيا، وذلك أمر غير ممكن إلا إذا كانت المسافات الجغرافية قصيرة والمواصلات سهلة. وسيصادف الأزواج الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية ثقافية مختلفة جداً كثيراً من الصعوبات في الاندماج في وسط الزوج أو الزوجة. وستكون، من جهة ثانية، عمليات التبادل أكثر اتصافاً بأنها مرْضية بمقدار مايكون الزوجان قد تلقّيا التربية نفسها والثقافة ذاتها.

ويخشى الأزواج الشباب في أيامنا هذه أن يفرض عليهم الزواج قواعد مغالية في الصلابة. وربما يكون ذلك هوالسبب في أن نسبة عقود الزواج (عدد الزيجات سنوياً في كل ألف من السكان)، التي استمرت خمسين سنة نحو 14 أو15، تتناقص تناقصاً محسوساً في بلدان عديدة. ففي السويد، حيث تبلغ 7,8 عام 1966 ، لم تكن هذه النسبة عام 1972 سوى 4,7. ونصف ضروب الثنائي في هذا البلد، الأقل من خمسة وعشرين عاماً، ليسوا متزوجين. ويكشف استقصاء أنجزه المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية في فرنسة وتناول 2500 شخصاً تقع أعمارهم بين ثمانية عشر عاماً إلى تسعة وعشرين، تزوجوا خلال السنتين 1976-1977، أن 40 بالمئة منهم كانوا يعيشون حياة الأزواج قبل الزواج على نحو مستقر. وهذه النسبة هي أيضاً أكثر ارتفاعاً، إذا أخذنا بالحسبان أن ضروباً عديدة من الثنائي لاتقدم على الزواج. ونسبة الولادات غير الشرعية، التي تعكس نفوراً من الزواج، تتصاعد تصاعداً بارزاً. إنها انتقلت من 7 بالمئة عام 1971 إلى 11 بالمئة عام1981 في فرنسة. وكانت هذه النسبة قد ارتفعت في السويد إلى 25,1 بالمئة عام1972. وتعلن الأمهات العازبات في هذا البلد الأخير، من الآن فصاعداً، ولادة أطفالهن عن طريق الصحافة. (انظر في هذا المعجم: **الإرشاد الزوجي، الطلاق، الأسرة**).

M.C.

زونْدي (ليوبولد) Szondi (Leopold)

طبيب نفسي سويسري من أصل هنغاري (مولود في نيترا، هنغارية، 11 آذار [مارس] 1893).

يصبح زوندي بعد دراسته الطب في جامعة بودابست، مساعداً في قسم الطب النفسي العصبي لبول رانشبورغ (1919). ويدير زوندي، بوصفه استاذاً في مدرسة الدراسات العليا الطبية البيداغوجية ببودابست، مخبر علم النفس المرضي والعلاج النفسي (1927). وعُزل من منصبه بمقتضى القانون العرفي الصادر عام1941. ونقل إلى معسكر الاعتقال لبرجن- بلسن عام 1944. ويقيم في زوريخ بعد تحريره. وعرف بسرعة رائزه، الذي أعدّه حين كان لايزال في هنغارية، ونظريته في تحليل القدر، التي لاتنفصل عن الرائز، انتشاراً كبيراً، وتأسّست، لتنظيم وتوجيه البحوث في هذا المجال، الرابطة بهدف الدراسة التجريبية للدوافع وتحليل القدر (1956) والرابطة العالمية للبحث في سيكولوجيا القدر (1958)، والجمعية السويسرية لعلاج الأمراض الناشئة عن ضغط حاجات الواقع الحيوية (أنانكه)(*) (1962). وكُلّف زوندي بمحاضرة لتحليل القدر في جامعة زوريخ (1962). وافتتح عام 1969 في هذه المدينة معهد زوندي (منشأة) تمنح دبلوم تشخيص الدوافع بعد دراسة مدتها ثلاث سنوات ودبلوم التقنية العلاجية الأنانكية

(*) - ananké : ميّز فرويد بين الصورة الداخلية التي تفرضها غريزة الحياة أو الجنس (إيروس) وغريزة الموت أو التدمير (ثاناتوس)، وبين الضرورة الخارجية (أنانكه)، ووصف الضرورة الخارجية أنها ضغط حاجات الواقع الحيوية «م».

بعد دراسة خمس سنوات. ونال زوندي الدكتوراه الفخرية من جامعة لوفان (1970). ونذكر من مؤلفاته: تحليل الزيجات. محاولة في نظرية الاختيار في الزواج (**مجلة علم النفس**، 3(1)، دين هاغ، مارتينوس نيجْهوف، 1937)؛ **التشخيص التجريبي للدوافع** (الترجمة الفرنسية، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1952)؛ **الحرية والقسر في قدر الأفراد** (ترجمه إلى الفرنسية فون ريث، ديكله بوروير، 1975، المجلد الأول)؛ **المدخل إلى تحليل القدر** (1971، لوفان، نوويلارتس). انظر في هذا المعجم: **القدر** [**تحليل القدر**]، **الأنا**، **الرسم البياني الدافعي**).

F.M.

زيغان صبغي

F: Aberration chromosomique

En: Chromosomic aberration

D: Chromosomen aberration

شذوذ ينصبّ على عدد الصبغيات أو على بنيتها.

تاريخ علم المرض الصبغي يبدأ عام 1959 باكتشاف لوجون، غوتيه، وتوربان، الثلاثي الصبغي 21 في المنغولية. واتّضح بعدهم، وفي أقل من عام، تكويناً xxy (تناذر كلينوفيلتر) وxo (تناذر تورنر). وكانت قد حدثت منذئذ جدولة تناذرات أخرى وعدد كبير من التكوينات الصبغية.

هذه الحركة المفاجئة من البحث الوراثي ناجم عن حدثين، أحدهما تقني، والآخر علمي. ولم يكن ممكناً في الواقع، خلال زمن طويل، أن يُحصى عدد الصبغيات إحصاء دقيقاً مادامت متشابكة بصورة طبيعية، ولكن العلماء توصلوا إلى أن يزيلوا هذا المانع عام 1952 بفضل علاج لنقص التوتر العضلي. وانطلاقاً من هذه الطريقة ومن زرع النسج، ساهم جـ. هـ. تيجو. آ. لوفان (1956)، بإعلام أساسي: لدى الموجود البشري السويّ 46 صبغية، منها 44 صبغية عادية، واثنتان (2) من الصبغيات الجنسية (xx عند المرأة و xy عندالرجل).

وحقل علم المرض الصبغي واسع بمقدار مايمكن أن تنصبّ هذه الشذوذات على عدد الصبغيات العادية (كما في الثلاثي الصبغي 21) أو الصبغيات الجنسية (في تناذري كلينوفيلتز وتورنر على سبيل المثال)، أو يمكنها أيضاً أن تصيب مورفولوجيا

صبغي واحد أو عدة صبغيات (بانفصال جزء منه على سبيل المثال)، كما في مرض «مواء الهرّ»، الذي وصفه عام 1963 لوجون ومعاونوه. وهذه الشذوذات ناشئة على وجه العموم من حوادث طارئة خلال الانقسام الخلوي. ومعرفتها توضّح لنا عدد التشوّهات الخلقية (كالخنوثة على سبيل المثال) والتخلّفات العقلية. ويعتبر بعض المؤلفين أيضاً، كنيلسن، أن ثمة على وجه الاحتمال علاقة بين بعض التكوينات الصبغية وأشكال الجنوح لدى الأحداث (انظر في هذا المعجم: **صبغي، نقص جزء صبغي، جنوح الأحداث، منغولية، صبغي ثلاثي**).

M.S.

حـــرف
الســين



السادية

F: Sadisme

En: Sadism

D: Sadismus

الاشتقاق: من اسم الكاتب الفرنسي دونايتان ألفونس فرانسوا، ماكريز دوساد [باريس، 1740 - شارنتون، سان موريس، 1814] الذي تحتوي رواياته، المكتوبة خلال سنين طويلة من السجن، مشاهد عديدة من القسوة الجنسية.

السادية انحراف جنسي متميّز بأن الألم الذي يفرضه امرؤ على الغير يثير غلْمته.

لايشعر السادي باللذة الجنسية ولايبلغ هزة الجماع إلا إذا جعل شريكه يتألم. فأفعال القسوة يمكنها، في الحالات الأكثر خطورة، النادرة لحسن الحظ، أن تمضي حتى القتل.

وتقتصر «السادية الصغيرة» على ضربات السوط، والعضّات، أو حتى ضروب الإذلال المعنوية. ويعتقد بعض المؤلفين أن هذا الانحراف الجنسي جبلّي. وهو مرتبط، في رأي التحليل النفسي، بالتجارب الأولى في الصارّات (تعلّم النظافة)، بعصيان السلطان والعدوانية المفروضة على الغير. (انظر في هذا المعجم: **الديداسكالوجينيا [اضطرابات مرضية منشأها المربي]، المرحلة السادية الشرجية**).

M.S.

السادية – المازوخية

F: Sado - masochisme

En: Sado - masochism

D: Sadomasochismus

تداخل الدوافع العدوانية الموجهة ضد الغير (سادية) أو ضد الذات (مازوخية)، دوافع توجد معاً لدى الشخص نفسه في رأي التحليل النفسي.

التنظيم الجنسي السادي المازوخي يتكوّن منذ المرحلة الشرجية. ففي العصر الذي يكتسب الطفل فيه الرقابة على صارّاته إنما يتكوّن في الحقيقة بعض الاتجاهات وبعض سمات الطبع. مثال ذلك أن الطفل الصغير يمكنه أن يمسك غائطه بغية الاحتجاج على المتقضيات المبكّرة التي يفرضها محيطه عليه وعلى الضغوط القاسية التي يعانيها، وذلك تصرف عاقبته إقلاق الأبوين. وعندما يكتشف سلطته على الأبوين، يستمدّ الطفل من هذا الاكتشاف متعة تعوّضه تعويضاً كبيراً عن مضايقات الوضع. والسادية المازوخية موجودة في الحياة الجنسية السوية، على صورة سيادة وخضوع، فاعلية وسلبية، كما في السادية والمازوخية حيث الفرد يضع نفسه على نحو متخيّل، مكان الآخر. وثمة، إلى جانب السادية المازوخية الغلمية، سادية مازوخية معنوية، مختلفة عن الانحراف الجنسي، تظهر على وجه الخصوص في الإخفاقات والآلام النفسية التي يفرضها بعض الأشخاص، الذين تغذّيهم عاطفة إثمية، على أنفسهم. (انظر في هذا المعجم: **عاطفة الإثمية، المازوخية، السادية**).

M.S.

سارتر (جان ـ بول) Sartre (Jean - Paul)

فيلسوف وكاتب فرنسي (باريس، **1905 ـ** باريس **1980**).

تتوطّد مبادئ الفلسفة الوجودية، التي يمكننا أن نصفها أنها الوجودية الكافرة، في كتاب **الوجود والعدم**.

أسهم سارتر إسهامات عديدة بوجهة النظر الفيزيولوجية في مجال علم النفس بمؤلفاته التي تناولت الوعي، والحب، والعلاقة بالغير، والمتخيّل، وفي مجال علم النفس الاجتماعي بمؤلفه **نقد العقل الديالكتيكي** (1960). مثال ذلك أنه، في هذا المؤلف الأخير، يصف الانتقال من الجمهور الخامل عملياً إلى الجماعة التي تتقد نشاطاً، تحت تأثير الوضع المعيش والخطر الجماعي، خطر القمع، وإلى الجماعة المنصهرة، وأخيراً إلى الجماعة المنظّمة، مع إمكان العودة إلى العطالة في ظلّ التنظيم الذي تُضفى عليه المؤسساتية. ويصف جان بول سارتر في كتابه **رسم أولي لنظرية عامة في الانفعالات**، بعد أن بيّن ضروب القصور في النظريات الكلاسيكية، تغيّر الكون، الذي هو الوعي المنفعل أو الوعي الأسير. فدلالات الكون العادي الأداتية والفكرية تنقلب لتترك مكاناً لكون تُعاش فيه العلاقات بين المدرك والأنا، والزمن، والمادية، والإمكانات، على النمط السحري. ويصف سارتر في **المتخيل**، حيث يحلّل الصورة المستعادة، فقر الصورة التخطيطية (خلاصة معرفة) وشحنتها الوجدانية غير التمثيلية.

وسارتر فيلسوف ملتزم بعمق، وماكفّ عن «توجيه الأسئلة» إلى العالم باسم حرية الإنسان.

R.M.

ساشر ـ مازوخ (ليوبولد فون) Sacher - Masoch (Leopold Von)

كاتب نمساوي (لامبرغ، غاليسي الشرقية، اسمها الآن لُفوف في الاتحاد السوفييتي، 1836 ـ لاندهايم، هيس، 1859).

من المعلوم أن ساشر – مازوخ كان يحب أن تقيّده، وتضربه، وتذلّه امرأة ترتدي الفراء وتتسلّح بسوط، وذلك شكل نموذجي من أشكال المازوخية. وينبغي لنا أن نضيف أنه إذا كان «مازوخياً» على وجه الضبط، فإنه لم يكن إلا كذلك، ونجد لديه سمات الفيتيشية، والاستعراء، والتلصّص. وكان مصاباً باضطرابات عصابية أيضاً، ترافقها أزمات رهابية. والملاحظة السريرية الكاملة لحالته قليلة الأهمية مع ذلك. والمهم أن نعرفه إنما هو بالحري تماماً مكان المازوخية في حياته وتأليفه.

وأحد الاستيهامات الرئيسة في انحرافه الجنسي هو استيهام العقْد الذي يلتزم به الفرد أن يخضع خضوعاً كاملاً إلى الإرادة الطيبة لعشيقة قاسية. وبوسع المرء أن يتساءل، كما كان ذلك قد لوحظ غالباً، مَنْ من الموقعين على العقد يسود الآخر. وإذا كان الرجل المازوخي يبدو، للوهلة الأولى، أنه هو الخاضع، فإن من البيّن مع ذلك أنه هو الذي يتخذ مبادرة العقد بل سيُرغم شريكته المتردّدة على توقيعه، ولو على مضض. ويشرح ف. سميرنوف (1968)، مذكّراً كم كانت واندا تلحّ لتؤكد أنها لم تكن تؤدّي الدور الذي كان يقتضيه منها زوجها إلا «مرغمة بفعل الضرورة»، معنى هذا الاستيهام: المازوخي" لا يمكنه أن يستمتع بعدوان سادي"؛ إنه يريد تماماً أن يكون الضحية، ولكن شريطة إدارة اللعبة؛ وبإرغام شريكته أن تسلك سلوكاً سادياً، في حين أنها ليست سادية، إنما يستمتع في أن يسودها.

ونعرف عقدين لساشر - مازوخ، نصّاهما مترجمان في كتاب كرافت -إيبانغ، **علم النفس المرضي للجنسية** (1886). العقد الأول مع السيدة فاني، 8 كانون الأول ديسمبر 1869. ويلتزم فيه أن «يكون عبد السيدة بيستور وينفّذ تنفيذاً مطلقاً كل رغباتها وأوامرها وذلك خلال ستة أشهر». وعندكل مخالفة أو إهمال، «بوسع السيدة أن تعاقب عبدها كما يحلو لها». وتلتزم فاني دو بيستور، بالمقابل، أن «تلبس الفراء، مايمكنها أن ترتديه، وبخاصة عندما ستكون قاسية». والعقد الثاني محرّر على شكل رسالة وجّهتها إلى ساشر- مازوخ زوجته الأولى أورورا رومولان. «يا عبدي، كتبت تقول، إن الشروط التي أقبلك بها عبداً وأعذّبك إلى جانبي هي التالية. . . ». وتلي قائمة من الالتزامات: طاعة مطلقة، قبول كل عقوبة، وضرب مبرّح، وتشويه، حظر الشكوى، واستعادة الحرية (إلا انتحاراً)، إلخ. ويُكمل قبول مازوخ هذه الرسالة: «ألتزم، وأنا أقسم بشرفي، أن أكون عبد السيدة واندا دو دنياجيو، كما تطلب ذلك تماماً، وأن أخضع دون مقاومة لكل ماستفرضه عليّ. د. ليوبولد، فارس ساشر- مازوخ».

وثمة استيهام آخر، ظاهر الآن في العقدين، من المناسب أن نحدّد معالمه ذلك أنه أساسي في المتخيّل المازوخي. إنه سيناريو يمسرح امرأة قاسية، يغطّيها الفراء ومسلّحة بسوط (ذلك أمر أصبح كلاسيكياً) ويمسرح أيضاً (وذلك أمر أقل اتصافاً بأنه كلاسيكي)، على نحو ضروري، شخصاً ثالثاً من الجنس المذكر، جذاباً، وهو جلاد أيضاً. وهذا الاستيهام الأساسي لدى ساشر- مازوخ يُعاش، كما يلفت النظر إلى ذلك جاك ڤاين (1968)، في الواقع تارة، وفي البناء المتخيل لرواياته تارة أخرى. وسنجد في ملحق كتاب جول دولوز (1967)، **تقديم ساشر- مازوخ**، ذكرى من ذكريات الطفولة ذات دلالة كبيرة: ذكرى «حجاب» حيث يكتب ساشر- مازوخ قائلاً: «كنت وأنا طفل صغير في ذلك الحين، أفضّل النمط القاسي تفضيلاً بارزاً ترافقه الرعشات، التي تكتنفها الأسرار، واللذة؛ . . . وكانت قراءات الآلام التي يقاسيها الشهداء تلقيني في حالة من الحمى. » ثم يروي كيف أن عمته الكونتيسة زنوبيا فاجأته، وهو في العاشرة من عمره، مختبئاً في غرفتها،

وراء حمّالة ثياب مزيّنة بالأثواب والمعاطف، حيث كان الشاهد من هذا المكان على عناقها مع عشيقها، وعلى وصول زوجها حانقاً، وعلى الضربة من قبضة يدها التي طردت بها هذا الزوج. وعندما اكتشفت الصغير ليوبولد، جلدته بالسوط عقاباً. ولكن عليّ أن أعترف تماماً، يضيف قائلاً: «أنني كنت أشعر بضرب من المتعة وأنا أتلوّى تحت سياط المرأة الجميلة». ويحدّد في هذه الحادثة أصل مجموعة الانطباعات الذي سيقوده إلى اكتشاف «القربى التي تكتنفها الأسرار بين القسوة واللذة» وإيجاد المشكل الذي ولّد «فينوس ذات الفراء». فثمة بالفعل، في هذه الذكرى الحجاب، تلك المرأة القاسية والمعاطف أيضاً (يقول، في هذا النص ذاته، أنه كان قد ساعد مرة عمته على أن تخلع فراءها الثقيل)، وحتى عدوان المخدوع (الزوج) الذي خدعه العشيقان. ويعيش فيما بعد، مع فاني دو بستور، وضعاً من النوع نفسه. إنه يرافقها في سفر إلى إيطالية، متخفّياً بوصفه خادماً يدعى غريغور. وهذا بعد توقيع العقد. ويطلب من سيدته، خلال السفر، أن تتّخذ عشيقاً لها، وذلك ماتفعله. إن ساشر- مازوخ يفاجئ العشيقين في أحد الأيام، ولكنه هو الذي يعامله منافسه بالعنف. . . وجنى من ذلك متعة كبرى.

وهذا المشهد ذاته هو الذي يُدخله في «فينوس ذات الفراء» (1870). فالبطلة واندا تلتقي اليوناني، الذي يبدو جذّاباً لسيفوران بقدر مايبدو لها. ويجعل ساشر - مازوخ، إذ ينسخ الواقع، سيفوران يفاجئ اليوناني وواندا، واليوناني هو الذي يسوط منافسه. «أحس بضرب من اللذة الخارقة وفوق الشهوانية في هذا الوضع الذي يثير الشفقة، مستسلماً لسوط أبولون وموضع سخرية قاسية من حبيبتي فينوس».

وعندما سيتزوج أورورا (1873)، ستكون كل حياة الثنائي متمحورة على البحث عن هذا اليوناني. . وهكذا تستمر آلية التكرار. ويرى المرء إلى أي حدّ، في حياته كما في تأليفه، يوضّح المازوخية على نحو نموذجي ساشر مازوخ.

G.DA.

الساعة الداخلية (أو الفيزيولوجية F: Horloge Interne (ou) physiologique

En: Biological clock

D: Physiologische

مجموعة من الآليات الفيزيولوجية التي تنظّم دورية الفاعليات الحيوانية والإنسانية خلال اليوم.

وجود مثل هذه الساعات ثابت على وجه القطع لدى الإنسان وعدد كبير جداً من الحيوانات. ويبيّن تدخّل الساعات الفيزيولوجية في السلوك، بياناً واضحاً على وجه الخصوص في الدراسة التجريبية للايقاعات اليومية، إيقاعات الفاعلية والراحة. وتحتفظ الفاعليات، بعد إلغاء كل الصوى (الجسمية أو النفسية الاجتماعية) المرتبطة بمدة دوران الأرض أو تشويشها، بضرب من **الإيقاعية الداخلية المنشأ**، التي تتميّز بمدة قريبة من أربع وعشرين ساعة (مفهوم الإيقاع الفيزيولوجي اليومي). فإذا استطالت هذه التجربة للإيقاع اليومية المذكورة «المطلقة العنان»، استطالة كافية، فإننا نشهد انحرافاً منتظماً في الزمن الذاتي قياساً على الزمن الفلكي: إذا كانت مدة الإيقاع الفيزيولوجي اليومي، لدى فرد معيّن، أربعاً وعشرين ساعة وثلاثين دقيقة، على سبيل المثال، فإن كل شيء يحدث كما لو أن الساعة كانت قد تأخرت نصف ساعة في اليوم: فبعد أربعة وعشرين يوماً من العزل، يكون الوقت لدى منتصف الليل في حين أنه الظهر حسب الشمس. وفي الشروط السوية للحياة، يجري «ضبط الساعة» في الساعات الداخلية يومياً بفضل

المفعولات التي تضفي التزامن، مفعولات الصوى المرتبطة بدوران الأرض، وبين هذه الصوى يؤدي تعاقب النهار والليل دوراً راجحاً. والمرافقات الفيزيولوجية لتبنين الفاعليات الزمنية لاتُحصى (درجات الحرارة المركزية والدماغية، تنشيط الجملتين العصبية والهرمونية، إفراز البول لإيونات شتى. . .). ولكن الآليات المسؤولة عن عمل الساعات الفيزيولوجية الوظيفي ماتزال مجهولة على وجه التقريب. ومن المعلوم مع ذلك أن كتامة رائعة للآليات إزاء التغيّرات الحرارية في الجوّ موجودة لدى الحيوانات ذات الدم البارد، وهي لاتعدّل مدة الإيقاع الفيزيولوجي اليومي المطلق العنان. وهذا التكيّف الخاص يجعل إذن متعذّراً أن تؤدّي حركية الارتكاسات الحيوية الكيميائية في **الواقع الحيّ** دوراً حاسماً: ذلك أمر يؤكده الإخفاق المتكرر للتدخلات الصيدلانية التي تسرّع أو تبطئ التبادلات الأيضية. إنها، شأنها شأن التغيرات الحرارية، دون مفعول على قيمة مدة الإيقاع الفيزيولوجي اليومي. والتبريد وحده في درجة (+2 سنتيغراد) هو الذي يتوصّل إلى إيقاف عمل الساعات الداخلية الوظائفي، وليس إلى إبطائها تدريجياً. ويبدو ثابتاً، لدى الفقاريات العليا، أن محور تحت المهاد- النخامى يؤدي دوراً هاماً، ذا علاقة بغدة قشرة الكظر (نظام A.C.T.H كورتيزول)، في تزامنية إيقاع الفاعلية الحركية مع تعاقب النهار والليل. ولكن طبيعة مولّدات الذبذبة المعنيّة، طبيعتها ذاتها في الإيقاعية الداخلية تظلّ واجبة التوضيح. وتبيّن الدلالة الوظيفية للساعات الفيزيولوجية، لدى الإنسان، في ظروف مختلفة من الحياة الاجتماعية: شاهداً على فقدان التنظيم المؤقت في إيقاع اليقظة- النوم جرّاء تغيّر مفاجىء في الارتفاع (سفر جويّ)؛ أو على الانعكاسات النفسية الجسمية المقلقة لنظام «3-8» في الفاعلية الصناعية (تأثير متنام للقرحات المعدية والعفجية). والتَبنين الزمني للسلوك، لدى الحيوانات أيضاً، تابع للساعات الفيزيولوجية. أضف إلى ذلك أن المعلومات التي تقدّمها تُستخدم في التوجّه الفلكي وفي الذاكرة الحيوانية. (انظر في هذا المعجم: **الإيقاع الفيزيولوجي اليومي**، **التوجّه**).

J.ME.

السبْر

F: Sondage

En: Sample Survey

D: Umfrage einer Stichprobe

استقصاء يجرى على عينة تمثّل السكان، بغية أن تجمع آراء الأشخاص الذي تتوجّه إليهم الأسئلة في موضوع معين.

عندما تكون العينة كبيرة وسمة الاستقصاء وطنية، نتكلم على «سبر الرأي العام». وممارسة سبور الرأي وُلدت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1936 واستخدم هذا المصطلح، في فرنسة للمرة الأولى عام 1938، جان ستوتزل (مولود عام 1910، مؤسّس المعهد الفرنسي للرأي). والسبر، الأقل تكلفة من الاستقصاء العام، يُستخدم لمعرفة رأي المواطنين في الموضوعات الأكثر تنوّعاً، بدءاً من الموضوعات ذات العلاقة بالحياة الاقتصادية والسياسية حتى الموضوعات التي تخصّ قيمة البرامج التلفزيونية.

وترتكز طرائق السبر على تقنيات إحصائية وسيكولوجية مختلفة توجّه تحرير الأسئلة، وفاعلية المستقصين، وتكوين العينة، وتحليل النتائج وتمثيلها البياني. والعينة يمكنها أن تُختار بأساليب شتى: سحب الأشخاص بالقرعة (**المعاينة العشوائية**)؛ سحب أماكن الاستقصاء بالقرعة (**الطريقة الخلالية**)؛ سحب الوحدات الجماعية بالقرعة، كالأسر (**معاينة بالزمرة**). أخيراً، سحبٌ بالقرعة أفراداً يتصفون بخصائص محدّدة (جنس، عمر، مهنة، مكان إقامة). وتُستخدم هذه الطريقة، المسماة **معاينة حسب نظام الحصة**، نسباً مئويةوطنية معروفة وتتيح تكوين عينة نسبية لها خصائص السكان الكلية.

وخطر الخطأ قليل بدءاً من ألفي شخص (3 بالمئة)، ولكن اختيار العينة ذو أهمية كبيرة. وهكذا تنبّأت المجلة Literary Digest، مستندة إلى أكثر من مليوني إجابة، أن روزفلت لن ينال، خلال التنافس الانتخابي لاندون - روزفلت في الولايات المتحدة عام 1936، أكثر من 30 بالمئة من أصوات المقترعين؛ وكان جـ. هـ. غالوب (المولود عام 1901) يؤكد في الوقت نفسه، بعد أن أجرى سبراً على عينة ممثّلة حقاً للسكان، أن روزفلت سيُنتخب رئيساً للولايات المتحدة. وانتُخب فرانكلين روزفلت حقاً، بما يقارب 61 بالمئة من الأصوات. كذلك كذّب انتصار الحزب المحافظ في بريطانية العظمى، عام 1970، تنبؤات هيئات السبر. ومن الممكن، في هذه الحالة، أن تكون صياغة الأسئلة قد أدّت دوراً رئيساً. والواقع أن سؤالاً من الأسئلة ينبغي ألا يكون واضحاً ودقيقاً فحسب، ولكنه ينبغي أن يكون سهلاً فهمه بالنسبة للعدد الأكبر من العينة. مثال السؤال التالي: «هل تستخدم هاتفاً بين مدينيّ interurbain»؟ إنه سؤال سيء الصياغة، ذلك أن كثيراً من الأشخاص يجهلون معنى «بين مديني». واتجاهات المستقصين نفسها ينبغي لها أن تكون موضع مراقبة، ذلك أنها بوسعها أن تؤثّر في إجابات الأفراد، لاسيما خلال الاستقصاءات الشفوية. وهذا هو السبب الذي من أجله تُخضع المستقصين معاهد السبر لمراقبات دورية.

ويستخدم تحليل النتائج جهازاً إحصائياً كاملاً. فالحواسيب تعالج الإجابات الحاصلة وتجري مقارنات وارتباطات بين المتغيّرات يتعذّر إنجازها على نحو آخر. وتقام تمثيلات بيانية، لتمثيل النتائج، تمثيلات بيانية تتيح للمرء أن يقرأ مباشرة إذا كان الرأي العام إيجابياً، سلبياً أو منقسماً حيال مسألة مطروحة أو إذا لم يكن يوجد، على العكس، سوى آراء أفراد مبعثرة. وتكوّن السبور دورياً موضوع انتقادات قاسية. فيُوجّه إليها اللوم على وجه الخصوص أنها غير علمية وأنها، بصورة خاصة، تحوّل الرأي العام في اتجاه الأغلبية عندما تنشر النتائج قبل التصويت. ويعارض جان ستوتزل وألان جيرار هذا الادعاء الأول لأن كل حركة

من حركات المستقصين تستند إلى نظرية . ومهما يكن من أمر ، أتاحت طريقة السبر دراسة ظاهرات اجتماعية عديدة ذات أهمية ، كمقاومة التغيّر ، وفق الجنسين (المقاومة أقوى لدى النساء من الرجال)، وأهمية الدين في الاختيارات السياسية أو دور الرجال في المشتريات المنزلية . وللسبور قيمة مؤكدة، ولكن الحقيقة أنها يمكنها أن تُصرف عن هدفها الذي يكمن في أن تعكس ، عكساً بأكبر دقة ممكنة ، تلك الحالة الذهنية لسكان معيّنين فيما يخص مسألة محدّدة . وينبغي لنتائج السبور ، حتى تكون موضوعية حقاً ، أن تُنشر مع سياقها ، أي ذكر عدد الأشخاص الذين توجّهت إليهم الأسئلة ، نموذج العينة ، النسبة المئوية للإجابات الحاصلة ، النصّ الدقيق للسؤال المطروح . وفي حال غياب هذه الإيضاحات ، بوسع المرء أن يخشى أن يكون السبر غير موجّه وأنه لايُفصح عن إعلام حقيقي . (انظر في هذا المعجم : **اختيار العينة** [**المعاينة**]، **الرأي** ، **الإحصاء**) .

N.S.

سبيتز (رونه) Spitz (René)

عالم نفس ومحلّل نفسي أمريكي من أصل نمساوي (فيينة، النمسا، 1887 ـ دنفر، كولورادو، الولايات المتحدة الأمريكية، 1974)

أعمال ر. أ. سبيتز انصبّت على النموّ النفسي الوجداني للطفل خلال السنتين الأولى والثانية من حياته. واستخدم الأفلام السينمائية وروائز الأطفال الصغار ليلاحظ الرضّع والأطفال الصغار. وجمع عدة مئات من الدراسات السريرية والملاحظات المنهجية لأطفال من العرق الأبيض، والأسود، والهندي، جرت تربيتهم في أوساط مختلفة: أسر، قرى هندية، دور حضانة، حاضنات، ودرس دراسة منهجية صارمة نشوء العلاقات الأولى بالموضوع. وهكذا استطاع أن يبرهن على الأهمية الرئيسة للتبادلات الانفعالية بين الأم (أو بديلتها) والطفل الصغير، وعلى الدور الحيوي للصلة بين الإنسانية القائمة على هذا النحو، التي يجري الحوار (أم- طفل) انطلاقاً منها. وعندما لاينتفع الطفل من هذه العلاقة ذات الامتياز، إما بسبب الصعوبات العصابية لدى الأم، وإما لأن الشروط الوجدانية للحياة في الجماعة سيئة، يجد نموه نفسه معاقاً، وثمة اضطرابات نفسية جسمية أوطبية نفسية يمكنها أن تظهر، إذ يغوص الرضيع في الاضطرابات الناشئة عن إقامة مديدة في المشفى، التي يمكنهاأن تقود إلى الدنَف.

والفضل لسبيتز أنه لفت انتباه أطباء الأطفال، وعلماء النفس، والسلطات العامة، إلى الحاجات العاطفية لدى الأطفال الصغار، وأعماله أصل إعادة التنظيم في الحاضنات والمنشآت الأخرى المخصّصة لاستقبال الأطفال الصغار (تحمل اسمه

عدة مؤسسات في الولايات المتحدة). ونشر سبيتز مقالات عديدة، وكتباً، وأفلاماً وثائقية، تناولت الموضوع نفسه. ونذكر من كتبه الرئيسة: **الرفض والقبول في نشوء التواصل الإنساني** (1957، نيويورك، المنشورات الجامعية العالمية، ترجمه إلى الفرنسية إ. م. روشبلان - سبنله بالعنوان نفسه، نشر المنشورات الجامعية الفرنسية، باريس، 1962)؛ **السنة الأولى من الحياة. دراسة سيكولوجية تحليلية لنموّ العلاقة بالموضوع، السوي والمنحرف** (1965، بالتعاون مع د.ك. كوبلينر، نيويورك، المنشورات الجامعية العالمية، ترجمه إلى الفرنسية ل. فلورنوا بعنوان: **من الولادة إلى الكلام. السنة الأولى من الحياة**، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1968). (انظر في هذا المعجم: **الاكتئاب الاعتمادي، القصور العاطفي، الأم**).

N.S.

سبيرمان (شارل إدوار) Spearman (Charles Edward)

عالم نفس انغليزي (لندن، 1863– لندن، 1945)

يستخلص سبيرمان، إذ لاحظ تجريبياً وجود ارتباطات إيجابية بين عدة روائز ذكاء أجراها عدد معيّن من الأفراد، وجود قابلية مشتركة بين كل المتغيّرات، يسميها العامل ع (G)، ويبيّن أن النجاح في بعض المهمات يُناط معاً بهذا العنصر العام وبعوامل نوعية (مرموز إليها بالحرف **ن** [S]). ويعترف فيما بعد فضلاً عن ذلك، في إعادة النظر في نظريته، بوجود عوامل جماعية، أي مشتركة بين مجموعات فرعية من المتغيرات. وكتابه الرئيس، **قدرات الإنسان، طبيعتها وقياسها** (1927)، الذي يكوّن تركيب أعماله، كان قد ترجمه إلى الفرنسية ف. براشه عام1936. (انظر في هذا المعجم: **التحليل العاملي**).

N.S.

ستيرن (وليم لويس) Stern (William Louis)

فيلسوف وعالم نفس ألماني (برلين، 1871 - بوغكيبْسي، قرب دورهام، كارولينة الشمالية، 1938).

ستيرن أحد رواد علم النفس الحديث، قادته اهتماماته المتعدّدة إلى دراسة الفروق السيكولوجية الفردية (**في سيكولوجيا الفروق الفردية**، 1900؛ **سيكولوجيا الفروق الفردية في عداد الأسس المنهجية**، 1911)؛ وسيكولوجيا الإيداع والشهادة (**مساهمة في سيكولوجيا الشهادة**، مجلدان، 1902-1903؛ **شهادة المراهقين**، 1926)؛ وسيكولوجيا الطفولة الأولى (**سيكولوجيا الطفولة الأولى**، 1914)؛ **لغة الأطفال**، 1907؛ **ذكاء الأطفال والمراهقين**، 1916؛ **مشكلات الاصطفاء المدرسي**، 1926؛ وسيكولوجيا العمل والحياة الاقتصادية. وبسط ستيرن، بوصفه يعارض السلوكية، في كتاب من كتبه، سيكولوجيا عامة ذات نزعة شخصية ينظر فيه إلى الإنسان بوصفه موجوداً يعيش الأحداث وقادراً على الحياة، وليس وفق المخطط «منبه - استجابة»، الذي كان ينتقده. وفي رأي هذا المؤلف أن الشخص يعيش في عالم من القيم، وهو يحتاز الشعور بذاته من خلال هذه القيم («أقيّم، إذن أنا موجود»)، وهو إنما يحقّق ذاته تحقيقاً تاماً عندما يضطلع بالقيم الخارجية بالنسبة له. (انظر في هذا المعجم: **الفهم**).

N.S.

سِتْشينوف (إيفان ميكائيلوفيتش) Setchenov (Ivan Mikhaïlovitch)

عالم فيزيولوجيا وعالم نفس روسي (تيوبلي ستان، أرزاماس، 1829 - سان - بيترسبورغ، 1905).

يُعتبر ستشينوف رائد علم النفس الحديث في الاتحاد السوفييتي. وإذ استأنف ستشينوف أفكار ألكسندر نيكولايفيتش راديشتيتف (1749-1802) وميكائيل فاسيليفيتش لومونوسوف (1711-1765)، المتأثرين بالفلسفة المادية والحسية الكافرة لبعض الموسوعيين ككلود أدريان هلْفيتيوس (باريس، 1715- فرساي، 1771) الذي يؤكد الدور الراجح للمجتمع والتعليم في تكوين الشخص، فإنه يندّد بالمثالية ويعلن أن العلوم الطبيعية لايمكنها إلا أن تكون مادية. فهو يوصي إذن بدراسة الآليات الفيزيولوجية للدماغ بغية فهم السيرورات النفسية. وإذ لاحظ أن الفاعلية اللا إرادية للعضوية يمكن أن تكبحها القشرة الدماغية وأن بعض الحالات الانفعالية، كالحصر أو اللذة، تعززّها في بعض الأحيان، فإنه استخلص من ذلك أن كل الفاعلية الدماغية ترتدّ إلى منعكسات وأن هذه الفاعلية الانعكاسية تكفي لشرح حياة الحيوان والإنسان النفسية. وفتح ستشينوف، إذ ربط السيرورات النفسية بالفاعلية العصبية العليا، درب البحوث لإيفان بيتروفيتش بافلوف (1849-1936).

M.C.

Stevens (Stanley Smith) ستيفنز (ستانلي سميث)

عالم في علم النفس الفيزيائي، أمريكي (**أوغدين، إوتاه، 1906**– **فاي، كولورادو، 1973**).

بعد أن نال ستيفنز دكتوراه من هارفارد (كامبردج، ماساشوست) عام 1936، أصبح أستاذاً معاوناً في علم النفس عام 1936، ثم أستاذاً زميلاً عام 1938. ويعلّم علم النفس الفيزيائي ويدير مخبر لعلم النفس الصوتي عام 1946، ومخبر علم النفس الفيزيائي عام 1962. وسيضع فيها **قانون القوة** الذي اقترحه بلاتو، المسمى أيضاً **قانون ستيفنز**، قانوناً تتنامى بحسبه شدة الحرارةΨمع شدة المنبه (Θ) وفق الصيغة التالية:

$$\Psi \ X \ K\Theta B,$$

k هي وحدة القياس، B الأسّ ذو العلاقة بالنمط الحسيّ ومقاييس التجربة. مثال ذلك أن للأسّ B، بالنسبة للعينين المتكيّفتين مع الظلام قيمة 0,33، ولكن هذه القيمة تزداد حتى 0,44 عندما تكون العينان متكيفتين مع نور شديد.

نشر س. س. ستيفنز مقالات عديدة في مجلات مختلفة وكتباً نذكر منها: **السمع: سيكولوجيته وفيزيولوجيته** (1938، بالتعاون مع هـ. دافيز)؛ **تنوّع الجسم الإنساني** (1940، بالتعاون مع و. ش. شيلدون، و. ب. توكر)؛ **تنوّع المزاج** (1942، بالتعاون مع و. ش. شيلدون)؛ **الصوت والسمع** (1965، بالتعاون مع ف. دارشوفسكي، الترجمة إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، لايف، 1970)؛ **علم النفس الفيزيائي: مدخل إلى إمكاناته الإدراكية والعصبية والاجتماعية** (1975، نيويورك ويلي، عمل نشره بعد موته جيرالدين ستيفنز).

J.L.

السرّ

F: Secret

En: Secret

D: Geheimnis

ماهو خفيّ أو ماينبغي أن يكون خفياً.

توجد أشكال شتى من السر وفق كوننا نفكر بشيء موجود مخبأ بصورة طبيعية، أو كان مخبأً على نحو مقصود لهدف نفعي، أو ينبغي أن يظل خفياً بمفعول التزام أخلاقي. فمفهوم **السر** ينتمي إذن إلى علم النفس والأخلاق معاً.

والجانب الأخلاقي من السر هو الذي كان على وجه الخصوص مأخوذاً بالحسبان من الناحية التقليدية: السر شيء تفضيه إلى أحد أو يفضي به أحد إلينا، مع شرط (صريح أو ضمني) مفاده أن نقل هذا الشيء محظور، والالتزام بحفظ السر يمكنه أن يكون محض أخلاقي، يرتبط بفضائل الكتمان والنزاهة، ولكنه يمكنه أيضاً أن تعززه أحكام قانونية، كما هو الأمر في شتى الضروب من السر المهني.

وسنقصر هذا العرض على ثلاثة جوانب من السر: جانبه السيكولوجي العام، جانبه السيكولوجي المرضي (السر الذي يولّد المرض)، وجانبه العلاجي.

كان بيير جانه قد تناول **الدراسة السيكولوجية** للسر. فالإخفاء، يقول جانه، فعل معروف جيداً لدى الحيوان (مثال ذلك لدى الثعلب الذي يرصد عصفوراً)، ولكن الكلام هو الذي ينبغي إخفاؤه، على وجه الخصوص، لدى الإنسان. «مخبأ الثعلب أصبح سر الكلام». فلا تبدو وظيفة السر إذن إلا في هذه المرحلة من النموّ حيث اللغة المحكيّة تصحبها لغة داخلية.

وهذا هو السبب الذي من أجله مايزال السر غير موجود لدى الطفل الصغير والمصاب بالتخلّف العقلي العميق. وعهد السر ليس دائماً سهلاً على الإطلاق، حتى لدى الراشد السوي: «معرفة المرء أن عليه الاحتفاظ، في مجتمع من المجتمعات، في جماعة حيث يحتلّ مكاناً، ببعض الأشياء سرية، ومعرفته أن عليه ألا يحتفظ بكثير من الأسرار، ومعرفته أن لديه شيئاً خاصاً به، وأن لديه شيئاً خاصاً بالآخرين، تلك عملية عسيرة وعملية تقترب من ضرب من إضفاء القيمة (. . .)».

ويؤدّي عهد السر دوراً أساسياً في خلق شخصية داخلية («الطوية»)؛ «إنه خلق فرد خاص تماماً ليس بوسع الإنسان أن ينتهك حرمته». ولكن ثمة أفراداً لايتوصّلون إلى أن يميزوا هذه الشخصية الداخلية تمييزاً واضحاً وأن يحدّدوا حدود السر، وفي ذلك يكمن، في رأي جانه، منشأ أعراض كسرقة الفكر، والتكهّن بالفكر (المقصود مرضى لايُنجز لديهم عهد السر إنجازاً تاماً).

السر الذي يولّد المرض هو الفصل الأكثر إهمالاً من فصول علم النفس المرضي. ولم يكن يعرف هذا المفهوم، خلال زمن طويل، سوى بعض علماء الجريمة العلماء في علم النفس القضائي، وبعض رجال الإكليروس الذين يمارسون علم النفس الرعوي، ولم يفهم بعض المعالجين النفسسين أهمية السر الذي يولّد المرض إلا في تأريخ حديث نسبياً.

وعُني **علم النفس القضائي** بالعواطف التي تحدّدها جريمة غير مكتشفة لدى فاعلها. ومنذ عام 1828، كان أنْسلم فيورباخ قد لاحظ، وهو يحلّل سيكولوجياً امرأة تقتل بالسمّ، عاطفة القوة والعظمة، الرهيبة، التي كانت تكوّنها، بالنسبة لها، فكرة أنها الوحيدة التي كانت تعرف لغز جريمتها، وتلك عاطفة كانت تدفعها إلى أن تكرّر جرائم مماثلة. وكان تارد، عام 1890، يصف المفعول الذي تُحدثه على القاتل جريمته؛ فثمة هوة تنحفر بينه وبين الناس الآخرين؛ إنه يشعر أنه متفوق عليهم وغير مكترث بآلامهم، ويغوص في أحلام يقظة لانهاية لها، وهو، على

وجه الخصوص، لعبة فكرة ثابتة تقوده إلى مكان الجريمة وإلى أن يكرر الجريمة في خياله (إن لم يكن في الواقع). و«ينكشف هذا الشاغل بألف علامة: بالرسوم، كالرسم الذي صورّ به تروبمان جريمة من جرائمه، بالوشم على الغالب، بكلمات تثير الشبهة حيث تبين الحاجة إلى قول مالايزال المرء يعرفه وحده، بالصمت أيضاً، بالنوم ذاته والأحلام». فالكتّاب الكبار كانوا يسبقون علماء النفس كما يحدث على الغالب، وديستوفسكي قدّم، عام 1866، وصفاً لاينسى لهذه الوقائع في **الجريمة والعقاب**.

والاعترافات المتعذّر شرحها تكوّن جانباً آخر من السر. والمقصود حالات ما كفّ المجرم فيها عن إنكار جريمته، وسيُخلى سبيله لأن أي دليل ضده لم يكن قد جُمع، عندما يباشر الاعتراف دون أن تدفعه إليه أية دافعية عقلانية، ولاعاطفة أخلاقية، ولا اضطراب عقلي أو انفعالي مدرك. وكان ميترميير، في ألمانية، قد فحص مثل هذه الوقائع، عام 1834، وأبدى رأيه في سمتها المتعذرة الشرح. وعاد هانز كروس إلى المسألة وأبدى رأيه قائلاً: «لاأجد أي تماثل، في طبيعة الإنسان الداخلية، لهذه الاعترافات التي يسيء بها فرد، والعينان مفتوحتان، إلى نفسه إساءة كبيرة دون أن يوجد في هذه الإساءة أي نوع من النفع». وهنا أيضاً، كان الكتّاب قد سبقوا علماء النفس. فإدغار بوكان قد وصف، في عدة قصص من قصصه، هذا الاندفاع «المنحرف» الذي يقود مجرماً إلى أن يشي بنفسه على نحو يتعذّر فهمه، وكان المقصود في أوصافه على وجه الخصوص ضرباً من الإثارة المفرطة المرضية للخيال.

وفي غضون ذلك، كان أنسِلْم فيورباخ (1828) قدلاحظ ظاهرة أخرى أكثر إثارة للعجب أيضاً. والمقصود مجرمون يتركون، بطريق السهو، في مسرح الجريمة شيئاً شخصياً سيتيح اكتشافه تحديد هويتهم بصورة قاطعة. فهؤلاء الأفراد يتصرفون، وإن لم يكن لديهم أي شعور بهذا الفعل، كما لو أنهم كانوا يريدون أن يُلقى عليهم القبض.

والمحلّل النفسي تيودور رايك هو الذي قدّم، في عام 1925، تفسيراً جديداً لهذه الوقائع، قائماً على مفهوم القصاص الذاتي الناجم عن عاطفة الإثمية اللاشعورية. وليس من المؤكد مع ذلك أن هذا الشرح يمكنه أن يحلّل كلية هذه الوقائع تحليلاً مرضياً.

واهتمّ **علم النفس الرعوي**، من جهته، بالسر الذي يولّد المرض من زاوية أخرى. فممارسة الاعتراف كانت ديانات عديدة تعرفها، قبل أن تبلغ نموها الأكثر كمالاً في الكاثوليكية. وكان التأثير الشافي للاعتراف موضع معاينة في حالات عديدة، مع أن المسألة لاتعدو كونها فعلاً دينياً بصورة أساسية، يرتبط بسر التوبة. ولكن السمة الاحتفالية المرتبطة بسر الاعتراف لم تشجّع، بالنسبة لرجال اللاهوت، دراسة الجوانب النفسية المرضية والعلاجية للاعتراف. واحتفظ بعض القسس، بعد الإصلاح، بممارسة الاعتراف في ظلّ شكل أقلّ صلابة من «شفاء الأنفس»، مع نبرة موضوعة أكثر على الجوانب النفسية العلاجية. والمرء يمكنه أن يكوّن لنفسه فكرة على النحو الذي كانت تعمل عليه هذه الممارسة بالرجوع إلى حدث من أحداث رواية هنريك جانغ - ستيلينغ **تيوبالد أو الشديد الاندفاع**.

ونحن نجهل في أي عصر خرج مفهوم السر المولّد للمرض وعلاجه من حدود «شفاء الأنفس» الديني وتَعَلْمَن، وبوسع المرء أن يتابع نموه عبر سلسلة من الأعمال الأدبية: مثل **آن بابي ذات النفس المتقطّع**، للراعي السويسري جوردمياس غوتيلف، **الرسالة القرمزية اللون** (1850)، لناثانيل هاوثورن، **سيدة البحر** (1888)، لإبسن، **خريف امرأة** (1893)، لمارسيل بروفوست، إلخ.

فالأوصاف التي أدلى بها هؤلاء الكتّاب سبقت أوصاف الأطباء وعلماء النفس. وكان أصحاب المغناطيسية والمنوّمون المغناطيسيون قد لاحظوا، من جانبهم، هذه الحالات، ولكنها لم تمنحهم قط أكثر من اهتمام بنوادر.

وكان الطبيب الأول الذي منح مفهوم السر الذي يولّد المرض هو عالم الأعصاب النمساوي مورتيز بينيديكت (1835-1920). ففي سلسلة من النشرات

المتدرّجة من عام 1864 إلى عام 1906، بيّن بينيديكت أن بعض حالات الهستيريا وأعصبة أخرى كانت ناجمة عن وجود سر لم يكن المريض يجرؤ على الاعتراف به لشخص، حتى ولا لطبيبه الأسري؛ والطبيب الماهر الكتوم كان بوسعه أن يشفي مريضه شفاء سريعاً، إذ يحصل منه على الكشف عن هذا السر، ويساعده في اتخاذ الإجراءات العملية المناسبة.

ويونغ هو الذي، على وجه الخصوص، ألحّ، بعد بينيديكت، على وجود السر الذي يولّد المرض وتواتره وعلى الشكل الخاص للعلاج النفسي الذي يخضع له. والأساسي في العلاج النفسي يكمن في السر بحيث أن بوسع المرء أن يقول إن المقصود هو علاج «السر بالسر».

فعلماء الجريمة، والإكليروس، ورجال الأدب، وأصحاب المغناطيسية، وعلماء الأعصاب، والأطباء النفسيون، أسهموا إذن، بدرجات مختلفة، في تشييد مفهوم «السر الذي يولّد المرض». وهذا السر يتجلّى على الغالب بظهور عصاب يوصف تارة بالاكتئاب، بالنورستانيا (النهك العصبي)، بالهستيريا، وحتى بالذهان، ويوصف تارة أخرى بفقدان التوازن في الطبع. أما محتوى السر، فإنه، هو أيضاً، متغيّر جداً: اختلاس صغير أو قتل، زنى أو غشيان محارم، إجهاض أو قتل طفل. ولكن السر يمكنه أيضاً أن يكون خاصاً بعاهة خفيّة، ومرض شديد، أو قد يكون ذا علاقة بذكرى حدث سبّب صدمة. وليس من النادر أن يكون السر سر شخص آخر (مثال ذلك بنيّة اكتشفت وجود عشيق لأمها). ومهما يكن من أمر، فالعنصر الذاتي أساسي ويُناط بالدلالة التي يعزوها المريض إلى الواقعة الخفية. والسر الذي يولد المرض لايرتبط على نحو ضروري بعقدة الإثمية، ولكنه مصحوب دائماً بعاطفة اليأس. فالأساسي هو الأسلوب الذي ينظر به المريض إلى الوضع، إن بوسعه أن يعتبره متعذّر الحلّ لأنه فقط لايفهم أن بالإمكان إيجاد حل له.

وتكوّن تقنية **العلاج بالسر** ذلك الترياق الصحيح للسر الذي يولّد المرض. ونحن نرجع هنا إلى التصرفات الخاصة بالسر المتماهية مع القيم الأخلاقية العليا. والمثال الأكمل لها هو **سر الكاهن المهني**.

وليس بوسع المرء، إذ يتصفّح كتاباً من اللاهوت الأخلاقي، كمؤلف من مؤلفات ألفونس دو ليغوري، إلا أن تصيبه السمة المطلقة، التي تعزوها الكنيسة الكاثوليكية إلى سر الاعتراف، بالدهشة. فهذا السر لايمكنه أن يُفشى، بأي حال من الأحوال وفي أي ظرف من الظروف، لأي شخص كان. والكاهن يمكنه، في ظرف عسير، أن يستشير أحد رؤسائه، ولكن بشرط مفاده أن التائب المعترف لايمكنه أن يكون موضع كشف لهويته. ويُحظَّر على الكاهن متلقي الاعتراف أن يتكلم على السر حتى إلى المعترف. وينبغي له أن يحرص في المحادثة على ألا يعطي الانطباع أبداً أنه يشير إلى أشياء سمعها في الاعتراف. وليس مطروحاً بالتأكيد على بساط البحث أن يسجّل ملاحظات، أن يمسك سجّلاً بأسماء المعترفين له، أو يكتب تقريراً عن تجاربه، تجارب متلقّي اعترافات. والسمة المطلقة لسر الاعتراف تعني أيضاً أنه ينبغي أن يظل سراً يحتفظ به الكاهن حتى لقاء حياته وكل مخالفة ستُعتبر، بحسب الشرع الكنسي، خطيئة جسيمة.

ولم يكن **السر المهني للطبيب** قط مطلقاً بقدر سر الكاهن، وإن لم يكن ذلك إلا لأسباب عملية. فاتساع التأمينات وإضفاء الصفة الاجتماعية على الطبيب تقلّص حقل الإطلاق سنة بعد سنة.

ولكن التقنية العلاجية بالسر تعثّرت بموانع أكثر خطورة خلال العقدين الأخيرين من السنين أو الثلاثة. فالمحلل النفسي يمكنه، والمحلَّل ممدّد على الديوان، أن يسجّل ملاحظات. أين تذهب هذه الملاحظات؟ هل تُملى على سكرتيرة ويُعاد نسخها في إضبارة ستُصنَّف في أرشيفات معهد؟ ومن بوسعه أن يصل إلى هذه الأرشيفات؟ وللمحلل، من جهة أخرى، مشرف على الغالب، ينقل إليه كل شيء، أو أنه ينتسب إلى جماعة تناقش حالات المرضى. وإذا كان المقصود مشفى تُمارس فيه تقنية العلاج الجماعي ومناقشات الفريق، فلن يكون ثمة مكان للسر.

وزوّدتنا ضروب التقدّم التقني بترسانة من مكبّرات الصوت، والشرائط المغنطة، والمرايا ذات الاتجاه الوحيد، وأجهزة التلفاز، بحيث أن المريض لن يكون أبداً مطمئناً أن أقواله لن تسجَّل بشكل أو بآخر، أو لن تكون أيضاً منشورة في مكان آخر.

ومن المتعذّر أن تكون هذه الأمور قد فاتت المرضى وألا يكون عدد من هؤلاء المرضى قد شغلهم الأمر. وسيقولون للمعالج النفسي، دون ريب، إنهم لايعترضون على مكبر الصوت أو المرآة ذات الاتجاه الواحد، ولكنهم، بالتأكيد، لن يعهدوا إليه أبداً بما كشفوه للكاهن. وكان ستيكل يؤكد أن ثمة أموراً لن يكشف عنها أي مريض لمحلل نفسي، حتى بعد عشر سنوات من التحليل. ونحن نعرف، من جهة أخرى، مثالين من حالات بان فيها لمريض كان قد أفشى سراً خطيراً لمعالجه أن السر لم يكن قدظل سراً، جراء عدم الكتمان لدى مشرف دون ريب. ونعرف أيضاً حكاية حقيقية لعالمة نفس تعمل في معهد للجانحين الصغار، حصلت يوماً من الأيام على بوح بسر خطير من أحد الصبيان، الذي تطوّر تصرفه بعد ذلك تطوراً إيجابياً. ورضيت تحت ضغط المدير، على مضض، أن تكشف الأمر في اجتماع فريق، وعد كل عضو فيه أن يحتفظ بالسر. ولكن شخصاً واحداً على الأقلّ لم يف بوعده. وما إن علم الصبي بما حدث حتى أصبح ساخطاً على «الخائن» وسقط مجدّداً في تصرفه الجانح. فالسر الذي يولّد المرض يقدّم إلينا على هذا النحو، مثل حالة نفسية مرضية تمضي فيها أوامر العلاج النفسي في اتجاه يعاكس حالة التطور للطب النفسي الحديث. (انظر في هذا المعجم: **القصاص الذاتي، الإثمية، الاكتئاب، الهستيريا، العصاب، الذهان، العلاج النفسي**).

H.F.E.

سكينر (بورس فريديريك) Skinner (Burrhus Frederick)

عــالـم نفس وعــالـم نفس ألسني أمــريكي (مـولـود عــام 1904) فـي سوسكيهانا، بنسيلفانية، الولايات المتحدة الأمريكية).

يعـرض سكينر الآن، منذ أطروحـته للدكـتوراه، مـواقفـه في علم الـنفس. واسـتـأنف هذه المواقف في كـتـابه **سلوك الموجودات المتعضّـية: تحليل تجريبي**، لعام1938. ويبين بوضـوح أنه تلميـذ جـ. ب. واطسن (1878-1958)، ويقتبس منه فكرتين موجّهتين للسلوكية:

1) غير مجد شرح السلوك بالرجوع إلى حياة الفرد الداخلية، بالنظر إلى أن هذا المفهوم لايرتكز إلا على فروض لا أساس لها، وليس لها قيمة شارحة؛

2) بنبغي الاقـتصار على ملاحظة السلوك المرئي في علاقته بالوسط، دون الاهتمام بالعمل الوظائفي العضوي بالمعنى الدقيق للمصطلح، ولاسيما العصبي والهرموني؛ فالمهم هو «العضوية بوصفها كلاً» حتى نستأنف تعبير عالم البيولوجيا جاكوب لوب (1859-1924).

إنه يريد، شـأنه شـأن إ. ب. بافلوف (1849-1936)، أن ينصرف فـقط إلى إشراط السلوك بالوسط. ولكن بافلوف يشرح السلوك بالشروط السابقة: إذا فرز اللعاب كلبٌ عندما يرى قطعة اللحم، فإن الاستجابة التي يقدّمها للمنبهات تثيرها هذه المنبهـات آلياً، والمقـصود «إشـراط من النمـوذج الأول». وفي رأي سكينر أن السلوك ينبغي أن يشرحه «الإشراط من النموذج الثاني»: فالفرد يحصل على إشباع حين يتكيّف مع الوسط، والإشباع الحاصل بفعل السلوك هو الذي سيثير التكرار.

وهكذا تُفهم التجارب التي أُجريت على الحيوان انطلاقاً من **علبة سكينر**، ضرب من القفص ذي السر مسجون فيه فأر، وتوجد فيه رافعة ينبغي للفأر أن يضغط عليها حتى يحصل على الغذاء. وهذا الغذاء يمكننا اعتباره مكافأة تُقدم على **تعزيز** السلوك. وبوسعنا أن نعلّم الحيوان، من جراء سلاسل من السلوكات الأولية المعززة، تصرّفات تتعاظم تعقيداً: هذا النمط من الإشراط يوصف أنه «فعّال» لأنه يستعين بفاعلية الاصطفاء وبمهارة الحيوان. وعلى هذا النحو إنما استطاع سكينر أن يجعل حمامات تتعلّم توجيه الصواريخ إلى هدف. وسيبدو سكينر، بوصفه منتبهاً إلى «الاحتمالات» الخاصة بتعلّم فردي، حذراً إزاء الإحصاء والنتائج «المتوسطة» التي يتيح الإحصاء بلوغها.

وكان سكينر قد سيق، شأنه شأن عالم النفس إ. ل. ثورندايك (1874-1949)، إلى أن يمد على الإنسان، تلك الملاحظات المستقاة من تعلّم الحيوان. إنه مبتكر التعليم المبرمج، الذي ينجم فيه **التعزيز** عن الارتياح الذي يؤمّنه للفرد كونه يتحقّق من الإجابة الجيدة التي أتقن تقديمها عن السؤال؛ ومزية مثل هذا التعليم تكمن بصورة أساسية في واقع مفاده أن تدرّجه متكيّف مع كل فرد (انظر **ثورة التعليم العلمية**، 1968).

وأجرى سكينر، بصورة موازية، بحوثاً في تعلّم اللغة (**السلوك اللفظي**، 1957)، أثارت مناقشات حادّة، ولاسيما مع عالم اللسانيات ن. شومسكي (مولود عام 1928). وهناك مناظرات حامية جداً كان كتابه **ماوراء الجريمة والجدارة** (1928) قد أثارها، وفي رأي سكينر أن الوظيفة النهائية لعالم النفس ستكون تحديد ماينبغي أن تكون عليه، لدى الإنسان، التصرّفات «المناسبة» من وجهة نظر الفائدة الاجتماعية، وفرضها على المواطنين بـ «برامج تعزيز». ولكن مفاهيم كمفهومي **الحرية والجدارة الإنسانية** لايمكنها، في هذا المنظور، أن تكون إلا مسبّبة للخلل، لأنها تقود إلى أن تضع المبادىء الثابتة «علمياً» موضع التساؤل. ويمكننا فضلاً عن الكتب التي ذكرناها في هذا المقال، أن نذكر للمؤلف نفسه: **العلم**

والسلوك **الإنساني** (1953)؛ **السجل التراكمي: اصطفاء البطاقات** (مجموعة من المقـالات، نيـو يورك، أبلوتون سـانتـشـوري كـروفـتس، 1959، الطبعـة الثالثة، 1972). كان سكينر على التوالي أستاذاً في جامعة مينوزوتا(1937-1945)، وجامعة إنديانا (1945-1948)، ثم في جامعة هارفارد حتى 1957. (انظر في هذا المعجم: **التعليم المبرمج**، **التعزيز**، **ثورونديك**).

B.B.

السلبية الفكرية، ضلال التعبير **F: Paralogie**

En: Paralogia

D: Paralogie, Irrereden

قول شطط.

يكمن الشكل الأبسط في استخدام كلمات بمعنى مختلف عن معناها الخاص: مزلاق بدلاً من **حلبة تزحلق**، **عامل** بدلاً من **عاجل**. والإبدال يمكنه أن يحدث بالترابط الدلالي كما في المثال الأول (على مستوى المعنى)، أو الصوتي (بالصوت) كما في المثال الثاني، أو آلي. فيصبح الكلام غير مفهوم. ويُلاحظ هذا الاضطراب أيضاً، لدى الفصامي على نحو نموذجي، في بعض حالات الإثارة الهوسية، في ضروب الخَبَل وفي ضروب التخلّف العقلي.

N.S.

سَلَس البول

F: Enurésie
En: Enuresis, Bad wetting
D: Enuresis, Battnässen

إصدار لاإرادي ولاشعوري للبول، يحدث في الليل على الأغلب لدى أطفال عمرهم أكثر من ثلاث أو أربع سنوات، أي في عمر تكون فيه رقابة الصارمة مكتسبة على وجه العموم.

يوجد سلسل البول فقط عندما التبوّل اللاإرادي لايمكن أن يشرحه سبب عضوي، ميكانيكي، التهابي أو عصبي. فينبغي إذن أن نميّز سلس البول من **العجز عن الضبط** الناجم عن آفة عضوية، حيث يكون إصدار البول لاإرادياً ولكنه شعورياً. وسلس البول يمكنه أن يكون يومياً، غير منتظم، متقطّعاً (يتضمن فواصل طويلة جافة)، أو عرضياً (خلال انفصال أسري، عند اقتراب امتحان، على سبيل المثال). ونميّز، تمييزاً مدرسياً، بين **سلس البول الأولي**، سلس بول لدى الطفل الذي يرطّب سريره دائماً، وبين **سلس البول الثانوي**، الذي يظهر مجدّداً خلال أكثر من عام بعد أن يكتسب الطفل نظافته.

وسلس البول متواتر نسبياً؛ إنه يصيب 10 بالمئة من الصبيان و9 بالمئة من البنات، في رأي ب. هالغرين (1957). وأسبابه لايزال البرهان عليها قاصراً. فالوراثة، في رأي هـ. و. ر. م. باكوين، يمكنها أن تكون عاملاً من العوامل التي ينبغي أن نأخذها بالحسبان. ولكن ما يبدو أن الجانب السيكولوجي هو الغالب: لدى 41 بالمئة من الأفراد الذين درسهم ب. هالغرين، كانت مشكلات وجدانية موجودة. وليس لسلس البول تلك الدلالة نفسها وفق كونه أولياً أو ثانوياً. فقد يكون سلس البول ناجماً، في الحالة الأولى، عن تثبيت طفالي على مرحلة من

النمو مبكّرة، «شجّعها» تسامح مفرط، بل ضرب من سلبية الأبوين، أو شجعها على العكس احتجاج لاشعوري على تعلّم النظافة قبل الأوان أو تربية مغالية في القسوة. ويعبّر سلس البول، على الغالب أيضاً، عن حيرة الطفل أمام التوترات الأسرية أو سوء التفاهم بين الأبوين، عن إثميته (يشعر أنه آثم، بصورة لاشعورية، لما يحدث) وحاجته إلى القصاص، وعن رفضه أن يكبر. ويرافقه مصّ الإبهام عندئذ على الغالب، وقرض الأظافر أو ضروب من الذعر ليلية. ويعبّر سلس البول الثانوي عادة عن نكوص إلى عصر سابق، أقل اتصافاً بالإحباط، وعن الحنين إلى الطفولة الأولى. ويطرأ على الغالب عقب ولادة جديدة في الأسرة، والدخول إلى مدرسة الحضانة، وانفصال الأبوين أو أي حدث آخر يصعب عليه تحمّله. ويمكنه أن يكون ذا علاقة برغبة في العودة إلى حالة من التبعية، حالة الطفل الصغير الذي يتلقّى العنايات الدقيقة المحبّة من أمه.

ويختفي سلس البول، على وجه العموم، اختفاء تلقائياً نحو السنة الثامنة أو العاشرة من العمر، ولكنه قد يدوم خلال المراهقة، بل حتى في حالة الرشد. ومن يُصاب به يشعر بعمق أنه ذليل، أدنى من الآخرين. ويمكنه أن يتظاهر باللامبالاة أو ينكر الواقع، كهذه البنيّة التي كانت تقول لأمها: «تعرّقت كثيراً هذا الليل!» وعندما يرتكس الأبوان ارتكاسات عدوانية، ينغلقون مع الطفل في دارة لأن موقفهم يجعل حصر الطفل حصراً أكبر، هذا الطفل الذي سيحاول الهروب من الوضع في المتخيّل وهو ينكص. فسلس البول لايتوافق مع ترك الأمور على غواربها ولامع فرط القسوة. والتقنيات المؤلمة (الحقن في منطقة العجان، الصدمات الكهربائية في المنطقة العانية القطنية) ينبغي حظرها أيضاً، ذلك أن الطفل يعيشها بوصفها قصاصاً أو عدواناً. ولابدّ بصورة موازية، من دعم الأبوين ونصحهما في عملهما التربوي، حتى يحاولا تقديم مناخ أسري هادئ ورائق. فإذا استمرّ سلس البول في عصيانه، فإن العلاج النفسي الداعم غير كاف، وتقضي الضرورة باللجوء إلى تقنيات العلاج النفسي الأخرى، كالدراما النفسية، أو العلاج النفسي المستوحى من التحليل النفسي.

N.S.

سلس الغائط

F: Encopresie

En: Encopresis

D: Enkopresis

مصطلح منسوب إلى س. ويسنبرغ (1926) يدلّ على تغوّط لا إرادي يطرأ لدى الطفل الذي تجاوز السنتين من عمره وليس مصاباً بأية آفة في الجملة العصبية ولا بأي مرض عضوي آخر.

ليس سلس الغائط نادراً لأن دراسة كاملة أنجزها م. بلمان (1966 وتناولت 8863) تلميذاً سوياً، بيّنت أنه عرف نسبة تواتر بلغت 2,8 بالمئة في عمر الأربع سنوات، 2,2 بالمئة في عمر الخمس سنوات، 1,9 بالمئة في عمر الست سنوات، 1,5 بالمئة في عمر السبع - ثماني سنوات. وسلس الغائط ذو علاقة بالصبيان على وجه الخصوص: 90 بالمئة من الحالات في رأي كليمون لونه (1974)، 85 بالمئة في رأي جـ. دوهاميل ونْغو غانغ بين (1968). إن هؤلاء المصابين بسلس البول هم، على وجه العموم، أفراد مكفوفون، متصلّبون، أراعن، ضعيفو التواصل، شديدو التدقيق، مرتابون بأنفسهم، متردّدون، يتركون لأمهاتهم أمْر العناية باتخاذ القرارت الخاصة بهم. وهم، إزاء أمهاتهم، لطيفون ولكنهم معارضون على وجه الخصوص؛ إنهم يريدون إرضاءهن وهم، في الوقت نفسه، لايرغبون في ذلك. ويجد هذا النزاع النفسي الداخلي تعبيره في نمط إفراغ الغائط. فالفرد، في زمن أول، يرفض الإفراغ الإرادي ويكافح فتح الصارّة الشرجية الانعكاسية، وذلك يؤدّي إلى صعود المواد في القولون السيني الشكل

والقولون الأيسر (إمساك وظيفي)؛ وخلال هذا الكفاح، ثمة أوساخ لاإرادية يمكنها أن تظهر، ثم يظهر أخيراً سلس الغائط بالمعنى الدقيق للكلمة. وهذا السلس، بالنسبة للطفل المصاب بالإحباط من الناحية الوجدانية، وسيلة إظهار عدوانيته تجاه المحيط وجذب الانتباه إليه. وهذا الهدف يبلغه الطفل بصورة عامة، لأن الأبوين والمربين لايظلّون غير مبالين أمام تصرف من هذا النوع. ويعرف علاج سلس الغائط دربين: الأول، العقاقيري (مليّنات، حقن شرجية، نظام غذائي، إلخ)، مخيّب للأمل، والآخر، السيكولوجي (علاج نفسي داعم أو تحليلي)، يعطي نتائج جيدة. (انظر في هذا المعجم: **سلس البول**).

N.S.

السلطان

F: Autorité

En: Authority

D: Autorität

الاشتقاق: من اللاتيني auctoritas، مشتقّة من augere، أي «نمّى»، «كبّر».

تأثير يُمارس على الآخرين بغية الحصول منهم على تصرف معيّن.

يذكر ياسبرز (1883-1969) أن **صاحب السلطان**، أي من يحوزه، هو أيضاً من يدعم النموّ ويساعد عليه. إنه الأب، على وجه العموم، في الأسرة الغربية، والمعلم في المدرسة، والرئيس في التجمّعات الإنسانية. فالسلطان ظاهرة اجتماعية على نحو أساسي، تظهر منذ أن تجتمع جماعة. ولانجده لدى الموجودات الإنسانية فحسب، ولكننا نجده أيضاً لدى الحيوانات - في قطعان القرود الشبيهة بالإنسان، على سبيل المثال، وحتى في خِمَمَة الدجاج. وأية جماعة لايمكنها أن تستغني عن السلطان. وضرورته تفرض نفسها منذ أن يهدّد الجماعة خطر، وعندما تتجلّى الشقاقات أوعندما يبدو ضرب من تنسيق الطاقات أمراً لاغنى عنه لتحقيق مشروع مشترك. وللسلطان، الناشىء من التوتر، وظيفة تقليصه. وربما يكون السلطان، في الجماعات الاجتماعية (فريق رياضي، فريق جوقة موسيقية، آيلاً إلى الفرد الأكثر قدرة على التأثير في سلوك الآخر، أيلولة تلقائية). ويُمنح السلطان، في المؤسسات (إدارة، جيش، مشروعات)، بعض الأشخاص الذين يختارهم مرجعاً أعلى. وليس السلطان سلطة يمتلكها شخص امتلاكاً طبيعياً ويمكنه أن

يمارسها في كل مكان، وفي الظروف جميعها، ولكنه خاصة يعترف بها بعض الأشخاص لعضو من جماعتهم، في وضع محدّد، بغية أن يساعدهم على حلّ مشكل مشترك. فالمقصود إذاً ضرب من التخلّي الجزئي عن السيادة مقابل خدمة ذات أهمية. والنجاح يعزّز السلطان، والأخفاق يقوّضه. وسلطان الأبوين، من الناحية التربوية، ضروري للأطفال ضرورة المحبة، بل إنه يصبح، في مرحلة المراهقة، أكثر ضرورة من المحبة؛ والتربية دون سلطان غير متعيّنة، والشخصية التي نريد تكوينهاتظل ضعيفة وغير ذات قوام، والوجدان الأخلاقي يصبح قاصراً، والفرد يعيش عدم الأمن والقلق. ولكن ممارسة السلطان حسّاسة. فالسلطان يمكنه، وفق الأسلوب الذي نمارسه به، يقول لوسيان لابرثونيير (1860-1982)، يمكنه أن ينمّي طبعاً خانعاً لدى من يعاني هذا السلطان، أو ينمي، على العكس، شخصية حرة عندما يُستخدم استخداماً جيّداً ويُقبل قبولاً حسناً: هناك السلطان الذي يستخدم السلطة والحنكة اللتين يحوزهما بغية إخضاع الآخرين لغاياته الخاصة ولايبحث إلا عن الاستيلاء عليهم ليستغلّهم، ذلك إنما هو سلطان مستعبِد.

«وهناك سلطان يستخدم السلطةوالحنكة اللتين يحوزهما ليخضع نفسه، بمعنى من المعاني، لأولئك الذين يخضعون له، ويتابع، إذ يربط قدره بقدرهم، هدفاً مشتركاً: ذلك إنما هو السلطان المحرّر». (لابرثونيير، ص. 32).

والسلطان الأسري المفهوم على نحو سيء، الصلب، الاستبدادي، مؤذ أيضاً بقدر أذية قصور السلطان التربوي. فليس السلطان حقاً ينبغي الدفاع عنه، ولكنه ضرورة الحياة المشتركة، ومسؤولية نضطلع بها، وخيراً نستحقّه. إن الأب، أو الأم، الذي يمارس سلطانه لايفعل ذلك ليوطّد شخصيته بل ليساعد الطفل على أن يتجاوز صعوبة، ليقيه من خِطر، ليتيح له أن ينمو ويصبح مستقلاً. (انظر في هذا المعجم: **قصور السلطان**).

N.S.

سلّم الاتّجاه

F: Échelle d'attitude

En: Attitude scale

D: Einstellugsskala, Haltungsskala

أداة كشف عن شدة (أو قوة) اتجاه، منظور إليه أنه متغيّر ترتيبي يميّز كل موجود إنساني.

كل اتجاه، سواء سياسي، اقتصادي، ديني، اجتماعي، إلخ، يقبل التدريج، وربما يكون أمراً مثيراً للاهتمام أن نعرف إلى أي حد يتصف شخص معيّن أنه محافظ، مقتصد، ممارس دينه، اجتماعي، إلخ. وبمتناولنا دراسات أحادية عديدة تذكر الدرجات بالنسبة لكل اتجاه، أي الصوى أو المؤشرات الأولية، المسماة «بنوداً» على الغالب، تتيح تحديد مواقع الأفراد الملاحظين فيما يخصّ اتجاهاً محدّداً، فنبحث إذن عن ترتيبهم على طول محور يسمّى «سلم الاتجاه».

فلنستند، على سبيل المثال، إلى سلم هـ. جـ. إيزنك، الموضوع عام 1953، سلم تميّز عناصره اتجاهاً سياسياً (انظر سلم إيزنك في نهاية هذا المقال).

واتجاه شخص يكون أكثر محافظة عندما يتبنّى وجهات النظر أوالسلوكات المذكورة باتجاه اليمين (في الكتابة الأجنبية «م»). وبوسعنا على هذا النحو أن نرتّب الأفراد تبعاً لإجاباتهم. فنفهم مباشرة، بحسب هذا السلم، أننا لانتماسك في اتجاهاتنا تماسكاً كلياً دائماً، ولهذا السبب، يتحدّد سلم اتجاه على قاعدة إحصائية، ويكفي أن يكون التحقّق منه، شأنه شأن كثير من المفاهيم الأخرى للعلوم الإنسانية، بالنسبة للعدد الأكبر من الأفراد.

وثمة تقنيات مختلفة لإعداد سلالم الاتجاهات، ولكننا لن نذكر فيما بعد سوى الطرائق الثلاث الأكثر أهمية. فتعبير «قياس الاتجاهات»، الذي نصادفه كثيراً منذ المقال ذي الدوّي كتبه ل. ل. ثورستون، المعنون **الاتجاهات يمكنها أن تُقاس** (1928)، تعبير يتصف بشيء من المغالاة، ولكنه ليس أكثر مغالاة من تعبير «قياس درجات الحرارة» إلا بقليل. والمقصود، في الحالين، ترتيب مجموعة من الملاحظات يحدّد تسلسلها على وجه الدقة متغيّراً ترتيبياً. وتختلف معايير الترتيب في الطرائق التي كنا قد ذكرناها أعلاه، واختيارها تابع على نحو أساسي لطبيعة الاتجاه المدروس والغرض المنشود.

1ـ طريقة ر. ليكر.

إذا كان الاتجاه المدروس إظهار استعداد عميق ذا علاقة بسمات طبع، فإن الطريقة المعروفة باسم **سلم ليكر** تقدّم نتائج جيدة. فالبنود تُعرض على شكل أسئلة واضحة تتعلّق بالاتجاه؛ فيُطلب إلى الفرد أن يبدي رأيه في كل بند هل هو: غير موافق جداً، غير موافق فقط، غير مبال، موافق، موافق جداً. فنحصل إذن لكل فرد على علامة مؤشرة للاتجاه يمكنها أن تتفاوت من 1 إلى 5 وفق الدرجة التي يقبل بها الفرد ذلك البند المعنيّ (انظر السلالم الثلاثة في نهاية المقال).

ويقدّم مجموع النتائج (أو معطيات الاستقصاء) جدولاً ذا مدخلين. مثال ذلك: بنود مستخلصة من سلم ت. و. أدورنو (1903-1969) للاتجاه السياسي الملائم للسلطوية.

بند آ: «ينبغي أن نعلّم الأطفال الطاعة.»

بند ب: «توجد أمور لا يمكن أن يفهمها العلم.»

بند جـ: «ينبغي معاقبة الجنسين المثليين بقسوة.»

بند د: «العالم يمكنه أن ينقسم إلى أقوياء وضعفاء.»

بند هـ: «سيكون ثمة دائماً حروب ونزاعات.»

البنود / الأفراد	ع	غ	ف	ق . . .
آ	3	4	1	2....
ب	2	4	2	3....
جـ	4	3	1	2....
د	3	3	2	3....
هـ	4	4	3	2....
مجموع	16	18	9	12....

كل بند من البنود كاشف عن الاتجاه، ونباشر، مهما كانت الأهمية النسبية لمختلف البنود، مجرّد جمع العلامات التي يحصل عليها كل فرد من الأفراد، وذلك يتيح ترتيبهم ويتيح التأكيد، على سبيل المثال، أن ف، ق، أقل «سلطوية بكثير من ع،غ. والأمر الذي لاغنى عنه هو أن يكون للبنود المختلفة توجّه الاتجاه، التوجه نفسه، بحيث تكون علامتها محدّدة من 1 إلى 5 بالدلالة نفسها؛ فإذا كان أحد البنود ذو توجه عكسي فينبغي أن تكون علاماته محددة من5 إلى 1 . مثال ذلك البند التالي في سلم أدورنو: «من لم يتلقّ تربية جيدة يمكن أن يتفاهم مع أناس مناسبين.» أضف إلى ذلك أن من الواجب التأكد أن كل بند يسهم إسهاماً جيداً في تحديد اتجاه متجانس، أي ذي بعدواحد، إذ نحسب معامل الارتباط بين كل مجموعة من علامات بند ومجموعة العلامات الكلية؛ ولايُحتفظ إلا بالبنود ذات الارتباط القوي إلى حد كاف بعلامات الاتجاه الإجمالية، ومثال ذلك البنود التي يكون معامل ارتباطها أعلى من 0,60 أو 0,70 وفق الدقة في تحديد الاتجاه. فسلم ليكر ذو طبيعة ترتيبية فقط.

2 - طريقة ل . ل . ثروستون

تستند هذه الطريقة إلى فكرة مفادها أن البنود ليست لها الأهمية نفسها في تحديد اتجاه؛ فيتخذ إذن غرضاً هو ترتيب البنود نفسها بوصفها كاشفة عن اتجاه ثنائي القطب، أحدهما تحدّده العلامة 0 والقطب الآخر العلامة 9,7 أو 11 (بحسب دقة السلم). وكل بند، في هذه الطريقة، ينبغي أن يُصاغ على نحو ثنائي التفرّع، إذ ينبغي للفرد أن يجيب إن كان «مع» أو «ضد». ويُطلب إلى جماعة من الخبراء، يشكّلون ضرباً من هيئة محكمين، أن يقيّموا موقع البند على السلم.

مثال ذلك: بنود مستخلصة من سلم ل . ل . ثورستون محدّدة علاماتها بـ11 نقطة للاتجاه إزاء الطلاق، سلم يتضمّن 22 بنداً (1931).

آ) «الطلاق يخفض مستوى الأخلاقية العام.»

ب) «الطلاق شر ضروري.»

جـ) «المحاذير لاينبغي لها أن تحجب المزايا.»

د) «الزواج ينبغي أن يُفسخ بقدر من السهولة يوازي عقده.»

فإذا كانت هيئة الخبراء تتضمن، على سبيل المثال، 40 «خبيراً»، فلبند جـ أربعون تقييماً يمكنها أن تتوزّع وفق التخطيطية لسلم ثورستون (انظر سلم ثورستون في نهاية المقال).

ورأي الهيئة يظهر بوضوح على نحو كاف لمصلحة العلامات 7,6,5، ونتبنّى القيمة الوسيطة للبند موضع البحث (الذي يقدمه منحنى التكرار المتجمّع)، وهو هنا 5,8 واستشارة الخبراء في مجموع البنود 22 يقدّم التقييمات التالية، المقصورة على البنود الأربعة المذكورة في المثال:

البند آ: 1,6

البند ب: 4,8

البند جـ: 5,8

البند د: 9,4

وفي وضع سلم من هذا النوع، نستبعد البنود التي كانت قد اختيرت على نحو أولّي وأُخضعت لرأي الخبراء، ولكنها التي لاتقدّم الهيئة رأياً فيها مركّزاً ببروز ولايعرض لها الرسم التخطيطي للتكرار حالاً بارزة جداً. ونقترح على الفرد، لنحدّد علامة اتجاهه، مجموع البنود 22، ونبيّن إجاباته «مع» و«ضد»، ونأخذ العلامة الوسيطة (أو المتوسطة) لهذه الإجابات (انظر الرسم التخطيطي في نهاية المقال).

وتسمّى طريقة ثورستون في بعض الأحيان (طريقة المحكّمين)، بسبب اللجوء إلى هيئة خبراء، أو تسمى أيضاً «سلم الفواصل المتساوية في الظاهر» بسبب واقع مفاده أنه يسعى جاهداً ليكون سلماً قياسياً قائماً على انتظام مفترض للتدرّجات (على صورة سلالم الحرارة). والترتيب، مع سلم ثروستون، يقوم على تنظيم البنود المسبق.

3- طريقة لويس غوتمان

هذه الطريقة المسماة «تحليل تراتبي» عازمة على أن ترتّب البنود والأفراد ترتيباً مترابطاً، ساعية إلى أن تجتمع الإجابات في لوحة على شكل متوازي الأضلاع. وثمة أجهزة مختلفة، مثل «الرسم السلمي لغوتمان» (ضرب من رُقعة مربعات ملوّنة قابلة للتحوّل مصنوعة من جدولين مربعين منضّدين) أو «اللوحة البيانية لرينيه»، كانت موضع تصوّرٍ بغية المحاولة لتحقيق هذا التنظيم عندما يكون ممكناً.

إن اتجاهاً محدّداً على هذا النحو هو وحيد البعد بالمعنى الدقيق للكلمة، ذلك أن البنود المختلفة تترتّب عندئذ وفق الملاحظات ذاتها. وهذه الطريقة تُراتب البنود بالتضمّنات المتتالية، فالجواب الإيجابي عن بند تستلزم إجابة إيجابية عن البنود التالية، من حيث أن اتجاه الفرد متماسك تماماً. ويقدّم سلم العرقية الشهير لبوغاردوس إبانة بسيطة، بنوده يمكنها أن تُعلن بإيجاز على النحو التالي:

«أتقبل أن يكون رجل ملّون مواطناً من مواطني بلدك، جارك في الحي، زميلك في العمل، صديقك، عضواً من أعضاء أسرتك؟»).

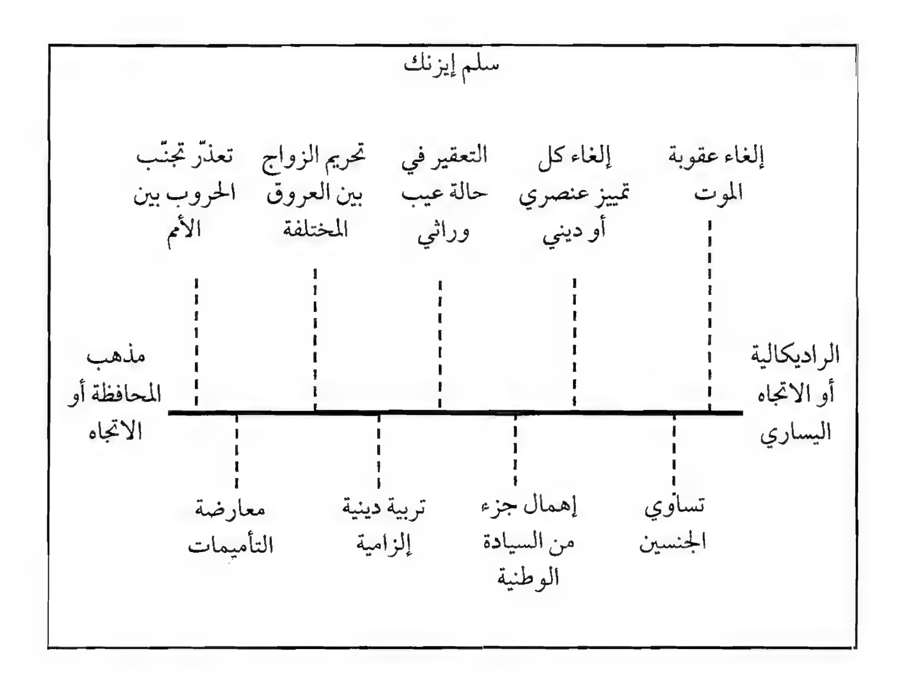
ومن النادر أن نتوصّل، في سكان موضع ملاحظة، إلى أن نرتّب النماذج المختلفة من الاتجاهات ترتيباً تاماً، كما في الجدول السابق. وعندما لايكون الاتجاه وحيد البعد على الإطلاق، فإننا نحسب العلامات - الموجودة في الجانب + والعلامات الموجودة في الجانب -؛ إنها معطيات غير منتظمة، ونسمي «معامل التكرارية» الكمية:

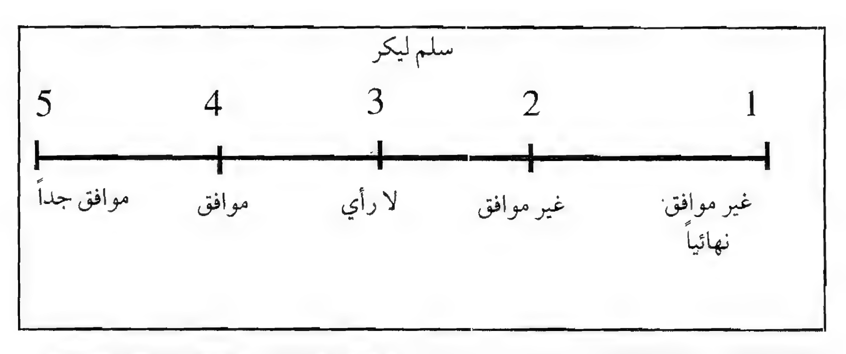
$$1 - \frac{ع}{ن \times نَ}$$

(ع: عدد البنود غير المنتظمة؛ ن: عدد الأفراد؛ نَ: عدد البنود الإجمالي).
وكلما كان هذا المعامل قريباً من 1، كان السلم أفضل؛ وإذا كان قائماً بين 0,8 و0,9، نقول إن لدينا فقط شبه **سلم**.

الأفراد / البنود	منتهى العرقية	عرقي جداً	عرقي إلى حد كاف	عرقي	عرقي قليلاً	يخلومن الحكم القبلي
مواطن	-	+	+	+	+	+
جار	-	-	+	+	+	+
زميل	-	-	-	+	+	+
صديق	-	-	-	-	+	+
عضو أسرة	-	-	-	-	-	+
	5 عرقية	4	3	2	1	0

وسلالم الاتجاهات أدوات عمل ذات أهمية كبيرة جراء أنها تُدخل الدقة في دراسة الاتجاهات. ويقتضي وضعها كثيراً من العناية، ولن ننسى أن أي استقصاء للاتجاهات يُبنى، بصورة عامة، على تصريحات المعنيّين، التي لاتتوافق دائماً توافقاً دقيقاً مع السلوك الفعلي لهؤلاء المعنيين. (انظر في هذا المعجم: **الاتجاه، التعبير بالأبعاد، المتغير**).





سلم ثورستون

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
	3	3	5	7	8	6	3	3	2	

فــــرز الآراء الخـــاصـــة بالبند جـ

	(د)					(جـ)	(ب)	(آ)		
11	9,4	8,5	7,1	6,6	6,2	5,8	4,8	1,6	0	بنود علامات إجابات الأفراد
إجابات سلبية	+	+	+	+	+		إجابات سلبية			

العلامة الوسيطة للإجابات الإيجابية هي، بالنسبة لهذا الموضوع، 6,6، وذلك أمر يكشف بالحري عن اتجاه مؤيد للطلاق.

J.M.M.

سلّم ألكسندر

F: Échelle d'Alexander

En: Alexander Performance Scale

D: Alexander Performance scale

مجموع من روائز الإنجاز ضبطها عالم النفس الانغليزي (1946) لقياس الذكاء العملي لدى التلاميذ، قياس سابق على قبولهم في مؤسسة تعليمية تقنية.

يتضمّن هذا السلم ثلاثة اختبارات: رائز البناء (مع ثمانية مكعبات)؛ مكعبات كوس، تتضمن 16 مكعباً وعشرة رسوم ينبغي إعادة تكوينها (ضرب من التجميع)؛ الإزاحة، المتكوّنة من أربعة إطارات خشبية، وثلاث عشرة قطعة خشبية زرقاء أو حمراء وثماني تخطيطات رسوم تدلّ على الوضع النهائي لهذه القطع الخشبية الملوّنة (القطع يمكنها أن تنتقل بالانزلاق، وليس بإخراجها من الإطار). والزمن مقاس. ويتيح سلم ألكسندر حساب حاصل الذكاء العملي. واستخدامه ممكن مع الأطفال، انطلاقاً من السنة السابعة أو الثامنة من أعمارهم، مع الأفراد الذين يعانون قصوراً في السمع أو الأفراد الصمّ لانتقاء المبتدئين في تعلم الحرف، إلخ. وكان رائز الإزاحة قد استُخدم أيضاً في الدراسات المخصّصة لسكان أوستراليا الأصليين. وقد بيّنت لنا تجربتنا مع الأطفال والمراهقين الذين تقدّموا لاستشارات الصحة العقلية أن هذا الرائز يحابي الأفراد الأصغر عمراً، ولكن السلم بمجموعه ذو ترابط جيد بروائز الذكاء العام.

N.S.

F: Échelle de Performance de Grace Arther **سلّم الإنجاز لأرثور غريس**

En: Grace Arthur performance scale

D: Arthur - Hand lungsskala

سلم غير لفظي للذكاء منسوب إلى عالم النفس الأمريكي غريس، مخصّص لتقييم المستوى العقلي لدى أفراد مصابين بالصمَم البَكَم، أو بكفّ كبير، أو بصعوبات اللفظ، أو بعائق ألسني.

عمل المؤلف ست سنوات قبل أن ينشر، عام 1930، أول نسخة (الشكلين I وII) من رائزه. ويتضمّن هذا الرائز تسعة اختبارات: مكعبات هـ. أ. نوكس (مجموعة من الدقّات ينبغي تقليدها)، لوحة إ. سيغان (أشكال هندسية ينبغي دمجها)، لوحة الصورتين (التدريب على تقنية اللغز [Puzzle])، الحذق الشديد أو لوحة الصور الأربع (إعادة بناء صور)، تمثال عرض الملابس أو الصورة الجانبية لـ ر. بنتنر (تجميع أشياء)، الفرس ومهرها (تجميع أشياء)، تتمة الصور لهيلي، المتاهات لـ س. د. بورتو، مكعبات س. ك. كوس (إعادة تكوين موزاييك). وكان الشكل I قد عُدّل عام 1949 تعديلاً عميقاً (خمسة اختبارات بدلاً من تسعة)، وأُعدّ الشكل II إعداداً نهائياً. وهذا الشكل الأخير، الذي أُعيد النظر فيه عام 1947، يتألف أيضاً من خمسة اختبارات: اختبار نوكس، وسيفان، وهيلي، وبورتو، يُضاف إليها رائز القوالب لتلوين الرسم، الذي وصفه أرثور غريس عام 1944.

وسلم الإنجاز لغريس أرثور يُطبّق على الأطفال، بدءاً من ثلاث سنوات، وعلى المراهقين والراشدين.

N.S.

سلّم ذكاء الأطفال لوشلر

F: Échelle d'inetelligence de Wechsler Pour enfants

En: Washsler intelligence scaile for children (W.I.S.C.)

D: Hamburg - Wechsler - Intelligenz - Test für kinder (H.A.W.I.K.)

رائز ذكاء فردي عرضه عام 1919 دافيد واشْلر (1896-1981)، قائم على المبادىء التي قام عليها سلم واشلر- بلّيفو.

تتضمّن السلالم اللفظية وسلالم الإنجاز خمسة روائز فضلاً عن رائز اختياري (رائز ذاكرة مباشرة للأرقام، رائز متاهات). ويغطّي التدرّج تلك المرحلة التي تمضي من خمس سنوات إلى ست عشرة سنة، وتوجد جداول لتحويل العلامات الخام إلى علامات نمطية لكل شريحة من أربعة أشهر: من خمس سنوات إلى خمس سنوات وثلاثة أشهر، من خمس سنوات وأربعة أشهر إلى خمس سنوات وسبعة أشهر، وهكذا دواليك حتى خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً.

وسلم ذكاء الأطفال في المرحلتين قبل المدرسية والأولية (W.P.P.S.I)، الذي كُيّف في فرنسة عام 1972 بهذه التسمية، توسّع في سلم ذكاء الأطفال لوشلر (W.I.S.C.). إنه يتوجّه إلى الأطفال من أربع سنوات إلى ست سنوات ونصف. ويضم عشرة اختبارات (المعلومات، بيت الحيوانات، المفردات، إكمال صور، الحساب، المتاهات، الأشكال الهندسية، القياسات والتشابهات، الفهم،

«مربعات»)، إضافة إلى رائز اختياري (جمل للحفظ). والعلامات الخام تتحول أيضاً إلى علامات متوازنة، ومجموع هذه العلامات الأخيرة تُحوَّل إلى «حاصل ذكاء»، على غرار مايحدث في سلم ذكاء الأطفال لوشلر (.W.I.S.C) أو سلم ذكاء الراشدين لوشلر (.W.A.I.S).

N.S.

سلّم النضج العقلي لكولمبيا

F: Échelle de maturité mentale de Columbia

En: Columbia mental maturity scale

D: Columbia Test

رائز فردي للذكاء لروز أطفال يعانون اضطرابات حركية وضروباً من العجز اللغوي.

هذا السلم الذي أعدّه بين عامي 1947 و 1959 علماء النفس الأمريكان ل. هولاندر بلوم، إي. لورج، ب. ب. بورجيمستر، كان قد صيغ صياغة أساسية لتقييم المستوى العقلي لأطفال مصابين بعاهات حركية دماغية، وللمصابين بإعاقات حركية وبالصمَم على وجه العموم. ويتألف الرائز من مئة لوحة مجلّدة بمقوّى، قياسها 15×48 سم، بيضاء وملوّنة بألوان خفيفة مختلفة (أصفر، أزرق، أخضر باهت)، تُمثّل عليها رسوم هندسية، أشخاص، حيوانات، نباتات، أشياء مألوفة ينبغي للطفل أن يتعرفها بسهولة. وعلى الفرد أن يذكر، بالحركة أو الإيماء، تلك الصورة التي لاتتلاءم مع الصور الأخرى. ففي اللوحات الأولى، كل الأشكال متطابقة ماعدا شكل واحد. ثم ينبغي للطفل، إذ تتنامى الصعوبة، أن يتعرّف زوجين من الرسوم المتطابقة ويُستبعد الخامس على هذا النحو. وتصبح كل الصور، بدءاً من اللوحة الخامسة والخمسين، مختلفة، وعلى الفرد أن يكتشف العلاقة المنطقية الموجودة بينها ليجد تلك التي «لاتتلاءم مع الأخرى». وهكذا يُستبعد، في المجموعة التالية: عصفور دوري - زهرة- بومة - نبات بقلي- هر،

هذا العنصر الأخير من المجموعة لأنه لاينتمي إلى مملكة النبات ولا إلى صنف الطيور. فرائز كولومبيا، كما نرى، اختبار فكري مفهومي شبيه باختبارات ل. س. فيغوتسكي، وكورت غولدشتاين أو جان بياجه. ومدة تطبيقه، بالنظر إلى أن الشروط التي تحكمه معيّرة، لاتتجاوز الثلاثين دقيقة لدى الأطفال الأشد إعاقة. وتكمن تقنية أصيلة فرنسية في التوجّه إلى الطفل، عندما يكون ذلك ممكناً، بدءاً من اللوحة الواحدةوالثلاثين، بالسؤال عن أسباب اختياره. وذلك يتيح لنا أن نفهم السيرورات العقلية التي قادته إلى الجواب. ويزداد زمن العرض، في هذه الحالة، نحو خمس عشر دقيقة. (انظر في هذا المعجم: **العاهة الحركية الدماغية**).

N.S.

السلوك

F: Comportement

En: Behavior

D: Verhalten

ارتكاسات فرد من الأفراد، منظور إليه في وسط وفي وحدة من الزمن معيّنة، على إثارة أو مجموعة من التنبيهات.

للسلوك دائماً، التابع معاً للفرد وبيئته، لا لواحد منهما فقط (ك. لوفن)، معنى ووظيفة. إنه ذو علاقة بالبحث عن حالة أو شيء قادر على أن يقلّص توترات العضوية وحاجاتها (هول). فلكل السلوكات، من مجرد الفعل المنعكس، الذي ينزع إلى إلغاء الإثارة، إي العصاب، المدرك أنه ارتكاس غير مناسب على الحصر، وظيفة بيولوجية: إتاحة التكيّف للفرد مع التغيرات الجزئية أو الإجمالية في الوسط الخارجي أو الداخلي. إن موريس ميدلو- بونتي عرّف السلوك أنه «مناظرة الفرد مع العالم وشرح الفرد».

N.S.

اللفظة القديمة، لفظة السلوك، التي يعود تأريخها إلى القرن الخامس عشر، كان هنري بييرون (1908) قد استأنفها ليترجم كلمة Behavior الانغليزية، المستخدمة في علم النفس الموضوعي (بختريف، 1907) وفي علم النفس الحيواني (جيننغز، 1906) والدالّة على «فاعلية الموجودات وعلاقاتها الحسيةالحركية بالوسط».

واكتسب هذا المفهوم، بفضل أعمال السلوكيين، الذين كانوا يرون معاً في السلوك ظاهرة سيكولوجية والموضوع نفسه لعلم النفس، موقعاً مركزياً في العلم السيكولوجي بالولايات المتحدة الأمريكية خلال الربع الأول من هذا القرن. وكان جـ. ب. واطسن (1924) يعرّف علم النفس أنه «هذا الفرع من العلوم الطبيعية الذي موضوعه السلوك الإنساني، الأفعال أو الكلمات، المكتسبة أو الفطرية. وكان هذا التعريف قد أكمله منذ ذلك الحين تضمين السلوك الحيواني، ولم يعد علماء النفس الأمريكيون يماثلون بين السلوكية الواطسونية ودراسة السلوك على وجه العموم. بل حاول بعض المؤلفين كستاغنر وسوله (1970)، المتأثرين بالفلسفة الوجودية، أن يمدّوا هذا المفهوم على التجربة الإنسانية، ولكن التجربة، بوصفها معيشاً أو شعوراً، لاتُعتبر على وجه العموم أنها تشكّل جزءاً من السلوك. وكان واطسن يوصي بالتخلّي عن التكافؤ بين لفظي تصرف وسلوك (ماك دوغان 1908)، وكان بيير جانه يسلّم أن مفهوم السلوك يتخطّى حدود مفهوم التصرف، ولكن دانييل لاغاش نقد كل هذه التمييزات (1948-1969). بيد أن تعذّر عزل السلوك، بالتحليل، عن جوانبه الجسمية والفيزيولوجية الخفيّة (تولمان، 1932) أزال التمييز أيضاً بين التعريفات «الإجمالية» والتعريفات «الجزيئية» للسلوك. وسهّل في الوقت نفسه نموّ **نظرية المنبه - الاستجابة**، خلال السنوات الأربعين من هذا القرن، تماهي السلوك والاستجابة وأتاح أن يُرى فيه ظاهرة طبيعية يمكنها أن تُحدّد في التجربة، بمعنى كلية الأحداث الكونية التي يمكن أن يعرفها الإنسان. ويُعتبر على هذا النحو أن هذه الظاهرة السيكولوجية، السلوك، تعادل، إذا نظرنا إليها من زاوية الخصائص الشكلية، ظاهرات علم الفيزياء، مع أن «السلوك الأبسط يمثّل مركباً من السيرورات المحدّدة» (بوفا، 1965).

وقاد مع ذلك نمو دراسة العلاقة، علاقة المنبه - الاستجابة، بعد وودورث (1958)، والأهمية التي أولاها بعض علماء النفس سيرورة هذه العلاقة، سيرورتها الوسيطة (وودورث وشينان، 1964)، إلى التفكير في أن «السيرورات النفسية هي وظائف العضوية» (مون، 1966) وإلى تعريف السلوك، هذه السنين الأخيرة، أنه

وظيفة بيولوجية من وظائف العضوية الإنسانية والحيوانية تتحقّق في تعديل فاعل إجمالي، أو استجابة تكييفية. ويكوّن السلوك، لأنه وظيفة من وظائف العضوية يمكنها أن تكون مرتبطة بضروب «ضبطها الحيوية التي لايمثّل السلوك سوى جزء صغير من هذه الضروب من الضبط» (بييرون، 1953)، أقول يكوّن السلوك منظومة امتصاص صدمات(*) أكثر تعقيداً وأكثر تخصّصاً من المنظومات الفيزيائية والفيزيولوجية المقابلة؛ إنه يتبع مبدأ الاتزان الحيوي (أو الميل إلى إبقاء الشروط المثلى للحياة ثابتة) الذي يتخذ، على مستوى السلوك، سمةإيْضية، في إطار ضربٍ من انتظام العضويات الإنسانية، الذي يمكننا اعتباره اتزاناً حيوياً من عدة اتزانات حيوية (ميير، 1967). ويمكننا أن ننظر إلى السلوك، مع أنه ضرب من التعديل الفاعل الإجمالي وظيفته التكيف، من جوانب شتى: وفق سيره، وفق غلبة اللفظة الأولى أو الثانية من العلاقة منبه - استجابة، أو وفق الفاعلية التي ينوب منابها (ري، 1964). ويمكننا أيضاً أن نميّز شكلي السلوك الظاهر أو الضمني، كما نميز بعض السيرورات الانفعالية، الحركية أو اللفظية (الكلام تحت اللفظي، في رأي واطسون، يتزامن مع الفكرة). وبوسعنا أيضاً أن نميز سلوكات خاصة بالعمل المنجز، وخاصة، لدى الإنسان، بالدور الاجتماعي الوجداني أو الشخصي، أو أن نستند إلى العمليات المنفّذة. ويمكننا أن نصنّفها في نماذج (غريزي، ذي دافعية، ذكي)، في تخطيطات (تغذية، إماهة)، في وحدات أو أطوار (الفعل الاستهلاكي، في السلوك الغذائي ذي الدافعية)، ووفق التقطيع الذي أجراه عالم النفس في المتّصل السلوكي.

وبوسعنا، أخيراً، أن ننظر إلى السلوك من زاوية لفظتي العلاقة منبه- استجابة، لأن القطب «منبه» (ما يحرك العضوية) هو موضوع دراسة الدافعية، والقطب «استجابة» هو موضوع فحص الأشكال من الاستجابة، أشكال فطرية أو مكتسبة. فالبحوث في السلوكات المكتسبة ذات علاقة بالتعلّم والحفظ، اللذين

(*) أو «وقاية»«م».

يكوّنان، مع سيرورات دافعية السلوك وتنشيطه، الفصول الثلاثة من علم النفس العام.

والسلوك ظاهرة وحدوية ولكنه ينطوي، بوصفه وظيفة العضوية شأنها شأن الوظائف الأخرى، على جهاز يرتبط السلوك به، على بنية تميّزه، على آليات فيزيولوجية تتدخّل فيه وعلى سيرورات تقمع سيره. وتكون العضوية برمتها جهازاً سلوكياً. إنها، في وقت واحد، مركز السلوك وسببه، على نمط التعريف التشريحي الذي مفاده أن الجهاز مجموعة من الأعضاء والجمل التي تتضافر لتحقيق وظيفة من الوظائف الحيوية الكبرى على نحو مستقل. أما الآليات الفيزيولوجية، فهي، على العكس، تسهم، على مستوى عضو أو وظيفة، في إنتاج سلوك، كالسيرورات العصبية الهرمونية التي تتدخّل، مع أيض الغلوسيدات الوسيط، في سلوك التغذية ذي الدافعية، أو الاتصالات الشبكية - القشرة الدماغية - الشبكية، التي يرتبط بها إما تنشيط السلوك (ديل وليبيري، 1959) وإما بعض خصائص الإنسان الفردية (إيزنك، 1970). ويمكننا أن نعتبر سيرورةً أنماطَ سيرسلوك - مثال ذلك مايمكن أن يحدث بين المرحلة التي يُحدث فيها ضرب من تعديل الاتزان الحيوي حاجةً وبين المرحلة التي يعود فيها الاتزان الحيوي إلى حاله بواسطة استجابة (لازيروني، 1971).

وعلينا، في دراسة السلوك أن نولي مفهوم البنية أهمية خاصة جداً، بنية منظور إليها أنها: 1) تنظيم جوهري للوظيفة، يمكننا أن نتصوّره أنه تعاقب زمني من السيرورات واستعداد مكاني للأعضاء واتصالاتها (مثال ذلك سيرورة الفعل المنعكس الشرطي الفيزيولوجية، مرلو بونتي، 1942)، 2) تشكّل نوعي للشخصية المحدّدة بالنسبة للأسلوب، النوعي أيضاً، الذي يسلك بحسبه فرد في الحياة (إيزنك، 1970). وهذا التصور الثاني، المشتق من التحليل الفرقي للسلوك الذي طوّرته الطرائق المتعدّدة العوامل، يعمل على مستوى علم النفس العام من المقاربة الثانية (روشلان، 1964). ويتيح هذا التصور الثاني لعلماء النفس المعاصرين أن

يميّزوا بنية من الدرجة الأولى، تعبيراً دينامياً للسلوك بصورة عامة، وبنية من الدرجة الثانية ترجع إلى سلوك الأنواع المختلفة وتقدّم فهم الطبيعة الإنسانية. وفيما يخصّ هذا الشكل الثاني من البنية، وصف التحليل الإجرائي، في علم النفس الإنساني، أبعاداً نوعية (مزاجاً، ذكاء، طبعاً) يمكنها أن تنقسم إلى سمات سلوك وتكوّن تشكّلات (**أنماطاً**) نوعية للشخصية السوية أوالمرضية. ويمكننا أن نُرجع كل بعدمن هذه الأبعاد إلى السيرورات السيكولوجية الأساسية: المزاج إلى «منظومة من السلوك الوجداني المستقر والدائم، قليلاً أو كثيراً؛ الذكاء، إلى «منظومة من السلوك المعرفي المستقر والدائم، قليلاً أو كثيراً؛ الطبع، إلى «منظومة من السلوك الإرادي (صيغة النزوع)، المستقر والدائم كثيراً أو قليلاً» (إيزنك، 1970).

وبيان التشكلات لبنية الشخصية وبنية كل بعد من أبعادها أساسي لتشخيص، وإنذار، وعلاج السلوك المرضي أو المنحرف، إذ نقبل مع كلود برنار أن الفارق بين السوي والمرضي فارق من النسق الكمّي. فالسلوك المرضي، من وجهة النظر هذه ناجم عن تعديل كمي للبنية، لم يعد يتيح تكيّفاً أمثل للعضوية ويثير، في بعض الشروط، تشوّهاً في الجهاز السلوكي. ويمكننا أن نسلّم، لدى الإنسان، بوجود أشكال وسيطة بين السلوكات المتكيفة والمرضية، كالسلوك المنحرف، حيث نقص التكيف ذو علاقة بالوسط الاجتماعي، والسلوك الجانح، حيث الفرد يقبل أهداف المجتمع ولكنه يرفض الوسائل التي قنّنها.

وأخيراً، قادنا اعتبار السلوك وظيفة العضوية، وظيفة ذات علاقات بالوظائف الأخرى وتشوّهات إحداها يمكنها أن تنعكس على الأخرى، إلى تصنيف أشكال السلوك المرضية كلها وفق درجة المرضية وترتيبها على طول متّصل يمضي من الأمراض الجسمية والنفسية الجسمية إلى الأعصبة والذهانات (لازيروني وسيريغاتي، 1969). وعلى هذا النحو إنما تؤثّر عوامل سيكولوجية قبل كل شيء على العضوية، في المتلازمات النفسية الجسمية، عوامل جزء منها داخلي وجزء منها ناتج عن صعوبات في التكيّف، عوامل مقترنة بعوامل أخرى تثير المرض

وبدونية وظيفية للعضو (أي نقص في القدرة الوظيفية وكون العضو هشّاً). فآليات نشوء الأمراض لهذه المتلازمات، التي تمضي من التهاب المفاصل المتعدّدة إلى القرحة المعدية ومن فرط التوتر الأساسي إلى الربو، تنطوي على تشوّهات في جمل تنشيط الجملة العصبية المركزية (التكوين الشبكي والجملة الطرفية)، المسؤولة عن تنشيط السلوك والمزاج (إيزنك، 1967). وهذه التشوهات تختلف في كميتها وفق العضو الموظّف والتشكلات المختلفة للشخصية المعنيّة والنفاسات(*)، حيث لاتتدخّل عوامل تشريحية وتُنتج ضروباً من عدم التكيف المؤقت يمكنها أن تتراجع، هي، على وجه الحصر، تشوّهات في بنية السلوك يمكنها أن تُعزى إلى سيرورات التعلم. أما في الذهانات، حيث تغيّرات السلوك المرضية لايمكنها، على العكس، أن تتراجع أو ضعيفة القابلية للتراجع، فإن هذه التشوهات تبدو ذات علاقة بعوامل عديدة وراثية أو كيميائية حيوية؛ إنها خاصة بالجهاز السلوكي والذكاء على وجه الخصوص (سولستي، لازيروني، دو دوميني، 1973). (انظر في هذا المعجم: **السلوكية**، **التصرف**، **الصرع**، **جماعة بالو ألتو**، **المنبه**).

V.L.

(*) النُفاس أو العصاب النفسي Psychonévrose: انظر المصطلح في هذا المعجم: «م»

السلوك الحيواني

F: Comportement animal

En: Animal behavoiur

D: Tieverhalten

يدلّ هذا المصطلح على مجموعة الفاعليات الظاهرة التي يعرضها حيوان استجابةً للإثارات الصادرة عن بيئته ووسطه الداخلي أو وسطه الداخلي.

هذه المظاهر تكيّفية على وجه العموم (أو ضابطة)، من حيث أنها تنزع إلى إيقاف فقدان التوازن الذي يتصف أنه سببها. مثال ذلك أن **التوجّه الضوئي** حركة توجه إزاء مصدر نور، تنزع إلى إلغاء عدم التساوي في إضاءة العينين؛ والسلوك الغذائي فاعلية نوعية (أو غريزة) تنزع إلى تقليص الجوع أوالظمأ... ويشمل السجلّ السلوكي لحيوان من الحيوانات على فاعليات درجةُ تخصّصها تتغيّر جداً. ولبعض هذه الفاعليات، كالانتقال، وإيجاد التوازن، والتوجه، وإيقاعات الفاعلية، إلخ، وظائف متنوّعة جداً وتكوّن أدوات للسلوك متعدّدة الوظائف: وهكذا يتدخّل **العودة إلى المأوى** في أعقاب خروج متعدد للاستكشاف، والجني، والبحث عن موقع تجمّع النحل، إلخ. ولفاعليات أخرى بالمقابل، وظيفة متخصّصة بشدة وتستجيب لدافعية وحيدة الاتجاه (حالة العرض الاحتفالي السابق على التزاوج، على سبيل المثال).

ميّز العلماء زمناً طويلاً، في دراسة السلوك التقليدية، بين العناصر **الفطرية** (أو الموروثة)، الموجودة منذ الولادة والخاضعة لنضج بعد الولادة، وبين العناصر

المكتسبة فردياً على قاعدة التجربة المعيشة. وكانت الأهمية الخاصة بالمعطى الوراثي، والمكتسب غير ذي العلاقة بالوراثة، وفق التيارات الإيديولوجية، ذات تقييم مختلف جداً. وتواجهت التأثيرات المتعارضة للقبلية والاختبارية في هذا المجال كما في مجال علم النفس الإنساني. فالتقسيم الثنائي فطري/ مكتسب يُعتبر في الوقت الراهن مع ذلك، على الرغم من المقاومات العنيدة، مضلّلاً وبائداً: فليس ثمة على الإطلاق سمات سلوك «محض فطرية» أو «محض مكتسبة». والبرنامج الوراثي الخاص بكل فرد (حيوان أو إنسان) متاع من الإمكانات الموجودة بالقوة التي ستتحقّق بالفعل وتنمو على نحو مختلف تبعاً للتجربة المعيشة ولشروط الوسط المتسامحة قليلاً أوكثيراً: وهكذا يمكن أن تتعدّل درجة التهيّب، لدى الكلاب ذات العرق النقيّ (فهي بالتالي واحدة من الناحية الوراثية)، تعديلاً كبيراً بفعل نظام تربيتها، ولاسيما في الأشهر الأولى من حياتها. والتعبير عن هذه السمة ذو علاقة، بين أشياء أخرى، بالأهمية الكمية للاتصالات مع المربي وأسلوب هذه الاتصالات، ولكنه ذو علاقة أيضاً بسيل التنبيهات الحسّية المبتذلة التي يخضع لها الحيوان الصغير.

وينبغي، في الشرح العلمي لسلوك الحيوانات، أن نفصل فصلاً بعناية بين جوانب **السببية** و**الدلالة الوظيفية**: 1) الآليات الفيزيولوجية (الحسية، العصبية، المزاجية) تشرح أنماط سير سلوك: مثال ذلك أن البحث عن الطعام وإدخاله في المعدة، وكذلك توقّف تناول الطعام، تابعة تبعية وثيقة، لدى الثدييات، للفارق بين سكريات الدم الوريدية والشريانية ولكشفه بواسطة عصبونات متخصّصة في المنطقة تحت المهادية من الدماغ. أضف إلى ذلك أن هذه الاستجابات تعدّلها متغيّرات السلوك الوسيطة من النسق السيكولوجي أكثر مماهي من النسق الفيزيولوجي: فالشهية تابعة لظهور الطعام (الجوانب التالية: الجانب المرئي، جانب الرائحة - الذوق، نوع الطعام) وتابعة أيضاً للعادات الغذائية. 2) جوانب الدلالة الوظائفية، في إطار السلوك الغذائي دائماً، يمكننا النظر إليهامن ناحية القَنْص،

مثال ذلك أن القنص يمكنه أن يجري بالترصّد (حصان أبليس: حشرة تكثر في وسط فرنسة، قائمتاها الأماميتان خاطفتان تساعدها على مسك الفرائس، وأنثاها تقتل الذكر بعد التزاوج «م»)، وبواسطة الشَرَك عند الاقتضاء (نسيج العناكب التي تبني نسيجاً مضلعاً أشعته تقطع الخط الحلزوني)؛ كذلك بواسط حركة متخصّصة في إمساك الفريسة (قذف اللسان لدى العلجوم، طيران «الانقضاض» لدى الطيور الجوارح. . .). وتنوّع هذه الحلول لمشكل عام، مشكل صيد الفرائس، ناجم عن اختلاف تشريحي لدى الحيوانات المأخوذة بالحسبان وتنوّع أنماط حياتها (مائي، أرضي، جوي). وتكوّن هذه الحلول تكيّفات سلوكية خاصة، استقرت خلال التطور البيولوجي بفعل لعبة الاصطفاء الطبيعي. والخلاصةأن الآليات الفيزيولوجية والدلالة الوظيفية جوانب متكاملة من شرح واقع سلوكي: الآليات تشرح السير الحالي لفعل، وتتيح الدلالة الوظيفية فهم ظهوره واستقراره في ظلّ أنماط محدّدة، خلال نشوء النوع (انظر في هذا المعجم: **النموذج الأصلي**، **العودة إلى المأوى**، **النضج** ، **الدافعية**، **التوجه**، **النموذج الظاهر**).

J.ME.

السلوكية

F: Behaviorisme, Béhaviourisme

En: Behaviorism, Behaviourism

D: Bahaviorismus

مصطلح أدخله جـ. ب. واطسن (1913) للدلالة على مذهب كان رائده، وبحسبه ينبغي لموضوع علم النفس أن يقتصر على معطيات السلوك وحدها التي يمكننا ملاحظتها.

كان علم النفس لايزال، في بداية القرن العشرين، يهتمّ بحالات الشعور، بالإحساسات والانطباعات الذاتية التي لايبلغها إلا الاستبطان وحده. ولكن علم النفس هذا، علم نفس الشخص الأول («ألاحظ نفسي بنفسي») لم يكن يمكنه أن يكون علمياً لأن «العلم ينصبّ على العام» (أرسطو). ولهذا السبب شرع مذهب جديد يوطّد نفسه. وكان هنري بييرون (1881-1964) من قبلُ قد صرّح عام 1908، خلال محاضرته التدشينية في المدرسة العلمية للدراسات العليا لتطور الحياة النفسية، أن على علم النفس أن يتخلّى عن حوادث الشعور التي لايمكننا أن نتحقّق منها، ليتّخذ السلوك موضوع دراسته، أي فاعلية العضوية في وسطها. وفي العصر نفسه، كان جـ. ب. واطسن (1878-1958) في الولايات المتحدة الأمريكية قد قرّر تطبيق الطرائق التجريبية والمفردات الوصفية المستخدمة في سيكولوجيا الحيوان على الموجودات الإنسانية. ولن يصبح علم النفس علمياً، كان يقول، إلا بمقدار ما يتقن تحديد موضوعه على «دراسةالارتكاسات التي يمكننا ملاحظتها موضوعياً، ارتكاسات تنفّذها عضوية استجابةً لـ **منبهات** قادمة من الوسط، هي أيضاً يمكننا

ملاحظتها موضوعياً». وكان يوصي بأن نهمل المفاهيم الضبابية، مفاهيم النفس، والفكر، والحوادث النفسية، وأن نتصرف كما لو أن الشعور لم يكن موجوداً. وكان يشير، متوجّهاً إلى علماء النفس، إلى الارتكاسات المختلفة لعضوية من العضويات (الحركية، اللفظية، الحشوية) على تنبيهات الوسط. وبما أن السلوك تكيّفي دائماً، فإن عضوية خاضعة لتأثير من التأثيرات تنزع إلى أن تحيّد مفعولاته، إما بالتأثير على الشيء الذي سبّبه، وإما أن تعدّل ذاتها. مثال ذلك أن صدم الوتر الرضفي (منبّه «م») هو الذي يسبب التمدّد المفاجيء للساق (استجابة «أ»). وبما أن السلوك هو دائماً استجابة لتنبيه، فإن من الممكن التنبؤ بما سيكون السلوك إذا عرفنا التنبيه، كما أن بمقدورنا أن نستنتج طبيعة منبه من ملاحظ ارتكاس.

وتهيّئ السلوكية الكلاسيكية مكاناً أساسياً للتعلّم وتستند إلى مفهوم الإشراط البافلوفي، بالنظر إلى أن الغرائز نفسها ارتدّت إلى «مجموعة من المنعكسات المتسلسلة». وفي رأي واطسون أن انفعالات، كالحزن والغيرة أو الحنان، مشتقّة مباشرة من ثلاث ارتكاسات أساسية كان يعتقد أنه لاحظها لدى الوليد: الخوف، الغضب والحب. فالأول الذي تسبّبه الضجة وفقدان الارتكاز، يظهر على وجه الخصوص بفعل توقّف التنفس، وارتعاش واضطرابات وعائية حركية؛ والثاني، الذي يثيره شلّ حركة الجسم، يظهر أيضاً بفعل ضرب من توقّف التنفس وتصلّب الجسم وتهيّج الأعضاء؛ والثالث أخيراً، يظهر، إذ ينمو بفعل المداعبات والهدهدة، بالمناغاة والابتسامة. ولكن بحوثاً لاحقة بيّنت أن هذه الملاحظات كانت غير صحيحة. فالوليد يبدأ في الاستجابة على نحو غير متمايز للمنبهات، ثم يظهر اللذة واللالذة، ثم يبدو، مع النضج النفسي الفيزيولوجي، الغضب، والخوف، والغيرة، إلخ، على التوالي. وكان واطسون ضحية ذاتيته الخاصة: وإذ يعرف واطسون تلك المنبهات التي تتوافر للوليد، فإنه كان يتوقّع أن يلاحظ بعض السلوكات، وذلك أمر قاده إلى أن يفسّر ارتكاسات واحدة تفسيراً مختلفاً.

وإذ أهملت السلوكية وقائع الشعور ونبذت الاستبطان نبذاً قطعياً، فإنها أرغمت نفسها على ألا تفحص إلا السلوكات الأولية، وأن تجهل الظاهرات المعقّدة كالأفكار، الاستدلال والعواطف. وكان أحد أكثر أخصامها عناداً، عالم النفس الفرنسي جورج بوليتزر (1903-1942)، قد وجه إليها اللوم أنها مصطنعة ومنحت الموجود الإنسان رؤية مجردة وخاطئة. فليس الإنسان حيوان مخبر، وتصرفه لايمكنه أن يُفهم إلا إذا أرجعناه إلى شروطه الوجودية. يقول بوليتزر: «الحادث السيكولوجي ليس السلوك البسيط، ولكنه السلوك الإنساني على وجه الدقة، أي السلوك من حيث أنه يرجع، من جهة، إلى الأحداث التي تجري في كنفها الحياة الإنسانية، ويرجع، من جهة أخرى، إلى الفرد من حيث أنه ذات هذه الحياة». فعلى علم النفس أن يكون مشخّصاً، أعني أن يكون قائماً على فهم السلوكات، منظور إليها في علاقتها بمجموع «الدراما» الإنسانية الشخصية.

وانتصرت الحركة التي أطلقها واطسون بإعلانه عام 1903، في الولايات المتحدةخلال نصف قرن؛ وكان لها مناصرون مقتنعون في أوروبة وحتى في الاتحادالسوفييتي (بلونسكي، 1921). ولكن وضع السلوكيين البدئي، الذين كانوا يريدون أن يقلّصوا الحادث النفسي إلى منبه - استجابة، أصبح متجاوزا في أيامنا هذه. ومنذ عام 1929، كان كلارك ل. هول، الذي التحق به كينّيث سبنْس، ن. إ. ميلر، ك. إ. ميلر، ك. إي. هوفلاند، ج. دولار إلخ، قد أعدّ نظرية للسلوك «شاملة»، تندمج فيها العضوية (حاجاتها ودافعياتها). ونجد في نظرية التعلّم لهول فكرة مفادها أن الترابطات تستقر استقراراً أكثر يسراً عندما يرافق ضرب من تقليص الحاجة وضع المنبه - الاستجابة. وتتميّز السلوكية الجديدة بانفتاحها على مشكلات تجنّبتها فيما مضى: اللغة، الفكر، الإدراك، وبولائها لمبدأي واطسون الأساسيين: شاغل الموضوعية والأهمية الأساسية للبيئة. (انظر في هذا المعجم: **السلوك، هول، الاستجابة، المنبه، ثورندايك، تولمان**).

N.S.

السمة

F: Trait

En: Trait, Personality trait,Characteristic

D: Eingenschaft

عنصر مميّـز يمكنه تحديد هوية شخص.

نستخدم منذ زمن بعيد نعوتاً لنصف الأفراد، فعندما نقول إن «بيير خجول» أو «جان شجاعة»، فإننا نحمل عليهما حكم قيمة يستند إلى انطباع شخصي، إلى إدراك مباشر لسلوك معيّن. ولكن غنى اللغة هو من الكبر بحيث يصعب التفاهم: جـ. و. ألبورت. هـ. س. أدبير، أحصيا 17853 كلمة انغليزية يمكنها أن تميّز الشخصية، منها 4505 أسماء سمات بالمعنى الحقيقي. ويمكننا، باستخدام استبانات وسلالم قيم، تقديم بعض من سمات الشخصية، وشدة هذه السمات. مثال ذلك أن درجة «الصلابة» (السمة التي درسها الباحثون أكثر من أي سمة أخرى على وجه الاحتمال) يمكنها أن تُستخلص من إجابات عن أسئلة كالتالية: «أتتحمّل أن يزعجك أحياناً صديق في عملك؟» «هل تعدّ مخطّطاً دقيقاً قبل أن تمضي في سفر وتضع خط سير يشقّ عليك أن تبتعد عنه؟» وليست السمات كيانات سيكولوجية معزولة، إنها مظاهر سلوك سعى ويب جاهداً (1915) تلميذ ش. إ. سبيرمان، ولاسيما ر. ب. كاتل، هـ. جـ. إيزنك، جـ. ب. غيلفورد، إلى دراستها مستخدماً طرائق التحليل العاملي. واحتفظ ر. ب. كاتل بـ 171 متغيّراً وصفياً (بدلاً من 4505) وحدّد، بواسطة أساليب مختلفة من حساب الارتباطات، 42 مجموعة من السمات التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، إذ عرّف مايسميه «سمات السطح»،

من نوع «ثقة بالنفس ـ تصاغر»، «معاشرة – خجل». ولم يستخدم هـ. جـ. إيزنك سوى 39 متغيراً لم يجد بينها سوى ارتباطات ضعيفة. فلم يحتفظ إذن إلا بعاملين: «انبساط – انطواء» و«اهتياج عصبي» تمثّل في رأيه الأبعاد الأساسية للشخصية. وحدد كاتل أيضاً عامل اهتياج عصبي، وعامل الانبساط –الانطواء الذي ظهر في تحليلاته بين العوامل الأساسية، المسماة «النسق الثاني». (انظر في هذا المعجم: **الانبساط ـ الانطواء، الاهتياج العصبي، الشخصية**).

N.S.

السوداوية

F: Mélancolie

En: Melancholia, Melancholy

D: Melancholie, Schwermut

مرض عقلي يتطوّر عادة بنوبات ويظهر بألم معنوي عميق، وقلق دائم، وعاطفة إثمية، ونقص في الفاعلية النفسية والنفسية الحركية.

كان مصطلح السوداوية يُستخدم خلال زمن طويل بمعان مختلفة جداً: كان ينطبق، في رأي هيبوقراط (نحو 460- نحو 377 ق. م)، على انفعال حزين في الأخلاط ذي علاقة المِرّة (الصفراء)، ودلّ فيما بعد على اضطربات عقلية ذات سمة محدّدة لاتتضمّن جانباً اكتئابياً بالضرورة. وجان إيتان إشكيرول (1722-1840) صنّف السوداوية بين «ضروب من الجنون الجزئي» أو «**الهوس الجزئي**» في إطار «الهوس الجزئي الحزين» أو «السوداوية الهاذية»، ولكن هذه الزمرة المتباينة جداً كانت تتضمن أيضاً حالات الخلط العقلي، والنُفاس الوسواسي، والكاتاتونيا، وهذيانات الاضطهاد، التي تحدّدت وتميّزت بالتدريج. فدلالة المصطلح الراهنة يعود إذن تأريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر، ودمج عام1899 إميل كريبلن (1856-1926) مرض السودواية في إطار الذهان الهوسي الاكتئابي. ونوبات السوداوية متواترة لدى المرأة أكثر قليلاً منها لدى الرجل، ويطرأ عليها انتكاسات فصلية في بداية الصيف وفي الخريف. وقد يثير الأزمة خورُ الحالة النفسية في أعقاب مرض إنتاني، إرهاق أو ولادة، على سبيل المثال. وتطرأ

السوداوية على الأغلب بعد حَدَث وجودي مؤلم أو عسير (حداد، هموم مادية أو وجدانية، ولكنه قد يحدث في بعض الأحيان أيضاً، على نحو مفارق، بعد حادث سعيد (لاسيما الخروج من مشفى الطب النفسي، الذي يمكنه أن يكون عاملاً يثير السوداوية؛ وينصبّ الكلام عندئذ على «دُوار الخروج» الذي يستولي على المريض). وتكون بداية النوبة دفينة، يسمها ضرب من فقدان النشاط، بطء إجمالي في الفاعلية، كآبة متنامية يرافقها النزق وفرط الانفعالية، والأرق والكوابيس غالباً. وتصبح اللوحة متميّزة بعد بضعة أيام: يكون الفرد، المتكوّم في كرسيّ أو المتمدّد في سريره، دون حركة على وجه التقريب، سمات وجهه المتخثّرة تعكس الألم، ويمّحي مقرن الشفتين، ويحدّد تقطيب الحاجبين تجعيداً دائرياً في الجبهة («الأومنيغا السوداوية»)(*)؛ الصوت وحيد الوتَر، الكلمات النادرة جداً، فحالة الفرد تتاخم الخرس؛ وتعبّر هذه الكلمات، تعبيراً لايتغيّر، عن عاطفة عذاب شديد يتعذّر وصفه، لاشبيه له. ويدرك المريض هذا الألم، العنصر المركزي في الشعور السوداوي، أنه قرب وقوع بؤس تدفعه صوبه قوة يتعذر مقاومتها. ويغذّي في الوقت نفسه، إذ يردّ رؤيته العالم التشاؤمية ضد نفسه، عواطف الإثمية والاتهام الذاتي. وتفرض عليه كل فاعلية عقلية جهداً فائق الحد، وتكوين الأفكار لديه بطيء وغير منتج، مع أن قدراته العقلية تظلّ سليمة على نحو أساسي. والحالة الجسمية مصابة هي ذاتها: العبور الهضمي والإيقاع القلبي متباطئان، والتوتر الشرياني منخفض، إلخ. والقلق ماثل دائماً، ويمكنه، بوصفه يقنّعه الكفّ النفسي الحركي عادة، أن يصبح العَرَض الأساسي ويثير حالة من الهياج المضطرب، ترافقها اتجاهات وكلمات محزنة. ويظل الهذيان، الموجود في السوداوية دائماً في حالة البذرة، جائزاً في الأغلب؛ إنه يتّخذ في بعض الأحيان شكلاً أكثر إعداداً، ولكنه دائماً ثابت، رتيب، فقير، يعبّر عن الإثمية في الأغلب (يتهم الفرد نفسه أنه مسؤول عن الأعمال المؤذية الأكثر تنوعاً).

(*) الأوميغا: آخر حرف في الألفباء الإغريقية جعلته صناعة الساعات الشهيرة «أوميغا» علامة لها «م».

إن **تناذر كوتار** هو الشكل الأكثر خطورة من الحالة الهاذية المرتبطة بالسوداوية. فهو تناذر يربط فكرة تحوّل بعض الأعضاء في الجسم (فكرة عرقلتها وانحلالها، إلخ)، فكرة منسوبة إلى تدخّل شيطاني، بنفي وجودها، الذي يفضي إلى عاطفة الموت والخلود معاً.

وفكرة الموت والرغبة فيه والبحث عنه دائمة لدى السوداوي، والانتحار، الغواية المستمرة، محلّ التقاء معيشه المؤلم كله. وقد يتخذ تحقيقه كل الأشكال، بدءاً من رفض الطعام والتشويه الذاتي حتى الموت الأليم (إماتة الجسد بالتعذيب الذاتي، بضرب العنق) والانتحار الجماعي (ثمة قتل يليه انتحار، على وجه العموم). ونفهم، في هذه الشروط، أن معالجة السوداوي تقتضي إدخاله المشفى ومراقبة يقظة، دائمة. ويدوم التطور التلقائي لنوبة أربعة أشهر إلى ثمانية، وتزداد المدة مع العمر وعدد التكرارات. والشفاء يمكنه أن يكون مفاجئاً أو تدريجياً، والخلاص بالموت، بمعزل عن الانتحار، نادر.

وكان الأطباء عاجزين أمام هذا المرض، خلال زمن طويل جداً، وبانت كل محاولات التقنيات الأكثر تنوعاً غير ذات جدوى. ومع ذلك، أدخل الطبيبان الإيطاليان لوسيو بيني (المولود عام 1908) وإدغو سرليتي (1877-1963)، عام1938، تقنية **الصدمة الكهربائية**، التي بدت ناجعة بالفعل. وتأثيرها على تطور النوبات سريع، ولكنها تفقدنجوعها مع تكرار هذه النوبات، أضف إلى ذلك أن إيقاعها لايتباطأ فقط، ولكنه يبدو في بعض الأحيان متسارعاً. وينوب العلاج الكيميائي الآن مناب الصدمة الكهربائية، منذ أن اكتُشفت عام 1957، أسرة من المنتجات الصيدلانية ذات الخصائص المضادة للاكتئاب وتسمّى لهذا السبب «منشّطات المزاج». إنها تنتمي، من حيث الأساس، إلى زمرتين: مثبّطات وحيد الأمين الأوسكيداز (I.M.A.O)، التي ظهرت أول الأمر، ولكن استخدامها ضعيف بسبب مفعولاتها الثانوية المزعجة، والمشتقّات «الثلاثية الدور»، لاسيما الإيميبرامين والكلوميبرامين (أو الكلوريبرامين)، الأكثر استخداماً. إنها ناجعة في

نحو 80 بالمئة من الأزمات. ولكن تأثيرها لايظهر إلا بعد مهلة تبلغ ستة أيام إلى سبعة. وأخيراً تظهر أملاح الليتيوم بوصفها الوسيلة الأكثر نجوعاً لتجنّب الارتكاسات.

وليس ثمة شكل عيادي واحد من السوداوية، بل عدة أشكال، ونتكلم وفق العرض السائد، على سوداوية قلقة، ذاهلة، هاذية، إلخ؛ والمدة الطويلة لتطور الأزمات، المرتبطة بضعف الأعراض، تحقّق الأشكال المزمنة. ووجود النوبات السوداوية، لدى الطفل، أفسح المجال لمحاولات عديدة. ويُعتبر في العادة أن النوبة النموذجية لايمكنها أن تحدث إلا بعد سن الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة، ولكن بعض المؤلفين يقبلون وجود حالات اكتئابية، ذات الدلالة نفسها، لدى أفراد أصغر سناً. وتندرج أزمة السوداوية على الأغلب في تطور ذهان هوس اكتئابي، تتناوب خلاله مع أزمات أخرى من النسق نفسه أو مع نوبات هوسية. وهذا الذهان هو المرض العقلي الذي يبدو فيه تأثير الوراثة أنه الأكثر بروزاً، ويميل ارتباطه المتواتر بنموذج جسمي خاص (مورفولوجيا «البدين»، وفق تصنيف كريتشمر) إلى أن يؤكّد الطبيعة الداخلية للمرض. والنوبة السوداوية الأولى يمكنها أن تحدث بصورة متأخرة (بين الخامسة والأربعين والستين)، لاسيما لدى المرأة؛ وتشجّع عندئذ ظهورها مجموعةٌ من العوامل السيكولوجية الفيزيولوجية، كالإياس أو نقص الذكورة، والخوف من الشيخوخة، وعاطفة العزلة، إلخ، الخاصة بهذه المرحلة من الحياة؛ ونتكلم في هذه الحالة على «سوداوية النكوص». وعلى المستوى النفسي المرضي، وضّح بعض الفينومينولوجيين، كلود فيغ بانسونجر (1881-1966) وإوجين مانكووسكي (سان بتسبورغ، 1885- باريس1972)، توضيحاً جيداً، اضطرابات البنية الزمنية لدى السوداوي. أما المحلّلون النفسيون، فإنهم يلحّون أولاً، من جهتهم، على وحدة الحالات الاكتئابية كلها سواء أكانت من طبيعة ذهانية أم عصابية، وفي رأيهم أن الواقع البدئي هو **فقدان الموضوع** المحبوب والمانح، فقدان يؤدي إلى ضرب من ارتكاس العدوانية. أضف إلى ذلك

أن العدوانية تجد نفسها وقد ارتدّت ضد الفرد نفسه، بالنظر إلى أن هذا «الموضوع» «تجتافه» آلية «مفترسة ضارية»، وذلك أمر يولّد استيهامات عديدة من القصاص الذاتي. وعلينا، من وجهة النظر العلاجية ألا نؤكد فقط أن كل مقاربة تحليلية نفسية متعذّرة خلال الأزمة، بل أن نؤكد أيضاً أن هذه المقاربة تظلّ، في الفاصل الزمني بين الأزمات، شائكة، بسبب الخطر الدائم، خطر الانتكاس والانتحار. (انظر في هذا المعجم: **الصدمة الكهربائية، المثبط للخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة [I.M.A.O]، أملاح الليتيوم، ذهان الهوس الاكتئابي، الانتحار**).

J.MA.

سوسّور (فرديناند دو) Saussure (Ferdinan de)

عالم لسانيات سويسري (جنيف، 1857 - قصر فوفنز، كانتون فو، 1813).

درس فرديناند دوسوسور، المتحدّر من أسرة ذات موروث علمي قوي، في جنيف، ثم في ليبزغ (1876)، حيث عاشر عظماء علماء اللسانيات في تلك الفترة. وينشر عام 1879 **مذكرة في المنظومة البدائية للصوائت في الألسن الهندية الأوروبية، منحته، على الفور، شهرة عالمية.**

ويمكننا أن نستخلص من حياته مرحلتين كبيرتين: المرحلة الباريسية (1880-1891)، التي كان خلالها مدير الدراسات في المدرسة العملية للدراسات العليا. والمرحلة الجنيفية، حيث كان استاذاً في الجامعة. فالمرحلة الأولى تسمها اتصالات عديدة أقامها مع علماء فرعه العلمي، والنشر المنتظم لملاحظات وبحوث، والنصيب الفاعل الذي شارك به في الحياة الألسنية العالمية؛ وتتميّز المرحلة الثانية، على العكس، بالعزلة والخرس شبه الكلي الذي سجن نفسه فيه حتى موته. وخلال هذه المرحلة، سيعلّم من 1906 حتى 1911، فرعاً علمياً جديداً: الألسنية العامة.

ويجمع، بعد موته، اثنان من تلاميذه القدماء، ش. بالي (و) أ. سيشيهي، ملاحظات محاضرات و يعيدون تكوين **دروس في الألسنية العامة** لم يرد سوسور كتابتها قط. واستُقبل الكتاب، المنشور عام 1916، استقبالاً حفيّاً، ولكن جدة محتواه تلقى تقليلاً واسعاً جداً من قيمته، وليس إلا بعد بضع سنين إنما يعترف به

علماء اللسانيات في براغ (منهم ر. جاكوبسون (و) ن. س. تروبتزكوي) أنه النص النظري الأساسي. إنه، منذ ذلك الحين، أحد الكتب الأساسية في الألسنية ويسجّل، في رأي الكثيرين، شهادة ميلاد هذا الفرع العلمي.

وسوسور أصل المفاهيم الرئيسة في الألسنية المعاصرة، ولو أنها كانت منذ ذلك الحين موضع تعديل قليل في محتواها. ونَدين له أنه لم يُرس أسس وجود الألسنية العامة فحسب، ولكنه أرسى أيضاً أسس وجود **علم العلامات** (السيميولوجيا)، وأنه وضع عدداً من التمييزات النظرية، كالتمييز بين **اللسان والكلام**، بين **التزامن والتزمّن**، بين **التركيب النحوي والنموذج التفسيري**. وندين له أيضاً أنه حدّد الوحدة الألسنية، **العلامة**، بوصفها ترابطاً ضرورياً، ولكنه اعتباطي مع ذلك، بين **دالّ** و **مدلول**. ولكن تعليم سوسور إنما يقدّم للألسنية أسس توجّه جديد بواسطة مفاهيم القيمة، والتباين، والمنظومة، على وجه الاحتمال. والواقع أن هذا المؤلف يؤكد، على عكس الموروث، أن أي وحدة ألسنية لايمكنها أن تُدرك منعزلة، ذلك أن التحقّق من معناها يستتبع أخذ **المنظومة** التابعة لها هذه الوحدة الألسنية بالحسبان. ونقول، على نحو أكثر دقة، إن الوحدة الألسنية، أية وحدة ألسنية، يعيّنها مايحيط بها في المنظومة؛ إن **التباينات**، التي ترتبط بها الوحدة الألسنية مع الوحدات الألسنية الأخرى من الطبيعة نفسها ارتباطاً متبادلاً في كنف المنظومة، هي التي تمنح الوحدة الألسنية **قيمتها**. وفي ذلك تكمن نقطة انطلاق تصور بنيوي لوقائع ألسنية. وبوسعنا، منذئذ، أن نقدّر المكان الذي يحتلّه تعليم سوسور في المعرفة المعاصرة: إنه بذلك ذاته، من حيث منشأ الألسنية البنيوية، رائد من رواد البنيوية، مجموعة من الأفكار والمبادئ التي وسمت بعمق نموّ العلوم الإنسانية المعاصر. (انظر في هذا المعجم: **جاكوبسون**، **اللسان**، **النموذج التفسري**، **الكلام**، **الحقل الدلالي**، **علم العلامات** [**السيميولوجيا**]، **العلامة**، **التزامن والتزمن**، **التركيب النحوي** [**سنتاغم**]).

R.V.

سوليفان (هاري ستاك) Sullivan (Harry Stack)

طبيب نفساني ومحلل نفسي أمريكي (نورويتش، نيويورك، 1892 - باريس 1949).

يجعل سوليفان، شأنه شأن ألفريد أدلر وكارين هورنه وإيريك فروم، من العامل الاجتماعي حجر المحكّ لنمو الشخصية. فليس ثمة فردية، في رأيه، مستقلة عن المجتمع، ذلك أن الطفل يعيش منذ ولادته، بل قبلها، في تكافل مع أمه، وفي هذه العلاقة الأولية إنما ستتكوّن أسس الشخصية. فإذا لم تكن هذه العلاقة متناغمة، فإن الطفل يصبح قلقاً وسيتأثر فيما بعد كل سلوكه. وبوسعنا في نهاية المطاف، يقول سوليفان، أن نعتبر الطب النفسي دراسة العلاقات بين الإنسانية وليس فرعاً من علم النفس البيولوجي. ونذكر من أعماله: **تصورات الطب النفسي الحديث** (1947)؛ «الطب النفسي: مدخل إلى دراسة العلاقات بين الشخصية»، مقال في مؤلف ب. مولاهي، **دراسة العلاقات بين الشخصية** (نيويورك، مطبوعات غروف، 1949)، ص. 98-121)؛ **النظرية بين الشخصية في الطب النفسي** (نيويورك، نورتون، 1953).

N.S.

السوي ـ الطبيعي

F: Normal

En: Normal

D: Normal

مايطابق القاعدة.

يُعرّف السواء بالقياس على ضرب من الانتظام:

الطقس، في مناطقنا الواقعة على خطوط عرض معيّنة، بارد في الشتاء وحار في الصيف، ذلك أمر سويّ أو طبيعي. أما أن تثلج خلال أيام الربيع، فذلك أمر غير مألوف وغير سوي أو طبيعي. والكلمة لاتنطوي، في هذا المعنى، على أي حكم قيمة. ونقول، في هذا القصدنفسه، إن الذهاب في إجازة، والسفر في البلدان البعيدة، ظاهرة «سوية» في أيامنا هذه ولكنها لم تكن كذلك في بداية القرن. فثمة معايير في كل مجتمع، تتبعها الغالبية العظمى وتبتعد عنها أقلّية («المنحرفون»). وليست هذه القواعد ثابتة غير متغيّرة. إنها تتحول مع تطور الأعراف: وعلى هذا النحو إنما كانت الدعاية ضد الحمل ودعاية الإجهاض، قبل عام 1970، موضع عقوبة قاسية تفرضها المحاكم. إن استعمال موانع الحمل واللجوء إلى الإجهاض، من الآن فصاعداً، ممارستان مقبولتان على نحو شائع، مشروعتان تماماً، و«سويتان»، ولو أنهما تفسحان مجالاً للمناقشة من وجهة النظر الأخلاقية. فالسواء مفهوم نسبي، يختلف باختلاف الأوساط الاجتماعية الثقافية والعصور. إنه يعرف بالقياس على ضرب من الاطراد: ذلك مايُلاحظ على الأغلب لدى سكان معيّنين وفي فترة زمنية معينة. فالأفراد الذين تقترب علاماتهم

من المتوسط الحسابي، في مجموع إحصائي توزّعه طبيعي (يمثّل من الناحية البيانية منحنى الجرس)، يُسمّون أسوياء. وأولئك الذين يقعون على الطرفين (العمالقة والأقزام، إذا كانت القامة هي المقصودة، العباقرة والمعتوهون إذا كان المقصود هو الذكاء). والسويّ ليس المثالي. فالإنسان السوي في مجتمع معيّن هو المواطن المتوسط، كما يبرز من الإحصائيات الديموغرافية، دون ألق ولا أصالة.

ويجعل بعض المؤلفين من التكييف الاجتماعي معيار السواء، معياره المطلق. ولكن وضع إنسان مندمج من الناحية الاجتماعية أقل اتصافاً بأنه مستحب من وضع «غير متكيف من الناحية الاجتماعية» سعيد، إذا كان يعاني من هذا الاندماج الاجتماعي. وهكذا قد يتعرّض غجري، تخلّى عن قيثارته وبيته المتنقل ليدخل في مجتمع، يرتدي فيه ربطة عنق ويسكن مسكناً ذا أجرة معتدلة، إلى أن يفقد فرح العيش. ولهذا السبب كان السؤال الذي يطرح نفسه هو أن نعرف إن كان الانسان السوي هو الأفضل اندماجاً والأكثر تكيّفاً مع القواعد الاجتماعية أم، على العكس، هو الأقدر، إذ يتقن تحمل الإحباطات، على «التصعيد» (أي على انتهاز المناسبات التي يوفّرها له وسطه الاجتماعي الثقافي ليتجاوز وضعاً محبطاً)، ذلك الذي يمكنه، وقد وُهب **الإبداعية** ويعمل على أن يعيد التوازن إعادة دائمة بين القوى الشخصية النفسية البيولوجية والقوى الاجتماعية وعلى البحث الفاعل عن اندماج وعن معنى، أن ينتقل من المعايير القائمة إلى معايير جديدة، هي نفسها عابرة وسرعان ماتُهمل.

ويصعب في علم النفس العيادي أن نرسم حداً بين السوي والمرضي. وربما يمكننا أن نرى المعيار الأساسي للسواءالنفسي في **الاستقلال الذاتي**. فالإنسان الراشد غير تابع إلا لنفسه، إنه يعمل مستنداً إلى تجربته الخاصة، ويبحث عن تحقيق قدراته الكامنة، ولكنه قادر على أن يقبل ضغو ط الواقع. ويتميّز اتجاهه بالنزعة الواقعية والمرونة: إنه يختار في كل وضع مايناسبه على النحو الأفضل ويقرّر بحرية تصرفه في العالم المادي والاجتماعي الثقافي، عالمه.

وثمة ميل في الطب إلى تشبيه الإنسان السوي بالموجود السليم على نحو تام، موجود غير موجود بشكل قاطع. فالإنسان السوي يعاني صعوبات صحية عابرة معاناة طبيعية. والعكس استثنائي، أي غير طبيعي. (انظر في هذا المعجم: المرض).

N.S.

مفهوم السواء «حيادي من الناحية الثقافية» ويقابل، في رأي المحلل النفسي الأمريكي جورج دوفرو (مولود عام 1908)، قدرة التكيّف و**إعادة التكيف** المبدعة المستمرة لدى فرد من الأفراد.

F.M.J.

السيروتونين

F: Sérotonine

En: Serotonin

D: Serotonin

أمين بيولوجي، من زمرة الأندولامينات، اكتشفه عام 1948 رابور، غرين وباج.

وجود السيروتونين لم يكن قد بُرهن عليه فقط لدى الحيوانات (الفقريات واللافقريات)، ولكن لدى النباتات أيضاً.

السيروتونين أو 5- هدروكسي- تريبتامين (5HT) تركبّه الخلايا المختلفة في النسج، لاسيما النسيج في الدماغ الأعلى، وتركّبه بكميات كبيرة الخلايا أليفة الكروم (أي الخلايا التي لها انجذاب خاص إلى الكروم) والخلايا أليفة الفضّة في المعدة ولاسيما في الأمعاء. وفي الدماغ الأعلى، حيث يتكوّن نحو جزء من مليون من الغرام من السيروتونين بالغرام من النسيج الدماغي وفي الساعة، يتركّز تحت المهاد. وامكان دراسة الأيْض لهذا الوحيد الأمين بفضل تقنيات جديدة، كالوسم ذي النشاط الإشعاعي، الذي أتاح متابعة مراحله المختلفة، والفلْورة النسيجية. ولوحظ، في الواقع، أننا حين نعالج السيروتونين بأبخرة الفورمول الجافة بدرجة 70، كنا نحصل على منتجات مفلّورة، ذات أطوا ل للموجة، محدّدة، بفضلها كان ممكناً لا أن نحدده فحسب، بل أن نميّزه من الأمينات البيولوجية الأخرى، وأن نعرف، بفعل ذلك، الدروب العصبية التي يستخدمها في الجملة العصبية المركزية.

وبُرهن على هذا النحو أن العصبونات ذات السيروتونين المسماة «سيروتونينرجيك» تتموضع على وجه الخصوص في نوى الدرز المتوسط والدماغ المتوسط. وتتوزّع استطالاتها الصاعدة في الحُقَيْن، وتحت المهاد، والمهاد، ومنطقة الحاجز، وقشرة اللوزة والقشرة الجديدة. أما استطالاتها النازلة، فإنها تتوجّه نحو النخاع الشوكي.

وتركيب السيروتونين يحدث انطلاقاً من حمض أميني أساسي، التريبْتوفان (حمض أميني بروتيني النوع) الذي تطرأ عليه عملية هدركسية، تحت تأثير التريبتوفان هدروكسيلاز. و5ـ هدروكسي تريبتوفان، (5HTP)، الناجم عنها، يُنزع كاربوكسيله بالتالي، تحت تأثير نازعة الكاربوكسيلاز وفيتامين B6، ليولّد السيروتونين (5HT).

وهذا السيروتونين يدمّره في الجملة العصبية وحيد الأمين الأوكسيداز، ثم يُستبعد على شكل حمض 5ـ هدروكسي إندولاستيك، الذي يمكننا تحديد جرعته في البول والسائل الدماغي الشوكي. ونسبة هذا المحصول من التبدّد، في رأي بعض المؤلفين، ينقص قليلاً في الحالات الاكتئابية ويزداد قليلاً في ضروب الهوس.

ويُستعان لدراسةمفعولات السيروتونين المركزية، الذي يتجاوز الحاجز الدموي الدماغي بصعوبة كبيرة (إذا توصل إلى ذلك)، ببشيره، 5-HTP، الذي يعبر هذا الحاجز بسهولة كافية. وتمكّن بعضهم أن يلاحظ، على سبيل المثال، أن تركيز السيروتونين في الدماغ الأعلى كان يتغيّر وفق إيقاع يومي، يمر في هذا الأمين البيولوجي أيضاً، بحسب أعمال التخطيط الدماغي الكهربائي التي أنجزها م. جوفه (1969)، في أطوار النوم المختلفة، ولاسيما في النوم البطيء.

وتوحي، من جهة أخرى، تجارب أُجريت مع حيوانات، أن السيروتونين يمكنه أن يتدخّل في سيرورات التذكّر، ولاسيما في ترسيخ التعلّم.

وثمة تساؤل أيضاً عن وظائف السيروتونين. ومن المعلوم أنه داخل في الألم وأنه يتدخّل في نمو الجملة العصبية المركزية للجنين. ويعتقد بعض المؤلفين أنه يؤدي

دور الناقل العصبي الخلْطي، ذلك أنه وُجد مخزوناً في حويصلات الوصل العصبي، ولكن براهين نهائية لاتزال تنقص لتؤكد ذلك. ويعتقد مؤلفون آخرون أن له على وجه الخصوص دور المكيّف المزن، ذلك أنه ينسّق فاعلية الجملة العصبية، إذ يُنقص الفاعلية الحركية ويحدّد سلوك استرجاع القوى. (انظر في هذا المعجم: **المورفين العضوي**، **الوسيط الكيميائي**، **النوم**، **الوصل العصبي**).

M.S.

سيرورة أولية، سيرورة ثانوية

F: Processus primaire, Processus Seeondaire

En: Primary process, Secondary process

D: Primarvorgang, Sekundarvorgang

إنهما نمطا العمل الوظائفي للجهاز النفسي في رأي فرويد.

السيرورة الأولية تميّز منظومة اللاشعور والسيرورة الثانوية منظومة قبل الشعور ـ الشعور، من وجهة النظر المكانية. ومن وجهة النظر الاقتصادية والدينامية، أي من وجهة نظر توزيع الطاقة النفسية وجريانها، هذه الطاقة النفسية متحركة وتسيل بحرية في السيرورة الأولية، في حين أنها «مرتبطة» (مراقبة)، وبالتالي مرجأة، في السيرورة الثانوية.

وتشكّل آليتا التكثيف والانزياح الموضّحة في تكوّنات اللاشعور المختلفة، ولاسيما في الحلم، جزءاً من السيرورات الأولية، في حين أن الاستدلال والحكم هما من ميدان السيرورات الثانوية. ومن الناحية الزمنية نجد أن «السيرورات الأولية ممنوحة منذ البدء، في حين أن السيرورات الثانوية تتكوّن تدريجياً خلال الحياة، وتعوق السيرورات الأولية، وتأخذها على عاتقها وربما لاتسودها سيادةكاملة إلا عند نضجها» (س. فرويد، 1900، ص. 492 من الترجمة الفرنسية). ومبدأ اللذة يحكم السيرورات الأولية، أما السيرورات الثانوية، فيحكمها مبدأ الواقع. (انظر في هذا المعجم: **التكثيف**، **الانزياح**).

N.S.

F: Processus- Signe
En: Sign Process
D: Zeichenprozess

السيرورة ـ العلامة

السيرورة ـ العلامة هي، في نظرية التوسّط لشارل أوسغود: «جزء يمكنه أن ينفصل» من استجابة كلية يثيرها منبه من البيئة ويمكنه أن يعمل بدوره «مثيراً».

إذا أطلق شيء منبّه (م ش) استجابة كلية (أ ك) لدى الفرد، فإن منبهاً لفظياً (م ل) قادر على أن يسبّب، بعد ترابطه مع (م ش)، استجابة جزئية، وليس استجابة كلية، «جزءاً يمكنه أن ينفصل» يشير إليه شارل أوسغود بحرفيrm الأجنبيين (r: استجابة الجزئية، m: **المعنى**، «الدلالة»).

وخاصيّة هذه الاستجابة تكمن في أنها يمكنها أن تصبح هي ذاتها منبهاً وأن تحدث استجابات من نوع آخر (أ ل) للمنبه اللفظي (م ل). مثال ذلك حيوان يخيف طفلاً يهرب، فاسم هذا الحيوان يوقظ لديه ارتكاساً تمثيلياً وسيطاً، يقترن بالاستعداد للهرب، ارتكاساً يتجلّى باستجابة لفظية من نوع: **إنني خائف**.

والصلة الترابطية يمكنها أن تُمثَّل تمثيلاً تخطيطياً على النحو التالي:

(المنبه الشيء: أفعى)

م ش ـــــــ أك (هروب)

م ل ـــــ(استجابة ذات معنى rm. . . منبه ذو معنى sm) («أخاف»)

(المنبه اللفظي: كلمة أفعى)

والحلقة المتوسطة، التي تكوّن سيرورة تمثيل تتخذ الكلمة معنى بواسطتها، يمكنها أن تُستخدم لصلات ترابطية جديدة. فإذا قرنّا في جملة من الجمل بكلمة **أفعى** منبهاً لفظياً آخر (مثال ذلك: **قمة** في قولنا: **ثمة كثير من الأفاعي في القمة**)، فإن السيرورة العلامة - أو الانطباع الدلالي، وفق التسمية التي أطلقها فرانسوا جودوله (1963) - المرتبطة في البدء بكلمة **أفعى** (م ل)، سترتبطُ في الواقع أيضاً بكلمة **قمة** (م ل2) وتسبّب الاستجابة: **الخوف**.

وينجم عن ذلك أن سيرورة - علامة واحدة (rm ⟵ sm) يمكنها أن توجد على الأقل صلتين ترابطيتين. وهذا المفهوم يشرح الواقع الذي مفاده أن بوسعنا إقامة علاقات بين منبهات لاترتبط بأي تشابه موضوعي، وبوسعنا الاختيار بين استجابات مختلفة لمنبه واحد. (انظر في هذا المعجم: **التعميم**، **التوسط**).

N.S.

السيكوباتية (الاعتلال النفسي)

F: Psychopathic
En: Psychopathy
D: Psychopathie

كانت السيكوباتية تعني للأطباء النفسيين الفرنسيين، في القرن الماضي، كل حالة عقلية مرضية. وتعني حالياً، تحت تأثير المؤلفين الألمان والأنغلوساكسونيين، كل شكل من تنظيم الشخصية يتجلّى برقابة انفعالية سيئة، واندفاعات وتصرفات على هامش المجتمع أو معادية للمجتمع، ناجمة عن حاجة لاتُقاوم إلى إشباع رغباته مباشرة.

إذا كان السيكوباتي، بصورة أساسية، غير متكيّف من الناحية الاجتماعية، فالعكس غير صحيح، ذلك إن الإنسان يمكنه أن يكون غير متكيف اجتماعياً (جانحاً، متسكّعاً أو غير ذلك) دون أن يكون سيكوباتياً مع ذلك. ويشقّ علينا أن نقدّم وصفاً دقيقاً متماسكاً للشخصيةالسيكوباتية، لأنها متغايرة، متبدلة، ولأن طبعها المرضي ناجم عن تنظيم سيء التوازن في عناصره أكثر مماهو ناجم عن فارق حقيقي في الطبيعة مع «السوي». والعدد الكبير من المترادفات أو النعوت ذات العلاقة بالشخصيات السيكوباتية (لاحظ كازون من قبل مئتين واثنين) يعبّر جيداً عن النقص في الوضوح. وكان فيليب بينيل (1745 -1826) يتكلّم بصددهم على «هوس معقول»، وجان أيسكيرول (1772 -1840) على «هوس أحادي اندفاعي»، وفالنتان مانيان (1835 -1916) على «متحلّلين متفوّقين» و«مجانين أخلاقيين». وكان الطبيب النفسي الانغليزي جيمس كاولز بيتشر(1786-1848) يستخدم منذ

عام1835، اسم مصطلح «الجنون الأخلاقي» ولكن إميل كريبْلن هو الذي اقترح، عام1896، اسم «الشخصية السيكوباتية». وعكف أنصار المذهب الجبلّي، فيما بعد، على أن يصفوا، تحت مصطلح عام هو **الجبلات السيكوباتية**، أشكالاً فطرية من التنظيم النفسي تميّزت بنمو مغال لسمة أو عدة سمات، كل منها يمكنه أن يجعل الفرد ذا استعداد مسبق لنموذج من المرض العقلي. وصنّف أرنست دوبره (1862-1921) **فاقد التوازن النفسي** في فئة **الضروب من فقدان التوازن بين الغرائز**، وصنفها دلماس وبول في فئة «الجبلّة المنحرفة»، في حين أن كوترت شنيدر (المولود عام 1887) كان، في نمذجته، يصنف «فاقد التوازن النفسي» في **النموذج الخامل**.

ومع تطور الأفكار، ولاسيما تحت تأثير التحليل النفسي - الذي يصنف فاقد التوازن النفسي في عداد «أعصبة الطبع» -، ألحّ المؤلفون الحديثون إلحاحاً أكبر على دور الوسط الاجتماعي التربوي في نشوء السيكوباتية. ففاقدو التوازن متحدّرون على الأغلب من أسرة مضطربة. إنهم يُظهرون، منذ الطفولة، ضرباً كبيراً من عدم الاستقرار وسلوكهم نزوي (تناوب فترات الإثارة، ونوبات غضب وفترات خمود)، نتائجهم المدرسية غير منتظمة، على الرغم من ذكاء سوي، وعلاقاتهم مع الآخرين من الأطفال أصبحت عسيرة بفعل كذبهم، وخداعهم، وخبثهم (قسوة إزاء الحيوانات أو الرفاق الأكثر ضعفاً، واتهامات شنيعة، إلخ). وتتكاثر الأفعال المعادية للمجتمع والجنح. وتؤرّف مرحلة الخدمة العسكرية، بصورة عامة، عقوبات أو تنتهي هذه المرحلة في مؤسسة إصلاحية، ويظلّ وجود السيكوباتي، في سن الرشد، موسوماً بعدم استقراره أو بهشاشة علاقاته العاطفية، وزواجه، وفاعلياته المهنية. وليس من النادر أن يهجر وظيفته أو منزله (هروب عقب معاكسة، وأن يسلك سلوكاً منحرفاً، معادياً للمجتمع (تسكع، سرقة، عنف بالضرب والجروح)، وأن يعكف على إدمان المخدرات السامة أو يحاول الانتحار. وأخيراً، يمكنه أن يبدي أيضاً نوبات ذهانية حادة مع خلْط عقلي أو هذيان.

ونجد، في سلوك «فاقدي التوازن النفسي»، بعض الثوابت: عدم التسامح مع الإحباط، الاندفاعية وسهولة «الانتقال إلى العقل»، التي تدلّ على حاجة إلى الإشباع المباشر للرغبات؛ العدوانية والميل إلى السلوكات المعادية للمجتمع، اللذين يدلان على غلبة العمل على الفكر؛ انعدام الحساسية بالقمع والعجز عن الإفادة من التجربة، اللذين يشجّعان تكرار السلوكات المعادية للمجتمع. وشخصية السيكوباتي موسومة، على نحو أعمق، بنقص الاطمئنان وتبعية إزاء المحيط، يدفعانه إلى البحث عن الحياة في جماعة، وبشراهة وجدانية تجعله متشدّداً وغير متسامح. وفي رأي أنصار مقولة **المذهب الجبلّي**، يتصف «فاقدو التوازن» بنسبة مرتفعة على نحو ذي دلالة من الشذوذات الصبغية ورسوم لتخطيطات الدماغ الكهربائي مضطربة. ويؤكد، على العكس، أنصار مقولة التحليل النفسي أن السيكوباتية ناجمة عن توقّف جزئي في نمو الأنا والأنا العليا، في أعقاب قصور عاطفي مبكر. فالأنا تظل، في بعض من جوانبها، مثبّتة على مرحلة عتيقة، حيث الاستيهام والحركية غير متمايزين بوضوح، وذلك أمر يشرح سهولة الانتقال إلى الفعل». وتظل الأنا العليا محكومة بشريعة العين بالعين ولا يمكنها أن تكون «مثال الأنا» (نمطاً يبحث الفرد عن الامتثال له).

وعلاج فاقدي التوازن النفسي عسير ويخيّب الأمل على الغالب، ذلك أن العلاقات مع المعالج تظلّ سطحية، عابرة وغير حقيقية. أما النصائح والتوجيهات التي قد تسوّل للمرء نفسه أن يقدّمها محاولاً أن يضفي الاستقرار على هذه العلاقة، فإنها ليست موضع تسامح، وذلك أمر يجعل متعذّراً من الناحية العملية كل علاج نفسي مستوحى من التحليل النفسي. (انظر في هذا المعجم: **عصاب الطبع، الشخصية الإجرامية، الانحرف الجنسي، الإدمان على المخدرات السامة**).

J.MA.

سيكولوجيا الفهم **F: Psychologie Comprehensive**

En: Psychology of understanding

D: Verstechende psychologie, Geisteswissenschaftliche psychologie

طريقة سيكولوجية تحدّد لنفسها هدفاً مفاده فهم الظاهرات الإنسانية «من الداخل» إذ تدركها في كليتها ووحدانيتها إدراكاً ذاتياً بالحدس التأليفي.

ليست الحوادث النفسية أشياء، والطرائق التي يمكننا تطبيقها على الحوادث الفيزيائية، الكيميائية أوالبيولوجية لاتناسبها؛ هذه الحوادث الأخيرة يمكنها أن تُشرح، ولكن الحوادث النفسية تُفهم على الأكثر، كان ويلهلم ديلته يقول(1833-1911).

ووجهة النظر هذه، التي تشارك فيها فلاسفة وعلماء نفس عديدون، كماكس شيلر (1874-1928)، وليم ستيرن (1871-1938)، كارل ياسبرز (1883-1969)، منطلق تيّار سيكولوجي قوي نما نمواً متوازياً مع علم النفس الفيزيائي والسلوكية. وفي حين تحلّل النظريات ذات النزعة الموضوعية تلك الإحساسات الأولية و«أجزاء» السلوك، فإن سيكولوجية الفهم تضفي الامتياز على الاتصال بين الشخصي، والصلة بين الإنسانية، و«الوحدة الوجودية» (ياسبرز). ويكمن الشرط المسبق والضروري لفهم مثيلي في إقامة علاقة بين ذاتية معه تحقّق نفوذاً متبادلا بين فكرينا. وسيحدث بينه وبيني، انطلاقاً من هذه الذاتية البينية، تيار من تبادل العلامات والإشارات، غالبيتها غير مدركة، أو سيحدث، إذا استخدمنا

تعـبـيـر س . فـرويد، «تـواصل من لاشـعـور إلى لاشـعـور». أضف إلى ذلك أن التعاطف، قاعدة المشاركة الوجدانية، يتيح أن نتصور التجارب التي يعيشها الغير، ونشاركه في عواطفه وننفذ إلى منظومته القيمية، بحيث أن كل العناصر التي يكشفها الاتصال المباشر معه تصبح، ولو أنها تظل دون شرح، مفهومة بالنسبة لنا.
(انظر في هذا المعـــجم: **الفـهم**، **علم النفس الوصـفي**، **الوجودية**، **ياسـيرز [كارل]**).

N.S.

سيكولوجيا(*) الفن الحديث

F: Psychologie de l'art moderne

En: Psychology of modern art

D: Psychologie der modernen kunst

التعبير الفني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية الفنان وبشروطه الحياتية، شروط حياته الشخصية والشروط، التاريخية، لجماعته وزمانه، على حد سواء. وعندما تكون هذه الشروط التاريخية أكثر اضطراباً من حياة الفنان الخاصة، تميل أعماله إلى أن تصبح التعبير عن عسر جماعي يشارك فيه مشاركة أكثر شدة من الآخرين، جراء حساسيته، وذلك أمر يتيح له أن يدرك ويفسر ما لا يميّزه الجمهور إلا فيما بعد. ويبدو الفنان، بوصفه موضوعاً على هذا النحو في طليعة سير العالم، كنبي تارة، وكمستنير تارة أخرى، إنتاجه وتصرفه يبدوان عبثيين، إلى حد يتساءل الناس عن صحته العقلية. والفن الحديث، اللغزي، والمثير معاً، إبانة واضحة لذلك. فالحربان العالميتان اللتان وسمتا بقسوة قرننا، والقصف الذري لهيروشيما (6 آب [اغسطس]1945) وناغازاكي (9 آب 1945)، شأنه شأن غزو الفضاء وانطلاقة التكنولوجيا، مارست تأثيرها على الفن الحديث. وفي بداية السنوات العشرين إنما أسّس لوي أراغون، وأندره بروتون، وبول إلْوارد، الحركة السوريالية، وابتكر بعد 1945 جان دوبوفه (المولود عام 1901) الفن الخام وجان فوتربيه الرسم الزيتي

(*) استخدمنا «سيكولوجيا» (المصطلح المعرب) بدلاً من «علم النفس في حالات الإضافة وبالمعنى نفسه بالطبع «م».

المتحرر من الأوامر التقليدية والعاكس اندفاعات الفنان التلقائي. ففنان الطليعة يرتكس ضد قمع نفسي ناجم على نحو أساسي عن حصر جماعي نشأ في أعقاب انقلابات أثارتها الحروب، في الأخلاق والتنظيم الاجتماعي. إننا رأينا «حق الأقوى» مرفوعاً إلى منزلة التصرف لدى الكبار، وأصبح العنف والخوف أمرين يوميين في المدن الأكثر سكينة وحتى في القرى الأولمبية، وليس في ميادين المعركة فقط. والعمل المشوّه، عمل الفنان، هو التعبير الرمزي قليلاً أو كثيراً، على نمط نكوصي أو عدواني، عن صورة هذا العالم، عالم الفوضى، وضد الاختلالات التي يتمرّد عليها. واستطاع نقاد الفن، الذين لم يفتهم أن يؤكدوا هذه العلاقة، أن يقارنوا «الفن المتحرر من الأوامر التقليدية والعاكس اندفاعات الفنان التلقائية، والمتفكك بتفكك حضارة عميق، أسسُها المتينة كانت قد تقوّضت» (مارسيل بريون)، وأن يجعلوا الأعمال الفنية الطليعية ضروباً من الشهود: «آلات تسجيل الانقلابات السيكولوجية، والأخلاقية، والاجتماعية، في عصرنا».

ونميّز، إذا تعمّقنا في دراسة أسس الفن، عاملين أحدهما هو حالة انعدام الأمن التي نعيشها، جراء تهديدات الفناء التي تحوم حول العالم وتجريد مجتمعنا من إنسانيته تجريداً تدريجياً؛ والعامل الآخر هو الاستجابات التي ننمّيها في هذا الوضع، استجابات بعضها ذو طبيعة نكوصية أو عدوانية. ويشرح تلاقي هذين العاملين طبيعة الفن الطليعي الاجتماعية السيكولوجية، الذي يبتعد عن الفن الكلاسيكي ويقترب من فن المصاب بالاعتلال النفسي (السيكوباتيين). والحقيقة أن الفن التقليدي يقوده فكر واع، في حين أن الفن الحالي تحضّ عليه التلقائية اللاشعورية. فطموح الأول يكمن في أن يصور شيئاً، منظراً، مشهداً، نتاجاً من نتاجات المخيّلة، مستخدماً القواعد والتقنيات المجرَّبة (مثال ذلك العدد الذهبي، مفتاح الانسجام الكلي، في رأي كثير من المنظّرين)، ويسعى الفن الحالي جاهداً إلى أن يعبّر عن إحساس، عن معيش الفنان أو العالم الخارجي، تعبيراً في حرية كلية ودون خضوع إلى أية قاعدة جمالية، منطقية أو أخلاقية. فالتقنية لدى الفن التقليدي هدف، وهي وسيلة لدى الفن الحديث. والإشباع جماليّ بالنسبة للأول،

وفي رأي الثاني، مصدره تقليص التوتر، مصدره الفرج النفسي. وفي ذلك يقترب الفن الحديث من فن علم النفس المرضي. أضف إلى ذلك أننا نجد في الفن الحديث، كما في فن علم النفس المرضي، ميولاً إلى الهروب والنكوص، من طبيعة دفاعية، تنهل من اللاشعور وتنمو تحت تأثير الدينامية، دينامية النزاعات النفسية الداخلية، والعوامل القسرية، نمواً مستقلاً عن العقل والاهتمامات الجمالية.

ونلاحظ، في الفن الحديث كما في فن علم النفس المرضي، كثيراً من سمات الفن الطفلي، كما لو أن النكوص كان يتحقّق حتى الراقات البدئية للأنا، التي ظلّت سليمة («لاتفنى»، وفق العبارة التي استخدمها فرويد)؛ وهذه السمات هي: التلقائية والبساطة «الساذجة» للرسم، التشوّه، الانفصال، التجزيء، الالتصاق، النمطية، الخربشة، النزعة الهندسية، الرمزية، العدوانية والتدميرية. وأخيراً، ثلاث خصائص من فن المصابين بالاعتلال النفسي (السيكوباتيين): التفكّك، والحشو، والانطواء على الذات، نصادفها على الغالب لدى فناني الطليعة. ولكن كل نقاط التقارب هذه بين الفن الحديث وفن المصابين بالاعتلال النفسي (السيكوباتيين) تجعلنا نكتشف أيضاً أن هذا الفن الأخير ليس التعبير عن مرض، على الرغم من أنه واقع المرضى. إنه بالحري دفاع ضد المرض؛ فهو يتغذّى من الراقات العميقة للحياة النفسية، التي ظلّت سليمة؛ إنه ضرب من التنفيس (من هنا منشأ تشجيعه في الفن – العلاج).

ومن المتعذّر، مهما تكن النقاط المشتركة موجودة بين الفن الحديث وفن علم النفس المرضي، أن نشبّه أحدهما بالآخر، وذلك لعدة أسباب: أولها أن الفن بالنسبة للمريض، ولو أن لقاءهما يتمّ على عتبة الذهان، نضال للخروج من هذا الوضع والتحرّر، في حين أن الفن، لدى الفنان، جهد هدفه أن يصون نفسه وألا يدخل هذا الذهان؛ وثانيها أن إنتاج المصابين بالاعتلال النفسي (السيكوباتيين) ليس له، ماعدا استثناءات نادرة، خاصّية أعمال الفنان التي تضمنها عبقريته (ولايمكن

أن يكون مطروحاً هنا على بساط البحث إبداعات تُسمّى طليعية هي تزييفات الفن الحديث، ومحاكاة فقيرة واعية وعبثية لفنانين أصيلين، نرتكب خطأ كبيراً حين نقارنها بأعمالهم). وثالثها، أخيراً، أن الفن الحديث يمسّنا مباشرة لأنه يرمز إلى العالم الذي نعيش فيه ويعبّر عنه، إذ يوقظ فينا ضروباً من الرجع التي لانشعر بها على الغالب. ويمكننا أن نرى فيها نضالاً لمكافحة الجنون، ذلك الذي يتسلّط على الكون ويزعزعه ويهدّده، وليس بوسعه أن يفعل شيئاً ضده إلا أن يخبرنا، إذ يصبح «المرآة الكارثية التي تنظر المرأة الشريرة فيها إلى نفسها»، بحسب تعبير بودلير. ففن الطليعة، الذي يسمّيه النقاد «لا- فن» أو «ضد-الفن»، ربما يكون فناً منهكاً. ولكنه، على وجه الخصوص، صرخة الخطر الصادرة عن عالم مختنق، تُحدث مفعول ضربة سوط تلسع أولئك الذين يحسّون بها. وليس بوسعنا أن نأمل في عودة الفن من مغامرته في العدم الفوضوي إلا عندما يُعاد إلى العالم ماكان يصنع روعته وانسجامه. «إضافة القليل من الصراحة والصدق في العلاقات بين الناس وأولئك الذين يحكمونهم ستكون من طبيعة تشقّ الدرب لهذه الإعادة، كان فرويد يقول متنبّئاً».

N.D.

سيكولوجيا المستهلك F: Psychologie du consommateur

En: Consumer Psychology

D: Marktpsychologie

دراسة سلوك المستهلكين وخصائصه السيكولوجية، وعوامل الاستهلاك، أي التأثيرات الشخصية وغير الشخصية التي تُمارس عليه.

سيكولوجيا المستهلك فرع من علم النفس التطبيقي؛ إنها، بوصفها كذلك، تستخدم مروحة واسعة جداً من الطرائق والنظريات السيكولوجية، كالتحليل النفسي وعلم النفس الفيزيولوجي، ولاسيما الاستقصاءات وسبور الرأي. وتنصبّ بحوث سيكولوجيا المستهلك بصورة خاصة على الاتجاهات، والعادات، والدافعيات، والتأثيرات.

1- الاتجاهات

البحث السيكولوجي مرادف على الأغلب، في دراسة السوق، لدراسة الاتجاهات إزاء علامات الصنع، ذلك أن المصنّعين يعنون كثيراً بما يعتقده الناس بمنتجاتهم وشركاتهم. وتُستخدم على الغالب، لجمع المعطيات ووصفها، طرائق معدّة، كسلالم الاتجاهات والمميّز الدلالي، ولكن طرائق أكثر مباشرة تحلّ محلها غالباً. وعرض فيشبان نظرية تلفت الانتباه مفادها أن لاتجاهات شخص من الأشخاص إزاء شيء مكوّنتين: الاعتقاد أن لهذا الشيء خاصيّة معيّنة، والرغبة في أن تكون هذه الخاصية موجودة بالفعل. وللبحوث في الاتجاهات، وبخاصة في أفضليات المستهلك وتوقّعاته، أهمية كبيرة للنظريات الاقتصادية.

2 - العادات

تنصبّ البحوث تقليدياً على الكميات المستهلكة، فترات الاستهلاك الزمنية، خصائص علامات الصنع، ولاء المستهلكين لهذه العلامات. وتزداد العناية مع ذلك بسيرورات اكتساب عادات جديدة في الاستهلاك وبالعوامل التي تيسّر هذا التعلّم أو تكفّه. ويُدرس ذلك، إذ تُكيَّف له طرائق من نموذج منبه- استجابة، وطرائق تعلم معرفي مستمدّة من نظرية السلوك العامة، منذ فترة زمنية حديثة. ومشاكل التعلم الإدراكي، أعني ما يعيره الناس انتباههم، والأشكال التي يفضّلونها، ونقول، على وجه العموم، كل مايسهّل الإدراك أو يكفه، لها على نحو طبيعي فائدة كبيرة للإعلان.

3 - الدافعية

تكمن المسألة في أن نعرف الأسباب العميقة التي من أجلها يشتري المستهلكون أو لايشترون بعض المنتجات أو بعض العلامات. ونباشر على وجه العموم، من أجل ذلك طريقة الأسئلة المباشرة، ولكن بعض علماء النفس آثروا استخدام التقنيات المسماة «إسقاطية»، معتقدين أن الناس لايمكنهم على الغالب أو لا يريدون أن يكشفوا عن بواعثهم الحقيقية. ومثال التقنيات الإسقاطية أن نُري صور أوضاع، حيث ينبغي لشخصية أن تعلّق على منتج، ونطلب إلى الفرد أن يتخيل جوابها؛ ويُفسَّر هذا الجواب تبعاً لنظريةسيكولوجية. وكان هذا النوع من البحث قد مورس ممارسةكبيرة خلال الخمسينيات، ولكن لوماً وُجّه إليه فيما بعد مفاده أنه غير أخلاقي وغير نزيه إزاء المستهلك، وليس ثمة شك في أنه يكوّن ضرباً من التطفّل في صميميته ومساً بشخصه.

4 - التأثيرات

إنه مشكل التواصل الفردي والتواصل الجماهيري، وسعى بعضهم على الغالب إلى توضيح دور الإعلان في التواصل، ولكن غالبية البحوث كانت مع الأسف قد أُجريت بحيث لايكون لها مدى عام. وتبيّن هذه الدراسات مع ذلك إن

الإعلان يندر أن يكون العامل الوحيد العامل، بل ليس الأكثر أهمية، إلا فيما يخصّ المشتريات الثانوية. ويبدو أن تأثير الأصدقاء والعلاقات المباشرة أكبر كثيراً، لاسيما في شراء السلع الدائمة كسيارة أو غسالة. ويبدو أيضاً أن ثمة «قادة رأي» يُلتمس رأيهم في مجالات محدّدة: الدرُّجة، آلات التصوير، الغذاء، إلخ، ذلك أن لديهم معرفة أوسع ويُظهرون اهتماماً أكبر بالحصول على المعلومات. وللبحث في سيكولوجيا المستهلك أهداف مختلفة أولها دراسةالسوق، وتشرع فيه على الغالب، لهذا السبب، شركات صناعية. وله، في بعض الأحيان، قيمة علمية، وتُنشر عندئذ الأعمال التي يفضي إليها البحث، لمنفعة الباحثين الكبرى. وقد تجد الخدمات العامة للاستهلاك أيضاً، في هذا البحث، مادة لتربية المستهلكين وعقد المواثيق. واحتاز الشعور علماء النفس، في العقد الأخير من السنين، بضرورة أن يكونوا مستقلين عن الاهتمامات التجارية وأن ينشدوا حماية المستهلك. واستلهم عدد من الدراسات العلمية أفكار مايسمى الاستهلاك الواعي كل الوعي. فالشراء واستهلاك الخيرات جزء هام من السلوك اليومي. إنه مجال ملاحظة وتجريب، مزيته أنه أقل اتصافاً بالصفة المصطنعة من العمل في المخبر، وينبغي لهذا السبب ألا يكون موضع اهتمام علم النفس التطبيقي فحسب، ولكن موضع اهتمام علم النفس العام أيضاً. (انظر في هذا المعجم: **المميز الدلالي**، **علم النفس المجهري**، **الإعلان**).

K.E.W. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

سيلي (هانز) Seyly (Hans)

طبيب كندي من أصل نمساوي (فيينة، 1907- مونتريال، 1982).

كل موجود حي خاضع لإثارات كثيرة ترتكس عليها عضويته على نحو إجمالي وغير نوعي. إن ألماً حاداً، وتسمّماً، وعدوى ميكروبية، وسرور كبير. كلها «عوامل كاربة» تقتضي عملاً من أعمال تكيّف العضوية. ويجنّد انفعال أو إثارة الفرد المفرطة دفاعاته ويمكن أن تكون عاقبتها ظهور مايسميه سيلي «التناذر العام للتكيف». ويجري هذا التناذر في ثلاثة أطوار متتالية ومتمايزة: 1) **ارتكاس الإنذار بالخطر** (صدمة وارتكاسات الدفاع الأولى)، يظهر بانخفاض التوتر، وسرعة خفقان القلب، وانتاج مستمر للكاتيكولامينات، لهرمونات قشر الكظر (A.C.T.H.)، والستيرويدات القشرية، 2) **مرحلة المقاومة**، التي تتنامى فيها ارتكاسات الدفاع ويستمر التكيف المكتسب. فإذا توقّف الكرب، فإن التوازن يصبح سوياً من جديد، 3) **مرحلة الإنهاك**، التي تتميّز بعجز العضوية عن الاستمرار في ارتكاساتها الدفاعية، فالتغيرات الوظيفية، الأيضية والتشريحية، يمكنها أن تمضي حتى موت العضوية.

وفي رأي هانز سيلي أن ثمة أمراضاً جسمية تعبّر عن اضطراب في تكيف العضوية العام. ويمثّل بين هذه الأمراض، «أمراض التكيف»، فرط التوتر، التهاب المفاصل، القرحة المعدية- العفجية، مرض أديسون، مرض سيموندز، أمراض كلوية بدئية، إلخ. كتب هانز سيلي مقالات وكتباً عديدة، نذكر منها: **كَرْب الحياة** (1956، نيويورك، ماك غرو - هيل، ترجمه إلى الفرنسية ب. فيردون،

م. باراث، بعنوان **كرب الحياة، مشكل التكيف**، نشر غاليمار، باريس، 1962)؛ **حكاية التناذر العام للتكيف** (1952، مونتريال، أكتا إنك، المنشورات الطبية، ترجمه بالعنوان نفسه إلى الفرنسية جـ. تشيكوف، ب. جـ. كابليه، باريس غاليمار، 1954)؛ **كرب دون بؤس** (1974، نيويورك، جـ. ب. ليبيتكوت وشركاه، تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه في مونتريال، منشورات الصحافة، 1974)؛ **كرب في الصحة والمرض** (1976، بوسطون، لندن، بوترورث). (انظر في هذا المعجم: **التكيف**، **التوازن الحيوي**، **الطب النفسي الجسمي**).

Cl.C

ملاحظة المترجم:

ترجمنا المصطلح الأجنبي «Stress» بالمقابل العربي «كَرْب». فقد وجدناه أفضل المقابلات العربية التي يمكننا أن نقترحها. وقد أشرنا إلى ذلك في «مقدمة» الترجمة لكتاب **الكرب**، تأليف د. جان بنجامان ستورا، ترجمة وجيه أسعد، دار البشائر، دمشق، 1997 «م».

السيولة

F: Fluidité

En: Fluency, Fluidity

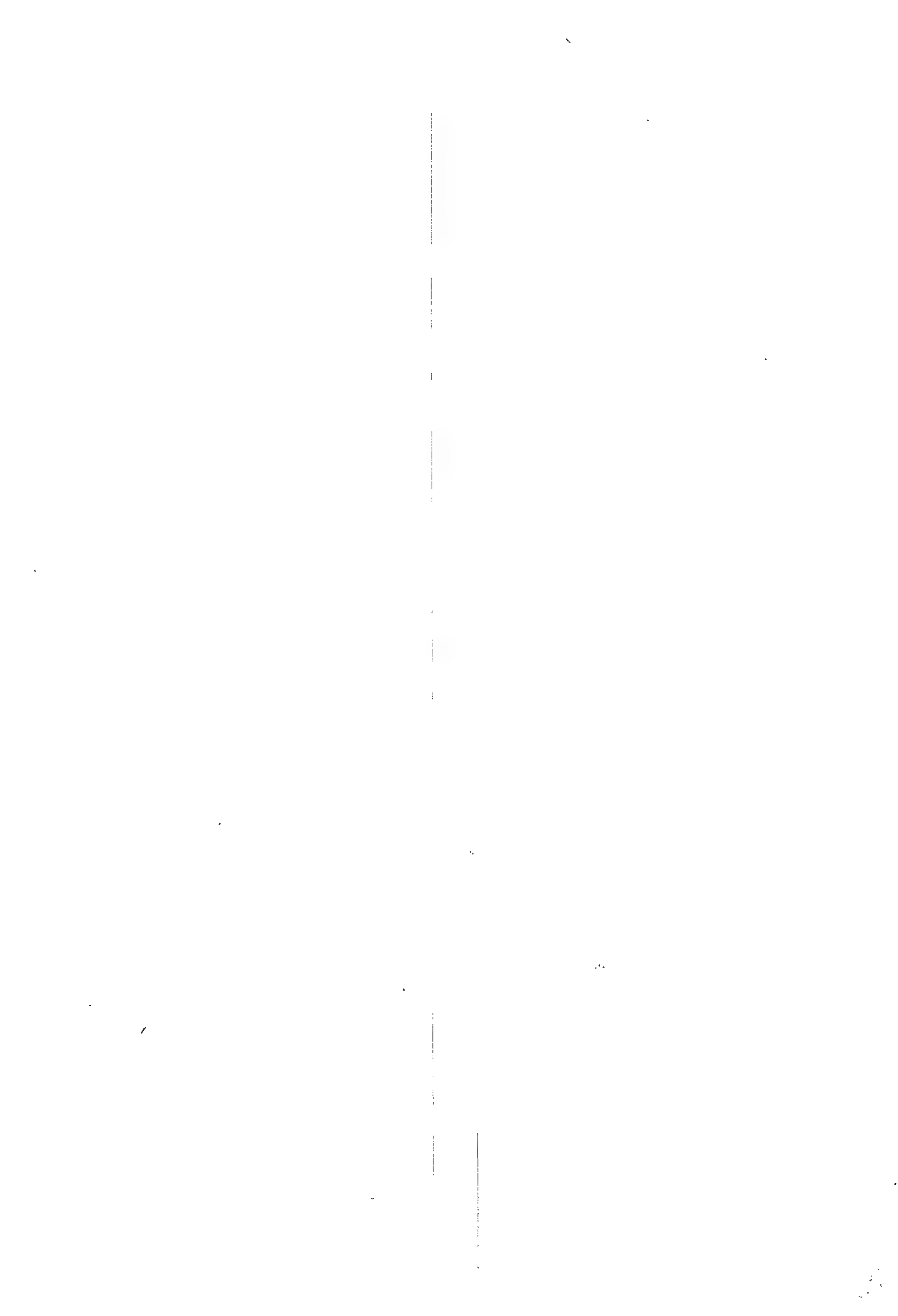
D: Fluiditat

صفة ما يسيل بحرية.

يدلّ هذا المصطلح، في علم النفس، على حيوية الفكر (ميلي)، التي تتميّز، على وجه الخصوص بسعة إنتاج الأفكار (سهولة تكوين الأفكار، أو **السيولة في تكوين الأفكار** لـ ك. و. تيلور). ويظهر جانب آخر من السيولة في القدرة على التوسّع في فكرة معطاة (سيولة التعبير). ومايسمّيه، أخيراً، لوي ليون ثورستون (1887-1955) سيولة لفظية، يقابل قابلية عقلية تتجلّى بيسر في استخدام اللسان وبغنى المفردات. إنها تعبّر عن فكر نيّر وسريع، علامة الذكاء. وتُستخدم، لتقييم هذه السيولة اللفظية، اختبارات مختلفة كالاختبار الذي يكمن في تقديم أكثر ما يمكن من الكلمات، في زمن محدّد، انطلاقاً من بادئة معيّنة. (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية العلمية**).

N.S.

حـــرف
الشـــين



الشائعة (*)

F: Rumeur
En: rumor
D: Gerucht,Gemurmel

نبأ غير مراقب، ينتقل مشافهةً.

الشائعة تؤلف الأسلوب الأكثر قدماً لتكوين الآراء. وتبدو على وجه الخصوص عندما تغيب المعلومات أو تكون ملتبسة، أو عندما توضع الثقة بوسائل الإعلام الرسمية موضع التساؤل. ووظيفتها الأساسية تسكين التوتّرات التي يسبّبها فقدان الأمن. مثال ذلك أن شائعة راجت في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد هجوم اليابانيين المفاجىء على بيرل هاربور، 7 كانون الثاني (ديسمبر) 1941، شائعة كانت تلفت النظر إلى اليهود بوصفهم كبش الضحية: كان هؤلاء يختبؤون في أمريكة، في حين أن مواطني هذا البلد كانوا يجازفون بحياتهم للدفاع عنهم. وكوّنت الشائعة موضوع بحوث تجريبية عديدة أجراها علماء النفس مثل ف.ك. بارْتليتْ (1932)، غاردون ويلّر ألْبورت وليو بوسْتمان (1945). فيُسقط هذان الأخيران في تجربة شهيرة، مشهداً دراميا يتضمّن عدة شخوص على شاشة. ويصف المجرّب إلى الفرد الأول، الذي لم يتوافر له إمكان رؤية الشاشة، ذلك المشهد بتفصيلاته. ثم يُدخل المجرب ثاني شخصٍ إلى الغرفة، فيقصّ عليه الفرد الأول ماسمعه من وصف، قصّاً أميناً بقدر الإمكان. ويفعل الشخص الثاني مع شخص ثالث مافعله الأول معه، إلخ. ويتابع الملاحظون على الشاشة، التي يشاهدونها وحدهم، تحوّل الوصف البدئي أو «الشائعة»، تحوّله التدريجي. ويبرهن ألْبورت وبوسْتمان على أن الشائعة تتميّز بثلاثة اتجاهات:

1) **الاختزال**: كلما انتشرت الشائعة، أصبحت قصيرة، موجزة، يسهل نقلها. وذلك يطابق ملاحظة بارْتليت البدئية التي مفادها أن 33 بالمئة من التفصيلات تضيع منذ التكرار الأول، 46 بالمئة في التكرار الثاني، 64 بالمئة في التكرار الثالث، 70 بالمئة في الرابع والخامس.

2) **التشديد**: تتضخّم بعض التفصيلات، فالرجل الأسود يصبح **أربعة** رجال سود أو أسود **ضخماً**.

3) **التمثّل**: إيدولوجيا الفرد الذي ينقل النبأ، ومصالحه، ورغباته، ومخاوفه، موجودة في الشائعة. مثال ذلك أن الأبيض لم يعد الشخص الذي يمسك الموسى، بل الشخص الأسود، وذلك أمر يتناسب مع الأحكام القبْلية الشائعة. والتفصيلات المحتفظ بها في الشائعة يُعاد تنظيمها لتكوّن كلاً متماسكاً، بسيطاً، منطقياً. وعلى هذا النحو إنما تصبح سيارة الإسعاف المحمّلة بالمتفجّرات، في القصة، سيارة إسعاف تنقل أدوية. ونكتشف هنا مبادىء الوحدة وكثافة حضور الشكل الحسن، مبادىء استخلصتها **نظرية الغشطالت**.

وبيّنت أعمال ستيوارت ك. دود (1952) أن انتشار الشائعات يخضع لقانون فيبر – فخنر: الانتشار (آ)، أي عدد الأشخاص الذين تبلغهم رسالة، يتغيّر تغيّراً متناسباً مع لوغاريتم عدد السكان (س) الذين كانت الرسالة قد انتشرت بينهم، بالنظر إلى أن تنبيه الفرد ثابت (ج):

آ = جـ لوغاريتم س.

ويتغيّر الانتشار (آ) أيضاً مع لوغاريتم شدة التنبيه (ت)، الذي يُقاس بعدد التنبيهات للساكن الواحد (زيارات، نشرات، إلخ):

$$\frac{\Delta \text{آ}}{\text{آ}} = \text{ب لوغاريتم س}.$$

(انظر في هذا المعجم: **فخنر، الحكم القبْلي**).

N.S.

(*) – انظر: د. ميشال لويس روكيت، الشائعات، ترجمة: وجيه أسعد، دار البشائر، دمشق، 1994 .

الشاي

F: Thé

En: Tea

D: Tee

ورقة جَنْبة الشاي (Camellia Sinensis)، شجيرة ذات ورق دائم أصلها من الشرق الأقصى.

ورقة الشاي تحتوي **الكافئين** وحمض التنيك (العفْص). ونحصل، وفق تحضير الشاي، على **الشاي الأخضر** (5 بالمئة من الكافئين) أو الشاي الأسود (2 بالمئة من الكافئين). والشاي الأخضر لايطرأ عليها تجفيف، ولاتخمير، ولاتسويد. وللحصول على الشاي الأسود، نجفّف أوراق الشاي في الهواء، ونثير تخمّرها، ننشّفها بالنار. ولكن تخمير الشاي الأسود مدة طويلة يسبّب تكوّن النتاجات السمّية، التي تجعلها أكثر ضرراً من الشاي الأخضر. وللشاي، شأنها شأن كثير من المنبّهات، خصائص مشابهة للجَملة الوديّة (أي أن تأثيرها الفيزيولوجي شبيه بتأثير الجملة العصبية الوديّة)، فضلاً عن مفعولها على الجملة العصبية المركزية. واستهلاك الشاي كبير في الصين، وفي البلدان الناطقة بالانغليزية (شاي أسود) وفي أفريقية الشمالية (شاي أخضر). والاستخدام المعتدل للشاي بالنقع غير مضرّ. أما الإفراط في استهلاك الشاي الأسود، فإنه، على العكس، يؤدّي، إذا كان التحضير بغلي الشاي مدة طويلة، إلى **الشائية الحادّة** (Théisme: مجموعة من العواقب التي يسبّبها الإفراط في تناول منقوع الشاي)، تتميّز بخفقانات القلب، والدوار، والحصر، وبهذيان حلمي في بعض الأحيان.

ويُلاحظ، في **الشائية المزمنة**، أوجاع رأس، وآلام عصبية (آلام واخزة على مسار الأعصاب)، واضطرابات عصبية نباتية، وتبدّل في الحالة العامة والمزاج. وينبغي للمرأة الحامل أن تتجنّب الإفراط في هذا الشراب، ذلك أن بعض المؤلفين (ج. فريديريك، 1994) يعتقدون أنه يمكنه أن يكون له دور في نشوء وليد دون دماغ. والواقع أن استقصاء عالمياً، أُنجز لدى 558 امرأة، أمهات أطفال دون دماغ ولدى 232 امرأة، عدد يكوّن الجماعة الضابطة، بيّن أن نسبة ولادة الطفل المشوّه كانت أكثر ارتفاعاً، بصورة ذات دلالة، لدى النساء اللواتي اعتدن على تناول أكثر من ثلاث كؤوس من الشاي يومياً. (انظر في هذا المعجم: **القهوة**، **الإدمان على تناول المخدّرات السامّة**).

N.S.

شبه الحاجة

F: Quasi - besoin

En: Quasi - need

D: Quasibedürfnis

مفهوم منسوب إلى عالم النفس الأمريكي كورْت لوفن (1890 - 1942)، يدّل به، على هذا النحو، على الحاجات المشتقّة من حاجة حقيقية أو من اتّحاد حاجات، تؤدي إلى سلوك نوعي.

أن ينوي المرء تحقيق مشروع، إنجاز عمل معيّن، أمر يعادل خلق شبه حاجة. والواقع أن الفرد يظلّ متّجهاً في الوجهة نفسها مادام هذا القصد لم يُنجزه، مادام الهدف الذي حدّده لنفسه لم يبلغه. ولكن هذا القصد يمكنه أن ينطفيء من تلقاء ذاته، إذا كانت الحاجات الأصلية قد أُشبعت قبل تحقيق المشروع أو بلغ الفرد درجة عالية من الرضى العام. (انظر في هذا المعجم: **الحاجة**، **نظرية الحقل**).

N.S.

الشبيه بفصام المراهقة

F: Héboïdophrénie

En: Heboidophrenia

D: Heboidophrenie

حالة سابقة من الفصام أو شكل ضئيل من الفصام يطرأ لدى مراهق ويتميّز بسلوك معارضة وعداوة إزاء الوسط الأسري (والمجتمع على وجه العموم)، وبرود وجداني، وتصرّف عنيف على الغالب، بل منحرف.

كان الطبيب النفسي الألماني كارل لودفيغ كالْبوم (1838 - 1899) قد عزل هذا المرض عام 1885 ، وأطلق عليه رنْدركْنيخْت وهالْبيرسْتات تسميته التي تبنّاها بول غيرو (1882 - 1974). والأفراد المصابون بما يشبه فصام المراهقة يتميّزون قبل كل شيء باتجاهاتهم المعادية للمجتمع والجرمية (نَصْب، سرقة، عدوان، بغاء، إلخ) وعدم التكيّف العميق مع حياة اجتماعية مهنية طبيعية. ويتميّزون مع ذلك من السيكوباتيين (المصابين بالاعتلال النفسي) ومن الآخرين الذين يعيشون على هامش المجتمع ببعض سمات السلوك الذي يذكّر بالفصام: ميل إلى الانطواء الكئيب، انتقال من الخمول إلى الهياج، سمة مُقَوْلَبة غير منتجة في أعمالهم. ولكن فروقاً مشابهة من هذا النوع يصعب على الغالب إدراكها، ولايُستخدم من الناحية العملية هذا الإطار في تصنيف الأمراض.

J.MA.

الشخص

F: Personne

En: Person

D: Person

يدلّ هذا المصطلح، بصورة أساسية، على الفاعليات المراقبة، الرصينة، التي يحدّد بها فرد من الأفراد المثالَ والقواعد التي ينوي أن يُخضع تصرّفاته لهما. فالشخص مركز المواجهة والفحص لإمكانات شتّى تسنح له، ومركز إضفاء التراتب والتناغم عليها، وتوزيعها زمنياً.

يتميّز هذا المصطلح من مصطلح **الشخصية** الذي يدلّ بالحري على البنية الكلية للسيرورات الشعورية واللاشعورية: ميول فطرية أو متكوّنة، مراجع تنظيم وامتثالات وأعمال، رقابات ومُثُل، تحكم كلية الارتكاسات لدى الفرد. فهل يمكن أن يكتسب مفهوم الشخص وضعاً سيكولوجياً؟ أليس المقصود مفهوماً إيديولوجياً أو أخلاقياً؟ إنه مفهوم برز في الغرب ببطء: بعد أن استُخدم للدلالة على الممثّل، حامل القناع، توصل منذ العصور القديمة للدلالة على الفرد من حيث هو موجود مسؤول. وهو ذو علاقة، تحت تأثير الفلسفات الرواقية والأفلوطينية، وكذلك بتزثير التفكرّ المسيحي في الأشخاص الإلهية، بالفاعليات التي يصبح الفرد بها سيد ذاته، واعياً الأهداف التي يختارها، مستقلاً، مزوّداً نفسه بحياة داخلية. والفلسفات الروحية التي تتتابع تسمه بقوة. فهل يعني أنه ليس بوسعه أن يكتسب دلالة إجرائية؟ يُلاحظ أن عالم النفس، في ممارسته، يستخدم استخداماً دائماً هذا المفهوم عندما يأخذ بالحسبان دافعيات «الأفراد الذين يخضعون لملاحظاته»،

ومداولاتهم، وتسويغاتهم. ففي التصرّفات، توجد فئة من سلوكات الضبط الذاتي التي تضفي المشروعية على استخدام هذا المفهوم وتقتضي دراسة علمية.

ونميّز عدة مستويات من عمليات الضبط الذاتي. فعلى المستوى تحت الشخصي، توجد **ضروب من الضبط النفسي الفيزيولوجي**، الملازمة للمخطّط الجسمي، وهي تنسيقات متكوّنة في تكييف الوضعة الجسمية والتكييف الحسّي الحركي مع أوساط الحياة؛ وثمة أيضاً **ضروب من الضبط الاجتماعي** يكشف عنها استدخال القواعد، ورقابة الأدوار التي ينبغي تأديتها، أدوار متناغمة قليلاً أو كثيراً فيما بينها. ونبلغ عتبة **ضروب الضبط**، **ضبط الشخص**، مع انزياحات الفرد نحو موقع الآخرين، مع التماهيات الشعورية حيث الفرد يمنح نفسه، متجاوزاً التماهيات اللاشعورية، نماذج يستخدمها في التوجيه الذاتي والتصحيح الذاتي. ولكن بوسعنا أن نتكلّم حقاً على شخص، متجاوزين هذه التمهيدات، عندما يباشر الفرد فكّ الألفة مع الأدوار والنماذج، بسبب التناقضات، على الأغلب، التي يدركها فيما بينها. ونجد عندئذ، لدى المراهق على سبيل المثال، تلك المعارضات لضروب الضبط المستدخلة؛ والاستفهامات عن قيمة الامتثال للنماذج الخارجية المنشأ؛ والبحث عن فاعليات ذات معنى؛ والموازنة (في جوّ اجتماعي) بين تجاربه الاجتماعية، بين تماهياته المتتالية، وإعداد تراتب للقيم في نهاية المطاف.

وهذه الانتقادات والانفصالات، مرتبطة بأزمات بين شخصية، قطيعات مع التعلّقات المتتالية في الطفولة والمراهقة بفعل توظيف قيم جديدة. إنها مرتبطة أيضاً بأزمات المجتمع الذي يرغم الأفراد، وقد نفذت إليه تيارات متعارضة، على أن «يتّخذوا موقفاً منها» لإجراء الاختيار. ولكن ثمة أيضاً جانب بناءٍ في فاعليات الشخص. والمقصود بحث عن التماسك، تماسك بين المؤسسات المتنافسة وتماسك بين تصرفات الفرد على حدّ سواء. فينبغي، على سبيل المثال، أن نبذل جهداً بحيث لايكون العمل اليدوي، موضع التمجيد اللفظي، محتقراً من الناحية الاجتماعية. وتقتضي هذه العملية تقصّياً لمصادر التناقض وعواقبه. ونفترض توسيع الحقل

الزمني، وتصوّر تاريخ المجتمع، ومستقبله المنتظر، من جهة، وتصوّر تدوين الأفعال الخاصّة بالفرد في مجموع حياته من جهة أخرى: بناء التاريخ الشخصي وتقييمه المترويّ.

وهناك جانب آخر من الشخص: البحث عن القدرات الكامنة التي تبرز عند الاتّصال بالواقع، ولكن بعضها يُهمل. وهذا البحث، الذي يجري بالانزياحات نحو موقع الآخرين، ينشد القطيعة مع الروتين، مصدر الضياع، واستخلاص الوشائج المجهولة بين مجالات منفصلة في العرف: والمقصود ابتكار نمط من العمل يدمج الإمكانات الموجودة في حزمة أصيلة؛ فالشخص والابتكار يرتبطان ارتباطاً وثيقاً إلى درجة مفادها أن المخترعين يقومون، مهما كانت بعض التيارات الاجتماعية توجّههم، مقام النموذج في شخصنة معاصريهم، وإلى أبعد من ذلك على الغالب. ويبدو الشخص وكأنه عملية مشاركة في حيوات يختارها الفرد لما تكشف عن إمكانات مجهولة يدمجها في حياته.

PH.M.

الشخصانية

F: Personnalisme

En: Personalism

D: Personalismus

تصـّـور يعزو إلى الشـخص قيـمة أساسـية لهـا الأولوية على كل القـيم الأخرى.

الشخص رهان كل تفكير والقولة السامية في نظرية شارل رونوفيه (-1903 1815) الفلسفية المستوحاة من الأخلاق الكانتية. إنه أيضاً، في رأي أوكتاف هاملان (1856-1907)، التوليف الأخير للديالكتيك ومفتاح فهم العالم، وتطوّره، ومعناه. وجعل إيمانويل مونيه (1905-1950) من الشخصانية مذهباً أخلاقياً، اجتماعياً سياسياً «يؤكّد أولوية الشخص الإنساني على الضرورات المادية وعلى الأجهزة الجماعية التي تدعم نموّه» (**بيان في خدمة الشخصانية**، ص7). وهذا المذهب نام لدى جماعة المجلّة، مجلة **الفكر** منذ 1932. والشخصانية، في جزئها العملي، تهاجم الفردية التي ينمّيها المجتمع الرأسمالي والبورجوازي، من جهة، وتهاجم من جهة أخرى الشموليات (الفاشية، الشيوعية، الجماعية) التي تحتقر الأشخاص وتضحّي بهم في سبيل مجتمع غولي تضفي القيمة عليه أو في سبيل الدولة – التنّين. وفي جزئها الإيجابي، يكتشف تحليل الشخص في الشخص ضرباً من تجاوز الأنا إلى إنسانية متحققة تحقّقاً كاملاً بفعل المتّحد الشخصاني وفي هذا المتحد. فالشخص، من حيث الكمون، اندفاعة نحو الوجود والغير، فكر

وحب. ومن هنا منشأ الدعوة التي وجهّها مونيه: النضال من أجل نظام اجتماعي خارج القطبين السياسيين الحاليين، غير الإنسانيين على حدّ سواء.

والشخصانية هي أيضاً نظرية سيكولوجية، تعارض السلوكية، تجعل الأساسي من بحثها تصرّفات الأشخاص. والشخص، في رأي علم النفس الشخصاني، يمنح الأوضاع والعالم دلالتهما. والتحليل النفسي، المتمحور على الشخصية، هو، بمعنى من المعاني، علم نفس شخصاني. والتيار الأمريكي الحديث، المعروف باسم **علم النفس ذي النزعة الإنسانية**، هو أيضاً - مع أنه يرفض التصوّر الفرويدي للموجود الشخصي - ضرب من الشخصانية.

R.M.

الشخصية

F: Personnalité

En: Personality

D: Personalichkeit

يمكننا تعريف الشخصية أنها «الفردية الواعية»، ولكن لهذا المصطلح، كما في علم النفس على الغالب، معان عديدة؛ وقائمتها تتجاوز أبعاد هذا المقال. وبوسعنا مع ذلك أن نأخذ المسائل التي تتّفق فيها آراء الغالبية من علماء النفس بالحسبان. فكلمة شخصية، أولاً، ترجع إلى المظاهر غير المعرفية من الشخص، أي إلى الانفعالات والإرادة، لا إلى الذكاء والاستعدادات؛ وليست، ثانياً، ذات صلة بالاستعدادات المتغيّرة نسبياً أو الضعيفة الأهمية؛ وهي، ثالثاً، خاصّة بالسلوكات، أي بما يجعل شخصاً يتصرّف على هذا النحو أو ذاك. فمفهوم الشخصية يشمل «الاستعدادات العامة الدائمة نسبياً، التي تميّز تصرّف فرد من الأفراد خلال مرحلة طويلة».

يشرح مفهوما «السمة» و «النموذج» هذا النوع من الاستعداد، وبهذين المصطلحين، كماهو الأمر بالنسبة للذكاء، إنما يحلّل علماء النفس ورجل الشارع، على حدّ سواء، سمات كالاندفاعية، والألفة، والمزاج المتغيّر، والاتّجاه الاستبطاني، والغطرسة؛ وهذه السمات تستجيب لهذا المقتضى، مقتضى الدوام. وعالم النفس يمكنه أن يقيسها بالاستبانات الملائمة، والملاحظات المباشرة، والأوضاع المخبرية أو بالروائز النوعية. فلنضرب مثلاً على ذلك سمة «المثابرة»؛ بوسعنا أن نطلب إلى فرد من الأفراد أن يسجّل قوته على مقياس قوة، مع تعليم

مفادها أن يمارس ضغطاً يعادل نحو نصف قوته المثلى أطول مدّة ممكنة. فنستبعد على هذا النحو متغيّر القوة (ذلك أن الفرد لايلجأ إلى القوة المثلى التي تميّزه وتميّز كل فرد)؛ فيبدو عندئذ أن تغيّرات المثابرة كبيرة جداً من فرد إلى آخر. وبوسعنا أيضاً أن نجعل أفراداً ينجزون مجموعة من الأعمال الفكرية ونسجّل كم ينقضي من الزمن قبل أن يتخلّوا عن العمل؛ وتتضمّن المجموعة مسائل يتعذّر حلّها، وتُقاس مثابرة الفرد بالزمن الذي يستمرّ خلاله في بحثه. وهذان القياسان، وقياسات أخرى، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، على الرغم من أنهما غير كاملين. ونسمّي على الغالب «وضعاً مصغّراً» روائز من هذا النوع، ذلك أننا نبحث عن أن نحوّل اتّجاه مفهوم السمة إلى وضع مخبري «مصغّر». فبعض السمات ذات ارتباط، والملاحظة الاختبارية لهذه التجمّعات تقودنا إلى الكلام على «نماذج». ونقول بعبارة أخرى إن مفهوم النموذج قائم على اكتشاف مفاده أن لبعض السمات ميلاً إلى أن توجد معاً. فالنموذجان الرئيسان اللذان أوضحهما علم النفس الحديث هما الانبساط – الانطواء والاستقرار – عدم الاستقرار الانفعالي. إنهما مستقّلان أحدهما عن الآخر، بحيث أن فرداً واحداً يمكنه أن يتّصف بأي تركيب من الاثنين: بوسعه على سبيل المثال أن يكون انطوائياً ومستقراً، أو انطوائياً وانفعالياً، أو يمكنه أيضاً أن يقع في منطقة متوسّطة بالنسبة لكليهما. والقرّاء يمكنهم أن يرجعوا إلى المقالين اللذين يعالجان هذين البندين، مفهومي **الانبساط – الانطواء و الاهتياج النفسي العصبي** (بالنظر إلى أن الاهتياج النفسي العصبي هو المصطلح التقني المستخدم للدلالة على عدم الاستقرار الانفعالي).

لسمات الشخصية ونماذجها، شأنها شأن القابليات العقلية، أصل وراثي جزئياً. فالعوامل الوراثية، مع أن تأثير الوسط لايكون عدماً، تؤدّي دوراً كبيراً جداً في درجة الانبساطية – الانطوائية والاستقرار أو عدم الاستقرار الانفعالي لدى فرد من الأفراد. وكانت الدراسات التي بوشرت على التوائم قد برهنت على أهمية هذه العوامل الوراثية. فالتوائم الحقيقية تتشابه أكثر كثيراً، بصدد الانبساط والاهتياج النفسي العصبي، من التوائم الكاذبة؛ والأطفال المتبنّون أقرب إلى آبائهم الطبيعيين

أيضاً من آباء التبنّي، مع أن هؤلاء منحوهم وسطهم الحياتي منذ الولادة على وجه التقريب. وتتدخّل بالتأكيد هذه السمات الفطرية، سمات الشخصية، في اختيار بعض النماذج من المهن والدراسات الجامعية؛ إنها تحدّد جزءاً كبيراً من أسلوب الحياة والسلوك. (انظر في هذا المعجم: **الانبساط - الانطواء، طريقة التوائم، التوأم، الاهتياج النفسي العصبي، السمة**).

H.J.E(ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

الشخصية هي العنصر الثابت في سلوك شخص، وذلك مايميّزه ويفرّقه عن الأشخاص الآخرين. فكل إنسان هو في وقت واحد شبيه بالأفراد الآخرين من جماعته الاجتماعية الثقافية ومختلف عنهم بالسمة الوحيدة لتجاربه المعيشة. وتميّزُهُ، وهو الجزء الأكثر أصالة من أناه، يكوّن الأساسي من شخصيته. فأرابيش الجبال، شعب من غينية الجديدة، يتميّزون بغيرتهم؛ إن الصيّاد يقدّم صيده إلى أول من يراه أو إلى عضو من أسرة أمه. هكذا يقتضي العرف. ولكن هذا السلوك لايتيح تمييز فرد من الزرابيش من فرد آخر. وتتدخّل أيضاً في الشخصية جوانب انفعالية، نزوعية ونفسية جسمية، من الفرد (جبلّته)، والأسلوب الذي به تظهر هذا الجوانب، ومفعولها على المحيط والرجع الذي يسبّبه بالمقابل هذا المفعول على الشخص المعنيّ. فالشخصية هي إذن كلية خاصة تحدّد التكيّف الأصيل لفرد مع وسطه، وأسلوبه النوعي في السلوك، أسلوباً يجعل كل موجود إنساني فرداً وحيداً، ليس له مثيل مطلقاً. والشخصية تكون، في رأي بعض المؤلفين مثل إرنْست كريتْشمر (1888 - 1964)، و. هـ. شيلْدون (1899 - 1977)، مستقلة عن التكوين الجسمي الوراثي استقلالاً تاماً؛ وهي، في رأي آخرين، نتاج التأثيرات الاجتماعية، والعادات «المستقرّة التي تقاوم التغيّر» (إد. غوثْري)، أو نتاج الأدوار الاجتماعية (فتكون الشخصية هي الجهد الذي يبذله شخص ليضطلع بأدوار الشخوص المختلفة التي يُساق إلى أن يؤدّيها وليضفي الانسجام عليها). وهذه

المواقع المتعارضة كثيرة جداً. فليست الشخصية اجتماعية على وجه الحصر ولا بيولوجية فقط: إنها مجموع متبنين من الاستعدادات الفطرية والاستعدادات المكتسبة بتأثير التربية، وعلاقات الفرد المشتركة المعقّدة في وسطه، وتجاربه الحالية والماضية، واستباقاته ومشروعاته. وكل هذه العناصر تنظّمها بنية نسمّيها «الأنا»، التي تمنحها ضرباً من الثبات، على الرغم من أن هذه البنية ليست ثابتة بل هي قابلة للتغيّر. فالشخصية تتكوّن وتتحوّل في الواقع، على نحو مستمرّ، بتأثير النضج البيولوجي، والعمر، والتجارب النفسية الوجدانية، إلخ. ونلاحظ المظهر الشعوري الأول للشخصية لدى الطفل نحو الثالثة من العمر عندما يؤكّد، إذ يطرح نفسه بوصفه شخصاً، فرديته مستخدماً ضمائر المتكلّم، وعندما يختبر، إزاء الراشدين، قدرته إذ يعاكس رغباتهم. ولكنه فيما بعد سيتماهى، إذ يحتاج إلى نموذج ليندمج في جماعته، جماعة الانتماء، بأفراد هذه الجماعة، إذ يجعل تصرفه نسخة من تصرف أبيه أو أمه، أو أحد مربّيه أو بطل مشهور. وتؤدّي الشروط السيكولوجية دوراً أساسياً في تشييد الشخصية، دوراً ذا أهمية تعادل على الأقل أهمية العوامل الفطرية. (انظر في هذا المعجم: **الشخصية الإجرامية، الشخصية الثقافية، التماهي أو التوحّد، الوسط، الدور**).

N.S.

الشخصية الإجرامية

F: Personnalité Criminelle

En: Criminal Personality

D: Kriminelle Personlichkeitbtruktur

مجموعة من الميول الارتكاسية لدى شخص من الأشخاص إلى التصرّف على نحو يخالف قوانين المجتمع الذي يعيش فيه وأعرافه.

علم الجريمة ليس الطب، ولكنه يتضمّن فرعاً هاماً: عيادة علم الجريمة، التي تُنظّم من الناحية الطرائقية على غرار الطب. والواقع أن عيادة علم الجريمة تختلف عن الطب النفسي الطبي الشرعي؛ إنها لاتبدأ إلاحين ينتهي الطب النفسي الطبي الشرعي. فكل الجانحين الذين يمكنهم أن يوصفوا بالقياس على نماذج محدّدة من ناحية الطب النفسي يظلّون خارج مجال العيادة، عيادة علم الجريمة. وعلى الرغم من أن عيادة علم الجريمة تواجه التنوّع الواسع الأرجاء، تنوّع الجانحين الذين لايدخلون في حقل الطب النفسي، فإنها تحدّد لنفسها هدفاً مفاده أنْ تُقارِبَهم مقاربة فردية. وهذه المقاربة الفردية يُجريها فريق متعدّد الفروع العلمية. فكل عضو من أعضاء الفريق (طبيب عام، طبيب نفسي، عالم نفس، مسعفة اجتماعية، مربّ) يستخدم، في طور أول، تقنيته الخاصة في التقصّي. وفي طور ثان، يقابل أعضاء الفريق هذه المعطيات المجموعة وتفسيراتهم الخاصة بعضها مع بعض. ويبذلون عندئذ جهداً للوصول إلى تقييم مشترك للفرد المدروس ولمستقبله. ومن الضروري، ليحققّوا ذلك، أن يُرجِعوا الحالة المفردة إلى نظرية عامة تُستخدم أداة عمل، وإلا تعرّضوا إلى البقاء في مرحلة الحدس والاختبارية. وعيادة علم الجريمة ليست معنيّة في هذا المنظور بالنظرية بقدر ماهي معنيّة بالمخطّط، بالنموذج الناجم

عنها الذي يمكنها أن ترجع إليه لتفسير الحالات المفردة. وثمة نظريات عديدة، وبالتالي، نماذج كثيرة، يمكنها أن تُستخدم في عيادة الجريمة. ويستعمل بعض العياديين نماذج عامة من النسق الأنتروبولوجي، من نسق علم الطباع أو التحليل النفسي. ويفضّل آخرون نماذج من علم الجريمة أكثر نوعية. وما يلفت النظر، عندما يكبّ المرء على أعمال العياديين، الذين قدّموا القاعدة لإعداد هذه النظريات والنماذج، إنما هو أن بعض المكوّنات السيكولوجية موجود في هذه الأعمال كلّها، في حين أن بعضها الآخر غير مذكور إلا في بعض من هذه الأعمال. فالمكوّنات السيكولوجية الموجودة في الدراسات كلها يمكننا أن نجمعها في أربع زمر.

ففي الزمرة الأولى، أو **الزمرة آ**، نجد مكوّنات سيكولوجية كالزهو (سيزار لامبروزو)، الثقة بالنفس (أولوف كنْبرج)، النزوع إلى أن يؤدّي دور زعيم، الطموح المنحرف، الطبع الشكّاك أو الحذر (بايز)، التوطيد الاجتماعي للشخصية والتعبير الحرّفي العمل، الارتياب (سيلدون، إ. غلوك). وهذه المكوّنات تحدّد **التمركز على الذات** (إتْينْ دو غريف، دانيل لاغاش)، الذي تكون مظاهره الأساسية هي العجز عن الحكم في مشكل أخلاقي إلا من وجهة نظر شخصية، وغياب اعتبار الآخر، والاتجاهات النقدية والاتهامية إزاء الغير، والنزوع إلى ارتكاسات السذاجة وعاطفة الظلم المعانى (دو غريف). وعلينا أن نشير إلى أن التطبيق المنهجي لـ T.A.T (**رائز تفهّم الموضوع**) على جانحين وغير جانحين أتاح لـ ش. دوبويست أن يلاحظ التمركز على الذات الأساسي لدى الجانحين.

وتجمع **الزمرة ب** مكوّنات سيكولوجية كعدم التبصّر (لومبروزو)، وضعف الصلابة (كنْبرغ)، والتقلّب في الانفعالات (غلويك)، وغياب التنظيم الزمني (دوغريف)، وعدم النضج (لاغاش). وكل هذه المكوّنات تحدّد **تقلّب الطبع** (بايز)، الذي يظهر ظهوراً أساسياً بتطبيق مبدأ الاستمتاع القصير النظر. وعلينا أن نشير إلى أن ممارسة التشخيص النفسي لرورشاخ بيّنت أن المعادين للمجتمع يتميّزون بغياب الاستجابات الكاشفة عن «الكبح» (بمعنى السيادة على الذات).

وتجتمع في **الزمـــرة جـ** مكوّنات العنف (لامبروزو)، والروح القتالية، والفاعلية التي تجعل الجانح قادراً على **المنافسة الحيوية**، ومكوّنات طبع المعارضة المطلقة (بايز)، وشدّة البأس، أي الطبع اليقظ، المنفتح، المقدام، الحاسم، والطبع العنيد، ومسلك التحدّي البارز (غلويك)، والهجوم على الواقع (لاغاش). وهذه المكوّنات تحدّد **العدوانية** (دو غريف)، أي الاستعداد الشخصي للعدوان. والحال أن العدوان هو العنصر المشترك لكل التصرّفات المعادية للمجتمع لأن الجريمة تتميّز بالنزاع بين سلوك فرد أو عدّة أفراد وبين الجماعة التي تُرتكب فيها هذه الجريمة. وهذا النزاع يتجلّى دائماً بعدوان على قيم الجماعة (لاغاش). أضف إلى ذلك أن أعمال ميرا إي لوبيز بيّنت أهمية العدوانية لدى الجانحين.

ونصـادف في **الزمرة د** مكوّنات كفقدان الحساسية النفسية (لامبروزو)، والدرجة العليا من الثبات الذي يتجلّى بالبرود الوجداني (كنْبِرغ)، والخبث، وخلَل القدرة على المحبة (بايز)، والميل إلى التدمير، والطبع اللامبالي، الذي أشار إليه جون باولبي (1845) [لاغاش]. وأبرزت ممارسة التشخيص النفسي لرورشاخ هذه

شروط الانتقال إلى الفعل	السمة السيكولوجية المقابلة
الجانح لاينبغي أن تستوقفه بشاعة التنفيذ،	لامبالاة وجدانية
ولا الموانع المادية،	عدوانية
ولا العقوبات التي يستحقها،	تقلب الطبع
ولا العار الذي يلحق باسمه أنه شرير.	التمركز على الذات

اللامبالاة الوجدانية. والمكوّنات التي أحصيناها على هذا النحو كامنة تحت شروط الانتقال إلى الفعل، كما يبرهن عليها الجدول السابق الذي تجد فكرته أصلها في دراسة قديمة قام بها ل. مانوفرييه.

أما المكوّنات التي لانصادفها في الدراسات كلهَا، فيمكنها أن تُجمع في ست زمر أخرى.

الزمرة هـ خاصّة بسمات المزاج: **بعض الجانحين فاعلون وآخرون سلبيون** (فيرميلين)؛ إنهم ينتمون إلى نماذج مختلفة (أرنْست كريتشمر، وليم هـ. شيلدون)، ويمكنهم أن يكون اندفاعيين أو لايكونون (غاله). وتشرح هذه السمات اتجاه التصرّف الجرمي، اتجاهه العام. **الزمرة و** خاصة بالقابليات الجسمية، المتغيّرة جداً بحسب الجانحين، ومثلها **القابليات العقلية** من جهة أخرى، المجتمعة في **الزمرةز** و**القابليات التقنية والمهنية**، في **الزمرة ح**. وتشرح هذه القابليات درجة النجاح في التصرّف الجرمي. وأخيراً نجد في **الزمرة ط حاجات الجانحين الغذائية**، وفي **الزمرة ي حاجات الجانحين الجنسية**، المختلفة اختلافاً في حدّه الأقصى. وهذه الحاجات تقدّم لنا معلومات عن دافعية الجرم، ولكن هذه الدافعية لاتشرح شيئاً عن الانتقال إلى الفعل، ذلك أن الدافعية الغذائية والجنسية كامنة أيضاً في قاعدة التصرّف المتكيّف لربّ أسرة يعمل عملاً منتظماً. تلك هي العناصر، المستمدّة من دراسة الأدب لعلم الجريمة، التي أتاحت تنظيم مفهوم الشخصية الإجرامية. وهذا التنظيم يمكنه، في نهاية المطاف، أن يلّخص، إذ نميّز في الشخصية الإجرامية نواة مركزية وبدائل: 1) **النواة المركزية** تحكم الانتقال إلى الفعل. إنها تشمل التمركز على الذات، تقلّب الطبع، العدوانية واللامبالاة الوجدانية؛ 2) البدائل ذات علاقة بالفاعلية، بالقابليات الجسمية، العقلية، والتقنيات، والحاجات الغذائية والجنسية. إنها تحكم أنماط تنفيذ الفعل، ولكنها حيادية فيما يخصّ الانتقال إلى الفعل ذاته. ويمكنها فقط أن تنير الوجهة العامة، ودرجة النجاح، ودافعية التصرّف الجرمي. وتقدّم نظرية الشخصية الإجرامية، التي أجملناها على هذا

أجملناها على هذا النحو، لعيادة علم الجريمة، انطلاقاً من النواة المركزية، نموذجاً يمكنه أن يكون هادياً في مقاربة الجانحين الفرقية.

مفهوم الشخصية

توجد تعريفات عديدة للشخصية. وهذا المصطلح مرادف الفردية الجسمية والسيكولوجية في الموروث الأنتروبولوجي، الذي استأنفه نيقولا بيند (1880-1970) في هرمه المشهور، هرم النمذجة الحيوية. أما التحليل النفسي، فإنه يشدّد على تنظيم الشخصية الدينامي. ويُعنى علم الاجتماع بالعناصر الثقافية التي تكوّن حالة المفاهيم الأخلاقية لدى الفرد، ويؤكد علم النفس الذاتي أن الشخصية تعبّر عن نفسها في «الأنا الشخصية» [Je] التي تتيح للإنسان أن يشعر أنه موجود في حالة شعوره. وقُدّمت مع ذلك تعريفات متقاربة للشخصية على المستوى التقني.

وعلى هذا النحو إنما تكون الشخصية، في رأي ر. ب كاتل، مايتيح توضيح ماسيفعله فرد في وضع معيّن. ويؤكد أيضاً غوردون ويّلار ألْبورت (1897 - 1997) أنها تحدّد توافقات الفرد الأصلية مع محيطه. وتتلخّص، في رأي ش. أنْدِرْسِن، في نمط من السلوك يتبنّاه الفرد إزاء العالم الخارجي. والأمر الأول الذي يمكننا استخلاصه من هذه التعريفات إنما هو أن علينا أن نميّز تمييزاً جيداً بين شخص وشخصية. ويعود الفضل لعلم النفس الوجودي في أنه أوضح أن مفهوم **الشخص** ذو علاقة بالوجود وفق الحرية؛ فالإنسان ينبغي التعرّف عليه بوصفه شخصاً من زاوية الاستقلال الفردي بالمشاركة، وذلك أمر يفترض **تكوّناً** خاصاً تشير إليه الكلمة الألمانية Bildung. وهكذا يكون موقع مفهوم الشخص على مستوى العلاقات بين الشخصية المتسامحة. أما مفهوم **الشخصية**، الأقلّ طموحاً، فإنه يفتح الباب فقط لمعرفة الميول الارتكاسية لفرد من الأفراد. إنه مفهوم إجرائي. ولايعني هذا التعريف الموضوعي أن دراسة المظاهر الذاتية لمعيش فرد من الأفراد ينبغي لها أن تُستبعد. فالاتجاهات الذاتية وضروب «المعانى» النفسي يتيحان، في الواقع، أن نعود إلى الميول الارتكاسية. وبالنظر إلى أن تعريف الشخصية الاجرائي قد

توضّح، وينبغي، لفهمه، أن نحدّد موقعنا في منظور ر . ب . كاتل عندما يحاول، وهو يتكلّم على الشخصية غير السوية وغير المتكيّفة، أن يدرك العامل العصابي العام عبْر تنوّعات العصاب. ونقول بعبارة أخرى إن الانكباب على الشخصية الإجرامية إنما هو تجاوز المرحلة الوصفية لشخصيات الجانحين بهدف استخلاص العناصر التي يمكنها أن تتيح مقارنتها. وتندرج في هذا المنظور تعريفات مكوّنات النواة المركزية :

– **اللامبالاة الوجدانية** : غياب الانفعال أو المحبة ؛

– **العدوانية** : دينامية تجعل الإنسان قادراً على قهر الصعوبات والمواقع التي تسدّ طريقه ؛

– **تقلّب الطبع** (Labilité : من اللاتينية Labilis ، أي «عرضة للسقوط» ، الذي يسقط من أوهى هزّة). ويتميّز بعدم التبصّر، ونقص التنظيم الزماني، وغياب الكفّ. وتقلّب الطبع يجعل المرء غير قادر على التخلّي عن الإشباع المباشر، على حساب الأمن وعلى الرغم من منظور ضرب من العقوبة ؛

– **التمركز على الذات** : ميل إلى إرجاع كل شيء إلى الذات، وذلك أمر يمنع الحكم على مشكل أخلاقي إلا من وجهة نظر شخصية .

واجتماع هذه المكوّنات وترابطها، تأثيرها وتفاعلها، إنما تمنح النواة المركزية، بطبيعة الحال، سمة خاصة، نواة مركزية تبدو على هذا النحو محصّلة عوامل وليست معطىً. ولكن التشديد على النواة المركزية لاينبغي أن ينسينا البدائل. فالنواة المركزية والبدائل مجموعتان فرعيتان تنمو كل منهما بصورة مستقلّة عن الأخرى. وتنجم بنية الجنوح الكلية عن تركيب هاتين البنيتين الجزئيتين. ولهذه البنية، بنية الجنوح، سمة تطوّرية ودينامية. وتكوّن النواة المركزية والبدائل كلّية وظيفية ؛ ويكفي أن يتغيّر عنصر من عناصرهما حتى يتغيّر المجموع أيضاً. فوَجَدَ نفسَه مفهومُ الشخصية الإجرامية، المحدّد على هذا النحو، يواجه مفهومات أخرى، ولاسيما مفهومات علم النفس المرضي، والحالة المحفوفة بالخطر،

والسيرورة المولّدة للإجرام، والفعل الخطير، والنضج الجرمي، والفعل المعانى والطائش.

الشخصية الإجرامية وعلم النفس المرضي

عرض أنتوني ستور لوحة رائعة لعلم النفس المرضي (1973). فهذا المصطلح، يقول أنتوني ستور، «يبدو أنه كان قد ابتكر لأن عدداً معيّناً من الأفراد يُظهرون علامات سلوك غير سويّ أو يعادي المجتمع، لايمكنه أن يندرج في الفئات المتواضع عليها للأعصبة أو الذهانات، المألوفة للأطباء النفسيين». وبعد أن أشار إلى أن التصنيف في فئة «السيكوبآتيين» [ذوي الاعتلال النفسي] تناول بالتناوب غير المتكيّف المزمن، المنحرف الجنسي، الكحولي، مدمن المخدّرات، والمتسكّع، يعتبر أن علينا أن نُدخل في هذه الفئة فرداً نوعياً: «السيكوبآتي» العدواني، الذي تتّصف إحدى خصائصه أنه يستخدم العنف ليبلغ أهدافه. إن في شخصيته نقصاً معمّماً في الرقابة الكابحة دوافعه العدوانية. والسمات الأكثر بروزاً لدى السيكوباتي العدواني هي، في رأي ستور، مايلي: 1) عدم التبصّر وعدم الاكتراث بالعواقب المباشرة لأعماله؛ 2) الميل إلى أن ينظر إلى كل شيء، بما في ذلك بيئته المباشرة، باللامبالاة نفسها التي كان يعبّر عنها أوروبي إزاء فلاح صيني غير معروف؛ 3) السهولة في اختراع حكايات لاتُصدّق عن نفسه، بقصد إقناع السامع، بقدر مايقصد إقناع نفسه، بأهميته الخاصة. ومن السهولة بمكان أن نتحقّق، عبر هذه الأوصاف، من تقلّب الطبع، واللامبالاة الوجدانية، والتمركز على الذات، أعني كل السمات التي تُنقص مقاومة العدوانية. ولكن ما يميّز السيكوباتي العدواني، على وجه الدقّة، من الشخصية الإجرامية، إنما هو أن عدوانيته ليست فيزيولوجية بل مرضية. إنه لواقع، يؤكد أنتوني ستور، أن العنف النفسي المرضي غير متعمّد، عرضي ويثيره إحباط واضح، وتولّده البيئة المباشرة. وليس الأمر هنا مجرد دينامية عدوانية تشرط الانتقال إلى الفعل، بل عداوة مدمّرة تمضي إلى أبعد بكثير وتنقل العدوى إلى الشخصية كلها، ومبالغة مكوّنة من مكوّنات الشخصية، طبيعيةٍ في الشخصية المرضية. والتمييز بين السيكوباتي

والشخصية الإجرامية لايظهر ببروز كبير في تأليف سيزار لامبروزو فحسب (تمييز بين المجنون الأخلاقي والمجرم بالولادة) ولكنه يظهر بوضوح كبير أيضاً في علم الجريمة للتحليل النفسي (تمييز بين الشخصية السيكوباتية والطبع المعادي للمجتمع الذي أضفى عليه المنهجية كيتْ فريدْ لانْدر). والحقيقة أن سيكولوجيا الطفل تجد نفسها، في جانبها المرضي، لدى السيكوباتي العدواني، وتجد نفسها، في جانبها الفيزيولوجي، في الشخصية الإجرامية. ويشكّل عدم النضج الشخصي جزءاً مكمّلاً من شرطهما.

الشخصية الإجرامية والحالة الخطرة

كان مفهوم الحالة الخطرة يسود، منذ أيام البارون رافّيل غاروفالو (نابولي، 1851 - نابولي، 1934)، مقاربة الجانح العيادية، مفهوم ينتظم حول عنصرين: القدرة الإجرامية وقابلية الفرد للتكيّف. وتقييم الحالة الخطرة قائم، في رأي هويرَ، على أربعة عناصر: الأذية، عدم القابلية للتخويف، قابلية الإصلاح، قابلية إعادة التكيّف الاجتماعي. ونتبيّن، انطلاقاً من هنا، أن قابلية الإصلاح وقابلية إعادة التكيّف الاجتماعي تنشدان تحديد قابلية التكيّف لدى الفرد، وأن أذيّته وعدم القابلية لديه للتخويف يرجعان إلى قدرته الإجرامية. وتبيّن، فيما يخصّ القدرة الإجرامية، مقارنةٌ بين مفهومي الأذية وعدم القابلية للتخويف من جهة، وبين النواة المركزية من جهة أخرى، أن صيغة الأذية يمكن أن تقدّمها العدوانية واللامبالاة الوجدانية، في حين أن التمركز على الذات وتقلّب الطبع يدعمان عدم القابلية للتخويف. وبالنظر إلى أن كل مكوّنة من مكوّنات النواة المركزية يمكنها أن تتفاقم، وأن تكون متوسّطة أو ضعيفة، فإن صيغة القدرة الإجرامية يمكنها أن تتحدّد. فالفرد ذو السمات المتفاقمة من التمركز على الذات، وتقلّب الطبع، والعدوانية، واللامبالاة، يمكننا اعتباره ذا قدرة إجرامية مرتفعة. والفرد ذو السمات الضعيفة من التمركز على الذات، وتقلّب الطبع، والعدوانية، واللامبالاة الوجدانية، يمكنه، على العكس، أن يُعتبر ذا قدرة إجرامية ضعيفة. وذلك لايعني أن فرداً ذا قدرة إجرامية مرتفعة سيصبح جانحاً حتماً وأن فرداً ذا قدرة إجرامية ضعيفة لن يكون

جانحاً. فالقدرة الإجرامية تشرح فقط عتبة الجنوح، مفهوماً استخلصه بينينيو دي توليو. ويعني هذا المفهوم أن انطلاق الارتكاسات الجرمية، إذا كان الناس جميعهم يمكنهم أن يُظهروا هذه الارتكاسات، لاتنجم عن شدّة التنبيه نفسها: فقد يكون هذا التنبيه ضعيفاً بالنسبة لبعضهم؛ وينبغي له أن يكون قوياً بالنسبة لبعضهم الآخر. فعتبة جنوح منخفضة قد تقابل قدرة إجرامية مرتفعة، وبعض الأفراد قادرون، في هذه الشروط، على أن يرتكبوا أعمالاً جرمية تحت تأثير تنبيهات أقلّ من المتوسط تعمل لدى الناس عامةً. وعتبة جنوح مرتفعة قد تقابل قدرة إجرامية ضعيفة وبعض الأفراد ينبغي لهم بالتالي، في هذه الشروط، أن يكونوا خاضعين لتنبيهات تتجاوز المتوسط حتى يرتكبوا أفعالاً جنحية. ولكن من الممكن أن يكون فرد ذو عتبة جنوح منخفضة في حماية الوسط وأن يكون خاضعاً لتنبيهات تظلّ تحت هذه العتبة، ومن الممكن، على العكس، أن يكون فرد ذو عتبة جنوح مرتفعة معرّضاً لتنبيهات أكثر ارتفاعاً أيضاً في أعقاب انقلابات اجتماعية أو أوضاع استثنائية. وكما توجد علاقة بين عناصر القدرة الإجرامية والنواة المركزية للشخصية الإجرامية، كذلك نكتشف علاقة بين عناصر قابلية التكيّف وبدائل الشخصية الإجرامية. فالصيغة الفردية لأفضل قابلية للتكيّف تُقدَّم عندما تقع كل العناصر في المتوسّط. ففرط القابلية للتكيّف ونقص القابلية للتكيّف هما التعبير عن عدم التكيّف الاجتماعي. وانطلاقاً من صيغ فردية للقدرة الإجرامية وقابلية التكيّف، يمكننا أن نرتفع إلى التشخيص العيادي للحالات الخطرة. واللوحة الموجودة أدناه تقدّم، بهذا الصدد، سلكاً موصّلاً.

وهكذا يتيح مفهوم الشخصية الإجرامية منح الحالات الخطرة محتوى.

الشخصية الإجرامية وسيرورات الفعل الخطير

وصف السيرورة المولّدة للإجرام كان قد نفّذه تنفيذاً بارعاً إتْين دو غريف فيما يخصّ الفعل الخطير الذي يكون القتل المنفعيّ مظهره الأمثل. وتنقسم السيرورة إلى أربعة أطوار؛ 1) طور القبول المعتدل؛ 2) طور القبول المصاغ؛ 3)مرحلة الأزمة؛ 4) تنفيذ الفعل.

حالة خطرة	قابلية التكيف	القدرة الإجرامية
الأخطر (مجرم «القبّة البيضاء»)	فرط القابلية للتكيّف.	مرتفعة جداً.
شكل خطير	نقص قابلية التكيف (رفض ممارسة مهنة محدّدة اجتماعياً).	مرتفعة جداً.
شكل خفيف ولكنه دائم (غير متكيّف).	نقص قابلية التكيّف (عدم تكيف جسمي، نفسي، اجتماعي).	قليلة الارتفاع.
شكل خفيف وعرضي (ظرفي).	قابلية تكيّف سوية	قليلة الارتفاع.

تولد فكرة الإجرام، في الطور الأول، وتنمو، على نحو ماكر أحياناً، وصريح أحياناً أخرى. إنها تنتعش تدريجياً وتغري الفرد، وتستولي عليه كلياً. ويتكلّم إ. سيليغ، بهذا الصدد، على نقص الكفّ الناجم عن قصور العواطف الأخلاقية أو الحقوقية. ولكن، ألاينبغي أن نعزو هذا القصور إلى التمركز على الذات الأخلاقي لدى الفرد، الذي لايسمح له أن يحتاز الشعور بمسؤوليته إزاء الغير، ويتيح له أن يضفي الشرعية إضفاءً ذاتياً على تصرّفه، وبالتالي، ألاّ يبلغه الخزي الاجتماعي؟

ويترجّح الفرد، في الطور الثاني، بين الرغبة في ارتكاب الفعل والخشية. ألا يعني ذلك عندئذ أن فكرة التعرّض للعقوبات التي يستحقّها الفعل تنبعث؟ فنجد أنفسنا على هذا النحو أمام مشكل غياب الكفّ للتهديد الجزائي على الجانح، الذي أكّد فيليبو غريسبيني أهميته والناجم عن تقلّب الطبع لدى الفرد.

والعمل الجرمي مقبول في الطور الثالث. ويجد الفرد نفسه، الذي أصبح جانحاً بالقوة، يواجه أنماط تنفيذ الجرم، والموانع التي تنبعث، ذلك أن علينا ألا نعتقد أن الفعل الجرمي سهل التنفيذ. فثمة أفراد يتراجعون أمام صعوبات المشروع. ألا ينبغي للفرد، حتى يمضي إلى النهاية، أن يبرهن على دينامية عدوانية مستمرّة؟

وينجز الفرد، في الطور الرابع، فعله، مع كل مايتضمّنه من بشاعة. ألا تتدخّل هنا اللامبالاة الوجدانية لتمنع الفرد من أن توقفه عاطفة الشر الذي يسبّبه لمثيله؟ يرسم إتْيِن دو غريف، في دراسة رائعة جداً لعصاب هملت، خطاً موازياً بين موت الملك وموت راسبوتين. فالقاتلان يماطلان في الحالتين، يتودّدان، ولا يرتكبان الجريمة إلا في الحدّ الأخير، ترغمهما الظروف على ذلك. إن لديهما مقاومة داخلية كبرى، ذلك أنهم لم يبلغوا المرحلة النهائية من اللامبالاة الوجدانية أمام البشاعة في تنفيذ الفعل. وهكذا تتدخّل مكوّنات النواة المركزية حسب الترتيب التالي في الانتقال إلى الفعل الخطير: 1) التمركز على الذات؛ 2) تقلّب الطبع؛ 3) العدوانية؛ 4) اللامبالاة الوجدانية.

الشخصية الإجرامية والنضج الإجرامي

إنه الأمريكي إ. ث. سوذَرلاند الذي لفت الانتباه إلى هذه السيرورة، التي تتضمّن عنصرين: 1) اتجاهاً عاماً إزاء الفاعلية الجرمية، المعقلنة تماماً في إطار منظومة مرجعية خاصّة ومستبدّة على نحو بارز؛ 2) تزايداً في التقنيات المستعملة في فاعلية جرمية مفضّلة. ولدى الفرد الذي بلغ مرحلة النضج الإجرامي، في رأي ش. أنْدرِسن، «شخصية إجرامية حقيقية». وكان أندرسن، فيما مضى، قد أكّد، في تقرير عام قدّمه للمؤتمر العالمي الثالث لعلم الجريمة (لندن، 1963)، وجود المجرمين أصحاب السوابق، الذين يسمّون «أسوياء». وكان يدرج في هذه الزمرة أولئك الأفراد المحرومين من الانفعال، الذين ينجزون جرائمهم الشنيعة دون قلق ولايندمون عليها بعد ارتكابها. وكان ممكناً لـ أ. بّلاجيو أن يوضّح، عام 1955، أن المجرم الحقيقي يتخيّل أول الأمر أن فعله سيبقى خفيّاً في ظلّ شخصية مقبولة في

الجماعة الاجتماعية. وعندما يُكتشف ويكون عليه أن يقدّم حساباته للمجتمع، تتدمّر شخصيته التي تتحمّل المسؤولية، وينقطع تواصله مع الناس الآخرين في المجتمع. «لايبحث المجرم الحقيقي عن الاندماج الاجتماعي الجديد، ويقبل أن يظلّ على هامش المجتمع، ولايبحث، أو لم يعد يبحث، عن الأمن الذي يمنحه إياه قبول الغير به، ولكنه يجد أمناً آخر في الانفصال، والعزلة، وعدم الاكتراث. وانقطاع الاتصال هذا يكشف عن عاطفة من الاطمئنان والقوة، ويكشف في الوقت نفسه عن استمتاع داخلي يريد الجانح أن يحتفظ به ويوسّعه». وينبغي منذئذ إجراء تمييز بين النضج السيكولوجي الذي يتيح ضرباً أفضل من تكيّف الفرد في الوسط السوي وبين النضج الجرمي الذي يعني ضرباً أفضل من تكيّف الفرد في وسط الإجرام. ويصبح الفرد أكثر شعوراً ببواعث الجرائم وأهدافها؛ ويفقد الارتكاسات الانفعالية التي تكفّ رغباته وأفعاله؛ ويستخدم قدرته استخداماً أفضل في السلوك المعادي للمجتمع. وغير مستبعد، في هذه الشروط، أن نفكّر في أن سيرورة النضج الإجرامي تنمو في الزمان، وفق أطوار تماثل الأطوار في سيرورة الفعل الخطير ولكن باقتباس إيقاع أكثر بطئاً. إنه، أول الأمر، إضفاء قيمة، بفعل حركةٍ من آليات العقلنة والتوحّد والإسقاط، على إيديولوجيا تعارض القيم الموجودة، إيديولوجيا تسوّغ التصرّف الجانح وتمنحه مظهراً مشروعاً. ثم ثمة، بفعل نجاح المشروعات الأولى، ترسيخ تفاؤل داخلي يؤسّس الأمل الكاذب في أنه لن يُلقى عليه القبض أبداً. إنها الأزمة أيضاً، التي ستنبعث مع التوقيف، والاعتقال، والحكم، وترسّخ الفرد، إذا انحلّت على نحو سلبي، ترسيخاً نهائياً في خطّ سيكون العدوان محرّكه. إنه، أخيراً، وبقدر ماينبسط هذا الخط، غياب أخذ الغير بالحسبان بوصفه شبيهاً، أي أخذ الغير بالحسبان بوصفه موضوعاً فقط. ومايميّز، في نهاية المطاف، ذلك الفرد الذي شرع في سيرورة من الفعل الخطير، ولكن سلوكه الجرمي يظلّ استثنائياً في حياته، من الفرد الخاضع لسيرورة من النضج الإجرامي، هو أن اكتشاف الجرم يوقظ، لدى الأول، حاجته إلى اتحاد الكلمة مع الهيئة الاجتماعية. فعاطفة الإثمية ترافق الحاجة إلى أن يجد المرء نفسه في تناغم مع

المتّحد. وتُقبل العقوبة منذئذ بوصفها «جزاء»، بوصفها «فداء» ضرورياً، والشخصية لم تعد إجرامية.

الشخصية الإجرامية والفعل المباغت الطائش

تتميّز هذه السيرورة إما بارتكاسات مفاجئة من الغضب - ارتكاسات صادرة عن أفراد يجدون أنفسهم في حالة مزمنة من الإثارة أو التوتر تتحرّر في أوهى مناسبة -، وإما بأعمال «الدارة القصيرة»، حيث يكون الفرد عاجزاً عن تأجيل ارتكاسه وتبنّيه تصرّفاً متكيّفاً. ونقول باختصار إن شخصية أصحاب الأفعال المباغتة الطائشة تتميّز بمنطقة من التسامح قليلة الاتساع، بعتبة منخفضة جداً من التسامح مع الإحباط. إنهم، في غالبية الحالات، أشخاص غير أسوياء من الناحية العقلية: متخلّفون عقلياً، شخصيات شبه صرعية، كحوليون. وتظهر استجاباتهم للوضع بآلية عدوانية تكثّف شخصيتهم غير السوية وتعبّر عنها. فهذه السيرورة سيرورة نفسية مرضية إذن وليست سيرورة حقيقية تولّد الجريمة. فليس من الضروري إذن أن نتعمّق في دراستها تعمقاً أكبر.

المنظورات

يفتتح مفهوم الشخصية الإجرامية منظورات واسعة، على مستوى البحث ومستوى النظرية. والمنظور الأول منظور البحث في علم الجريمة. فثمة ضروب كثيرة من الوضع موضع التساؤل، وإيضاحات، وشروح مبتكرة، وبحوث متمّمة وإضافية، يمكنها أن تُضاف إلى التحقّق من النظرية. وإذ يفترض البحث أدوات، فإنها أدوات نوعية جديدة من المناسب ابتكارها. فالعلاقة الموجودة بين النظرية والأدوات تسود كل البحث في علم الجريمة. وبمتناول علماء الجريمة، الذين تعنيهم البحوث السوسيولوجية، نظريات عامة جداً وأدوات فقيرة نسبياً، فيما يخصّ جمع المعطيات (استبانات على وجه رئيس)، متحذلقة جداً بالنسبة للترجمة الرياضية. وليس لدى المشتغلين بالتحليل العاملي المتعدّد العوامل مبدئياً، هم أنفسهم، نظرية أو فَرَض عمل، ولكن جمع المعلومات غنيّ جداً بفضل الفحص

الطبي السيكولوجي أو الاجتماعي، والاستثمار الإحصائي منفتح جداً بالإمكانات. وأصحاب النمذجات يمكنهم أن يكون لديهم نظريات أو فروض عمل متينة، ولكنها متوسطة المدى، ولديهم أدوات ناجعة لجمع المعلومات بقدر ماهي ناجعة للاستثمار الإحصائي. أما الباحثون في علم الجريمة العيادي، فإن بوسعهم الحصول على نظريات وفروض تتجاوز الأدوات التي يمكنهم استخدامها تجاوزاً كبيراً. وتلك على وجه الخصوص هي الحال بالنسبة للبحوث الخاصّة بمفهوم الشخصية الإجرامية، بحوث ينبغي لها أن تستعير تقنيات التحليل العاملي المتعدّد العوامل وتقنيات أصحاب النمذجات، في حين أن الحاجة تقضي ابتكار تقنيات ملائمة. وينبغي لمقاربة مفهوم الشخصية الإجرامية أن تكون مولّدة الابتكار والتجديد. والمنظور الثاني الذي يفتحه مفهوم الشخصية الإجرامية منظور نظري. وإذ تقع المقاربة النظرية في خطّ المذهب لعلم الجريمة، وتأخذ بالحسبان كل العناصر التي تتدخّل في مبحث أسباب الجريمة وديناميكها، فإنها تسودها المعاينة التي مفادها أن الشخصية والمجتمع الذي تندرج فيه يكوّنان كلية وظيفية. فأن يكون بوسع مجتمع أن يولّد الجريمة، ذلك واقع قام البرهان عليه تماماً. إن لاكاسّان، فيما مضى، وسانتيسيو ومانهايم، في زمن أقرب إلينا، سبروا هذا الموضوع. وأراد وولفغانغ وفيرّاكوتي، منطلقين من مقاربة المجتمع الإجمالي، إدراك التأثيرات في شخصية الجانحين. ولكن السبيل العكسية يمكننا سلوكها: الانطلاق من الشخصية الإجرامية للمضيّ إلى المجتمع الذي يولّد الجريمة، محاولين اكتشاف عوامل المجتمع الإجمالي التي تذكّر بالعناصر المجتمعة في مفهومنا. والمقصود مشروع واسع يسعى جهده إلى تقريب وجهات النظر السوسيولوجية والعيادية، التي تتعارض على الأغلب في علم الجريمة. ومايمكنه أن يبدو محرّضاً في هذه المقاربة، إنما هو المقصود حقّاً علم جريمة بالمعنى الكامل للمصطلح، أي علم موحّد ومستقلّ، لايتكوّن من مجرد تقارب بين ضروب من علم الجريمة السوسيولوجي وضروب من علم الجريمة العيادي، بل يدمجهما في تنسيق على نظام معيّن وحيد.

J.P.

الشخصية الأساسية

F: Personnalité de base

En: Basic personality structure

D: Grundlgende persönlichkeitsstruktur

مجموعة من الاتجاهات، والتصرفات، والعواطف، التي تميّز إتنية.

بيّن أ. كاردينر (مولود1891)، ر. لانتون (1953 - 1893) كيف أن المؤسسات (تلك التي تؤمّن تربية الأطفال) تضمن التماسك لثقافة ولشعب، إذ تصوغ طبع الأفراد وتقدّم لهم قاعدة مشتركة. وعلى الرغم من أن كل فرد يظلّ حراً في تأكيد شخصيته، متّخذاً بعداً معيّناً إزاء النموذج المقترح، فإننا نعترف أن عدداً معيّناً من السمات المشتركة موجود لدى اليابان، والألمان، والطليان، إلخ، سمات مشتركة تميّزهم وتُظهر الفروق بينهم.

وبوسعنا أن نوجّه لوماً إلى مفهوم الشخصية الأساسية على سمته المجرّدة قليلاً والمبسّطة ونؤثر عليه مفهوم الشخصية الثقافية. (انظر في هذا المعجم: **الطبع**، **الشخصية الثقافية**).

N.S.

الشخصية الثقافية

F: Personnalité culturelle

En: Cultural personality

D: Kulturelle persolichkeit Btruktur

رسّخ تعليم س. فرويد أن الشخصية كانت نتيجة التنشئة الاجتماعية. ولا يصبح الفرد **أنا**، على قاعدة إرث بيولوجي، إلا انطلاقاً من استدخال قواعد الحياة الاجتماعية التي يُساق إلى المشاركة في إطارها الأسري، في إطارها المدرسي، وأخيراً في إطارها المؤسّساتي العام. وإذا كان صحيحاً أن الثقافة هي الحياة الاجتماعية، أي محرّماتها وأوامرها، التي يستدخلها كل فرد وتُستدخَل في كل فرد، فإن علينا أن نتكلّم على قواعد ثقافية للشخصية. والإسهام العلمي بين المحلّل النفسي أبراهام كارْدينر والأنتربولوجي رالْف لانْتون، عشيّة الحرب العالمية الثانية، منشأ مفهوم الشخصية الثقافية. وهكذا تكون الشخصية الثقافية، ما به يكون كل كومانشي ّكومانشياً، وكل فرنسي فرنسياً، وكل ألماني ألمانياً، إلخ.

وسمّى بعضهم، خلال زمن، باسم **الشخصية الأساسية**، مايبدو لنا من الأفضل أن نسمّيه في أيامنا هذه الشخصية الثقافية. ذلك أن الشخصية هي، في الواقع، التقاء عدة نماذج من التحديدات: البيولوجية، النفسية الجنسية، التاريخية الاجتماعية. وبهذا الصدد، فإن الشخصية الأساسية لايمكنها أن ترتدّ إلى جوانب التميّز الفردي، بل إلى الأسس الثقافية للتميّز الفردي. ولكل أعضاء مجتمع، بالمقابل، بعض السمات المشتركة الاجتماعية التاريخية تستحقّ أن تؤخذ بالاعتبار بوصفها شخصيتهم الثقافية.

وفي بداية هذا القرن، سارت الأنتروبولوجيا الثقافية نحو مفهوم الشخصية الأساسية، في حين أن علم النفس الاجتماعي كان يستخدم مفهوم الطابع القومي. وكان الفارق المصطلحي صادراً عن واقع مفاده أن الأولى كانت تنظر إلى الشعوب المستعمرة والمتخلفة، بهذا ذاته، في ارتقائها إلى المرحلة القومية، وأن الثاني كان يُعنى، على نحو أساسي، بالشعوب التي بلغت إنجازها القومي. والواقع أن الجوانب الاجتماعية التاريخية لشخصية الأفراد هي ذاتها في الحالتين. فالمقصود إذن ظاهرة «الشخصية الثقافية» التي تقابل **هويتها الجماعية** أو، إذا شئنا، تقابل سيرورة **تماهي** الفرد بالجماعة التي هي جماعته.

وتفضي كل دراسة للشخصية الثقافية إلى تعداد بعض السمات النفسية الاجتماعية، التي تكوّن **نموذجاً** يكون أفراد الجماعة أكثر أو أقلّ قرباً أو بعداً منه. وتكمن الصعوبة في شرح هذه السمات التي يمكننا أن نتساءل إن كانت وراثية أو مكتسبة في وقت مبكّر. فهل سمات الشخصية المتفرّدة لدى الفرنسيين، الألمان أو لدى شعب الكومانش، منقوشة في المورّثات أم هي ذات علاقة بالشروط الجغرافية، الديموغرافية، الاقتصادية والسياسية، التي تعيش فيها هؤلاء الشعوب أو عاشوا فيها؟ أينبغي أن نجعل من الشخصية الثقافية مظهراً لغزياً ودائماً للإتنية أم نتاج السيرورة التاريخية؟ مثال ذلك هل الشعوب الأفريقية مضيافة وتحترم موروثاً متيناً من الضيافة لأن بنيتها الإتنية تقتضي ذلك، أم لأنها لاتزال تعيش في منظومة زراعية رعوية لم تعد موجودة قط في أوروبة أو في أمريكة الشمالية؟ ونكتشف هنا، بمناسبة الشخصية الثقافية، تلك المناظرة التي تجعل التصوّرات غير الماركسية متعارضة مع التصورات الماركسية في العلوم الإنسانية.

وكون مفهوم الشخصية الثقافية موضوع استغلالات إيديولوجية شتّى، ليست الزنجية (ليوبولد س. سنغور)، والأصالة الأفريقية (جوزيف د. موبوتو)، سوى الاستغلالين الأكثر حداثة. والخطر، هنا، يكمن في إخفاء النزعات الموجودة في كَنَف المتّحد والفائدة التي قد تستمدّها العناصر الخارجية منها، أقلّ مما يكمن في

التعارض بين الجماعات التي ينتمي إليها الفرد (ingrup) والجماعات التي لا يرى الفرد أن بوسعه المشاركة فيها (outgroup).

والواقع أن مفهوم الشخصية الثقافية ليس له سوى مدى علمي محدود جداً. ذلك أن سمات الطبع الخاصّة بأفراد متّحد ليست، بعد كل شيء، سوى متوسّط مجرّد، مكوّناته ناجمة عن الوضع الواقعي لهذا المتّحد في ظرف تاريخي معيّن. وكل تنظير في هذا المجال يقود إلى ضرب من منح سمة المنظومة الشكلية ذات النزعة الثابتة مآله العنصرية. فـ«سيكولوجيا الشعوب» تغذّيها أحكام ثقافية مشتركة قبْلية بحيث أن أية محاولة لإحلال تحليل اجتماعي تاريخي لتكوّنها ولصيرورتها محلّ هذه الأحكام غير موجودة. (انظر في هذا المعجم: **الأنا**).

P.F.

الشخصية شبه الصرعية

F: Épileptoïde

En: Épileptoïd

D: Épileptoïd

تُقال الشخصية شبه الصرعية عن جبلّة وصفها على وجه الخصوص كريتْشمر (1888 - 1964)، كورت شنيدر وفرانسواز مينْكوفسكا، فيها توجد السمات الأساسية السيكولوجية المفترضة في الصرع: الانفجارية والالتصاقية.

الشخص المسمّى «شبه صرعي» يتميّز أول الأمر بوجدانية متمركزة، تلتصق بـ«الأشياء» ولاتنفصل عنها بسهولة، وبطء في تكوين الأفكار والميل إلى المواظبة في عمل واحد؛ ثم تتميّز بالنَزَق، وارتكاسات الغضب العنيفة في بعض الأحيان. وهذه اللوحة موجودة دون شك ولكن تسميتها موضع معارضة، ذلك أنها توحي أنها ذات علاقة بالصرع، وتلك ليست هي الحال. والواقع أن كثيراً من المصابين بالصرع ليسوا «شخصيات شبه صرعية» وأن عدداً من الأشخاص ذوي السمات الموصوفة ليسوا مصابين بالصرع. ومن المناسب، لهذا السبب، إهمال هذا المصطلح وإحلال تسمية أخرى محلّه، تسمية تكون ملائمة على نحو أفضل. (انظر في هذا المعجم: **الصرع**).

N.S.

F: Paragrammatisme (ou) Dyssyntaxie **شذوذ نحوي**

En: Paragrammatisme

D: Paragrammatismus

اضطراب في الكلام يتميّز بوجود ضروب من البارافازيا (أي تعابير لفظية غير مناسبة، وكلمات مشوّهة، وألفاظ تُستخدم بدلاً من ألفاظ أخرى)، وانقطاعات في القول جرّاء البحث العبثي عن لفظه، وتغيّرات في النحو.

يُلاحظ الشذوذ النحوي على وجه الخصوص، شذوذ نحوي كان قد وصفه الطبيب النفسي العصبي الألماني كلايست (1879 - 1960)، لدى بعض المصابين بالهذيان المزمن. فلغتهم غير مفهومة إلا قليلاً، ولكننا نفلح في فكّ رموز فكرهم.

ويختلف الشذوذ النحوي عن العمه اللغوي حيث تتّخذ اللغة شكل قول برقي وحيث يشعر الفرد بعجزه عن احترام النحو. (انظر في هذا المعجم: **العَمَه اللغوي – الحبسة**).

N.S.

الشراهة

F: Avidité

En: Greediness

D: Gier,Gierigkeit

رغبة عنيفة، مغالية، في شيء من الأشياء.

يدلّ هذا المصطلح، في علم الطباع، على عامل من عوامل الميول، التي أدخلها غاستون بيرجه (1896 - 1960) في نمذجة ج. هيمانز و إ. ويرْسما. والشَره (Av) ظاميء للغزو، والمكتسبات، وزيادة مالديه من الأموال، والسلطة، والأمجاد، والنفوذ. . . وزيادة قوته. إنه بحاجة إلى توطيد **أناه**. وهذا الميل، لدى نابليون، كان غالباً. وعكس الشراهة هو الزهد الذي يُلاحظ في الحالة النقيّة لدى بعض الحكماء والمتقشفّين. (انظر في هذا المعجم: **الطبع**، **اليوغا**).

N.S.

الوعي(*)

F: Conscience

En: Consciousness

D: Bewusstsein

معرفة ترافق عواطفنا وأفعالنا.

يصعب، بل يتعذّر، تعريف الوعي، ذلك أنه محض ذاتية. إنه منيع على الغير، إذ يظهر في تجارب خاصّة على وجه الدقّة (سرور، تعب، ألم، لذة...). وهو يكوّن، بوصفه معاً «محلّ» إحساساتنا وإدراكاتنا والواقع الذاتي لهذه الإحساسات والإدراكات، مادة حياتنا النفسية، مادتها نفسها؛ إنه هو الذي ينظّم معطيات حواسّنا وذاكرتنا ويحدّد موقعنا في الزمان والمكان. وهو المعرفة التي ترافق فاعلية الفكر وتجعلها ماثلة أمام نفسها. واحتياز الوعي إنما هو العلم أننا نحسّ وأننا موجودون. وليس للوعي داخلية ولا خارجية، إنه علاقة بالعالم المدرك. فلا وجود لشعور في ذاته. وبيّن هيغل وجان سارتر بعده أن «كل وعي هو وعي بشيء ما». ولا يخلق الوعي نفسه بنفسه، يقول ك. غ. يونغ، بل يصدر عن أعماقنا المجهولة؛ إنه، «طوال الحياة، يستيقظ صباحاً، ويخرج من أعماق النوم، من حالة من اللاشعور. وهو شبيه بطفل يولد يومياً من رحم الأم، رحم اللاشعور» (**رمزية الحركات**، 1948). ويكشف يونغ، بهذه الجملة، أنه يشبّه الوعي بحالة اليقظة. ويشبّهه س. فرويد بالإدراك، وهنري برغسون بالانتباه («ليس ثمة وعي دون ضرب من الانتباه للحياة»)، وجون ديلي وتيوفيل ألاجوانين وعلماء نفس عصبيون آخرون عديدون بالوظيفة اليَقِظة.

ويرتبط الوعي بحالة العضوية وعملها الوظائفي. ومستويات الوعي تقابل درجات صفاء الذهن وفاعليته. ومثال ذلك أنه ينخفض إلى الحدّ الأدنى في النوم والأفعال الآلية؛ وهو يصل حدّه الأقصى في الأفعال التي تقتضي الاختيار. ويوجد ضرب من التوازي بين مستويات التنشيط والانتباه، والتيقظ من جهة وحالات الوعي، والفكر والسلوك، من جهة أخرى. وعلى الطرفين الأقصيين، يقع، من جهة، فرط التنشيط، والتيقّظ المغالي، والانفعالات القوية؛ وتقع الغيبوبة وانعدام الوعي، من جهة أخرى، حيث الارتكاسات على التنبيهات الحسيّة تكون معدومة أو ضعيفة جداً. وتقع، بين الطرفين، عدة مستويات من التيقّظ (أو من «الوعي»): التيقّظ الانتباهي، التيقظ المنتشر، أحلام اليقظة والنعاس، وأخيراً النوم ومراحله المختلفة. ومانسمّيه الوعي عادة ذو علاقة بالحالات السابقة على النعاس. ولكن الوعي لا يُلغى في النوم، لأن المرء يظلّ حسّاساً لبعض الإشارات (كالأم لنداء طفلها) ولأنه قادر على أن يستذكر أحلامه (الوعي الحلمي). والوعي غير موجود بصفته وظيفة خاصة؛ فليس له بنية خاصة ولامركز متموضع في الدماغ، ولكنه تابع للعمل الوظائفي، عمل الدماغ. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط**، **اللاشعور**، **تبادلية ضروب الوعي**، **تحت الشعور**).

N.S.

(*) نعتذر عن وقوع هذا المصطلح «الوعي» في غير محلّه من الترتيب الألفبائي «م».

F: Conscience Propre **الشعور الخاص**

En: Proper Consciousness

D: Eigengewissen

مصطلح استخدمه عالم النفس الياباني تانوناري شيبا (مياجي 1884 - طوكيو، 1972) للدلالة على اللاشعور.

بذل شيبا جهداً لتوضيح أهمية الدور الذي تؤدّيه الوظائف اللاشعورية للفكر في الحياة العقلية. وطوّر الفكرة التي مفادها أن وظائفنا الشعورية ووظائفنا اللاشعورية لاتختلف اختلافاً أساسياً وأن قوانين من طبيعة واحدة تحكم كلا النوعين من الوظائف. فاللاشعور، في ماهيته، هو الحالة الخاصة بالفاعليات العقلية، ومركز وظائف الشعور العادي. ويسمّي شيبا هذا التصّور، تصور اللاشعور، الشعور الخاص. فليست الحالة الأصلية للفكر، على نحو أكثر دقّة، شعورية بل لاشعورية؛ إن الشعور العادي يولد من الموانع التي يصادفها تيّار اللاشعور، وهو يعيده إلى الحالة التي كان عليها بالمقابل. وهكذا يكون الشعور الخاص كامن تحت كل فاعلية شعورية.

ونميّز الشعور الخاص النسبي من الوعي الخاص المطلق، أو الفكر الكلّي. فالأول شعور ضبابي، مبهم؛ والثاني، وهو مفهوم محدّد، يتجاوز الشعور الفردي وهو يحتويه في الوقت نفسه. ويمكننا التعرّف على **الشعور الخاص النسبي** في كل مجالات الوظائف العقلية. مثال ذلك أن الانطباع المطلق، في المعرفة، مصدره وجود إدراكات وإحساسات في الشعور الخاص. وتبلغ الانطباعات الحسّية

والإدراكية، لفرط ما تتكرّر، حالة الشعور الخاص. ومن المعلوم، من ناحية ثانية، أن المعيار الذاتي، واتجاه الاعتقاد الضمني، في الشعور الخاص، يؤدّيان دوراً هاماً في التفكير. ويمكننا أن نشرح ظاهرات شتّى كالفعل المنعكس، والفاعلية الآلية، والاندفاع، والغريزة، وفقدان الإرادة، حين نسلّم بوجود الإرادة في الشعور الخاص. وتتيح لنا العاطفة **الحيادية** في الشعور الخاص، قاعدة نسبية العلاقات بين اللذة وفقدان اللذة، أن نوضّح جوانب مختلفة من العواطف. والعاطفة **الحيادية** كامنة أيضاً في أصل كلية العواطف. وهكذا يكون للعاطفة، في الشعور الخاص، أولوية على الفاعليات العقلية كلّها.

ويتجاوز **الوعي الخاص المطلق**، أو الفكر الكلي، شعور الفرد ويؤثر في المتّحد أو في التنظيم الذي يحكمه. وهذا الوعي الخاص المطلق هو، من حيث الكمون، لاشعور الذات. ويمكننا أن نرى مثالاً نموذجياً عليه في كل الحالات حيث يكون سلوك الفرد مشروطاً بتنظيم الجماعة التي ينتمي إليها، حتى دون أن يكون الفرد شاعراً به. والجانب الآخر من الوعي الخاص المطلق هو الفاعلية الإبداعية للعبقرية. ونواة فاعليتها سيرورة لاشعورية؛ وإنجازاتها تصوّرات مشبعة بالعرق أو بالتنظيم الذي تنتمي إليه، أو، على نحو أكثر عمقاً، هي ضرب من الموضوعية، المتحرّرة من روابط العرق أو العصر.

ومفهوم الوعي الخاص لدى شيبا يعارض وجهات نظر التحليل النفسي أو سيكولوجيا الأعماق، الذي يشدّد بصورة خاصة على اللاشعور في الحياة العقلية. فالتصرّفات تولد، في رأي التحليل النفسي، من دوافع اللاشعور الغريزية، لاشعور هو مصدر السلوكات غير السوية؛ وهكذا تنجم الأعراض العصابية من قمع الأنا والأنا العليا. ويقتضي إضفاء السواء على الحياة العقلية عندئذ أن يصبح اللاشعور شعوراً. وتعلن نظرية الشعور الخاص، على العكس، أن اللاشعور خاصّة سوية وطبيعية لدى الفرد وأن الوسيلة الحقيقية لتحرير الحياة العقلية وجعلها مستقرّة تكمن في أن نجعل الفعل الشعوري يبلغ حالة الشعور الخاص ونجعله فاقد

الشعور بذاته. أما في سيكولوجيا الأعماق، فإن الشعور واللاشعور يكفّ أحدهما الآخر ويعوّض كل منهما عن الآخر؛ وفي رأي شيبا أن لهاتين المرحلتين النفسيتين، على العكس، توجّه واحد ومحتويات ذات طبيعة واحدة. وهذه النظرية أسهمت في توضيح ظاهرات مختلفة من الحياة النفسية، وأعطت تطبيقاتها في مجال الفن، والدين، وعلم النفس التكويني، والبيداغوجيا، نتائج ذات أهمية كبيرة.

وأثّر تصوّر شيبا، تأثيراً مباشراً، في دراسات تلاميذه في مجالات شتّى: الانطباع المطلق لإدراك الزمن، وتجربة تكوين الصور لراقات الشعور العميقة، الذاكرة الاستثنائية، الحرمان من التنبهات الحسّية، الأنا، قواعد الصحة العقلية، علم النفس الاجتماعي، إلخ. واليابانيون، الذين لا ترضيهم بصورة مباشرة تيارات علم النفس المعاصر السلوكية، السطحي والتحليلي، وتنصبّ بحوثهم على حوادث الفكر الكلّي النفسية، متأثرون بقوة كبيرة بمفهوم الشعور الخاص. (انظر في هذا المعجم: **السلوكية**، **العطف**، **التحليل النفسي**).

S.K. (ترجمة **D.I.V.** إلى الفرنسية)

الشك

F: Doute

En: Doubt

D: Zweifel

عاطفة من عدم التعيّن فيما يخصّ وجود أو خصائص أو شيء أو وضع.

يكوّن الشك، المعرّف عى هذا النحو، عاطفة سويّة ومتواترة مع ذلك في الحالات التي تكون معطيات الإعلام فيها لاتسمح باتّخاذ قرار في اتجاه معيّن. فأي خَوَر يدوم قليلاً أو كثيراً في قدرات التحليل والحكم يمكنها مع ذلك، حتى لدى الفرد السويّ، وتحت تأثير الظروف الموهنة (آفة جسمية، صدمة وجدانية، إلخ)، أن تقود إلى ضرب من التردّد غير السوي. وهذا الاتجاه يبلغ ذروة الحدّة في العصاب الوسواسي. ويمثّل الشك سمة من السمات المميّزة لشخصية كل مصاب بالوسواس، ولكنه يصبح عنصراً أساسياً من عناصرها («جنون الشك»). وهذا الشك يمكنه أن ينصبّ على أمر معيّن، ولكنه يبدو على الأغلب اتجاهاً شبه دائم من التساؤل القلق حول مسائل أكثر اختلافاً: ميتافيزيقية (أصل الحياة، وجود الله، إلخ)، أخلاقية (وضع أوهى عمل موضع التساؤل)، السلوك في الحياة الجارية (تحقّقات لانهاية لها، كشف حساب بالأفعال التي ينبغي إنجازها، إلخ). وأوهى مبادرة تكوّن، في نهاية المطاف، موضوع اجترار طويل مؤلم يشلّ كل فاعلية. وكان بيير جانه (1859 - 1947) يستند إلى «ضعف سيكولوجي» ينتزع كل نجوع من «وظيفة الواقعي»، ليشرح هذا السلوك. ويمثّل الشك المرهق، في رأي التحليل

النفسي شكلاً من القاع العصابي لمواجهة نزاع داخلي بين دوافع لاشعورية (تحليل بعض أعراضها المترابطة يبيّن أنها ذات بنية سادية - شرجية) وبين أنا عليا متشدّدة على نحو خاص. وتكوّن مقاربة التحليل النفسي، على مايبدو، تلك الوسيلة الوحيدة القادرة على أن تقود إلى تطوّر مناسب لهذه الاضطرابات. فضرب من اتجاه الشك، في ظروف مختلفة جداً، نصادفه على الغالب في تطوّر بعض الذهانات الهاذية المزمنة: يرتكس الفرد غالباً، في بدايتها، بارتباك قلق على التطفّل الهلوسي قبل أن يعدّ بناء هاذياً متماسكاً قليلاً أو كثيراً؛ ويعبّر الشك فيما بعد، عفوياً أو تحت تأثير علاج كيميائي، عن خبوّ في الاقتناع الهاذي، وعن اتّخاذ بعد نقدي، ويعبّر بالتالي عن مؤشر تطوّر مناسب.

J.M.A.

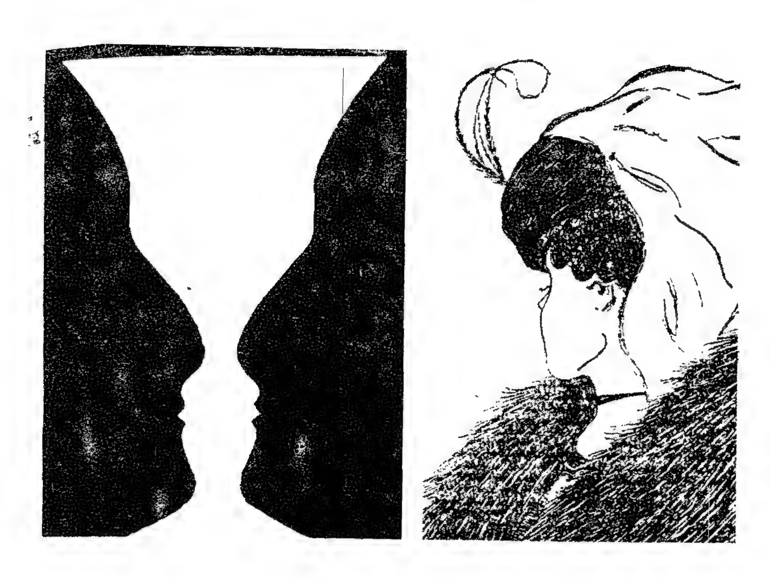
الشكل

F: Figure
En: Figure
D: Figur

صورة تنبعث من مجموع وتتفرّد.

عالم النفس الدانيماركي إدْغار روبان (1886 - 1951) هو الأول الذي أكّد الأهمية السيكولوجية لمفهوم الشكل، المرتبط بالقاع ارتباطاً لاينفصم. فالمركب الشراعي الذي ألاحظ تحرّكاته على المحيط شيء ذو محيط واضح، يتفرّد بالنسبة إلى الخلفية التي يكوّنها البحر والسماء. إنه ينفصل عنهما ويسترعي انتباهي، ولكنه يستمرّ في أن يشكّل جزءاً متمّماً من المنظر. والقاع يمنح الشكل معناه وبروزه، ولو أنه يظلّ في حالة الشعور الهامشي. وبيّن إ. فِرْنون (1934, 1935) أن الظاهرة نفسها موجودة على مستوى السمع: النغمةَ التي نسمعها في سوناتا «شكل» متمايز، ينبعث من قاع صوتي يرافقه ويحيط به. ومدّ كورت غولوشتاين(1878-1965) مفهوم «الشكل - القاع» على المتعضّي الحيّ. وفي رأيه أن العَرَض والمرض (شكلين) هما مظهران من مظاهر المتعضّي كله (قاع) ولايمكنهما أن ينفصلا عنه. وبهذا المعنى من جهة أخرى إنما نتكلّم، على سبيل المثال، على هذيان يبدو على قاع من السوداوية أو من هوس الكذب. وبوسعنا أن نقول، بصورة أكثر عمومية، إن الثقافة قاع المجتمع، الذي تنبعث منه تصرّفاتنا (أشكال)؛ إنها هي التي تدعمها وتوجّهها، ولو أننا لانشعر دائماً بها. ونقول عن بعض الصور إنها «مبهمة» عندما تختفي، بعد أن تكون مدركة بوصفها أشكالاً، لتكوّن قاعاً، في حين يصبح القاع البدئي شكلاً. ونرى تارة، في صورة إ. روبان (1915) الكلاسيكية، وجهين جانبيين سوداوين يتواجهان، ينفصلان عن قاع

أبيض، وتارة أخرى إناء أبيض على قاع أسود. ونميّز في شكل إ. ج. بورنَغ (1930)، صبيّة وعجوزاً بالتناوب. وعندما تتكوّن صورة من شكلين كثافة حضورهما متساوية، تبدو الصورة «قابلة للانعكاس». ومثال ذلك أننا إذا ثبّتنا نظرنا على ثنائي الأسطح (شكل هندسي يتألف من نصفي مستوى ناجم عن مستقيم)، فإنه يُرى على التعاقب مفتوحاً نحو الأمام أو نحو الخلف. ويبدو أن شرح هذه الظاهرة من اختصاص علم النفس العصبي ويكمن في كفّ داخلي للخلايا القشرية الناجمة عن سيرورة من التشبّع. (انظر في هذا المعجم: **الإدراك، كثافة الحضور أو الشكل الحسن**).



الشكل

إلى اليسار، شكل ملتبس لروبان: بوسع المرء أن يرى تارةً إناء أبيض على قاع أسود، وتارة أخرى ورتين جانبيتين تنفصلان عن قاع أبيض.

إلى اليمين، شكل ملتبس لبرورنْغ: بوسع المرء أن يميّز صبيّة أنيقة تارة، وعجوزاً ذات أنف محدّب وذقن ناتئة تارة أخرى (رسم مقتبس من الصحيفة الأمريكية لعلم النفس، 1930، 42، ص. 44).

الشكل ، الصورة

F: Forme
En: Form,Configuration
D: Form,Gestalt

جانب خارجي من شيء. وفي رأي نظرية الشكل هو البنية، أو التنظيم الذي تكون فيه العناصر المكوّنة كلها مترابطة بعضها ببعض.

كل جزء، في منظومة معيّنة، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجموع ويستمدّ معناه من الكلية؛ أما المجموع، فإنه يتّخذ دلالته بفضل التنظيم الذي يميّزه. فلكل عنصر مكانه ودوره في الكلّ، وليس بوسعنا أن ننقل عنصراً واحداً أو نرفعه أو نضيفه دون أن تتغيّر الكلية. والتشوّه البسيط في علامة من قطعة موسيقية تكفي لتغيير مقام الألحان في هذه القطعة، إذ نجعلها تنتقل، على سبيل المثال، من المقام الكبير إلى المقام الصغير. ويمكننا، على العكس، أن نحوّل نصّاً موسيقياً إلى نغمية أخرى (أي أن نخفض أو نرفع درجة أو عدة درجات كلّ علامات هذا النص) دون تشويهه. ونحن نتعرّف على لحن، مع أن العلامات لم تعد هي ذاتها، ذلك أن العلاقات بين هذه العلامات كانت موضع احترام. وهذا هو البرهان أننا، عندما نصغي إلى الموسيقى، لاندرك عناصر صوتية معيّنة، بل خطاً لحنياً؛ ونقول بعبارة أخرى إننا حسّاسون لبنية القطعة المعزوفة، لـ **شكلها** العام.

وفي رأي مناصري نظرية الشكل (النظرية الغشطالتية) أن الأشكال معطيات أولى، وحدات إدراكية تفرض نفسها على الشعور. ومثال ذلك أننا ندرك المربع إدراكاً مباشراً أنه مربع، ولانعيد تكوينه انطلاقاً من أربع قطع مستقيمة متساوية؛ كذلك لانميّز في السماء فقط نجوماً مبعثرة، ولكننا نميّز أيضاً كوكبات كالدبّ الأكبر، والدب الأصغر، والتنّين، إلخ.

وبيّنت سيكولوجيا الشكل (**النظرية الغشطالْتية**) لمدرسة برلين، التي تكوّنت قبل زمن قليل من الحرب العالمية الأولى حول ماكس ويرثْيمر (1880 - 1943)، معارضة النظريات الذرية والآلية في علم النفس الترابطي المدرسي، أن العالم الذي نعيش فيه لم يُقدَّم إلينا على شكل إحساسات أولية، لامتمايزة، ينظّمها دماغنا، بل هو مؤلف من أشكال ذات دلالة. وهذا الأشكال لانتعلَّمها بل ندركها منذ اللحظة الأولى بوصفها **غشطالتاً** (شكلاً متكامل الأجزاء).

وثمة «أشكال حسنة» و«أشكال رديئة». فالأولى، البسيطة، المتناظرة، الكاملة، التي تنفصل بسهولة عن القاع، ثابتة، أي أنها تحتفظ بسماتها الأساسية على الرغم من تغيّرات عرضها؛ والثانية غير متناظرة، معقّدة أو غير كاملة. ونميل إلى إدراك الأشكال الحسنة، ذلك أننا إذا لمحنا في زمن قصير شكلاً غير كامل (دائرة منكسرة في عرض المبصار، على سبيل المثال)، فإن الانطباع يحدث لدينا أنه تام.

وجدّدت سيكولوجيا الشكل أسلوب المقاربة لمشاكل الإدراك وأدّى دوراً كبيراً في نموّ الأفكار الحديثة، لا في علم النفس فَحسب، بل في الإتنولوجيا مع روث بينيديكت (1934)، والأنتروبولوجيا مع ألفرد كروبَر (1948)، وعلم الاجتماع مع كلود ليفي شتراوس (1949)، والألسنية مع رومان جاكوبسون ونيكولا توبيتْسكوي، والطب مع كورت غولْدشتاين، إلخ. إنها منشأ نظريات جديدة في الذكاء، والتعلّم والذاكرة: برهن الغشطالتيون على أن الذكريات تخضع لقوانين الشكل وأن المرء يتذكّر مجموعات ذات دلالة وتعاقبات على نحو أفضل من العناصر المتجاورة. مثال ذلك أن حفظ كلمة «يستنكرون» سيكون أيسر نسبياً، ولكن استظهار الأحرف التي تكوّن هذه الكلمة أشقّ بكثير، إذا كانت مرتّبة على سبيل المصادفة. وأثّرت **نظرية الغشطالت** أيضاً في الفيزيولوجيا (إذ عارضت نظرية العناصر كمبحث المنعكسات ونظرية التموضعات الدماغية) والطب النفسي الجسمي. (انظر في هذا المعجم: **الشكل، كورت كوفكا، ولفْغانغ كوهْلر، الإدراك، ماكس ويرثيمر**).

N.S.

الشكل الفصامي

F: Schizomorphe

En: Schizomorphic

D: Schizomorph

مصطلح صاغه غ. دوران (1959)، على غرار مصطلحي نظير الفصامي والفصامي، للدلالة على نظام من الامتثال، ومن الصورة على نحو أخصّ، قائم على مخطّط الفصل، والثنائية، بل الثنائية التناظرية.

هذه البُنى ذات الشكل الفصامي، الشبيهة جداً بالتشكّلات «العقلانية» التي أوضحها إ. مانكوفسكي (1953)، تتميّز بأربع سمات بنيوية رئيسية:

الأولى، التي يولد منها فعل الانفصال «Schise» ليست سوى ضرب من التراجع، من التباعد بالنسبة إلى واقعي مشترك، يقدّمه الإدراك المتوسّط. إنها يمكنها أن تتماثل مع اتّجاه «الانطواء على الذات»، الذي وصفه إ. مانكوفسكي (1927): «فقدان وظيفة الواقعي»، «عجز ذرائعي». إنها تولّد رؤية «مَلَكية» (باشيلار، 1943) للأشياء، وللبيئة على وجه الخصوص؛ والفرد يتخلّى، بصورة موازية، عن التوظيفات الوجدانية في الموضوع المبعَد على هذا النحو. فالفرد، هنا، «يتباعد».

وفي مرحلة ثانية - مرحلة تكوّن السمة الثانية من البنيات ذات الشكل الفصامي-، لم يعد الفرد يكتفي «بالانفصال»، بل «يفصل». وهذه البنية تولّد **التمييزات** المفرطة في العقلانية، والتحليلات الموسّعة. ويفضي الفرد، في الحالات المرضية، إلى امتثالات مجزّأة، حيث يتّخذ كل شيء هيئة تحديد مصطنع «مقطّع»، «مغلّف بمقوّى» (م. أ. سيشيهي، 1950).

والبنية الثالثة ذات الشكل الفصامي، الناجمة عن البنيتين السابقتين ليست سوى «النزعة الهندسية» التي كشفها في سياق مرضي الطبيبان النفسيان إ. مانكوفسكي، 1925، و إ. بوهْم، 1955. والسمة ذات الدلالة هي الأولوية المعطاة للتخطيطية والتناظر. وينجم عن ذلك على الغالب - بالاتّحاد مع البنية الأولى - مفعولات «عَمْلقة». (إ. مانكوفسكي، 1927)، تجعل أكثر سهولة تحليل الموضوع، وإبدال النعوت الطوبوغرافية بالنعوت والظروف الزمنية.

والبنية الرابعة، أخيراً، الناجمة على الغالب عن إضفاء الأشكال الهندسية المتناظرة، هي الامتثال النقيضي. وهذه السمة هي التي تتيح على وجه الخصوص تماثل البنيات ذات الشكل الفصامي، المطابقة لنماذج نظام الصورة النهاري، مع متخيّل «بطولي» جُعل نموذجاً بفعل نضال بطل النور ضد قوى الظُلُمات (شارل بودوان، (1952). ويولّد هذا الاتجاه «البطولي» للمتخيّل استعدادات مسبقة لتكوين المفاهيم وضروب من نظم الجمل الثنائي التكافؤ، ويكوّن تدريباً على منطق الثالث المرفوع.

والمحتويات المتخيّلة التي تُقدم بصورة طبيعية على ملء هذه البنيات، التباعد «الملكي»، النزعة الهندسية والنقيض، تستدعي صورة النظرة أو العين الفاحصة، وبالتالي، صور النور، والارتفاع، والسيطرة الارتقائية للجناح، للرئيس (غ. باشلار، 1943)، والملك والصولجان، بل السيف، وكل رموز «الفصل»: أسلحة البطل، سيرورة التطهير بالنار أو بالماء الطاهر. وتجد البنيات ذات الشكل الفصامي، على مستوى التحليل الأسطوري، نفسها وقد عزّزتها النزعة العقلانية التطبيقية للحضارة التقنية الحديثة، وعزّزتها، على نحو أعمّ، بنيات نحوية للألسن، وبالتالي، الثقافات الهندية الأوروبية. وكانت أعمال عالم النفس إيف دوران (النموذج البدئي - الرائز ذو العناصر التسعة، المسمّى «A.T.G»، 1964) قد أوضحت البنيات ذات الشكل الفصامي تجريبياً.

G.D.

شلل عام متزايد، مرض بيل

F: Paralysie générale progressive (ou) Maladie de Bayle
En: General Paresis,Bayles disease
D: Progressive paralyse, Dementia paralytica

آفة ناجمة عن التهاب السحايا المنتشر عامله المسؤول هو مُلْتَوية، البريمة الشاحبة للسفْلس.

كان الاختصاصي بأمراض الجلد ألفريد فورنيه (باريس، 1832 - باريس، 1914) قد ربط الشلل العام المتزايد، عام 1879، الذي وصفه أنْتوان لورَنْت بيل (1799 - 1858) عام 1822، بالسفلس. وأكّد عام 1832 هذه السببية عالم البكتريا الياباني هيديو نوغوشي (إنْواشيرو، 1870 - أكْرا، 1928)، ، الذي لاحظ وجود عامل السفلس في أدمغة مرضى مصابين بالشلل العام. وكشف فحص التشريح المرضي عن ضمور دماغي يصيب الفصوص الجبهية والصدغية على وجه الخصوص، وعن تمدّد البطينات الجانبية. ويكوّن الشلل العام، الذي لايترافق، على الرغم من اسمه، بشلل بالمعنى الراهن للمصطلح، مشكلاً ذا مدى كبير جداً إذا أخذنا بالحسبان أنه كان، في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال، مسؤولاً عن إدخال 9626 مريضاً عقلياً إلى المشافي وأن تكاليف علاجهم كانت قد ارتفعت إلى 41 مليون دولار. والعلامات الأولى لهذا المرض، الذي تكون ضحاياه الرجال على وجه الخصوص (أعلى بمرتين من النساء غالباً)، مختلفة جداً ولا تبدو إلا بعد عشر سنين إلى عشرين من العدوى بالسفلس. ويُبدي الفرد في بعض الأحيان إثارة نفسية يرافقها فرط التذكّر وحماسة وجدانية، بل نوبة هوسية حقيقية يرافقها الهياج الحركي، والسفَه، وأفكار العظمة، إلخ. ويكون المصاب أحياناً، على العكس، في حالة اكتئاب أو خلط عقلي؛ أو يباشر الهذيان (هذياناً

أدنى من الحادّ) أيضاً، ولكن ذلك أمر أكثر ندرة. ويظهر المرض، في حالات أخرى، بقابلية التعب الكبيرة جداً، وانخفاض الانتباه، وضعف عقلي متزايد، يترافق مع ضروب من الغبطة. وقد تكون المسألة مسألة هجمة دماغية (غيبوبة عميقة) لأزمة صرعية الشكل، أو ضروب من الخَذَل أو شلل أعصاب الجمجمة. ويتميّز الشلل العام بترابط تناذرات نفسية وعصبية. وتزول الذاكرة تدريجياً، ويصيب الوَهَل أول الأمر تلك الأحداث الحديثة، ثم الأكثر قدماً، ويمكنه أن يفضي إلى فقدان التوجّه الكلّي، الزماني المكاني. وينقص، بصورة موازية، مستوى المريض العقلي، وتنهار قدرات الانتباه لديه، والاستدلال، والحكم، وتصبح أحاديثه غير متماسكة؛ ويتغيّر مزاجه وطبعه؛ فيصبح لامبالياً، غير مكترث، منتشياً، يستحسن كل شيء، وذلك أمر يشرح أن أعضاء محيطه يتسامحون مع المريض تسامحاً طيّباً، خلال بعض الزمن على الأقلّ. ذلك أن المريض سرعان مايسلك على نحو جارح، إذ يبدو فظّاً، عدوانياً، شرهاً. ويجري التشخيص في بعض الأحيان بمناسبة فعل جرمي: سرقة موصوفة، هتْك عرض، إصدار شيكات دون رصيد، إلخ. وعلى المستوى العصبي، يجذب الانتباه مظهرٌ غبيٌّ واهن للوجه، وظهور تُشنّجات وجهية، وضغضغة مميّزة على وجه الخصوص. والكلام متردّد (عسر النطق)، واللغة غير مناسبة، غير كاملة؛ ويتغيّر تدفّق الصوت ورنّته؛ وترتعش الشفتان واللسان عند الكلام. والارتعاش نفسه موجود على مستوى الأعضاء، إذ يسبّب عسراً محسوساً في السير والكتابة. فالفحص العصبي يُظهر فرط الانعكاسية العظمية الوترية وعلامة أرجيل روبرتسون في 50 بالمئة من الحالات (إلغاء المنعكس البؤبؤي في النور، والاحتفاظ به في المطابقة، أي خلال الانتقال من الرؤية البعيدة إلى الرؤية القريبة، أو العكس). وكان تطورّ الشلل العام يحدث فيما مضى، خلال ثلاث سنوات أو ست، نحو الخَبَل، والعجز الوظائفي، والدَنَف والموت. ومنذ استخدام البنسلين (1943) لمكافحة الحلزونيات، تغيّر الإنذار. وبفضل هذا العلاج، يمكننا الحصول على تحسّن سريع في الحالة العامة، وتراجع عسر القراءة والارتعاشات؛ ويشهد المرء أحياناً اختفاء الهذيان، بل شفاء الاضطرابات في بعض الحالات النادرة.

M.S.

شوبنْهُوَر (أرثور) Schopenhauer (Aarthor)

فيلسوف ألماني (دائنتزيغ [غدانسك، بولونية، في أيامنا]، 1789- فرانكفورت - سور - لو - مان، 1860).

يمكننا اعتبار شوبنهور، على المستوى السيكولوجي، أحد روّاد علم النفس الدينامي واكتشاف اللاشعور (هـ. إيلّنْبرجر، ص. 208). إنه يقارن الشعور بسطح الأرض، حيث يعيش الناس، غير مكترثين بالنار المركزية التي تشتعل تحتهم. وتتألف إدارة العيش، يقول أيضاً، من غريزة المحافظة على البقاء والغريزة الجنسية، والكبت بفعل العقل منشأ أمراض الفكر (**العالم بوصفه إرادة وبوصفه امتثالاً**، III، 2، ص. 456 - 560). وبيّن إرنْست كاسّيرر (1874 - 1945)، توماس مان (1875 - 1955)، ماكس شيلَر (1874 - 1928)، كيف أن شوبنهور هو الموحي إلى فرويد. وفي رأي لويس س. غرانْجيل أن ثمة ثلاث نقاط مشتركة بين هذين المفكّرين: فكرة اللاعقلانية لدى الإنسان، فكرة الغريزة الجنسية، تصوراً متشائماً للإنسانية. وشوبنهور حلّل **اللذة الجمالية** أيضاً، المدركَة بوصفها تعليق ألم العيش بواسطة نعمة الفنّ، وحلّل **الانتحار** (نقيض إرادة الحياة) و**الشفقة**، أساس الوجداني الأخلاقي واحتياز الشعور بالوحدة الأساسية، وحدة الموجودات، وبشقاء الناس.

R.M.

شومسكي (أفرام نوآم) Chomsky (Avram Noam)

ألسنيّ أمريكي (فيلادلفية، بنسلفانية، 1928).

كان شومسكي، بوصفه طالباً في جامعة بنسلفنية، تلميذ زيليغ سابّوته هاريس (المولود عام 1909) وتلقّى تكويناً ألسنياً في الخطّ المباشر لتعليم ليونار بلومفيلد (1887 - 1949). إنه، عام 1951، في جامعة هارفارد، حيث يعلّم رومان جاكوبسون (1896 - 1982) ألسنية مختلفة عن ألسنية بلومفيلد. ويمارس شومسكي، منذ عام 1955، التعليم **في معهد ماساشوسيت للتكنولوجيا (M.I.T.)**. وجعل منه نشر كتابه **البنيات التركيبية** (1957) رئيس رتْل لألسنية جديدة شكّلت قطيعة مع التقليد البلومفيلدي. فنظريته مبنيّة على فَرَض الأصل الفطري للغة (بل يتكلّم على «تخطيطية فطرية ثابتة») وكلية البنيات التركيبية العميقة. وهي نظرية مدروسة عالمياً باسم «النحو التوليدي والتحويلي». ويتّفق الألسنيون جميعهم على الاعتراف بمرحلتين متمايزتين من الناحية الكيفية في نظرية شومسكي على الرغم من أنها في تغيّر دائم: المرحلة التي تلي ظهور كتابه **البنيات التركيبية** والمرحلة التي تبدأ عام 1965 مع نشر كتاب آخر لشومسكي عنوانه: **جوانب نظرية التركيب**. فالنحو، في نسختي النظرية التوليدية، الذي ينبغي له أن يتيح بقواعده إنتاج الجمل الصحيحة كلها من لسان، وهذه الجمل فقط، يتضمّن ثلاث مكوّنات: مكوّنة مركزية، تُسمّى «مكوّنة تركيبية»، ومكوّنتين تفسيريتين، «المكوّنة الدلالية» و المكوّنة الفونولوجية».

I - **المكوّنة التركيبية** تتكوّن، من جهتها، من «مكوّنة قاعدية» تمنح كل جملة بنية عميقة، ومن مكوّنة تحويلية تتيح أن تشتقّ، بالنسبة لكل جملة، **بنية السطح** من بنيتها العميقة.

1 - **المكوّنة القاعدية** تحتوي بنيتين فرعيتين:

آ - المجموعة الفرعية **التصنيفية** التي تتضمّن قواعد إعادة الكتابة، إذ تستخدم مجموعة من الرموز التصنيفية من نموذج: ج ←ت آ + ت ف، حيث ج ترمز إلى الجملة، ت آ التركيب الاسمي، ت ف ترمز إلى التركيب الفعلي (ونسمّي مجموعة من العناصر ذات وحدة «تركيباً»). وبوسعنا، على هذا النحو، أن نكتب مجدّداً ت ف← ف + ت آ، لنبيّن أن التركيب الفعلي يتضمّن فعلاً + تركيباً اسمياً. أو نكتب أيضاً مجدّداً، ت أ ←، ع + م آ؛ ع ←مفرد - جمع؛ م آ ←ح + آ؛ آ ← Δ، حيث ع يرمز إلى **العدد**، م آ إلى **مجموعة اسمية**، ح إلى **محدّد**، ف إلى فعل، Δ إلى رمز بديل، إلخ. واشتقاق الجملة، انطلاقاً من الرمز التصنيفي البدئي ج، يمكن أن يمثّله على نحو مختلف ضربٌ من تعاقب من القواعد، كما ذكرنا أعلاه، أو يمثّله رسم بياني يسمّى **شجرة**. وتكمن الجدّة التي تتدخّل على هذا المستوى في إدخال قواعد التكرارية في **المكوّنة القاعدية الفرعية**، في حين أن التكرارية كانت، في النسخة البدئية للنظرية، تتدخّل على مستوى **المكوّنة التحويلية**. وعلى هذا النحو، تتولّد حالياً جمل صلة الموصول ومختلف التضمينات منذ **البنية العميقة**. وإدخال قاعدة بدئية، من جهة أخرى، قاعدةΣ ← مكوّن + ج (مكوّن الجملة) يتيح التنبّؤ، منذ **البنية العميقة**، بالتحوّلات التي كانت، حتى هنا، كالتحوّل إلى المجهول تُعتبر اختيارية.

ب - المكوّنة الفرعية **المعجمية** تمثّل في ذاتها جدّة بالقياس على النسخة البدئية من النظرية. فـ **القواعد المعجمية**، في هذه النسخة البدئية، التي كانت تأتي قبل تطبيق **القواعد التصنيفية**، كانت من النموذج التالي:

الاسم: كلب، جبنة. . .

الفعل: يأكل، ينام. . .

الرابطة: La، Le . . .

وذلك ماكان يتيح توليد جمل كالجملة التالية: «**الجبنة تأكل الكلب**». وتفاديا لهذه المحاذير، تُدخل النسخة الجديدة من النظرية قواعد من نموذج آ ⟵ Δ تحيل إلى تصنيف فرعي ضروري بعبارات السمات التركيبية والفونولوجية لـ **البنود**. وعلى هذا النحو يُصنف الاسم **كلب** تصنيفاً فرعياً أنه (+ حي)، **جبنة** (- حي)، إلخ. وسيلي طور من الاندماج المعجمي، حيث الوحدات لايمكنها أن توضع في علاقة بعضها ببعض إلا إذا كانت تتَّصف ببعض الضروب من التوافق في السمات.

2 - **المكوّنة التحويلية**. التحوّلات عمليات تتيح، انطلاقاً من **البنية العميقة** لجملة من الجمل، اشتقاق بنية لهذه الجملة نفسها أقرب إلى الواقع المسمّى **بنية السطح**. فالتحوّلات تنصبّ، بعكس قواعد الكتابة من جديد التي كانت تنصبّ على مكوّنات الجملة، على الجمل نفسها. لتكن الجملة: **الفأر كان قد أكل بواسطة الكلب** (ترجمة حرفية غير مقبولة في اللسان العربي للجملة الفرنسية: «La Souris a été mangée par le chat» «م»). والبنية العميقة المقابلة لهذه الجملة يمكنها أن تُمثّل على النحو التالي:

إيجابي + صيغة المجهول + ت آ$_1$ + روابط + ف + ت آ$_2$

1 2 3 4 5 6

ويمكننا، وفق قواعد «المكوّنة التحويلية»، أن نكتب هذه الجملة بتتابع من الكلمات مختلف.

ولم يعد يوجد، في النسخة الحديثة لهذه النظرية، تحوّلات اختيارية لأن كل تحوّل يكون إما إلزامياً، كتحوّل أحرف الزيادة، وإما مشروطاً بحضور مكوّن للجملة في قلب **البنية العميقة** للجملة كما في التحويل إلى المجهول. كذلك لاتوجد تحوّلات معمّمة تتيح تركيب عدة **بنيات عميقة** في **بنية سطح** واحدة لأن

التكرارية متضمَّنة الآن في البنية القاعدية. فالتحوّلات، في هذه الشروط، هي قواعد تقتصر، إذ تعيد كتابة تتابعٍ في تتابع آخر، على إجراء عمليات حذف، وإضافة، وإبدال، والمطابقات أيضاً.

II - **المكوّنات التفسيرية**. غرض المكوّنة **الدلالية** أن تفسّر من الناحية الدلالية تلك الأقوال التي تولّدها المكوّنة التركيبية، إذ تستخدم بصورة خاصة معطيات البنية العميقة. وغرض المكوّنة الفونولوجية أن تعيّن شكلاً صوتياً لأقوال بنية السطح بتطبيق القواعد الفونولوجية. (انظر في هذا المعجم: **الرسم البياني المتفرّع**، **الكفاية**، **الإنجاز**).

R.V.

الشيخوخة

F: Vieillesse
En: Old age
D: Alter

العمر الثالث من الحياة، بعد عمري النموّ وسنّ الرشد.

يصعب تحديد الفترة الزمنية التي تبدأ خلالها الشيخوخة؛ وذلك أمر ذو علاقة بالشروط الجسمية، والمعنوية أو الاجتماعية التي عرفها المرء أكثر من ارتباطه بالعمر. وبوسعنا، مع ذلك، أن نقول بصورة عامة إن الشيخوخة تبدأ نحو السنة الخامسة والستين. وتظهر الشيخوخة بضعف الدفاعات المناعية (ماك فارلان بورنه)؛ وبطء وظائف العضوية؛ وتغيّرات تشريحية (ضمور النُسُج، تصلّب)؛ وانخفاض محسوس في القدرات الجسمية (قوة، سرعة، رشاقة)، والحسّية (رؤية، سمع) والفكرية. وليست القدرات العقلية مصابة على شكل واحد: فبينما تكون الوظائف اللفظية ممسوسة على نحو ضعيف (المفردات تظلّ سليمة)، ينحسر الانتباه والذاكرة المباشرة، إذ يجعلان متعذّراً من الناحية العملية كل اكتساب جديد. وتصاب الانفعالية بالوهن ويبدو التمركز على الذات مجدّداً، من جهة أخرى. وفي رأي بعض المؤلفين (س. باكو) أن امتلاك مستوى من التعليم مرتفعٍ والاضطلاع بالمسؤوليات قد يؤخر ظهور هذه الاضطرابات. ومن الجدير بالملاحظة، في الواقع، أن غالبية رجال الدولة شيوخ أو كانوا شيوخاً (ك. إدنهاور، و. تشرشل، شارل دو غول، تيتو. . .)، وذلك أمر يبرهن أن الشيخوخة ليست لها جوانب سلبية. ويرى إيريك أركسون (مولود عام 1952) في الشيخوخة نموذجاً مكتملاً من النضج، في حين يتصوّر دوبْلينو هذا العمر ملائماً

لتفتّح الشخص : فالشيخ يصبح حكيماً بوصفه متحرّراً من عدد معيّن من أحداث مادية طارئة ويعرف نسبية الأمور . ويشقّ على عامّة الناس مع ذلك أن يعيشوا شيخوخة على مايرام، ويتركوا دون مرارة حقل عملهم، و «يتكيّفوا مجدّداً» . وهذا هو السبب في أنه لايندر أن نلاحظ اضطرابات في المزاج، وارتكاسات عزلة، واضطرابات عقلية (عصاب الإياس ومرحلة الانتكاس وذهانهما) . وإذا كان الشيخ في مجتمعنا يبدو في حالة من النقص، فالسبب أنه يجد نفسه، وقد فقد معاً فاعلياته المهنية (إحالته إلى التقاعد) وأولاده (المتزوجين والبعيدين غالباً)، حائراً ودون دور محدّد. ويشعر شعوراً قاسياً، بوصفه قد ضُعف جسمياً وقلّ شأنه اجتماعياً، أنه مصاب في أمنه المعنوي والمادي على نحو سواء، ويؤثر الموت غالباً على مثل هذا الانحطاط. وتبيّن الإحصائيات أن عدد المنتحرين يزداد ازدياداً كبيراً بعد الخامسة والخمسين. ونسبة الوفيات بالانتحار لدى النساء، في بلادنا، أكثر ارتفاعاً بست مرات في العمر الثالث منها في المراهقة. وهي لدى الرجال في الخامسة والثمانين وما فوق أكبر حجماً بثماني عشرة مرة منها في فئة العمر من خمس عشرة سنة إلى تسع عشرة. وفي عصرنا حيث تتطلّب الموارد البشرية كلها أن تكون مستخدمة، يحرم المجتمع نفسه، الذي يبرهن على تهاونه، من غنىً مؤكداً حين يترك غير مستخدم معارف الشيوخ وإرادتهم الطيبة، الذين يُهملون ولايُمنحون أي وضع اجتماعي مرْض. ويوجد علم جديد، **علم الشيخوخة**، الذي يحاول أن يستجيب للضرورة الملّحة الماثلة في حلّ المشكلات السيكولوجية البيولوجية والاجتماعية لدى الأشخاص المسنّين الذين ازداد عددهم ازدياداً كبيراً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولايمكننا أن نلحّ كثيراً على أهمية هذه المسألة. فعدد المسنّين ذوي الستين عاماً ومافوق كان قد ارتفع في فرنسة، عام 1971، إلى 18.1 بالمئة من السكان. وفي العام 2000، سيكون، في أوروبة، شخص من عشرين، ذا عمر قدره خمس وسبعون عاماً أو أكثر، وتلك نسبة تمثّل زيادة 100 بالمئة قياساً على الوضع عام 1950 . (انظر في هذا المعجم: **الوضع الاجتماعي**).

N.S.

شيلدون (وليم هربرت) Sheldon (William Herbert)

طبيب وعالم نفس أمريكي (وارويك، جزيرة رود، 1889 – كمبردج، ماساشوسيت، 1977).

شيلدون معروف على وجه الخصوص أنه اقترح، بالتعاون مع ستانلي سميث ستيفنْس (1906 - 1973)، تصنيفاً لنماذج الشخصية قائم على درجة نموّ النُسج المشتقّة من ثلاث وريقات للأرومة الأديمية (الأديم الباطن [الداخلي]، الأديم المتوسط، الأديم الظاهر). وفي رأي شيلدون أن كل فرد يشارك في هذا الجمل الثلاث مشاركة غير متساوية: الأحشاء الهضمية، لدى **النموذج المتشكّل من الأديم الباطن**، ذات أهمية على وجه الخصوص؛ والعضلات والهيكل العظمي هما السائدان لدى **النموذج المتشكّل من الأديم المتوسط**، والجملة العصبية وأعضاء الحواس والجلد هي السائدة لدى النموذج المتشكّل **من الأديم الظاهر**. فالنموذج الجبلّي لأي فرد (أو **النموذج الجسمي**)، بما أن أياً من هذه النزعات لايمكنها أن تظهر على سبيل الحصر، ستمثّله جملة من ثلاث علامات تمضي من 1 إلى 7، تبعاً لأهمية كل من المكوّنات الثلاث الأولى التي ذكرناها أعلاه. وثمة سمات طبع بارزة قليلاً أو كثيراً بحسب الأشخاص توافق كل واحدة من هذه المكوّنات: النموذج المتشكّل من الأديم المتوسّط (رياضي) يعبّر عن نفسه بالفاعلية الجسمية؛ والنموذج المتشكل من الأديم الظاهر (طويل ورقيق) سيكون على وجه الخصوص تأمّلياً؛ والنموذج المتشكل من الأديم الباطن (بدين ومدوّر) يُظهر انفعالاته بصورة لفظية. ويبيّن شيلدون على وجه العموم أن التشكّل من الأديم الباطن يرتبط بـ **المزاج**

الحشوي، والتـشكّل من الأديم المتـوسط بـ **المزاج الجسمي**، والتـشكّل من الأديم الظاهر بـ **المزاج الدماغي**.

ولْنذكـر من المؤلفـات الرئيسـة لهـذه المؤلف: **سيكـولوجيا الفروق الجبلّية** بالتـعاون مع س. س. ستيفنس، نيـويورك، 1942، (ترجـمه إلى الفرنسيـة أ. أومْبـريدان و جـ. جـ. غـرامبـاش: **أصناف المزاج**، باريس، المنشـورات الجامعيـة الفرنسية، 1951؛ إعادة طباعة، 1974)؛ **أصناف جنوح الأحداث** (مع معاونين، نيويورك، هاربار إخوان، 1949)؛ **أطلس الرجال** (مع معـاونين، 1952). (انظر في هذا المعـجم مـايلي: **النمذجة الحيوية**، **الشخصية الإجرامية**، **النموذج الجسمي**).

N.S.

حـــرف
الصـــاد

صاحب الهوى

F: Passianné

En: Passianate

D: Leidenschaftlich

يدلّ هذا المصطلح على شخص يقع تحت سيطرة ميل حادّ، دائم، يمكنه أن يصبح وحيداً، أو على من يكبّ بشغف على فاعلية.

نموذج صاحب الهوى، في تصنيف المدرسة الفرنسية الهولاندية في علم الطباع، يتميّز بالانفعالية(أ) والفاعلية (ف) وثانوية الانطباعات (ث) (أي أن للانطباعات رجعاً طويلاً لديه). وصاحب الهوى طموح، قادر على أن يجنّد طاقته بغية مستقبل بعيد ويبسط في العمل قوة كبيرة. ويمكنه، بوصفه سلطوياً، متشدّداً وغير صبور، أن يبدو قاسياً بالنسبة لمحيطه، ولكن هذه القسوة لا تستبعد الطيبة ولا الحنان. إنه يبذل جهده ليرفع الأضرار الواقعة على الغير، لكنه لا يستسلم هو ذاته لأي شخص ويفرض احترام ميله إلى الاستقلال. ومع أنه مخلص للجماعة التي ينتمي إليها (أسرة، نقابة، حزب سياسي، أمة، إلخ)، فإنه يتقن أيضاً أن يستخدم هذه الجماعة لارتقائه الشخصي. إنه ميّال إلى الرفعة ويحتاج إلى أن يسم الأشياء والأحداث بميسم شخصيته. وتخدمه، على وجه العموم، ذاكرة جيّدة، وفكر نيّر وموضوعي، وسرعة كبيرة في اتخاذ القرار. وهو قادر، لتحقيق المهمّة التي حدّدها لنفسه، على التضحية بكل الملذّات وألا يمنح إشباع رغبات الجسم إلا الحدّ الأدنى الضروري. (انظر في هذا المعجم: **الطبع**، **علم الطباع**).

N.S.

الصامت الانفجاري

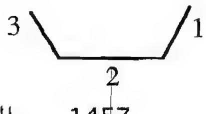
F: Occlusive

En: Plosive

D: Verschlusslaut

تصويت (فونيم) إصداره يحدث انطلاقاً من إغلاق الأعضاء المصوّتة المؤقت.

يصطدم الهواء الآتي من الرئتين بمانع في فجوات الفم أو البلعوم؛ والانسداد يمكنه أن يحدث في أماكن شتّى من القناة التنفّسية، تسمّى **مواضع النطق**. وهكذا نحصل على صامت انفجاري شفويّ، كالصوت P(الحرف الأجنبي) في كلمة Père (أب)، بانسداد كامل على مستوى الشفتين. فطرف اللسان أو **الذولق** يُحدث، إذ يستند إلى مستوى الثنيّتين العلويتين أو النخاريب، صامتاً انفجارياً **ذولقياً** مثل التصويت الأجنبي الفرنسي (t) في كلمةTerre (أرض) إلخ. فإذا أُضيفت، على نحو مرافق، ذبذبة الحبال الصوتية إلى نطق الصامت الانفجاري، فإننا نكون إزاء نتاجات صوتية من موضع النطق الذي تخرج منه الصوامت المهموسة المقابلة. فالصامت المجهور [b] يقابل الصامت المهموس [p] و الصامت المجهور [d] يقابل الصامت المهموس[t]، والصامت المجهور[g] في goût يقابل الصامت المهموس [k]. ويُمثَّل الصامت الانفجاري على وجه العموم، في علم الأصوات النطقي، وفق التخطيطية التالية التي يعطِيها مرسام الذبذبات:



ويتضمّن هذا المنحنى، أو رسم الذبذبات، ثلاثة أطوار؛ الأول، توظيف أعضاء النطق، يُسمّى **الانغلاق**؛ الثاني، فترة توتّر ممتدّة قليلاً أو كثيراً، يُسمى **الوضع الصامت**؛ والثالث يكوّن طور ارتخاء الأعضاء أو **الانفجار**. تلك هي تخطيطية صامت منقبض كامل، أعني أنه يقع بين صائتين كما في كلمة attends الأجنبية. فعندما يحدث الانفجار في نهاية الكلمة، كما في الكلمة الأجنبية apte (المنتهية بـ e غير الملفوظة)، لا وجود إلا للطورين الأوّلين؛ وعندما يتحقّق الانفجار في الحرف الأول، كما في الكلمة الأجنبية tard، لا نجد إلا الطورين الأخرين. فالطور الوحيد الموجود دائماً هو الطور الثاني، أي طور الوضع الصامت. وتسمّى الصوامت الانفجارية أيضاً **الآنية**، لسبب واضح مفاده أن التوقّف الكلي لانتقال الهواء لا يمكنه أن يكون إلا آنياً. والصوامت الانفجارية تقابل على هذا النحو مجموعة الصوامت **المستمرّة**، حيث ينبعث الهواء دون توقّف خلال مدة صدور الصوامت (الصوامت المنقبضة صوامت مستمرّة على وجه العموم). وبيّن بعض الألسنيين الذين اهتمّوا بمشكلات اكتساب اللغة، أن الأطفال يكتسبون الصوامت الانفجارية أولاً (tata ،dada ،papa). إنها، على العكس، هي الأخيرة التي تزول في حالات الحُبسة. ودافع رومان جاكسون (1896-1982) على وجه الخصوص عن هذه النظرية في كتابه **لغة الطفل والحبسة** (1969). (انظر في هذا المعجم: **الصامت المنقبض**، **التصويت** [**الفونيم**]).

N.M.

الصامت المنقبض أو المزموم

F:Constrictive
En: Constrictive
D: Frikative

الصوامت المنقبضة التي تسمّى أيضاً «احتكاكية» أو «انسيابية» تنتمي إلى أسرة الصوامت «الامتدادية»، بالتقابل مع الصوامت «الفورية» التي هي «الانفجارية».

يخرج الهواء، في الصامت المنقبض خروجاً مستمراً خلال مرحلة النطق كلها، إذ يكمن مخرج النطق في مجرّد انقباض للقناة الصوتية. مثال ذلك التصويت «**ف**» الذي يُنطق بتقريب الثنايا العلوية والشفة السفلية. وقد يكون هناك، بالنسبة للصوامت الانفجارية، اهتزاز الحبال الصوتية يرافق النطق الفمّي للصوامت. وهكذا نحصل على عناصر مجهورة ذات علاقة بالمنتجات المهموسة للمخرج ذاته، مخرج النطق: مثال ذلك كلمتا Faimو Vin الفرنسيتان. ونميّز، وفق كيفية النطق، ضروباً مختلفة من الصوامت المنقبضة. فمع اللسان ذي الحفرة في وسطه، والهواء يخرج من القناة الصوتية المغلقة على هذا النحو، نحصل على الصوامت **السينيةوالشينية**. وفي الصوامت **الجانبية**، يستند رأس اللسان، على العكس، إلى الثنايا الأمامية والهواء يفلت من الجهتين كما في لفظة Lacالفرنسية. ونسمّي في بعض الأحيان احتكاكية الصوامت الناتجة عن نطق مغلق يحصل مع توتّر عضلي لأعضاء الكلام يثير ضجة احتكاك؛ ونحتفظ باسم الصوامت الانسيابية للصوامت التي تكون منتجات أضعف، حيث لا يوجد توتّر في النطق وحيث ضجة النَفَس سائدةكما في نطق صوت اللام العربية. (انظر في هذا المعجم: **الصامت الانفجاري**).

N.M.

الصبغيّ

F: Chromosome

En: Chromosome

D: Chromosome

وحدة نواة الخلية تتألّف على نحو أساسي من الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين (.A.D.N) ومن الحمض الريبي النووي (.A.R.N) ومن البروتوئينات القاعدية المسمّاة «هشتون».

الصبغيات ركيزة الوراثة. وبوسعنا، بوصفها يصعب ملاحظتها في حالة الراحة، تثبيتها ودراستها بسهولة خلال الانقسام الخلوي، في مرحلة الطور التالي، بفضل جاذبيتها للملوّنات القاعدية. وتشكّلُ الصبغيات ومقدارها مختلفان؛ فبعضها على شكل عود، وأخرى على شكل الحرف الأجنبيJ، أوV، أو على شكل الحبوب. . . ؛ طولها المتوسط يبلغ 5 إلى u15 (جزءاً من ألف من الملمتر)، ولكنها قد تبلغ u100 (الصبغيات العملاقة لذبابة الخلّ). أضف إلى ذلك أننا نلاحظ تصنيفاً ثابتاً يسمّى «قُسَيْماً مركزياً» يختلف مركزه بحسب الصبغيات. ويختلف عدد الصبغيات من نوع إلى آخر، ولكنه عدد ثابت بالنسبة لنوع معيّن: صبغيّان لدى الصَفَر (أسكاريس)، ثمانية لدى ذبابة الخلّ، ثمانية وأربعون لدى الفراشة، إلخ. ويُحصى لدى الإنسان ستة وأربعون صبغياً يمكننا أن نجعلها زوجية، باستثناء اثنين منها، يُشار إليهما بالحرفين الأجنبي XوY، وهما الصبغيان الجنسيان (gonosomes) المسمّيان أيضاً الصبغيان المتغايران، بالتقابل مع الصبغيات السابقة المسمّاة **الصبغيات الجسدية**. وتصنيف الصبغيات للمرأة السوية يتضمّن أربعة

وأربعين صبغياً وصبغيين X، وتُكتب XX،46؛ أما صبغيات الرجل فعددها أربعة وأربعون وصبغيان YX، وتكتب: YX،46. وهذه المادة التكوينية موجودة في كل خلايا العضوية، إلا في الكريات الحمراء التي ليس لها نواة. والبويضات والحيوانات المنوية، أو الأعراس، خلايا فردانية، أي أنها ليس لها إلا مجين واحد (عدد صبغياتها اثنان وعشرون صبغياً جسدياً وصبغي جنسي) وانصهارها، خلال الإخصاب، يعيد العدد المضاعف N2، النوعي في النوع. وتوحيد عرسين يفضي إلى ولادة صبي إذا كان الحيوان المنوي يحمل صبغياً جنسياً Y(X،23 + 23،Y=46،YX) وبنت إذا كان حامل صبغي جنسي X(X،23+X،23=46،XX)، ذلك أن البويضة تقدّم دائماً صبغياً جنسياً X.

ويرتبط دور الصبغيات في نقل موروث الوراثة بوجود آلاف من المورّثات (موزّعة على طول الصبغي)، التي تتكوّن من قسم من الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين (A.D.N.) وتملك رسالة «مرموزة». وثمة مورّثات عديدة مسؤولة عن نقل الأمراض (حَثَل متعدّد، عُتْه كُمني أسري، على سبيل المثال) أو الشذوذات الوراثية كالعَنَش (وجود أصابع رجل أو أصابع يد تتجاوز العدد المحدّد) أو المَهق. (انظر في هذا المعجم: **تصنيف الصبغيات**، **المورّثة**).

M.S.

صداقة

F: Amitié

En: Friendship

D: Freundsehaft

«عاطفة متبادلة من المودّة أو التعاطف لا تقوم على صلات الدم ولا على الجاذبية الجنسية».

الأصدقاء، من الناحية الفينومينولوجية، يختار بعضهم بعضاً ويجلب لهم هذا الاختيار بهجة خاصة. وفي قاعدة الصداقة توجد **المودّة** التي يعرّفها ج. ميزونّوف أنها «كل علاقة تنطوي على عملية انتقائية ودلالة إيجابية يعيشها الفرد». ويمكننا التشديد على الاختيار كما فعل جـ. ل. مورينو (1889-1974) في **أسس القياس الاجتماعي**، واعتبار نتائج هذا البحث الخاص جداً عن الإشباع ناجمة عن العلاقة بالآخر فقط. وبيّن القياس الاجتماعي، تقنية الاستبانة التي تتيح أن تكشف، في جماعة من الجماعات، عن شبكة الاندفاعات وكوكبة المودّة، إلى أي حدّ تكون الرغبات من هذا النسق خبط عشواء، متبادلة بصورة عرضية، وبعيدة النظر بصورة استثنائية. وبما أن مجرد الاختيار معرّض للخطأ، فمن الضروري أن نعود إلى تعريف الصداقة ذاته، الذي يفرض أن نعتبرها **متبادلة**، وأن نحيط بالتالي بالحالات الخاصة من الاختيارات المتبادلة التي يعتبرها الرفيقان أنها سعيدة. وكشفت البحوث التي أُجريت منذ الأربعينات وجود عامل مادي أساسي: القرب، الجوار، الاتّصال.

ونذكر، مثالاً على ذلك، دراسة الأمريكي ل. فستنْجر لشبكات الصداقة التي نمت في معسكر **معهد مسّاشوست للتكنولوجيا** أو دراسة ألان جيرار، في فرنسة، لاختيار الزوج أو الزوجة (إذ بان هذا الاختيار أنه مشابه، في الأصل، لاختيار الصديق). ويبدو، في هذه الدراسات جميعها، أن اختيار الاصدقاء يتمّ من بين الناس الذي يلتقون في الأغلب: جيران طابق واحد من بناية، سكان القرية الحالية نفسها أو قرية الأصل، رفاق في شركات نقل، وهكذا دواليك. وإذا كان اختيار الأصدقاء يتمّ من بين الأفراد ذوي الاتصال ببعضهم على الأغلب، فإن هؤلاء لا يصبحون جميعهم أصدقاء مع ذلك. فالجوار، الذي يُجري انتقاءً أول الإمكانات، لا يكفي إذن. فعلى أي أساس يتمّ الانتقاء النهائي؟ هنا يتدخّل **الإشباع الوجداني** الذي يكوّن جناح الصداقة الثاني.

والإشباع الوجداني الناجم عن الصداقة منبع تأمل قديم منذ زمن، وينطوي على خيار بين أمرين يُعلن على النحو التالي بعبارة القول المأثور: «المتشابهون يجتمعون» أو على العكس: «الحدود القصوى تتجاذب»؛ ونتكلّم، بعبارات علمية، على «فَرَض تشابه» أو «فَرَض تكاملية». **ففرض التشابه** يعود إلى أرسطو.

والدراسات الأولى، حتى نظلّ في التيار العلمي، التي انطلقت من تشابه مفترض بين الأصدقاء وبحثت عن حقله السيكولوجي، تبدأ مع ر. ب. كاتّل في الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1934. وانصبّ البحث زمناً طويلاً على ضرب من تشابه سمات الشخصية، ولكن دون نجاح كبير. ويبدو أن فيدْلر كشف عام 1953 عن تشابه في الامتثالات الذهنية بين مثال الأنا والامتثال الذي يصنعه المرء للآخر، لا بين الذات والآخر بصدد موضوع من الموضوعات، ولا بين صورة الذات وصورة الآخر. وعمّق ث. نيوكومه بدوره، عام1956، فَرَض تشابه في الاتجاهات بين الأصدقاء. وتظهر هذه الاتجاهات أنها تؤثّر معاً على مستوى العمل وعلى مستوى الأخلاق التي تحكم هذا العمل عن بعد، أي على المستوى القيمي الإجرائي. وتبين خلال معرفة الآخر. فكل كشف عن تشابه يعزّز الصداقة وكل

كشف عن تباين يُضعفها: فنحن ندرك هنا دراسات ميلتون روكيش للحقد العرقي. ويستأنف دونْ بيرن (جامعة تكساس)، بدءاً من عام 1960، بحث ث. نيوكوب وينقله من حالة الفرَض المعقول إلى حالة النتيجة التي أعدّها خلال تجريب دام أكثر من خمس عشرة سنة.

وجان ميزونّوف في فرنسة، المولود عام 1918، الذي يقبل وجهة النظر هذه قبولاً تاماً، وجهة النظر الخاصة بالاتجاهات، ولكنه يحتفظ لتشابه سمات الشخصية بإمكان ضعيف، يذكر إمكان تشابه في محتويات الخيال. ويترك الباب مشرّعاً لفَرَض التكاملية (1966). واكتشفنا نحن، برائز رورشاخ (1974)، أن بين الأصدقاء تشابهاً في أسلوب إظهار العواطف: مراقَب، تلقائي أو اندفاعي. ونحن نمسّ بذلك نقطة الاتصال بين الاتجاه في العمل وسمات الشخصية، ذلك أن السمات الأقلّ ارتباطاً بالعمل على نحو مباشر، كالقلق، لا تظهر أنها حقل مقبول في مجال التشابه.

ويرتبط **فَرَض التكاملية**، هو أيضاً، بالحاجات المسماة «اجتماعية»: إن ر. وينْك كان قد عزل نحو اثنتي عشرة حاجة منها عام 1955في الولايات المتحدة الأمريكية. ونقول لنترجمها إلى لغة شائعة: إن الشخص السلطوي يجذب فرداً تابعاً، ويجذب العدواني شخصاً لطيفاً، وهكذا دواليك. وعلى الرغم من أن هذا الفرض آسر، فإنه لم يتأكد فيما بعد إلى حدّ كبير ربما بفعل اكتشاف محورٍ مفضّل: محور الفاعلية- السلبية. وإذ وضع و. س. شولتز عام 1960 مفهومي التشابه والتكاملية في نظرية واحدة، فإنه يتكلّم على **التوافق**. فالأفراد «متوافقون»، ويمكنهم بالتالي أن يصبحوا أصدقاء، عندما يُبدون تشابهاً مزدوجاً ناجماً عن تكاملية. والتشابه ينصبّ على إلحاح متبادل لثلاث حاجات أساسية: حاجة إلى الاندماج، إلى المرافقة، إلى المودّة، وعلى درجة شدتها. أما التكاملية، فتنصبّ على أسلوب التعبير عنها، فاعل أو منفعل.

ويبدو، في الحالة الراهنة لمعارفنا، أن كثيراً من العوامل تدخل في الظاهرة السيكولوجية للصداقة: وتمثّل أول الأمر تلك العوامل التي تكون وطيدة بصورة أقوى: القرب المكاني والتشابه في الاتجاهات. ثم تأتي العوامل المتغيرّة حسب الحالات: الجاذبية الجسمية، الاعتبار، المرغوبية في الصفات المشتركة، نوعية خدمات الآخر، المحيط... أما تكاملية الحاجات، فإنها تظلّ ممكنة جداً، في الحقل الأساسي للتشابهات المقرّرة أعلاه، ولكن اختلافاً كبيراً كان قد حدث حول البرهان على أهمية التوافق. وثمة أخيراً مسألة أثارها ميزونوّف، تظلّ واجبة الحلّ بالبحث المستقبلي: مسألة التشابه في الأمور المتخيّلة، أي أحلام اليقظة الواعية على نحو أدقّ. والصعوبة القصوى لمثل هذا السبر يمكنها أن تشرح أن هذا التشابه يظلّ، في الوقت الراهن، مجالاً لا يزال بكراً. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **التجاذب بين الشخصي، نحن، تبادلية ضروب الشعور، التشابه**).

Y.C.

الصدمة الكهربائية

F: Électrochoc

En: Electric Shock

D: Elektroschock

ممارسة يستخدمها الطب تُسمّى أيضاً العلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة، الكامن في إثارة أزمة صرعية مصطنعة بهزّة كهربائية تزعزع الدماغ.

كانت تفريغات كهربائية مستخدمةً من قبلُ، في العصور القديمة، لشفاء بعض الأمراض العقلية؛ وكانت الأسماك الرعّادة(*) تقدّم الطاقة في هذا العصر. وحاول بعضهم، في بداية القرن العشرين، علاجاً أكثر عقلانية أطلق عليه لودوك اسم «النوم الكهربائي» (1902)، ولكنَ التيّار الكهربائي المستخدم لم يعط النتائج المأمولة بالنظر إلى أنه كان ضعيفاً. فهوغو سيرليتّي (1877-1963)، أستاذ الطب النفسي العصبي في جامعة رومة، وبيني، هما اللذان ابتكرا بالفعل، عام 1938، العلاج بالصدمة الكهربائية، إذ طبّقا على المرضى العقليين صدمات كهربائية قوية إلى حدّ كاف، بحيث ستُمارس مدرسياً فيما بعد.

وثمةً جهازان كانا قد أُنجزا في فرنسة: أحدهما، ذو التيّار المتناوب، جهاز الصدمات الكهربائية لـ م. لابيب و جـ. روند وبيير؛ والآخر، ذو التيار المتموّج، منسوب إلى ب. دلْماس- مارساله. إنهما لا يزالان مستخدمين في أيامنا هذه. وتكمن تقنية الصدمة الكهربائية في تمرير تيّار من نحو100 فولت، ذي شدة قدرها 100 إلى250 مليّأمبير خلال جزء من الثانية، عبر الجمجمة، بواسطة مسريين كهربائيين صدغيين، على وجه العموم (مسرى على كل صدغ). فيحدث عندئذ، إذا لم يطرأ على المريض أية تهيئة خاصة، ارتكاس تشنّجي، توتري اختلاجي، يكرّر على وجه الدقة تماماً أزمة الصرع من نموذج «أزمة الصرع الكبيرة»: تقلّص

عنيف لكل العضلات (طور التوتر)، تليه مجموعة من التشنّجات (الطور التشنّجي) يعقبها الطور الشخيري، المتميّز بتنفّس عميق صاخب. وتؤدّي الصدمة إلى فقدان كامل للوعي وإلى فقدان للذاكرة يحدث فيما بعد. ويطرأ بعد الأزمة طور من الخلط العقلي العابر، يحلّ محله استعادة الوعي التدريجية. فإذا استمرّت حالة اللاشعور بفعل مرور مديد للتيار الكهربائي، فإن ضرباً من «التخدير الكهربائي» يحدث.

ويقتضي العلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة بعض الاحتياطات: ينبغي الاطمئنان أول الأمر أن حالة المريض الجسمية مرْضية، ولا سيّما أنه سليم من كل آفة عظمية أو وعائية قلبية. ومن المناسب، ثانياً، تجنّباً للتعقيدات المفصلية، منع التقلّصات العضلية بحقن مادة تفعل فعل الكورار. فالتقلّصات العضلية، في هذه الشروط، تكون غير مرئية، والمفعولات العلاجية تعادل المفعولات التي نحصل عليها بواسطة الأزمات العنيفة. وعندما تُتّخذ هذه الاحتياطات، تكون الحوادث استثنائية (وذلك يسوّغ قرار محكمة في ولاية ألاباما، الولايات المتّحدة الأمريكية، الذي يُلزم الأطباء النفسيين بالشروع في فحص جسمي كامل للمريض واستخدام العقاقير المرخية للعضلات في الوقت نفسه، قبل عشرة أيام من كل مجموعة من الصدمات).

واختلفت استطبابات الصدمة الكهربائية اختلافاً كبيراً منذ عام1938. فلم تعد هذه التقنية تُستخدم قط، بعد أن عرفت حظوة كبيرة، إلا على نحو استثنائي، ولا سيّما منذ اكتشاف الأدوية النفسية المنشّطة، المستعملة بنجاح في علاج الاكتئابات العصبية.

والاستطباب الرئيس للعلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة تظلّ السوداوية الحقيقية. وتُلاحظ بالفعل تغيرّات في المزاج، مدهشة (إلى حدّ قد تُخلي السوداوية مكانها لحالة هوسية)، ولكن نجوع الصدمات الكهربائية ينقص مع تكرار النوبات؛ أضف إلى ذلك أن علينا أن نخشى، مع الزمن، قيام حالة خَبَلية تدريجية، شبيهة بالحالة التي تُلاحظ في بعض الأحيان لدى بعض المصابين بالصرع.

وكان العلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة موضع محاولة في كل آفات الطب النفسي على وجه التقريب. واعتُبر هذا العلاج، خلال زمن طويل، ناجحاً نسبياً

في الذهانات المزمنة الحادّة، والحالات الهوسية، والفصام، إلخ. ولكن المعالجين عزفوا عنه حالياً، ولم يعد يُستخدم إلا في حالات الاكتئاب، بعد إخفاق المنشّطات النفسية كالإيميبدامين والمثبّط لخميرة أوكسيداز وحيدة الأمين (I.M.A.Q)، إلخ (ينص ّأيضاً قانون تشرين الأول [أكتوبر] 1944 لولاية كاليفورنية، الولايات المتحدة الأمريكية، أن ممارسة الصدمة الكهربائية لا يمكنها أن تكون موضع نظر إلا بوصفها وسيلة أخيرة، عندما تفشل كل تقنية علاج أخرى).

ويظل ّأيضاً نمط العمل للعلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة لغزياً، وليست النظريات المعروضة مرْضية أبداً، سواء كانت نظرية ديلماس- مارساله، القائمة على فرض الانحلال - إعادة البناء (انطلاقاً من أزمة مثارة؛ فالحياة النفسية تتبنين مجدّداً وفق نظام جديد)، أو نظرية جون دوله، القائمة على ضبط المزاج وتحريض التيقّظ، أو النظريات التي تستلهم التحليل النفسي أو الفلسفة: الصدمة، المعاشة بوصفها عقوبة، تشبع حاجات المريض المازوخية؛ أو، نقول إيضاً، الأزمة شبيهة بموت، يليه بعث، وذلك أمر يسبّب إذكاء غرائز الحياة.

ولهذا التقنية، مهما يكن من أمر، جانب همجي، أوضحه الأستاذ هنري باروك إيضاحاً جيداً. إنه لاحظ، وهو يجرّب على القرد ودماغه مفتوح، أن الصدمة الكهربائية كانت تثير «زوبعة وعائية هائلة، يرافقها تقلّص وعائي عنيف، ثم تمدّد وعائي، وانتفاخ وحالة من تضخّم بعض الأنسجة في الدماغ». ويفهم المرء، في هذه الشروط، أن عدداً من الممارسين انصرفوا عن العلاج بالنوبات التشنّجية المصطنعة، الذي يأخذ عليه بعضهم أيضاً جانبه السحري (الأمل في شفاء المريض العقلي بالضغط على زر). (انظر في هذا المعجم: **مثبّط لخميرة أوكسيداز وحيدة الأمين** [I.M.A.O]، **السوداوية**).

G.DE.

(*) - الأسماك الرعّادة جنس من الأسماك تعيش في بحار البلاد الحارّة، مكهربة جميعها، إذا مسّها الإنسان، فإنها تخدّر يده وعضده حتى يرتعد ما دام السمك حيّاً «م».

الصَرَع

F: Épilepsie
En: Epilepsy
D: Epilepsy

الصرع، بحسب «معجم الصرع» لمنظمة الصحة العالمية (1973)، «آفة مزمنة أسبابها شتّى، تتميّز بتكرار الأزمات الناجمة عن تفريغ مغال لشحنة عصبونات دماغية (أزمات صرعية)، أياً كانت الأعراض السريرية أو قرب السريرية المقترنة بها على وجه الاحتمال».

يعني هذا التعريف أن الصرع يكوّنه تكرار الأزمات الصرعية خلال مدة من الزمن طويلة، وأن أزمة وحيدة أو بعض الأزمات المتكرّرة عَرَضاً، كأزمة تشنّج حمْلي (تتميّز على الأغلب بأزمات تشنّجية مع غيبوبة) لدى امرأة حامل على سبيل المثال، أو أزمات تسبّبها الحمّى لدى طفل، لا تكوّن صرعاً.

ثمة، بحسب التصنيف الرسمي الذي أجرته الجامعة العالمية ضد الصرع، تصنيف تبنّته منظمة الصحة العالمية، تشكيلتان كبيرتان من الصرع، تنقسم كل منها إلى تشكيلتين فرعيتين:

I - ضروب الصرع المعمّم

تتميّز هذه الضروب من الصرع بأزمات نسمّيها «معمّمة» لأنها ناجمة عن تفريغ شحنة صرعي ذي علاقة دفعة واحدة أو بسرعة كبيرة بمجموع عصبونات القشرة الدماغية في نصفي الكرة. وتتجلّى هذه الأزمات في بعض الأحيان بفقدان الشعور، دون ظاهرات نباتية أو محركة، ذات أهمية ومترابطة: ونسميها **غيبات**. وترافق في غالبية الحالات، على العكس، ظاهرات محركة ثنائية الجانب ذات أهمية، فقدان الشعور وتتيح أن نميّز وفق طبيعتها:

- الأزمة التوترية الرَمَعية، المسماة **الداء الكبير**، المتميّزة بتقلّص توتري حادّ، تليه مجموعة من الاهتزازات (اختلاجات) ومشهد غيبوبي ؛

- الأزمة التوترية ؛
- الأزمة الرَمَعية ؛
- الاختلاج الصرعي المنعزل (اختلاجات عضلية كثيفة، ثنائية الجانب) ؛
- الأزمة اللاتوترية (فقدان التوتر في وضعية الجسم يفضي في هذه الأزمة إلى سقوط عنيف للفرد).

1) ضروب الصرع المعّممة الأولية ليست ناجمة عن آفة وإنما من اضطراب وظيفي دماغي، يمكنه أن ينتقل وراثياً، ذي طبيعة لا تزال مجهولة، مسؤول عن انخفاض عتبة التشنّج وعن استعداد مسبق لعرض غيبات خاصة جداً، تُسمّى «نموذجية» أو **الداء االصغير**، واختلاجات كثيفة ثنائية الجانب وأزمات**الداء الكبير**. والأفراد الذي يعانون هذه الصرع الوظيفي لا يُظهرون أي علامة سريرية من الألم الدماغي في الفاصل الزمني بين الأزمات، ومخطط الدماغ لديهم سويّ، ماعدا ذروات معمّمة في نصف الكرتين الدماغيتين، تعبّر على وجه الضبط عن استعدادهم المسبق الصرعي.

2) ضروب الصرع المعمّمة الثانوية تنجم، على العكس عن آفة دماغية منتشرة، مسؤولة عن أزمات معمّمة تتّخذ عادة مظهر الغيبات «غير النموذجية»، وعن أزمات توترية أو غير توترية واختلاجات عضلية وثنائية الجانب. وفي الفاصل الزمني بين الأزمات، نلاحظ أعراضاً تدلّ على آفة دماغية منتشرة سببية ؛ والمقصودبصورة رئيسة، من الناحية السريرية، تخلّف عقلي ؛ والمقصود، من ناحية المخطط الكهربائي للدماغ، ذروات صرعية منتشرة.

II- ضروب الصرع الجزئية

تتميّز هذه الضروب بأزمات نسميّها «جزئية» لأنها تنجم عن تفريغ شحنة عصبونية مفرطة من جزء فقط من القشرة الدماغية لأحد نصفي الكرة الدماغية، تحت تأثير جرح متموضع في نصف الكرة هذا. ونلاحظ في الفاصل الزمني بين

الأزمات، على الغالب، علامات تدلّ على جرح قشري بؤري سببي؛ والمقصود، من الناحية السريرية، علامات عصبية في بؤرة (عمى شقّي، حبُسة، خزَل شقّي. . .)؛ والمقصود، من ناحية المخطط الكهربائي للدماغ، ذروات تتركّز فوق البؤرة المولّدة للصرع.

1) ضروب الصرع الجزئية الثانوية بالنسبة لجرح في منطقة نوعية من القشرة الدماغية ذات وظائف حسّية أو حركية، تتجلّى بأزمات مبحث أعراضها المرضية يقتصر على ظاهرات حسّية أو حركية أولية: ومض الشبكية، بالنسبة لجرح يولّد الصرع في القشرة الدماغية البصرية؛ إحساسات سمعية دون منبّهات خارجية، بالنسبة لجرح في القشرة الدماغية السمعية؛ اهتزازات جزء من عضو أو من نصف الوجه، بالنسبة إلى جرح في القشرة الدماغية الجسمية الحركية في الجانب المقابل.

2) ضروب الصرع الجزئية الثانوية بالنسبة لجرح في منطقةمن القشرة الدماغية ترابطية جبهية وبخاصّة صدغية، منتقلة إلى وظائف الدمج المسؤولة عن إعداد الحياة النفسية، تتجلّى بأزمات مبحث أعراضها متعيّن، حسّي نفسي (أوهام، هلوسات)، حركي نفسي (آليات) أو محض نفسي (أفكار قاهرة، عاطفة المرئي سابقاً. . .).

وهذه التعدّدية في الأزمات الصرعية، في ضروب الصرع وأسبابها، تشرح لماذا كانت المفاهيم القديمة، مفاهيم «الطبع والسلوك الصرعي»، «التكوين الصرعي أو شبه الصرعي». . . قد أُهملت. فكلّ هذه المفاهيم كانت تسلّم بوجود نموذج جبلّي خاصّ بالصرع، يتضمّن خصائص مورفولوجية ولا سيما نفسية، كبطء تكوين الأفكار و «اللزوجة العقلية» أو الوجدانية اللصوقة، والميل إلى التديّن، وضروب الغضب العنيف على قاع من النزَق. ولكن مثل هذه التغيرآت في الشخصية أو السلوك تُلاحظ في تشوّهات دماغية عضوية عديدة وليست نوعية للصرع على الإطلاق. (انظر في هذا المعجم: **الحُبسة، التناذر الصرعي لرورشاخ**).

H.G.

الصَرَع الأساسي أو الخفيّ المنشأ

F: Comitialité

En: Essential epilepsy, Cryptoptogenetiqu epilepsy

D: Epilepsie

مصطلح «الصرع الأساسي» (mal Comicial,Comicialité)، الذي أُطلق على الصرع، مرض عصبي يتّخذ شكلٌ منه، المسمّى «الداء الكبير»، سمة مؤثّرة، مشتقّ من أن مجالس الشعب(«Comices») في رومة كانت تنحلّ مباشرة عندما كان يُصاب أحد المشاركين فيها بأزمة تشنّجية خلال اجتماع. وهذا المرض، الذي تتعدّد أشكاله، أيقظ الحصر دائماً في الواقع بفعل المفاجأة والمظهر المأساوي على الغالب لهجماته: سقوط دون وعي، تقلّصات عضلية تشنّجية في الجسم، عضّة اللسان، تسرّب البول. . . إلى حدّ كان القدماء قد أطلقوا عليه «الداء المقدّس» (morbus sacer) على النحو الأخصّ. والصرع الأساسي، المنتشر جداً لأنه يصيب نحو5 بالمئة من سكان الكرة الأرضية، يصيب طبقات المجتمع كلها؛ وكان الامبراطور جول سيزار، والروائي فيودور ميكائيلوفيتش دستوفسكي (موسكو1821، - سان بيتسبورغ، 1881)، على سبيل المثال مصابين به. والصرع وراثي في نسبة ضعيفة منه (6بالمئة من الحالات) والأسباب الأكثر تنوّعاً يمكنها أن تثيره: حوادث ولادة، تسمّمات شديدة، اعتلال الدماغ، أورام دماغية، رضّات الجمجمة، إلخ؛ وتشترك هذه الأسباب جميعها في أنها تجعل الجملة العصبية أكثر حساسية، وتخفض **عتبة إثارة الصرع**، كما بيّن غاستو (المولود عام 1915). وتؤدّي العوامل الوجدانية، في انطلاق الأزمات، دورها أيضاً، وقد تكفي صدمة انفعالية لتثيرها.

وهكذا حصلت الهجمة الأولى لدسْتوفسكي في السابعة عشرة من عمره، عندما أُخبر بموت أبيه، الذي قتله الفلاحون على أراضيه. ومثْل هذه الأزمات، في رأي بعض المحلّلين النفسيين، دلالة رمزية.

إنها تعبرّ عن رغبة الفرد في أن ينسحب من عالم مغال في العداء ويسبّب الصدمة. وينبغي لأزمة الصرع الأساسي إذن أن تُفهم تبعاً لشخصية المريض، وتاريخه المعيش، واندماجه الاجتماعي. (انظر في هذا المعجم: **الصرع**).

N.S.

الصَمَم

F: Surdité

En: Deafness, Hearing loss

D: Gehörverlust, Taubheit

فقدان السمع أو حرمان منه قليل الأهمية أو كبيرها.

يتّخذ الصمم أشكالاً كثيرة. ويمكنه أن يكون وراثياً، جبلّياً، ناجماً عن اعتلال جنيني (حُميراء المرأة الحامل، في البداية الأولى من الحمْل) أو اعتلال المضغة (عدم التوافق الدموي)، أو قد يكون مكتسباً. والصمم يمكن أن يسبّبه مرض إنتاني، كالحمّى التيفيّة، والنُكاف أو التهاب السحايا؛ أو تسبّبه اضطرابات وعائية، آفة أو تيبّس أعضاء النقل، ورم داخل الجمجمة، ولكن قد تسبّبه أيضاً عقاقير (ستربتوميسين، الكينين، ساليسيلات الصودا). إن رضّاً في الجمجمة، وانفجاراً عنيفاً، والتعرّض إلى ضجّة حادّة دائمة، كتلك التي يتعرّض لها صانع الأدوات النحاسية، يمكنها أن تسبّب أيضاً هذه العاهة التي قد لا تصيب سوى أذن واحدة (صمم وحيد الجانب) ولا تبلغ سوى بعض التردّدات (صمم جزئي).

ونميّز وفق مركز الإصابة: صمم **التوصيل أو النقل** (الأذن الخارجية أو الوسطى)؛ صمم **الاستقبال الإدراك** (الأذن الداخلية أو الدروب العصبية)؛ الصمم **المختلط**، الذي يقرن بين الصممين السابقين. فضعيفو السمع، أو ذوي «الأذن الثقيلة» أفراد يعانون نقصاً في السمع قدره 30 إلى40 ديسبيلاً (وحدة قياس التفاوت بين شدّتي صوتين)؛ إنهم عديدون جداً لأنهم يمثّلون نحو 1 بالمئة من السكان. وينبغي لنا أن نميّزهم من أصحاب الصمم النصفي، الذين يسجّلون فقداً

في السمع قدره 50 إلى 80 ديسيبيل، ومن أصحاب الصمم العميق، حيث السمع غائب كلياً أو شبه كلي لديهم. عددهم في فرنسة يرتفع إلى 25000 (نحو 1 من 2000).

وللصمم دائماً تأثير على طبع المصاب به وعلى سلوكه، ذلك أنه يسجنه في عالم من الصمت ويفصله عن الآخرين. ويثير ظهوره لدى الراشد في الأغلب اتجاه نفي الواقع، نفي يظهر على وجه الخصوص برفض الإجراءات المؤقتة (البديل)، وميل إلى القنوط والانعزال: «عليّ أن أعيش، يكتب لودفيغ فان بتهوفن قائلاً، منفياً. فإذا اقتربت من مجتمع، سرعان ما يعذّبني حصر رهيب: حصر المعرّض إلى أن يدع حالته تُلاحظ، ومثل هذه الأحداث تدفعني إلى اليأس.». ويتكدّر الطبع؛ ويصبح الفرد على الغالب حذراً، مطالباً، ويمكنه، في الحالات القصوى، أنْ ينمّي هذيان الاضطهاد، ترافقه الهلوسات. فالمصابون بالصمم ليسوا على سجيّتهم في مجتمعنا. وهذا هو السبب الذي من أجله يتجمّعون، ويكوّنون متّحدات موازية لمتحداتنا ويتزوجون فيما بينهم.

ولدى الطفل والمراهق، نكتشف سمة الصمت نفسها والألم ذاته كما هما لدى الراشد، الناجمين عن تعذّر التواصل بحرية مع محيطهما. ويشعر المراهق أنه أدنى من رفاقه، ويصبح نَزِقاً، وغاضباً في بعض الأحيان. ويُعرف الطفل الأصمّ بسلوكه الخاص؛ إنه صاخب، ذلك أنه لا يتقن التعامل مع الأشياء وهو يتجنّب الضجة التي لا يسمعها، ويتنفّس بقوة ويصرخ كثيراً؛ ويدلّل غالباً على عدم استقرار نفسي حركي، وله تصرّفات أُضفيت عليها الطقسية، وسواسية قليلاً، وميله إلى الانطواء يمكنه أن يمضي إلى مرض الانطواء على الذات. فإذا طرأت عاهته عندما يكون عمره بين الخمس سنوات والعشر، فإنها تُخلّف لديه عاطفة انعدام الأمن التي لاتتركه أبدا. ويبدو الطفل عندئذ تابعاً للراشدين إلى الحد الأقصى، ينتظر منهم العون والحماية ويبحث عن رفقتهم. وإذا كان الصمم مكتسباً قبل خمس سنوات أو ست من عمره، فإنه يسبب فقدان الكلام حتماً على وجه

التقريب. وليس الطفل الأصمّ، من حيث الكمون، أقل ذكاء من الطفل الذي يسمع، ولكن غياب اللغة، كون الفكر بحاجة إليها لينمو، يكوّن مانعاً يصعب تجاوزه. وذلك إنما يشرح أن الأطفال الصغار الصمّ يعانون مشقّة كبيرة ليبلغوا مستوى التجريد والعمليات الصورية، في حين أن ذكاءهم العملي يمكنه أن ينمو نمواً سوياً.

والعون يُقدّم إلى التلميذ الأصمّ بتزويده بجهاز يتيح له استخدام البقايا السمعية، وبوضعه في المقعد الأول من الصف وأمام مكتب المعلم، حتى يكون بمقدوره أن يقرأ من على شفتي المعلم، وبجعله يفيد من إعادة تربية لتقويم النطق. وإذا لم يفلح في متابعة التعليم العادي، يؤخذ بالحسبان قبوله في صف ذي تجهيز خاصّ، حيث المنهج ذو إعداد خاص والطرائق البيداغوجية متكيّفة. ولا يُلجأ إلى الحلّ القائم على وضع الطفل في مدرسة داخلية متخصّصة إلا في حالة عدم تكيّف رئيس، ذلك أن البعد عن المنزل الأبوي اختبار عسير، يتحمّله بصعوبة هؤلاء الأفراد السريعو العطب، ولوحظ أن الأطفال الصمّ الذين ترعرعوا في أسرهم أكثر تفتّحاً من الآخرين. وثمة في فرنسة، فضلاً عن حوالي خمسين معهداً، عاماً وخاصاً، تستقبل نحواً من ستة آلاف طفل أصمّ، مدرسةٌ رائدة في أرجنتوي (فال - دواز)، تستقبل التلاميذ منذ عمر السنتين وتقدّم للآباء نصائح تربوية في المنزل. ونجد أيضاً، في بعض المدارس الابتدائية صفوفاً للمصابين بقصور السمع المتوسط أو الخفيف. وأنشئت للصغار جداً بعض الصفوف المتخصّصة في دور الحضانة. وبمتناول الأطفال مكبرّ صوت (أو هزّاز يجعلهم يحسّون لمسياً بالنبضات الإيقاعية للمقاطع) وميكروفون، يمكنهم بواسطتهما إدراك أصواتهم الخاصة. وأُنشئت خارج فرنسة أيضاً دور حضانة ورياض أطفال للصمّ وضعيفي السمع. ففي موسكو، على سبيل المثال، كان بعضهم قد أحصى في بداية السبعينات إحدى وعشرين روضة ومئتي جماعة خاصة (الحدّ الاقصى للجماعة الواحدة اثنا عشر طفلاً) تعمل قرب منشآت عادية. فتعليم الأصمّ أن يتكلّم مهمة عسيرة تحتاج نَفَساً طويلاً، وبخاصة إذا قمنا به في زمن متأخّر. وعلى الطفل أن يكتشف ماهو طبيعي

تماماً: واقع عالم الصوت. ولذلك نجعله يدرك بأصابعه الاهتزازات التي يُحدثها البيانو واهتزازات الصوت، المحسوسة على مستوى الحنجرة، والصدر وفتحتي الأنف، ونُظهر له صورتها على شاشة مكشاف ذبذبة؛ ونجعله يحسّ على يده بالنَفَس الفموي ويقدّر اتجاهه وشدّته. وسيلاحظ على وجهه ووجه الأستاذ، بواسطة مرآة، أوضاع الشفتين وحركاتهما، واللسان وقبّة الحنك. ثم سيتعلّم أن يراقب حباله الصوتية، وأن يلفظ التصويتات الأولى، ثم، بالتدريج، ينطق الكلمات، ويركّب جملاً قصيرة، شائعة في الحياة اليومية، وبالتالي يمكنها أن تُستخدم استخداماً متواتراً وأن تكون سهلة الحفظ. والطفل الأصمّ الذي يُربّى على هذا النحو، منذ أصغر عمره، يمكنه أن يحقّق تقدّماً كبيراً؛ ولكننا ينبغي أن نعلم أن هذا التقدّم بطيء جداً وأن الطفل لن يتوصلّ إلى اللغة في الحقيقة إلا متأخراً جداً.
(انظر في هذا المعجم: **الحُبسة، الضجة، اللغة، الكلام**).

N.S.

الصَمَم البَكَم

F: Surdi - mutité

En: Deaf - mutism

D: Taubstummheit, Hörstummheit

حالة شخص لا يسمع ولا يتكلّم.

غياب اللغة في الصمم البكم عاقبة مباشرة للحرمان الجبلّي أو المبكّر من السمع. ولهذا الغياب أصل آخر. والصمم الثنائي الجانب، الذي يجعل الطفل يحيا في عالم لا صوت فيه، أمر نادر. وسيكون الصمم إما وراثياً، مرتبطاً بمورّثة متنحّية، بنسبة تختلف من 45 إلى 60 بالمئة من الحالات في رأي بعض المؤلفين، وإما ناجماً عن إصابة جبلّية أو بعد الولادة في الأذن الداخلية أو الدروب السمعية العصبية. والطفل الصغير الأصمّ لا يتميّز من الطفل السويّ، ذلك أنهما، كلاهما، يتمرّنان على إصدار الأصوات ويناغيان بدءاً من الشهر الثالث أو الرابع. ولا يظهر أي فارق إلا نحو الشهر التاسع من العمر: بينما يتهيّأ أحدهما بفاعلية للكلام مكرّراً رنّات الأصوات المسموعة (مصاداة لفظية حسب قول جِسْبِرْسون)، يصبح الآخر صامتاً أكثر فأكثر. ولا يتساءل الوالدان مع ذلك عن العمل الوظائفي الجيّد، عمل السمع لطفلهم، إلا متأخراً جداً، عندما يصبح التأخر اللغوي بادياً للعيان. وهذا الوعي، متأخّر جداً ذلك أن الغياب المديد للتنبيهات السمعية أوجد لدى الطفل ما يشبه الفراغ الذهني كان ممكناً سدّه جزئياً لو أن الدروب الحسّية الأخرى (اللمسية، الشمّية، البصرية، الذوقية) كانت قد استُنفرت استنفاراً فعّالاً ولو أن محاولة الاستفادة القصوى من بقايا السمع، الموجودة دائماً على وجه التقريب، كانت قد

جرت. فالمخابر الحديثة الصوتية السمعية مجهّزة بأدوات تتيح تقييم هذه البقايا ويمكنها أن تدلّنا على الوسائل التقنية لاستخدام هذه البقايا. وينبغي لتقصّي منشأ الصمم أن يكون مبكّراً بقدر الإمكان، ذلك أن اللغة الأم يتعلّمها الطفل منذ الولادة، فمنذ الولادة يُلقى الوليد في مغطس من الكلمات. وهذا التقصّي يمكنه أن يحدث في دور التوليد بصورة نظامية، بعد ثمان وأربعين ساعة من ولادة الأطفال، إذ يُسمعونهم إشارة صوتية معيّنة. والعادة أن الوليد يستجيب بارتكاسات عضلية، حشوية أو سيكولوجية تتجلّى بتغيّر في حالته أو سلوكه. والطفل الصغير الذي يُرتاب في صممه سيخضع لفحوص سريرية وسمعية.

واللغة، التي تكوّن أساس الحياة الاجتماعية وأداة الفكر، هي من الأهمية الكبيرة بحيث نستخدم كل شيء لنحافظ عليها. وثمة مرحلة طبيعية حيث تُكتسب فيها. وينبغي لنا ألا نجازف بأن ندعها تمرّ دون أن نتدخّل. (انظر في هذا المعجم: **لغات الصمّ البكم الإشارية، اللغة، الكلام**).

N.S.

الصورة

F: Image

En: Image

D: Bild, Vorstellung

امتثال مستدخل لشيء غائب، مدرك سابقاً أو يبتكره الفكر.

تحتفظ الصورة، بالقياس على الفكرة المجرّدة على نحو أساسي، بجانب مشخّص يجعلها قريبة من الإحساسات. وعلى هذا النحو إنما يمكنني أن أقول، بصدد المشخّص الأخير الذي شهدته، إن الموسيقى والأوركسترا ماثلتان في ذاكرتي، وإنني «أرى» الموسيقيين الذين أسمع «سمفونيتهم» التي يعزفونها. فالصورة البصرية، السمعية، الذوقية أو اللمسية، يمكنها أن تبلغ درجة من الوضوح المذهل. وليس لهذا الامتثال الناشئ من الفاعلية الفكرية التلقائية، مع ذلك، سمة الواقع الحالي للإدراك ولا يصلح للملاحظة: «حاول إحصاء أعمدة البونتيّون، لأنك تتخيّلها تخيلاً كاملاً جداً!»، يقول ألان (1868 - 1951) لواحد من أصدقائه. فالصورة لا يمكنها أن تحلّ محلّ الشيء، وليست حتى انعكاسه، ولكنها الوهم على الأكثر، ورسمه غير الواضح، ومحاكاته القريبة منه. إنها، بوصفها امتثالاً مبسّطاً للشيء، تشبه الرمز.

والصورة يمكنها أن تكون «ناسخة» (عندما تحاكي شيئاً معروفاً من قبل)، أو «أصيلة» (أعدّها الفرد انطلاقاً من ذكرياته الشخصية، كما في الحلم) أو «استباقية» (ترجع إلى وقائع غير مدركة أبداً). والمثال على صورة استباقية يمكن أن يقدّمه

العمل التالي: طيّ ورقة مستطيلة الشكل في نصفها ثلاث مرات متتالية، وتخيّل الرسم الذي تتركه الورقة المفتوحة، بعد أن تقطع الطيّات في نقطة اتّصالها. فالراشد قادر بصورة عامة على أن يتصور تغيّرات الشيء المعنيّ وأن يصرّح أنه سيكون ثمة نافذتان على شكل معيّنات أو مربّعات.

وكانت النظريات الترابطية تجعل من الصورة **أثراً راسباً** للإحساس، والفكر «مزرعة صور»، وفق مصطلح تين. ويعتبر بعض المؤلفين بدورهم، كلارك ليونار هول (1884– 1952) وجون برودوس واطسون (1878 – 1958)، أن الصور آثار دماغية تلي الإدراكات، مرتبطة فيما بينها بصلات متعدّدة استقرّت خلال الحياة. وكان س. فرويد يستخدم، من جهته، مصطلح «الآثار التذكريّة» ليدلّ على الأسلوب التي تنطبع به الأحداث في الحياة النفسية. ومن المسلّم به على وجه العموم أن للجملة العصبية خاصّتين أساسيتين: **الارتكاسية**، أي القدرة على الاستجابة لتنبيه الأجهزة المستقبلة؛ **المرونة**، التي تتيح لها أن تعدّل خصائصها الارتكاسية في أعقاب فاعليات متتالية. وتتيح هاتان الميّزتان أن نشرح ظاهرات مختلفة اختلاف ظهور **الصور المتتالية** أو الصور المتكرّرة»، وتكوين المنعكسات الشرطية (وعلى وجه أخصّ، «استجابات شرطية للأثر» التي تظهر بعد بعض من انقطاع المنبّه الشرطي)، وظاهرات التعلّم، إلخ. وكل إعلام متلقّى، سواء أكان انطباعاً حسّياً أم وضعاً معيشاً، يترك في الذاكرة أثراً عابراً تارةً ومن طبيعية حيوية كهربائية، وطوراً أثراً دائماً ذا حامل حيوي كيميائي. فاستحضار الذكريات الإرادي، والتنبيه الكهربائي للدماغ (و. ج. بنْفيلد، 1960) أو إثارة المستقبلات الحسّية، تكفي لبعث ذكريات قديمة. وأثبتت أعمال علماء النفس الفيزيولوجيين أن تنبيه الفصّ الصدغي يُنعش الذكريات التي كان كثير منها منسيّاً. ومن المعلوم أيضاً أن الأباتر يمكنهم أن يشعروا بإحساسات كالتنميلات أو الآلام في العضو المقطوع: فصورة جسمهم، المعدّة انطلاقاً من المعلومات المخزونة في الدماغ منذ بداية حياتهم، تقاوم مورفولوجيتهم (تشكّلهم). وليست الصورة العقلية ممكنة التماثل

مع دوام إحساس، يصيبه الضعف، كما كان يعتقد إدوار برادفورد تتْشينر (1867-1927). إنها «فعل»، يقول جان بول سارتر، بناء جديد فاعلَ نقطةُ انطلاقه، أقلّه بالنسبة للصورة الناسخة، هي المحاكاة (المحاكاة المستدخلة والمرجأة، على نحو أدق)، يوضّح جان بياجه. ويذكر جان بياجه، دعماً لهذه القضية، عدة تجارب أجراها عدّة مؤلفين: 1) لاحظ هنري غاستو عام 1954 (المولود عام 1915)، في التصوير الدماغي الكهربائي، ظهور الموجات الدماغية نفسها، (موجات بيتا) خلال التصوّر العقلي لانثناء اليد وخلال تنفيذ هذه الحركة؛ 2)وبرهن عام 1948 أندره ري (1906-1966) على أن من المتعذّر على فرد أن لا يتصوّر حركة السبابة وهي ترسم شكلاً من الأشكال إذا كانت هذه الإصبع مشغولة بانثناء إيقاعي بسيط»؛ 3)وبيّن شيفّيرلي عام 1953، بتسجيل الحركات البصرية، أن هذه الحركات تكون متطابقة عندما يصف فرد من الأفراد شيئاً وعندما يتخيّله، (كما لو أنه كان يتابع محيطه ذهنياً). وكل هذه الوقائع، بالنسبة لبياجه، براهين على وجود علاقة وثيقة بين الصورة والمحاكاة المستدخلة. فالصورة أداة معرفة. ودورها في تصرّف الطفل، خلال السنة الأولى، معدوم لأن وجود تصوّر للأشياء في هذا العمر، على الأرجح، معدوم، وثمة فقط حالات انفعالية حيث تمتزج الرغبات، والإشباع، والنفور، والأشياء التي يشتهيها امتزاجاً غير واضح. ولا تبدأ الصور في التكوّن إلا في أواسط السنة الثانية من العمر، يذكر بياجه، ذلك أن في هذه المرحلة إنما تولد الوظيفة الرمزية (أو «وظيفة العلامة»)، وظيفة هي القدرة على استخدام العلامات أو الرموز لاستحضار شيء غائب. (انظر في هذا المعجم: **الترابط**، **التكثيف**، **الإرصان [الإعداد]**، **العضو الشبح**، **الهلوسة**، **تخيّلات النعاس**، **الاستعارة**، **الصورة المتكرّرة**).

N.S.

صورة الجسم

F: Image du Corps

En: Bodg image

D: Körperbild

امتثال الذات، حيث يسود الجانب النفسي الوجداني.

هذا المصطلح يُستخدم على الغالب مرادفاً لـ **المخطّط الجسمي**، ولكن مصطلح المخطط الجسمي ذو وضعة، مرئي، ملموس، وينبغي ألا نستعمل هذا المصطلح إلا للدلالة على الجانب الوظيفي والعصبي للجسم. ونحتفظ من جهتنا بمفهوم صورة الجسم للسجلّ الرمزي ونعتبره وظيفة رامزة. واستطعنا أن نوضّح منذ عام 1956، في أعمالنا، واقعاً فريداً لدى الذهانيين وبعض المرضى الذين يعانون اضطرابات نفسية جسمية: ضروباً من التدمير في صورة الجسم تقابل ضروباً من الخلل خاصّة في البنية الأسرية لهؤلاء المرضى. وفي رأينا أن صورة الجسم تتحدّد بوظيفتين رامزتين أساسيتين: الأولى تتيح التعرّف على وجود صلة دينامية بين كل جزء من الجسم وهذا الجسم، منظور إليه في كليته؛ وتتيح الوظيفة الثانية أن ندرك المحتوى، ما وراء الشكل، وندرك معنى هذه الصلة الدينامية نفسه. وتنشد هاتان الوظيفتان الرامزتان «قاعدة تبادل»، قانوناً محايثاً للجسم، تقدّمه الصورة الجسمية بصورة ضمنية. والوظيفة الأولى الرامزة لصورة الجسم خاصّة على سبيل الحصر ببنيته المكانية من حيث هو شكل أو **غشطالت**. مثال ذلك أن مريضاً نطلب إليه أن يصنع تمثال رجل من عجينة يكيّفها، أو من الصلصال، يمكنه أن ينسى عضواً. فاذا تعرّف بسهولة هذا النسيان، فإنه قد يكون على الأرجح عصابياً يبدو اضطرابه في تاريخه

الشخصي. وإذا لم يتعرّف هذا النقص، فربما يكون شخصاً مصاباً بخَلَل عميق، سيكون العلاج النفسي له عبثاً. ويتيح لنا الجسم المدرك بوصفه شكلاً أن نميّز الانفصال الفصامي وذهاناً مزمناً غير فصامي، على سبيل المثال. فكل جزء من الجسم، بالنسبة للفصامي، هو الجسم برمّته. وظاهرة انزياح أعضاء الجسم لم تعد إذن موجودة بوصفها كذلك، وصورة الكلية الجسمية مدمَّرة هي ذاتها. ونحن نتكلّم في هذه الحالة على جسم «متفكّك» للدلالة على أن إمكان تنظيمٍ لصورة الجسم لم يعد، حتى هذا الإمكان، موجوداً. فالفصامي يعيش في عالم من الحطام، ولكنه لا يشعر أنه حطام.

والوظيفة الثانية الرامزة، وظيفة صورة الجسم، ليست خاصّة بشكله بل بمحتواه، بمعناه. وإليكم المثال التالي: كانت مريضة مصابة بالهذيان المزمن تتكلّم على حملْ مركزه الوجه (جـ. بانكو، 1957). وكانت تتعرّف شكل البطن، ولكنها لا تتعرف دلالته. فلو أن المسألة كانت مسألة عصاب، لأمكننا أن نفهم بأية آلية نفسية لم يكن بالإمكان تحديد موضع الحمْل بصورة سويّة. ولكن إنكار الجزء الأسفل من الجسم كان يجعل تحليل هذا الواقع أمراً متعذّراً.

وصورة الجسم يمكنها ألا تُستخدم مرجعاً لوضع تشخيص الطب النفسي فحسب، بل تُستخدم أيضاً مرجعاً للعلاج النفسي، علاج العصابيين والذهانيين، إذ تُستخدم هذه الصورة الجسمية نموذج ديالكتيك بين الأجزاء والكل. (انظر في هذا المعجم: **المخطط الجسمي، الفصام**).

G.P.

الصورة الذهنية المثالية

F: Imago

En: Imago

D: Imago

نمط لاشعوري من الشخوص جرى إعداده خلال الطفولة الأولى، والفرد يدرك الغير من خلاله.

كان غوستاف يونغ قد أدخل (1912) مصطلح **الصورة الذهنية المثالية** للدلالة على امتثالات لا شعورية لشخوص أسرية (أم، أب، أخ. . .)، امتثالات تحمل شحنة وجدانية قوية. و **الصورة الذهنية المثالية**، المقترنة بالتجارب الأولية، بالإحباطات والإشباعات الطفلية، لا تعكس الواقعي بل ذاتية الفرد. وعلى هذا النحو إنما يمكن أن تكون **الصورة الذهنية المثالية** لأم طيّبة مقابلة لأم قاسية وعدوانية، وأن تكون **الصورة الذهنية المثالية** لأب مرعب ذات علاقة بأب واقعي لطيف ورزين. وتعمل **الصورة الذهنية المثالية** بوصفها مخططاً أولياً متخيّلاً، موشوراً مشوّهاً ندرك الغير من خلاله. إنها تسم بميسمها علاقاتنا بين الشخصية، توجّه تعاطفاتنا وتوقّعاتنا، وتحكم نفورنا وكرهنا. (انظر في هذا المعجم: **التجاذب بين الشخصي، العقدة، المخطط الأولي**).

N.S.

الصورة الفعّالة

F: Image opérative

En: Operative image

D: Operatives nachbil

صورة شيء تكوّنت في ذهن شخص خلال تهيئة أو تنفيذ عمل على الشيء أو مع الشيء وتكون مناسبة لهدف هذا العمل.

المقصود بالصورة، والحالة هذه، كل «انعكاس نفسي» (كل امتثال ذهني) لموضوع، وهذا الموضوع يمكنه أن يكون شيئاً أو سيرورة على حدّ سواء. ونظرية الصورة الفعّالة ناجمة عن دراسة مخطّطات تذكّرية أو تمثيلات تخطيطية لأشياء تقنية موجّهة عن بعد. والفاعل، المنفصل عن الشيء انفصالاً مكانياً، وبالتالي عاجز عن مراقبة مباشرة، مرغم، حتى يكون قادراً على إنجاز مهمّته، على أن «يتفكّر» الشيء، أي أن يكون ماثلاً في ذهنه على شكل صورة. ومثل هذه الصورة الفعّالة تظلّ، على خلاف الصور **المعرفية**التي تُستخدم استخداماً أساسياً في **جعل**الأشياء **معروفة**، ذات ارتباط بالعمل لا ينفصم وتنجز فيه ضرباً من وظيفة **الضبط**. وضرورة الرجوع باستمرار إلى الصورة الذهنية للشيء المراقب تقتضي من الفاعل جهداً كبيراً، جهد الاستحضار، والتمثّل والتخيّل. ومن المفترض أن التخطيطية التذكّرية تسهّل هذا الجهد، إذ تقوم مقام السند الحسّي بالنسبة له. والحال أن من الواضح أن التخطيطية لا يمكنها أن تكون ناجعة إلا بمقدار ما تكون ذات علاقة بصورة فعّالة، ببنيتها ومحتواها على السواء. فمحتوى الصورة الفعّالة تابع على وجه الدقّة لهدف العمل. وإذ يمنح هذا الهدف بعضَ خصائص الشيء وضعَ

القيم أو **الجاذبيات**، فان الصورة الفعّالة تبدو **انعكاساً تفضيلياً** إن لم يكن انعكاساً حصرياً لهذه الجاذبيات. ويقابل اصطفائية هذه الصورة الفعّالة **إيجازها**. فالصورة الفعّالة لا تحتوي، على عكس الصورة المعرفية، الغزيرة بالمعلومات دائماً بالقياس على مقتضيات العمل المباشرة، سوى المعلومات التي لا غنى عنها أو المفيدة افتراضياً، لتنفيذ العمل. إنها تكوّن، شأنها شأن كل صورة، مركّباً من المعلومات المنظّمة، ولكن المكان الذي تحتلّه هذه المعطيات أو تلك تابع أيضاً للأهمية النسبية لهذه المعطيات بالنسبة للعمل، وذلك أمر يحدّد البنية **التراتبية النوعية** للصورة. وتجد خصائص الشيء، ذات الدلالة بالنسبة للعمل على وجه الخصوص، في الصورة انعكاساً شاملاً. فالمعلومات ذات الأهمية الضئيلة ليست ماثلة فيها، على العكس، إلا بشكل مكثّف لمجموعات واسعة أو حتى رموز، صوىً موجزة ولكنها تصلح، عند الاقتضاء، لعروض لاحقة. ويقود التشديد، في الانعكاس، على المعطيات الأكثر دلالة على حساب الباقي من المعلومات الخاصة بموضوع العمل، إلى **التشوّه الوظيفي**، تشوّه هو سمة من السمات الأكثر استرعاء للانتباه في الصورة الفعّالة. وتتيح المبالغة في ذي الدلالة تجنّب كل ضرب من ضروب السهو، إذ تجعل العمل بفعل ذلك موضع ثقة كبرى. فالصورة الفعّالة، الخاطئة على الغالب من ناحية القياس، حقيقية جداً من الناحية الوظيفية. وبوصفها أبعد عن أن تكون تكراراً «تصويرياً» للشيء، فهي تدرك منه **موجزاً مغرضاً، قصدياً**.

وثمة تنوّع كبير من الصور الفعّالة. وهكذا نميّز الصور **الستاتيكية**، ذات العلاقة بالجوانب الثابتة من الأشياء، من الصور **الدينامية**، انعكاسات الأحداث. والمقصود في هذه الحالة إما إنتاج استباقي، في الزمن الذاتي، لدينامية السيرورات المراقَبة («أنماط مفهومية»)، وإما إضفاء المعيّة الذهني على المتعاقب (صور دينامية «آنية»). وتختلف الصور الفعّالة أيضاً وفق الدور المشخّص الذي تؤدّيه لمختلف أطوار المعالجة الإعلامية (البحث عن المعلومات وتحليلها؛ اتّخاذ قرارات، تنفيذ). وعلى هذا النحو ندرس الصور **الواردة** - انعكاسات متتالية لحالات يمرّ فيها شيء في سبيله إلى التغيّر - والصور **المكوّنة**، انعكاسات الأفعال التي تُحدث التغير هي

ذاتها، انعكاسات يتمّ التعبير عنها بخصائص الشيء البنيوية. ونميّز الصور الفعّالة أخيراً وفق **نوع الفاعلية** التي تتوسّطها هذه الصور: نماذج مختلفة من فاعلية العمل (بدءاً من المهمّات اليدوية حتى عمل العامل في المنظومات الحديثة «الإنسان - الآلة» و «الإنسان الآلي»)، وأشكال مختلفة من الفاعلية العلمية وطرائق مختلفة لها، وجوانب مختلفة من الإبداع والإدراك الفنيين، إلخ. وتتيح نظرية الصور الفعالة عدة تطبيقات عملية ذات علاقة بـ: 1) تنظيم مراكز العمل (تصوّر لوحات دليلية متمركزة على التصور الذهني للأشياء والسيرورات الموجّهة؛ تصوّر نماذج من مخطّطات تذكّرية في الاتجاه نفسه، إلخ)؛ 2) تكوين مهمّات (إعادة تبنين مهمّات تراعي البساطة، والدقّة، وكثافة الحضور للأنماط المفهومية المقابلة)؛ 3)تكوين عمّال (تنمية الفعّالية ومرونة السيرورات الإدراكية - التصورّية - التخيّلية وتنمية منهجية لدى عمال في خدمة العمل. فتحليل الصور الفعّالة ووظيفتها في التنظيم العقلي للفاعليات الإنسانية بانت مفيدة على نحو خاص لمختلف أشكال تكوين الأنماط والطرائق السيبرنْيطيقية.

D.O.

الصورة المعاوِدة

F: Image récurrente

En: After image

D: Nachbild

صورة تبدو أنها تنبعث مجدّداً بعد أن كان شيء شديد الإنارة قد نبّه العين.

يرى الفرد، بعد زوال المثير البصري، **صورة تالية** تظهر مجدّداً، تُسمّى «الصورة الأولية» أو «صورة هورنْغ»، لا تدوم إلا خمسة أجزاء من مئة من الثانية في الحدّ الأقصى؛ ثم تظهر صورة جديدة (بألوان إذا كان الشيء المثير ملوّناً)، ولكنها لا تدوم أكثر من جزأين من مئة من الثانية تقريباً؛ هذه الصورة الثانوية تُسمّى «صورة بوركنْج»؛ وأخيراً، تظهر، بعد فاصل زمني أطول، صورة ثالثة أو «صورة هيس»، التي تدوم خلال عدة ثوان. هذه الظاهرة من استمرار الإحساس ناجم عن خصائص النسيج العصبي، لا سيّما عن ارتكاسيته. (انظر في هذا المعجم: الصورة).

N.S.

الصوفي السحري

F: Mystique

En: Mystic, Mystical

D: Mystisch

صفة تحيل إلى عالم الصوفية السحرية أو الاتجاهات الفردية للصوفية السحرية.

كان لوسيان ليفي برول (1910 ، 1925) قد استخدم هذا المصطلح بمعنى تقني «نظراً لغياب المصطلح الأفضل، إشارة لا إلى الصوفية الدينية في مجتمعاتنا» ولكن بمعنى الاعتقاد «بقوى، بتأثيرات، بأعمال لا تدركها الحواس، وهي واقعية مع ذلك. . . ». واستخدم جـ. بروزيلوسكي (1940) هذا المصطلح أيضاً، في المنظور نفسه، للدلالة، بالتقابل مع الذهنيات المسمّاة «منطقية» (أي الذهنيات التي تستخدم ضروباً من المنطق ذي قيمتين من النموذج الأرسْطي)، على البنية النحوية للذهنيات «قبل المنطقية» (ليفي برول) حيث لا يكون **مبدأ الثالث المرفوع والهوية** محترمين أبداً، وحيث لا ينهج الفكر، في مساعيه للربط، بالاستبعاد والخيار الديالكتيكي (أفلاطون، أرسطو) بل بـ «المشاركة» أو «التماثل» (جـ. بروزيلوسكي): قضيتان متعاكستان، بل متناقضتان، يمكنهما، في هذه المنظورات، أن تُعتبرا حقيقيتين «في الوقت ذاته وفي العلاقة نفسها». واستأنف غ. دوران (1959) هذه الكلمة في التعبير التالي: «**البنيات الصوفية السحرية للمتخيّل**» للدلالة على زمرة البنيات المنتجة للصور ترتبط الصور فيها بإجراءات نوعية جداً من اللغو، واللزوجية، والتشبيك، إلخ.

والبنية الأولى للصوفية السحرية هي هذا المسعى الذي يسمّيه أطباء الطب النفسي وعلماء النفس «المضاعفة» أو «المواظبة» (إ. بوم، 1955)، والذي حدّد الأنتربولوجيون (كلود ليفي ستراوس، 1958) معالمه في سيرورة الخداع ودلّوا عليها بلفظة «لغو». وتكمن هذه البنية في مضاعفة صورة، على نحو مقولب قليلاً أو كثيراً، في مورفولوجيتها، أو في وظيفتها، أو في وضع محدّد. وتبين هذه البنية بالمثال بياناً كافياً في الصور التي تقدّمها «عقدة يونس» (ج. باشْلار، 1948)، حيث توجد مجموعة من التشبيكات: المحيط، والحوت، ويونس، إلخ.

والبنية الثانية من بُنى الصوفية السحرية، النتيجة الطبيعية للأولى، هي «اللزوجة» (إ. بوم، 1955؛ إ. مانكووسكي) التي تكمن في الالتصاق والخلْط. إنها نموذجية في السمة شبه الصرعية (هلوسة العملقة لإيريك سترومغرين، 1936، أو اللزوجة العقلية لفرنسواز منكوواسكا، 1946)، التي يتّصف فيها «كل شيء أنه يرتبط، ويختلط، ويلتصق». وهذه المصالحة المعمّمة المثالية تمنح الكلام المغاير (المستعمل بمعنى غير معناه الأصلي) والتهوين بنياتهما النحوية، كلاماً مغايراً وتهويناً تكون فيهما التباينات مُهتلَكة لصالح التشابهات، والنقاط المشتركة، والارتباطات.

وتبدو البنية الثالثة للصوفية السحرية أنها تكمن في الواقعية الحسّية، القريبة جداً من الاتّجاهات الذهنية التي وصفها وليم جيمس أو التي وصفها مصطلح **التقمّص الوجداني** لدى ك. ورُنْجر (1948)، واقعية حسّية تظهر ظهوراً جليّاً في النموذج شبه الصرعي - الحسّي، الذي يقابله منكووسكي (1946) بالنموذج «شبه الفصامي - العقلاني». وتتميّز الواقعية الحسّية بالتشديد على الحركة، والاتّجاه، واللون المحلّي؛ فالوصف والحدْس يتغلّبان على البنية النحوية والجهاز المنطقي.

والبنية الرابعة، المرْتبطة بالبنيات السابقة، تكمن في هذا «الوضع بحجم صغير»، العملية التي وصفها ج. باشلار (1942) وأوضحها تجريبياً إيف دوران (1963). إنه الميل إلى التفصيل، والدقّة، والإفراط في التدقيق، التي حدّد علماء

النفس معالمها (إ. بوم، 1955، إ. سترومْغرين، 1963). وينزع هذا التصميم بحجم صغير إلى أن يقلّل من خطورة السمات المرعبة، المثيرة للحصر، سمات المصْوَرة (إي. دوران، بالصرع (ف. منْكوواسْكا، 1943، 1946) والكحولي (إي. دوران و جـ، مورينون، 1972). وهذه البنية تظهر، في العالم الأسطوري، بالقصص الأسطورية التي تمجّد «قوة الزهيد» (كلود ليفي ستراوس، 1962).

والمحتويات المتخيّلة التي تشخّص هذه الرسوم الأوّلية البنيوية «الصوفية السحرية» هي محتويات الحاويات قبل كل شيء: البيت، القبر، الكوب، الكيْل، الإناء، القِدْر، الكهف، القارب، وكل صورة ذات علاقة بالنماذج البدئية للأم، وبطن الأم، والبطن الجنسي أو الهضمي (جـ. باشْلار)، والأم الأرض كما الماء البدئي. وتقدّم عملية «الوضع بحجم صغير»، الملازمة لهذه البنيات، صور البيضة، والقوقعة، وتقدّم، بفعل قلْب تتيحه البنية النحوية لـ «الصوفية السحرية»، مبدأ اللاانقطاع، والمشاركة، ويحدث انزلاق من الحاوي (القشرات، الجلود الحامية) إلى المحتويات المعلّبة: لوز، حليب، عسل، براز، كنز وذهب. فرموز القلْب، والنفي المضاعف، تنوب إذن مناب رموز الصميمية في العمل الوظائفي لمنظومات الصور ذات البنية الصوفية السحرية. (انظر في هذا المعجم: **اللزوجة العقلية، التشخيص النفسي لرورشاخ**).

G.D.

حــرف
الضــاد

الضجّة

F: Bruit

En: Noise

D: Geraüsch, Lärme

صوت معقّد تُحدثه اهتزازات شتّى وغير منتظمة يتنضّد بعضها على بعض؛ إنها، على نحو أخصّ، صوت غير ملائم يُحدث إزعاجاً وضيقاً. وهي، بالقياس، كل تشويش يؤدي إلى إضطراب في تسجيل إعلام أو استقباله (مثال ذلك الضجة التي يحدثها انزياح المساري الكهربائية على جلد فرد في أعقاب حركات ينفّذها).

طبطبة الأمواج، طبطبة المياه السريعة لسيل جارف، صرير الزيز وطنابر الشوارع، فرقعات الدرّاجات النارية، الضربات المضغوطة لمطرقة ضغط، كل منها ضجة مختلفة، ويبدو أن المجتمع الصناعي يؤثر الضجة. فهناك ضجات الحياة المهنية (صناعة الأدوات النحاسية، والصفائح، والحديد. . .)، والسير (الدراجات النارية، سيارات الشحن، الطائرات)، والحياة المنزلية (أجهزة كهربائية منزلية، قرع الأجراس، المذياع، التلفاز. . .)، والجوار، ضجات تضاف إليها موسيقى «البوب» [PoP] والموسيقي التشخيصية. ولايتردّد بعض المؤلفين الموسيقيين، مثل لويجي روسّولو (1921)، جـ. أنتيل (1925)، إدغار فاريز (1921)، إذ يريدون أن يدمجوا في الموسيقى «أصوات الأشياء»، في أن يمزجوا ضجة زمامير السيارات، والسندان أو المناشير الدائرية، بالأصوات الأكثر تناغماً.

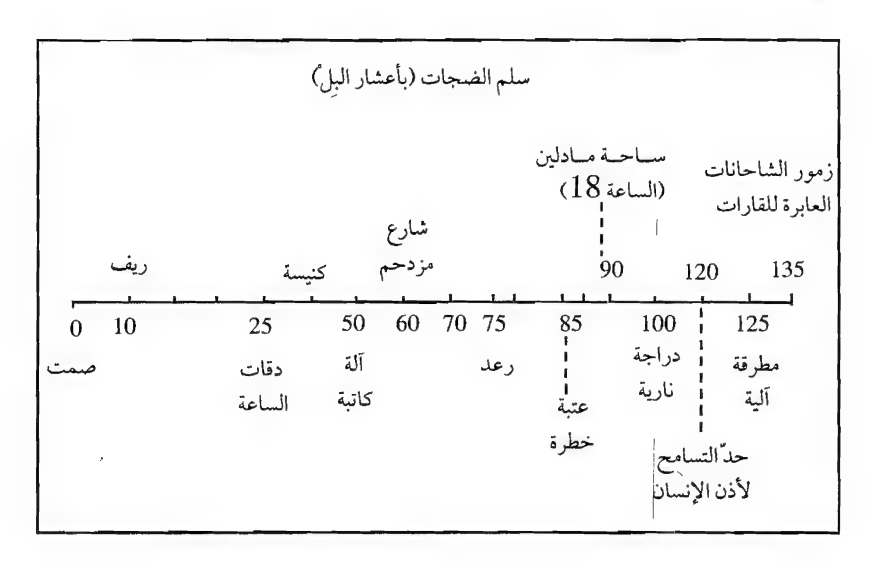
وتختلف الحساسية للضجة باختلاف الأفراد؛ فبكاء طفل صغير، بالنسبة لفرد من الأفراد، ضجة لاموسيقى البوب؛ والضرب على آلة كاتبة، بالنسبة لفرد آخر، ضجة لاضوضاء دراجة نارية. وهذا الفرد يهرب من المدينة لأنها صاخبة جداً، وذاك يجد الريف هادئاً جداً. ولاتلقي وجهة النظر الذاتية، والاستقصاءات السيكولوجية السوسيولوجية، ضوءاً على الضجّة. وقامت تجارب عديدة، لتقييم مفعولاتها، منذ عقود من السنين، ومن المعلوم من الآن فصاعداً أن الضجة تصبح، انطلاقاً من ضرب من الشدّة الصوتية، عاملاً كارباً، و مفعولاته محسوسة في الأذن الداخلية، والدماغ والجسم برمته. وقد يموت خنزير الهند المعرّض إلى ضجة محرك طائرة نفاث في أقل من عشر دقائق. وتؤذي الضجات لدى الإنسان، وبخاصة عندما تكون حادة، نهايات العصب السمعي، وذلك أمر يشرح أن العديدين من صانعي الأدوات النحاسية يرون أن حدّة السمع لديهم تنقص إلى النصف بعد 10 سنوات وإلى 80 بالمئة بعد عشرين سنة. وبرهن الدكتور فورستر كينيدي، من مشفى بيليفو في نيويورك، برهاناً تجريبياً، أن الضجة تزيد الضغط الدماغي، ومجرد انفجار كيس ورقي منتفخ بالهواء يسبب ضغطاً داخل الجمجمة لمدة سبع ثوان. وبيّنت أعمال أخرى أن الضجة تفضي إلى اضطرابات عصبية نباتية، غدّية وعصبية (سرعة الغضب، اضطرابات في الطبع، اكتئابات)؛ إنها تزرع الاضطراب في النوم وقد تكون أحدأسباب الضغط الشرياني، وأمراض قلبيةوقرحة المعدة (تريموليير). والضجة تمنع، على المستوى الفكري، تركيز الانتباه، بل يمكنها أن تزرع الاضطراب في الاستدلال، وهي سبب من أسباب التعب، ذلك أن على المرء، في جو صاخب، أن يبذل جهداً كبيراً لينال المردود نفسه. ولوحظ لدى مستخدمي مكتب خاضعين لضجّات متقطّعة، 37 بالمئة من الأخطاء أكثر من المعتاد. وسُجّل انخفاض في الأخطاء قدره 29 بالمئة وزيادة في المردود بلغت 9 بالمئة، على العكس، عندما نقص المستوى الصوتي في مكتب من المكاتب مقدار الخمس. وينقص المردود، حتى لدى العمال اليدويين، تحت تأثير الضجة (بمقدار الثلث بعد أربع ساعات من العمل، في ورشة، حيث تعمل مطرقة آلية).

والضجات غير المنتظمة، المتقطّعة، الحادة، العنيفة، العسير تحديد موضعها، ودون دلالة مباشرة، هي الأكثر ضرراً. إنها تُحدث حالات من النَهَك الجسمي، والملل والحزن (ج. فريدمان). ومنذ مرسوم 10 نيسان (أبريل) 1963، يُعترف في فرنسا أن الضجة سبب من أسباب الأمراض المهنية التي لايقابلها تعويض. ويقدّر بعضهم أن الضجة تصبح، انطلاقاً من 85 عشر من البِلْ (وحدة قياس شدة الصوت)، محفوفة بالخطر، ولكن تصاعدها يتلاحق على الرغم من التحذيرات. وكان سبرٌ في باريس، أُجري عام 1971، قد أعطى النتائج التالية: 42 عشر من البِلْ داخل كنيسة سيدة باريس و 62 حولها، 85 في ضواحي سانت أونوره وشارع الأوبرا، 89 في قوس النصر وفي ساحة كونكورد.

ولاحظ د. ر. هانسون، ر. و. فيرن (1975)، بعد أن فحصا 505 طلاب من الجنسين، أن كل أولئك الذين كانوا قد صرّحوا أنهم يثابرون على ارتياد المنشآت التي تُعزف فيها موسيقى «البوب» ويقع المستوى الصوتي فيها بين 90 و118 عشراً من البِلْ، كانوا يتصفون بانخفاض محسوس في حدّة السمع. وقارن، من جهة أخرى، اثنان من الأطباء النفسيين الألمان، م. ل. فوهرمستر، إ. ويزنهوتر (1974)، ثلاث جماعات من الموسيقيين (مجموعهم 208)، ينتمون إلى ثلاث فرق موسيقية مختلفة. وكانت الجماعة الأولى متخصّصة بالموسيقى الألكترونية، وكانت الثانية تخصص لها ثلث فاعليتها، ولم تكن الجماعة الثالثة تعزفها قط. ووُجد في الجماعة الأولى أن 45 بالمئة من الموسيقيين يعانون أمراضاً قلبية وعائية حديثة، 32 بالمئة مصابون بمرض هضمي، و32 بالمئة مصابون بأمراض نفسية (أرق، أوجاع رأس، إلخ.). أما في الجماعة الثالثة، فقد كانت النسبة على التوالي: 32 بالمئة، 10 بالمئة، 0 بالمئة.

وأصبحت الضجة، بمفعولاتها على الأفراد وانعكاساتها الاجتماعية، آفة حقيقية تكلّف الأمة مبالغ تعادل ماتكلف كل الأمراض الاجتماعية مجتمعة. ولهذا السبب، ينبغي مكافحة هذه الكارثة كلما كان ذلك ممكناً، إذ تُعزل الآلات

(مثال ذلك تركيبها على قواعد أو مخمدات الصوت)، وتُبنى البنايات العالية، وتُجهّز البنايات بمواد عازلة للصوت، وتتكاثر «المساحات الخضراء» في المدن، ويوضع تشريع فعّال (انظر في هذا المعجم: **الجو المحيط**، **سيكولوجيا الفن الحديث**، **البيئة**).



N.S.

ضد الطب النفسي

F: Antipsychiatrie

En: Anti-psychiatry

D: Antipsychiatrie

حركة فلسفية وطبية تنتقد التصور الغربي للجنون ودور الأطباء النفسيين في مجتمعنا.

هذه الحركة، ضد الطب النفسي، نشأت في الستينيات من هذا القرن عندما كان الناس قد اطلعوا على أفكار غريغوري باتوسون (1904-1980) عن المصدر النفسي الأسري للفصام، وأفكار ميشيل فوكو (المولود عام 1926)عن الجنون، وأفكار هربارت ماركوز (1898-1979) عن مجتمع الوفرة، الذي ينشد إخضاع الفرد وسدّ السبل على كل ماهو انفجاري، وثوري، ومعاد للمجتمع، في اللاشعور. وقضية المعادين للطب النفسي تكمن في أن المرض العقلي (ولاسيّما الفصام) ليس في حقيقة الأمر مرضاً، بوصفه لاأسباب له سوى الأسباب النفسية الاجتماعية. فـ«المجانين» هم في الواقع «غير - امتثاليين»، منحرفون بالنسبة لمعايير قائمة، وإدخالهم المشافي ليس له هدف آخر سوى إرغامهم على قبول ضربٍ من النظام الاجتماعي. والفصامي، على سبيل المثال، سجين عقدة من التناقضات: إنه لايريد أن يتخلّى عن غناه الشخصي إذ يستسلم لأمنيات أمه ولا أن يفقد حبّها إذ يعاكسها. فالجنون وسيلته لرفض المشدّ المشوّه الذي كانوا يريدون أن يفرضوه عليه؛ إنه ذو علاقة بالنكوص إلى الطفولة الأولى وبمحاولة تبتغي أن تجد الغبطة قبل الولادية من جديد. فلا ينبغي لنا إذن أن نعوق في هذا «السفر» باستخدام المسكّنات

أو علاجات أخرى، ولكن علينا أن ندعه يمضي حتى نهاية جنونه الذي سيعود منه على نحو طبيعي، وهو أمر يحدث بسهولة بقدر مالانكون قد فعلنا شيئاً لمعاكسته، وبقدر ماسيشعر أنه مفهوم ومدعوم خلال هذه المرحلة الانتقالية. ويبنغي لمشفى الطب النفسي، في هذا المنظور، أن يصبح مكان حفاوة، وملجأ يُستبعد فيه كل عنف، بما في ذلك قسر الانضباط البسيط. والتجربة الأولى حاولها، عام1962، الطبيب الانغليزي دافيد كوبر، في الجناح 21 من مشفى الطب النفسي في لندن. وكان عليه، أمام عداوة الممرّضين، أن يوقف التجربة عام 1966. وثمة **متحدات علاجية** أخرى، حيث يختلط المرضى والمستخدمون الذين يُعنون بهم، ويجتمعون، ويناقشون مناقشة حرة، ويحللون الأحداث اليومية لمتحدهم، كان دافيد كوبر، رونالد لانغ (مولود عام 1927)، أ. إسترسون، ر. ريدلر، قد أسسوها في ضواحي لندن ومانشيستر، وأسّسها في غوريزيا (إيطالية) فرانكو بازاغليا، وأسّستها في فرنسة مود مانّوني، إلخ. وإعلان تقرير عن قاعة كينغسلي (لندن) سبب حروب كلامية واتخاذ مواقف انفعالية، ذلك أن كل المؤسسات الاجتماعية ولاسيما الأسرة والمدرسة، إذا تجاوزنا علاج المصابين بالأمراض العقلية، موضوعة موضع الاتهام. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **الفرويدية الماركسية**، **الوراثة**، **التوأم**، **الصلة المزدوجة**، **الوسط**، **الطب النفسي الاجتماعي**، **النزعة السيكولوجية**، **الفصام**).

N.S.

الضعف العقلي **F: Débilité mentale**

En: Feeble - mindedness, Mental deficiency

D: Gestess chwäche, Schwachsinn

حالة دائمة لارجعة فيها، جبلّية أو مبكّرة، من القصور العقلي، تسبّب ضرباً من العجز الاجتماعي.

مفهوم الضعف العقلي ذو علاقة بالمقتضيات الاجتماعية التي تختلف، هي ذاتها، من حضارة إلى أخرى، ومن جماعة إلى أخرى، ومن عمر إلى آخر. وفي مجتمعنا، حيث المدرسة تكشف (وتعمّم على الغالب أيضاً) صعوبات الطفل السيكولوجية، ميل إلى اعتبار التلميذ، الذي يجدّ ولايفلح في متابعة الإيقاع السويّ لصفه، محروماً من الوسائل العقلية. بل قد يحدث، في بعض الأوساط، أن يُطلق على من لايحصل إلا على نتائج متواضعة حكم بأنه «ضعيف عقلياً». وعلى خلاف مايُمارس في بلدان أخرى (الاتحاد السوفييتي على سبيل المثال)، يستخدم الفرنسيون مصطلح الضعف العقلي بدءاً من مستوى معيّن من الإخفاق بالقياس على تحصيل إجمالي، إذ يطلقون حكماً قبْلياً، إذا جاز القول، على سبب هذا النجاح الرديء. ويتجنّب السوفييت هذا الخطأ، إذ يسمّون «متخلّفاً» من كان متأخراً في نموّه ومكتسباته، ويحتفظون بالوصف «ضعيف عقلياً» لأولئك الذين يُبدون، دون شك ممكن، ضعفاً عقلياً خلْقياً. فتشخيص الضعف العقلي شائك إلى حدّ يصعب وصفه. إن بعض الأفراد الطيّعين، ذوي التربية الجيدة، الذين نمّوا ذاكرتهم ويملكون سهولة لفظية كبيرة، يمكنهم أن يضلّلوا الملاحظ بمعلوماتهم العامة الواسعة؛ ولكنهم يتصرّفون، في الحياة الاجتماعية والأوضاع العملية، تصرّف

الحمقى: إنهم، ذوو «ضعف عقلي» مموّه. ويوجد، بالمقابل، أشخاص آخرون، مغمورون، خجولون، باهتون، لدى المرء ميل إلى أن يعتبرهم من الضعفاء عقلياً في حين أنهم ليسوا كذلك. وربما يكون مظهرهم ناجماً عن كفّ عصابي (عاطفة الدونية على سبيل المثال)، عن صعوبة التعبير اللفظي، عن عاهة حسّية (صمم جزئي، غَمَش)، عن نقص ثقافي ناجم عن الوسط القاصر الذي ترعرعوا فيه. والمقصود هنا «مصابون بالضعف العقلي مزعومون» يمكن أن يغيّرهم كلياً علاجٌ نفسي وإعادة تربية مناسبة. فطريقة الروائز أمر لاغنى عنه في كل هذه الحالات لتأسيس تشخيص دقيق. وهي أمر لاغنى عنه لأنها تتيح، فضلاً عن أنها تقدّم اختبارات معيّرة ومتدرّجة، تحديد الضعف العقلي إحصائياً بالإحالة إلى متوسّط السكان العام: إن الضعف العقلي يقابل أدنى قليلاً من ضعفي الانحراف المعياري تحت هذا المتوسط. ونحن نتذكّر أن العلامات تتوزّع، في توزيع طبيعي، على نحو متناظر حول المتوسط، بحيث نحصل على منحنى على شكل جرس (جرس لأبلاس- غوس). ونعلم أيضاً أن نسبة 68,2 بالمئة من السكان مندرجة بين -1 و +1 انحراف معياري (**أو سيغما**) ونسبة 95,4 بالمئة من السكان بين -2 و + 2 **سيغما**. فالمصاب بالضعف العقلي يقع إذن في المنطقةمن المنحنى التي تشمل النسبة 2,3 بالمئة الدنيا من السكان كلهم. ونميّز داخل الضعف العقلي أربعة مستويات: 1) **العُته** أو **التخلف العميق** (حاصل ذكاء أدنى من 30)، 2) **البَلَه** أو **الضعف العقلي العميق** (حاصل ذكاء يقع بين 30 و50). ويبلغ المصابون بالضعف العقلي العميق مرحلة الكلام والنظافة. بل يتعلّمون القراءة أحياناً، ولكنهم لايفهمون مايقرأون. فهم عاجزون عن اكتساب اللغة المكتوبة ولايمكنهم أن ينجزوا سوى أعمال بسيطة، لاتقتضي انتباهاً كبيراً. 3) **الضعف العقلي المتوسط** (حاصل ذكاء يقع بين 50 و65. والمصابون بالضعف العقلي المتوسط يمكنهم، بعد تعلّم خاصّ، أن يبلغوا درجة معيّنة من الاستقلال الذاتي. إنهم يكوّنون الراق غير المستقرّ من العمّال ويحتاجون إلى عون سيكولوجي. ويتّصفون على الغالب بإعاقات حسّية كالوقْر في السمع (8بالمئة)، والقصور البصري (15 بالمئة)، 4) **الضعف العقلي الخفيف** (حاصل ذكاء

يقع بين 65 و80). وهذه الفئة الأخيرة هي الأكثر بعداً عن التجانس والأكثر اتّصافاً بأنها موضع تنازع، ذلك أنها تحتوي معاً حالات من القصور العقلي الحقيقي ناجمة عن آفات دماغية طفيفة؛ وحالات من الكفّ العقلي سبّبه نزاع نفسي أدّى إلى فقدان الاتّصال بالواقعي؛ وحالات أطفال يعانون صعوبات نوعية في تعلّم القراءة والكتابة (عسر القراءة)، وحالات أطفال «مهملين من الناحية الثقافية»، متحدّرين من أوساط اجتماعية معسورة من الناحية الاقتصادية والثقافية، تسكن المناطق الريفية المنعزلة أو الأكواخ القذرة المدينية المكتظّة بالسكان، حيث سوء التغذية، والأمراض، والحوادث، ونقص الشروط الصحيّة والتربية، ترافق الفقر. فالنموّ محض العقلي تابع في الواقع لشروط اجتماعية اقتصادية وثقافي بقدر ماهو تابع للتجهيز الوراثي والصحة. فعندما تكون هذه الشروط غير مؤاتية، تُصاب الدينامية الحيوية بالضرر، ويتقلّص الطموح، ويُعاق النموّ العقلي. وتتيح بيداغوجيا خاصة، وتعليم تُضفى عليه الصفة الفردية متكيّف مع إيقاع كل طفل، كما هو ممكن في نظام فرينه لكثير من الأطفال أن يتقدّموا على نحو مرْض وعلى نحو لايظهرون مصابين بالضعف العقلي الخفيف. فليس المصاب بالضعف العقلي الحقيقي متأخراً فحسب، ولكنه ذو تنظيم سيكولوجي نوعي أيضاً، إذ تنمو العناصر المختلفة في الشخصية نمواً ذا سرعات مختلفة: إن التأخّر في المجال النفسي الحركي يبلغ حدّه الأدنى وحدّه الأعلى في مجال التنظيم المكاني الزماني. وفي رأي رونه زازّو (المولود عام 1910) أن هذا «التباين الزمني في نموّ عناصر الشخصية» يميّز الضعف العقليّ. وفي رأي باربْل إنْهيلْدر (1943) أن المصاب بالضعف العقلي يتميّز معاً ببطء النمو العقلي وعدم اكتماله. والواقع أنه لن يتوصّل أبداً إلى الإجراءات الصورية (مجموعة من التحويلات العقلية التي تتناول قضايا منطقية لفظية)، وإن كان يتوصّل إلى مرحلة الإجراءات المشخّصة وإلى الحركية الإجرائية لأطفال السبع سنوات ونصف عندما يبلغ الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره تقريباً. ويبدو المصاب بالضعف العقلي، من الناحية العيادية، صبيانياً، متمركزاً على ذاته، ساذجاً ويقبل الإيحاء. إنه ينقصه التمييز والفكر النقدي، وحكمه، يقول فيليب

شاسلان (1857-1923)، «شبيه بغربال يحتجز المقارنات والتشابهات والاختلافات الأكثر بعداً عن الدقّة، الممكنة الاستخدام في الحياة العملية، ولكنه يترك الأكثر دقّة تفلت منه». فكره صلب، تنقصه المرونة أو يتّصف، لنستعيد تعبيراً يخصّ أ. ر. لوريا (1902-1978)، ببعض من «العطالة» التي تجعله، إذا كان يعاني صعوبات في تعلّم شيء من الأشياء، يعاني صعوبات أكبر كثيراً في نسيانه. وبوصفه يميل إلى المواظبة على التصرّفات القديمة، فإنه يشقّ عليه أن يتكيّف مع الأوضاع الجديدة. ومدة الدراسة للأطفال المصابين بالضعف العقلي تتأمّن في صفوف الاستكمال وفي المعاهد الطبية البيداغوجية. وحظوظهم في التقدّم تابعة لخطورة قصورهم العقلي ولكنها تابعة بنسبة كبيرة لاتّجاه مربيهم: فالأكثر تفاؤلاً منهم، أولئك الذين لايزرعون اليأس في نفوس تلامذتهم، يحصلون على نتائج لم تكن في وارد الأمل. إن ممارسة الرياضة الفردية أو في فريق وسيلة من أفضل الوسائل التي تنشّط المصابين بالضعف العقلي، وتجعلهم يكتسبون بعضاً من اعتبار الذات وتعلّمهم الحياة في الجماعة. فالألعاب الأولمبية الأولى الخاصة بالمعوقين عقلياً، التي أُقيمت في باري عام 1970، جمعت 1100 مشارك وأكّدت أهمية الممارسة الرياضية في النموّ العام. وضروب التقدّم الجسمي تؤدّي دائماً إلى لون من التحسّن العقلي، وتعلّم بذل الجهد في الجماعة مرحلة تحضيرية للاندماج الاجتماعي الجديد، الذي سينتهي إلى الوصول إلى عالم العمل. وهذه المرحلة الأخيرة هي المرحلة الأكثر صعوبة، ذلك أن عدداً قليلاً من المستخدمين مطّلعون على إمكانات المصابين بالضعف العقلي المهنية. فالقادرون منهم على العمل بصورة مرْضية عديدون مع ذلك، لا في أعمال السلع من حيث تخزينها وتوضيبها للتصدير أوالبيع، وأعمال الساعي، ومسلّم السلع، فحسب بل في أعمال الجصّ، والبستنة، والسكافة، إلخ. إن مصاباً بالضعف العقلي الخفيف يمكنه أن يؤمّن حاجاته وحده، أن يكون مفيداً ويعيش سعيداً، إذا كان مندمجاً في وسط مستقرّ وألاّ يُغالي بما يُطلب منه.

(انظر في هذا المعجم: **التخلّف العقلي**، **التربية الخاصة**).

N.S.

محتويات الجزء الثالث

٢٥٠٠ ط١ / ٤ / ٢٠٠١